



لِحَاثِ مَنَّا لِنَاضِي

حد ٢٧ ملة صحابة بدر المحدث

بسم الله الرحمن الرحيم
وقطعت لوطه الامرا بنه رت به سئل عبد الله
سماه فبين به مرد ولطبه والقلب عبد الرحمن عمار

٥٦/٦/٢ على اله هاد

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الحاج محمد بن أبي
مذكرات الشيخ عبد الله حياط

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

لِحَاثِ مَنْ تَلَا النَّاسِيَةَ

مُذَكَّرَات

الشيخ عبد الله خياط

الرياض

١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م



دار الفرق
ولا اله الا الله محمد عبد العزيز

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

© دار الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

خياط، عبدالله عبدالغني

لمحات من الماضي مذكرات الشيخ عبدالله خياط / عبدالله
عبدالغني خياط - الرياض، ١٤٢٤ هـ

الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ

٤٠٠ ص؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٩٩٦٠ ٨٨٠ ٣٧٠

١ - خياط، عبدالله بن عبدالغني - مذكرات

١ - العنوان

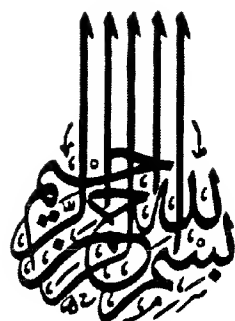
ديوي: ٨١٨،٠٣٩٥٣١

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٤٨١٥

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٤٨١٥

ردمك: ٩٩٦٠ - ٨٨٠ - ٣٧٠

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدارة الملك عبدالعزيز، ولا
يجوز طبع أي جزء من الكتاب أو نقله على أية هيئة دون
موافقة كتابية من الناشر إلا في حالات الاقتباس المحدودة
بغرض الدراسة مع وجوب ذكر المصدر.



رفع عبد الرحمن النجدي أسكنه الله الفردوس تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فتقدم دارة الملك عبدالعزيز لقرائها الكرام كتاب لمحات من الماضي للشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط رحمه الله. والكتاب كما يظهر من عنوانه يقدم لمحات متنوعة من ماضيٍ خصيب تلونت أحداثه وتعددت تجاربه. وكان رصيدها مترعاً بما قضاه الشيخ - رحمه الله - من زمن طويل في خدمة العلم وأهله، وإمامة المصلين في المسجد الحرام والخطبة بهم.

وقد أتت أهمية هذا الكتاب من اللامحات التربوية التي قدمها مؤلفه، فصاحبه ممن عمل في مجال التربية والتعليم زمناً طويلاً رافق خلالها المراحل الأولى لتأسيس المملكة العربية السعودية. وقد قضى الشيخ منها فترة في إدارة المدرسة التي أقامها الملك عبدالعزيز - رحمه الله - لتعليم أبنائه الكرام، فكان له حظ وافر من الخبرات التربوية المبنية على تجربة واقعية مربوطة بحقيقة علمية أو تاريخية، يحدوها السعي الدؤوب باتجاه كل نافع ومفيد للعالم والمتعلم.

ومما زاد الكتاب أهمية تلك الوصايا التربوية التي قدمها الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - لصاحب اللامحات وهو يمارس عمله مديراً لمدرسة الأمراء أبناء الملك عبدالعزيز، فقد كان من وصاياه التربوية رحمه الله: الحرص على منبع العلم وهو

القرآن الكريم، وذلك بتفسيره التفسير الصحيح لأن فهمه هو أول خطوة لتطبيقه في واقع الحياة. وتأكيد على العناية بأصول العلوم وإعطائها الأهمية الخاصة بها وعدم الانشغال بالقشور التي لا تفيد وقد تضر.

ودارة الملك عبدالعزيز وهي تقدم هذا الكتاب لترى فيه أهمية في مجال الحديث عن التاريخ التربوي للمملكة العربية السعودية، والخطوات التعليمية التي ارتكزت على مبادئ أساسية من الدين القويم، وسارت نحو الأخذ بكل مفيد وجديد مما يكفل التطور والرقي والرفاهية للشعب السعودي الكريم.

دارة الملك عبدالعزيز

الطائفة... والثلاثين



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله
سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

كاتب هذه اللوحات هو الشيخ عبدالله بن
عبد الغني بن محمد خياط... ولد في مكة المكرمة
ودرس بمدارسها العريقة كمدرسة المسعى والراقية
والصوليتية والفخرية، وتخرج في المعهد العلمي

السعودي حين كان المعهد يمثل جامعة إسلامية تضم نخبة من كبار علماء
المملكة والعالم الإسلامي؛ درس على علماء المسجد الحرام وكان الحرم
حينها جامعة مفتوحة يلتقي فيه العلماء وطلبة العلم من جميع الأمصار
والأقطار.

حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة وكان له أداء متميز في الحفظ
والترتيل، وهبه الله حافظة قوية وذاكرة واعية مع ولع بطلب العلم في
مختلف فنونه فتكونت لديه حصيلة علمية واسعة في العلوم الشرعية والعربية
والاجتماعية وغيرها من العلوم العصرية.

تتلمذ على يد سماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة
في الحجاز، ولازمه قرابة عشر سنوات، وحين أدرك الشيخ تميز تلميذه
علمياً ونقاء عقيدته وحسن أدائه للقرآن رشحه للإمامة في المسجد الحرام
فصدر الأمر الملكي بتعيينه.

اختاره الملك عبدالعزيز ليكون معلماً لأنجاله وعينه مديراً لمدرسة الأمراء بالرياض وكان من نظام المدرسة التنقل في معية الملك في سفره وإقامته، فحظي معلم الأنجال بمرافقة جلالته في معظم رحلاته. وكان الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - يحب سماع القرآن من معلم أنجاله الذي كان يلحظ تأثر جلالته ويرى هاتل دمه عند سماعه لكلام الله.

استمر الشيخ يؤدي واجبه في رحاب الملك عبدالعزيز مدة طويلة كان خلالها موضع التقدير والتكريم والمحبة من قبل الملك المؤسس طيب الله ثراه. وقد انعكس ذلك على أبناء الملك عبدالعزيز الكرام حباً ووفاء وتقديراً لمعلمهم.

يقول صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز في مقال له نشر في جريدة عكاظ: «إن فضيلة الشيخ الجليل عبدالله خياط كان معلماً وأباً لي ولكثير من أبناء الوطن، فقد علمني أموراً في ديني ودنياي... رحم الله الملك عبدالعزيز حين اختياره معلماً لأبنائه، ولقد أدركت أخيراً حسن الاختيار وأهدافه، فقد كان فضيلته - رحمه الله - سلفياً عالمياً وصادقاً في كل حياته ونظيفاً كالثلج في قمم الجبال».

هذا نموذج لمشاعر أبناء الملك عبدالعزيز النبيلة تجاه معلمهم. وهو ليس بمستغرب عليهم فقد تربوا في بيئة نقية أساسها الوفاء ومكارم الأخلاق.

لقد تعددت مسؤوليات الشيخ وواجباته فبدأ حياته العملية بالتدريس والإدارة وعمل في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشارك في الدعوة والإرشاد من خلال خطبه على منبر المسجد الحرام وأسهم في معالجة قضايا المجتمع والأمة بمقالاته الصحفية وأحاديثه الإذاعية وله جهود بارزة في البحث والتأليف في مجال العقيدة والتفسير والفقه والسيرة النبوية والتربية الإسلامية.

يقول عنه معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد في مقال له

نشر في جريدة المسلمون: «تنوعت أعماله فتعددت آثاره، خدم عقيدة السلف من خلال مجلس دار الحديث، وصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في موقعه من جهازه، ورعى الأجيال في المدرسة، وأحسن الإدارة في المكتب، وأسهم في بناء صرح التعليم العالي في كلية الشريعة، وأعطى المشورة في مسيرة البلاد التعليمية، وانتهى به المطاف صعوداً وعلواً ليسهم في إصدار الفتاوى وبيان مقاصد الشرع من مجلس هيئة كبار العلماء. أما منبر المسجد الحرام ومحرابه، فقد قصد الشيخ إلى علاج ادواء النفوس في خطبه، كما رطب القلوب بتلاوته، وأسال الدموع بترتيله، في صلاته خشوع، ولحديثه رقة، ولألفاظه حلاوة، يصاحب ذلك الإلقاء الرخيم المتميز، والصوت الباكي، والتفاعل المؤثر».

وهذا الكتاب يضم لمحات أو ذكريات أو مذكرات - كما رأت الدارة تسميتها - كتبها الشيخ في أوقات مختلفة وأزمنة متباعدة وقد تم جمعها وتبويبها وترتيبها حسب الموضوعات والأزمنة قدر الإمكان. وهي تسجل جوانب من تاريخ مرحلة مهمة من مراحل التأسيس والبناء لهذا الوطن أراد الشيخ من تدوينها توجيه الأجيال الصاعدة إلى دروس تعينهم على تقبل ما يواجهونه في حياتهم من متاعب ومصاعب لتحقيق أهدافهم وأن الأمور في هذه الدنيا تجري بتقدير الله وتوفيقه.

وقد كتب عن اللمحات الأديب اللامع والكاتب البارز معالي الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي - يرحمه الله - مقالاً جاء فيه: «أجد كثيراً من الراحة بل هي الفرحه بهذه الذكريات التي يكتبها العلامة الجليل الشيخ عبدالله عبدالغني خياط، هذه الذكريات التي أعطاها اسم اللمحات... والذين يعرفون شيخنا الكبير.. الكبير علماً ومكانة يعلمون أن ما يكتبه اليوم ليس تاريخاً ذاتياً لشخصه.. لأنني على يقين أنه لم يفعل ذلك ليكتب تاريخه الشخصي إنما هو شريحة من التاريخ العام لهذه البلاد من عهد الملك المؤسس عبدالعزيز يرحمه الله إلى هذا اليوم».

ويقول الأديب والإعلامي المعروف الأستاذ أحمد محمد محمود في مقال له نشر في جريدة المدينة: «هناك رجالات قلائل من الرواد يتطلع إليهم المهتمون بدراسة التاريخ المعاصر ممن تتوفر لهم الثقافة الموسوعية والريادة والكفاح الدؤوب في العمل والإخلاص والأمانة التاريخية وفي مقدمة هؤلاء يأتي العلامة الجليل فضيلة الشيخ عبدالله خياط . . . وليس في اللمحات إلا تسجيل واقعي لحقبة ما نزال نحتاج لمعرفة الكثير عنها، وليس هناك أقدر على الوفاء بتفاصيلها من قلم عرف بالعفة والصدق مثل قلم فضيلة الشيخ عبدالله خياط».

ونظراً لاهتمام دارة الملك عبدالعزيز بتاريخ المملكة وتسجيل كل ما يتعلق به من أحداث وقضايا، فقد عرضت مشكورة طباعة اللمحات ضمن مطبوعاتها وتابعت تصحيحها وإخراجها بالصورة اللائقة بها. فالشكر الجزيل لجميع العاملين بالدارة وعلى رأسهم سعادة أمينها العام الأستاذ الهمام الدكتور فهد بن عبدالله السماري، وسعادة مساعده الدكتور ناصر بن محمد الجهيمي، والشكر أولاً وآخرأ بعد الله لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض ورئيس مجلس إدارة الدارة حفظه الله، لما يوليه من اهتمام وعناية بأعمال الدارة ومساندته لها لتحقيق أهدافها. فجزاه الله عن الجميع خير الجزاء وأمه بعونه وتوفيقه وبارك في عمله وعمره.

وصلّى الله على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

د. عبدالعزيز بن عبدالله خياط

عضو مجلس الشورى

رفيع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

نبذة عن الشيخ عبد الله خياط

نشأته:

هو أبو عبد الرحمن: عبدالله بن عبد الغني بن محمد بن عبد الغني بن إبراهيم خياط، ينتهي نسبه إلى قبيلة قضاة، ولد في مكة المكرمة في التاسع والعشرين من شهر شوال عام ١٣٢٦هـ ونشأ في بيت علم وكان أبوه مثقفاً ثقافة دينية وله إمام بالفقه الحنفي والتفسير والحديث.

تعليمه:

- تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة الخياط بمكة المكرمة ودرس المنهج الثانوي بالمدرسة الراقية على عهد الحكومة الهاشمية.
- درس على علماء المسجد الحرام وحفظ القرآن الكريم في المدرسة الفخرية.
- التحق بالمعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة وتخرج منه عام ١٣٥٠هـ.

مشايخه:

- سماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة في الحجاز (وقد لازمه قرابة عشر سنوات).
- فضيلة الشيخ عبدالظاهر محمد أبو السمح إمام المسجد الحرام وخطيب والمدرس فيه.

- فضيلة الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة إمام المسجد النبوي وخطيبه والمدرس فيه ثم في المسجد الحرام.
- فضيلة الشيخ أبو بكر خوقير المدرس بالمسجد الحرام.
- فضيلة الشيخ عبدالله السندي المدرس بالمسجد الحرام.
- فضيلة الشيخ سليمان الحمدان المدرس بالمسجد الحرام.
- فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي المدرس بالمسجد الحرام.
- فضيلة الشيخ المحدث مظهر حسين المدرس بالمسجد الحرام.
- فضيلة الشيخ إبراهيم الشورى مدير المعهد العلمي السعودي والمدرس فيه .
- فضيلة الشيخ محمد بن علي البيز المدرس بالمعهد العلمي السعودي.
- فضيلة الشيخ بهجت البيطار المدرس في المعهد العلمي السعودي .
- فضيلة الشيخ تقي الدين الهلالي المدرس بالمسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي.
- فضيلة الشيخ حسن عرب المدرس بالمدرسة الفخرية.
- فضيلة الشيخ محمد إسحاق القاري مدير المدرسة الفخرية والمدرس بها .

أهم أعماله:

- صدر الأمر الملكي بتعيينه إماماً في المسجد الحرام عام ١٣٤٦هـ وكان خلالها يساعد الشيخ عبدالظاهر أبو السمح في صلاة التراويح وينفرد بصلاة القيام آخر الليل.
- عين عضواً في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بموجب الأمر الملكي الصادر في ١٨/١/١٣٤٧هـ.
- عين مديراً للمدرسة الفيصلية بمكة المكرمة بموجب خطاب مدير المعارف في ١٢/٢/١٣٥٢هـ.

- اختاره الملك عبدالعزيز ليكون معلماً لأنجاله وعينه مديراً لمدرسة الأمراء بالرياض عام ١٣٥٦هـ واستمر في هذا العمل حتى وفاة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - عام ١٣٧٣هـ.
- انتقل إلى الحجاز وعين مستشاراً للتعليم في مكة المكرمة بموجب الأمر الملكي رقم ١٣٧٣/٣/٢٠ في ١٣٧٣/٤/٧هـ.
- في عام ١٣٧٥هـ أسندت إليه إدارة كلية الشريعة بمكة المكرمة بالإضافة إلى عمله مستشاراً.
- في عام ١٣٧٦هـ كلف بالإشراف على إدارة التعليم بمكة المكرمة بالإضافة إلى عمله مستشاراً.
- عين إماماً وخطيباً للمسجد الحرام بموجب الأمر السامي رقم ١/٨٣٦ وتاريخ ١٣٧٦/٢/٦هـ.
- صدر الأمر الملكي بتعيينه رئيساً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بناء على ترشيح من سماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ يرحمه الله وذلك في عام ١٣٨٠هـ ولكنه اعتذر عن ذلك وطلب الإعفاء لظروف خاصة.
- تم اختياره عضواً في مجلس إدارة كليتي الشريعة والتربية بمكة المكرمة بموجب خطاب وزير المعارف رقم ١/٣/٥/٤٠٩٥ في ١١/٢٧/١٣٨٢هـ.
- عمل رئيساً لمجلس إدارة دار الحديث المكية وعضواً في اللجنة الثقافية برابطة العالم الإسلامي.
- تم اختياره عضواً في اللجنة المنبثقة من مجلس التعليم الأعلى لوضع سياسة عليا للتعليم في المملكة بموجب خطاب سمو رئيس مجلس الوزراء رقم ١٣١٤٣ في ١٣٨٤/٥/٢٧هـ.
- تم اختياره مندوباً عن وزارة المعارف في اجتماعات رابطة العالم

- الإسلامي بمكة المكرمة بموجب خطاب وزير المعارف رقم ١/٢/٣/ ٥١٥٠ في ١٣/١٠/١٣٨٤هـ.
- صدر الأمر الملكي باختياره عضواً في هيئة كبار العلماء منذ تأسيسها في ٨/٧/١٣٩١هـ.
- تم ترشيحه عضواً في مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في ٢٧/٧/١٣٩٣هـ.
- صدر الأمر الملكي في ١٨/٦/١٣٩١هـ باستثنائه من النظام وعدم إحالته للتقاعد مدى الحياة.

مؤلفاته:

- (١) التفسير الميسر (ثلاثة أجزاء).
- (٢) الخطب في المسجد الحرام (ستة أجزاء).
- (٣) دليل المسلم في الاعتقاد.
- (٤) اعتقاد السلف.
- (٥) ما يجب أن يعرفه المسلم عن دينه
- (٦) حكم وأحكام من السيرة النبوية.
- (٧) تأملات في دروب الحق والباطل.
- (٨) صحائف مطوية.
- (٩) لمحات من الماضي.
- (١٠) الفضائل الثلاث.
- (١١) الرواد الثلاثة.
- (١٢) على درب الخير.
- (١٣) الربا في ضوء الكتاب والسنة.

- (١٤) الحدود في الإسلام.
 - (١٥) تحفة المسافرين.
 - (١٦) البراءة من المشركين.
 - (١٧) قصة الإيمان.
 - (١٨) شخصيات إسلامية.
 - (١٩) المصدر الثاني للتشريع الإسلامي.
 - (٢٠) عندما ينعكس الوضع.
 - (٢١) قال لي محدثي.
 - (٢٢) التربية الاجتماعية في الإسلام.
 - (٢٣) الخليفة الموهوب.
 - (٢٤) مبادئ السيرة النبوية.
 - (٢٥) دروس من التربية الإسلامية.
 - (٢٦) حركة الإصلاح الديني في القرن الثاني عشر.
- هذا بالإضافة إلى مشاركات علمية ودعوية متعددة في مختلف وسائل الإعلام.

وفاته

توفي - رحمه الله - في مكة المكرمة صباح يوم الأحد السابع من شهر شعبان عام ١٤١٥ هـ بعد عمر حافل بجلال الأعمال. وشيعه خلق كثير من المحبين له والعارفين بفضلله يتقدمهم الأمراء والعلماء والوزراء ورجال الفكر والثقافة والتربية والتعليم. تغمده الله برحمته وأسكنه الفردوس من جنته.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
تحفة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام
على من أرسله الله رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد:

غداً تذبل الشمعة ثم تنطفئ وتذوي الشجرة المورقة الناضرة ثم تكون
هشيمًا تذروه الرياح، وذلك شأن كل من عاش على الغبراء لا فرق بين من
علا كعبه وارتفع مقامه، ومن كان من الدهماء يفترش الغبراء ويلتحف
السماء.

إن هذه لمحات ولا أقول ذكريات، لأن الذكريات أكثر شمولاً
واستيعاباً لشتى الاتجاهات، هذه اللمحات تصور واقع رجل وهن منه العظم
وبلغ من الكبر عتياً، شرب من كأس الحياة حلوه ومره فكان مع الحلو من
الشاكرين، ومع المر من الصابرين تمشيًا مع توجيه الرسول الكريم ﷺ:
(عجب أمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له،
وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له وليس ذلك إلا للمؤمن).

عاصر خمسة من ملوك آل سعود أسود الشرى وحماة الحمى فحظي
بتقديرهم جميعاً، وصحب الأمراء صحبة المعلم للمتعلم وكان له معهم
مواقف لا تغيب عن ذهنه أبدًا، كانت التضحية فيها شعار المعلم
والمتعلم.

جالس العلماء وأخذ من علمهم، وخالط الأدباء فاقتبس من أدبهم،

وكان من ثمار ذلك أن شارك العلماء في أرفع مجالسهم الوظيفية، وشاطر الأدباء في مجالاتهم الأدبية، فكانت له جولات علمية أدبية في جميع وسائل الإعلام في الخطابة والصحافة والإذاعة.

وانتهى به الأمر إلى الانطواء والعزلة، لست أدري أكان ذلك بسبب تقدمه في السن فقد انصرف عن المجاملات والمحاولات في الجري وراء الشهرة والحرص على حب الظهور كدأب الناس أو أكثرهم. أخذًا بقول الشاعر في شطر بيته (وبه الناس إلى ربّتك؟) أم كان الانزواء والانطواء قناعة بالماضي، ولترك الشوط لغيره؟ فلكل زمان رجال، ومع انزوائه وانطوائه ما برح يعلل النفس بالآمال الطويلة العريضة في الحياة كما قال الشاعر :

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل
هذه توطئة أو مقدمة لما بعدها من الأشواط التي عقد لها هذا العنوان (لمحات) إنها لمحات في حياة مديدة لرجل كما وُصِفَ آنفًا بلغ من الكبر عتياً وهو يسير كل يوم في خطى متلاحقة إلى المصير المحتوم، وسوف يصل كما وصل غيره كما قال الشاعر :

لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر
أيقنت أنني لا محالة حيث صار القوم صائر

وما لنا نستشهد بالأشعار ولدينا خير الكلام يصور أروع مثال مما تصوره الأشعار دون مقارنـة، يقول رب العزة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾. ويقول: ﴿كُلُّ مَنَ عَلَيْهَا فَإِنَّ ﴿١٦﴾ وَيَبْنَىٰ وَجْهَهُ رَبُّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ إلى غير ذلك مما يصور المصير المحتوم في أرفع بيان.

هذه اللـمحات لا ندرى بأي شوط نبدأ به منها، وإن ترتيبها بحسب الوقائع أو السنين قد يكون متعذرًا؛ لأن كتابتها وقف على الذاكرة، إذ لم

يكن لصاحبها سجلات يكتب فيها يومياته أو حتى مفكرات صغيرة يمكن أن تستلهم الكتابة ولو بالشيء اليسير، والذاكرة متهمه لا تكاد تحتفظ من الماضي أو عن الماضي إلا بالشيء القليل غير أن القليل خير من الإهمال وعدم تسطير شيء عن حياة شخصية تزدحم فيها الذكريات.

أعود فأقول: إن هذه اللمحات هي من وحي الذاكرة والعناية بتسطيرها فيه أمران :

أولاً: دروس هادفة قد يجد فيها بعض القراء وخاصة الجيل الصاعد ما يكون عزاءه في واقع لعله أضناه وشق عليه السير فيه في أي محاولة من محاولاته الدراسية أو العلمية أو الوظيفية، ففي هذه اللمحات ما يتحدث عن ذلك.

ثانياً: العزاء أيضاً لمن سار على الدرب في ماضٍ لم يُعَنَّ فيه بالشهادات أو المؤهلات، بل كان المعول والذي يوزن به المرء الحصيصة العلمية والثقافية وإن لم يحمل المتعلم مؤهلاً يكون جواز سفر يجتاز به المعترك كما قال الشاعر :

قيمة الإنسان ما يحسنه أَكْثَرَ الْإِنْسَانُ مِنْهُ أَوْ أَقَلَّ

فاللهم أعني على إتمام كتابة هذه اللمحات ووفقني لما يرضيك من الأقوال والأفعال واختم لي على الإيمان وصالح الأعمال وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنك على كل شيء قدير. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والله الموفق.

عبدالله عبدالغني خياط

مكة المكرمة

صفر ١٤٠٣هـ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الأول

النسأة والغايم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
النشأة

هذه هي المرحلة الأولى أو الشوط الأول في حياة صاحب اللمحات، ولد في مكة المكرمة في التاسع والعشرين من شهر شوال عام ١٣٢٦هـ، ونشأ في بيت متوسط الحال، وكان والده متفقهًا إلى حد ما، أو بعبارة أخرى كان مثقفًا ثقافة دينية، وبالتحديد في الفقه الحنفي والتفسير والحديث. اكتسب ثقافته من المسجد الحرام، إذ كان المسجد في الماضي المدرسة الأولى للمتعلمين أو كما قال أستاذ الأدباء الشيخ محمد حسين زيدان: (كل مسجد هو جامعة للشعب، فقد كانت حلقات الدروس في مساجدنا أكثر من يملؤها رجال لم يقرؤوا فمحووا الأمية من أرواحهم وعقولهم)، ولم يُعدُّ أستاذ الأدباء الحقيقة فيما قال، فهذا والد صاحب اللمحات كان من هذا الطراز الذي محا الأمية من عقله وروحه.

وفي الزورات الخاطفة التي كان يغشى والد صاحب اللمحات في الفينة بعد الأخرى أناس يسألونه عن مسائل في الفقه الحنفي، أو في بعض معاني آيات أو أحاديث فيجيب بما تعلمه من المسجد، فانفتح ذهن الولد، وحفزه حبُّ الاستطلاع أن يسأل والده عن هذه الأسئلة فأجابه بكلمة مقتضبة موجزة: (بكرة تعرفها إذا تعلمت)، وأضحى أمام الولد بابٌ للتفكير في التعليم، وانهاه على الوالد بالأسئلة وناهيك بأسئلة المُميزين^(١) التي لا حد لها ولا حصر إذا اتسعت لها الصدور وتجاوب معهم المسؤولون، وانتهى

(١) يعني - رحمه الله - من بلغ سنَّ التمييز، وليس من باب تركية النفس (الدارة).

سبل الأسئلة بإجابة الوالد بأن التعليم يكون في المدرسة والمدرسة موضعها في المسعى، ولا بد من دخولها للتعليم.

الدراسة في مدرسة الخياط

سرعان ما انقضت عطلة الأسبوع فانتصب الولد أمام الوالد ليبر بوعده ويدخله مدرسة المسعى، وكانت تعرف بمدرسة الخياط نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد خياط رحمه الله. وأخيرًا تم الدخول إلى المدرسة فجوبه الولد بما لم يكن في حسبانته، لعله ظن أن في المدرسة حلوى تقدم للأطفال، أو ألعاب مسلية وترفيهية! ولكنه جوبه بنظام قاس شرس بالنسبة له، جلوس أمام الأستاذ في الأرض دون حراك، وتكليف بواجب وإن كان الواجب سهلاً لا يعدو كتابة حروف الهجاء أو التهجي على الأصح، وحفظها وتركيب جمل منها، وحفظ بعض قصار السور مثل سورة ﴿الضُّحَى﴾ في البيت. وأقطع ما جابه الولد آنذاك العقاب البدني بكل ألوانه، يصوره: الوقوف على الأقدام مدة طويلة، واستقبال الجدار واستدبار الطلبة والمعلم، ومصع الأذن: أي عركها بشدة، وهو أهون العقاب، والضرب بالعصا على الرجل، وقد تخطى الضربة فتقع في موضع حساس، ووضع الرجلين في الإحرام بطريقة يتقنها بعض الطلاب ثم رفعها في وجه الأستاذ ليضرب ما شاء والصبي يصرخ ويستغيث ولا مغيث، كل ذلك ترك في الولد انطباعات سيئة للمدرسة، فعندما يعود منها إلى والده تسبقه العبرة بفتح العين، ثم يتبعها بالصوت العالي مع الاحتجاج على المدرسة وإبداء الرغبة الملحة في عدم الذهاب إليها من الغد.

راي في العقاب البدني:

وهنا يجدر بنا أن نقف قليلاً لتساءل: هل من الحكمة أن يجابه الطفل أول دخوله المدرسة وهو في دور التكوين وكل انطباع سيئ يحدث في نفسه عقدة قد تستمر إلى أن يبلغ دور النضوج؟ أم أن الطريقة الناجحة هي

معالجة الطفل بالحسنى، وترغيبه في التعليم دون إدخال الرعب في نفسه، الأمر الذي قد يحمله على ترك التعليم دون رجعة، فيغدو عضواً فاشلاً في المجتمع؟ ولعل حجة أنصار اتخاذ العقاب البدني آنذاك وسيلة للتعليم هي أن العلم إما رغبة أو رهبة، والرغبة عند الطفل مفقودة، إذن فالرهبة هي الوسيلة الوحيدة ليس غير، ويستدلون على هذا المسلك بالحديث النبوي الشريف لحفز الصبيان على الصلاة: (مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) الحديث. ومعنى ذلك في نظرهم أن للعقاب البدني أثراً في التقويم والتهديب، ولولاه لما صلى صبي حتى بعد العاشرة.

والرأي الثاني، رأي أنصار المدرسة الحديثة ومنهاجهم في التقويم والتهديب ما رسمه علم النفس، وما وُضِعَ في التربية من قواعد وأصول في التعليم إذ يبدأ برياض الأطفال التي يجد فيها الطفل كل معاني الإنسانية والرحمة، ويأتي فيها التعليم ضمناً دون قسر أو تكليف بواجب، حتى إذا ما ترعرع وأخذ في النضوج أمكن بعد ذلك الارتفاع به إلى درجات في التعليم تتناسب مع مداركه.

وفي نظري بوصفي مدرساً مارس مهنة التعليم أمداً طويلاً أن العقاب البدني إن كان لا بد من مزاولته في حالات خاصة لا يتسع المجال للتمثيل لها، فيجب أن يقدر بقدر الضرورة، فلا يصدم به الطفل أول مراحل تعليمه، وقد يكون من الخير تطبيقه في بيئة كبيتنا العقاب فيها من البديهيّات التي لا تحتل النقاش، فالمدرسة إذا لم تزاوله، زاوله البيت، والشعار في ذلك قول القائل: (أدب ولدك وأحسن أدبه) وقال الشاعر:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقسُ أحياناً على مَنْ يرحمُ
غير أن للقسوة حدوداً وضوابطاً، وما دام الغرض من العقاب البدني الردع والزجر، فليقدّر بقدر الضرورة، أما لو ترك الحبل على الغارب للمتعلم وخاصة من كان في دور المراهقة فإنه يتصرف تصرف الطائش،

وترك العقاب يفسده ويدفعه للتطاول على غيره دون مبالاة أو رهبة، وعلى سبيل المثال لذلك أذكر حادثة جرت من طالب يبدو فيها مدى الاستهتار وتحديه لأستاذه، نشرت عنها بعض الصحف المحلية، وهي أن طالباً أدخل دبوساً في فم أستاذه عندما أخذ الأستاذ يتثاءب. وثمة حادثة أخرى، وهي أن طالباً وضع في درج منضدة الأستاذ في الفصل جرادة، فلما فتح الأستاذ الدرج انطلقت الجرادة فرجع الأستاذ إلى الوراء ذعراً مما فوجئ به على غرة. تلك نماذج لضياح هيبة المدرس، ولعدم اتخاذ عقوبات لمثل هذا التصرف الطائش تكون زاجرة رادعة لمن تحدثه نفسه أن يسقط المدرس من حسابه على أن العقاب البدني لو فرض أن دعت الضرورة لإيقاعه، فيجب أن يكون بحكمة كما يجب أيضاً تنويعه، فهناك مثلاً حجز الطالب بعد مغادرة زملائه للمدرسة مع تكليفه بواجب، أو توبيخه على انفراد، أو توبيخه أمام زملائه، أو إبعاده عن المدرسة إبعاداً مؤقتاً لمدة أسبوع، إلى غير ذلك مما عرض له أساطين التربية ويعرفه الأساتذة.

نعود بعد هذا الاستطراد إلى سلسلة هذه اللمحات وقد وقفنا فيها عند دخول الولد المدرسة وما عاناه من متاعب كادت تفصل بينه وبين التعليم.

واقع المدرسة:

لقد كان بناء المدرسة كبناء الدور العادية، لم يكن بناؤها على طراز بناء المدارس اليوم، أي مكونة من ردهات وغرف للدراسة منظمة منفصل بعضها عن بعض دفعاً للتشويش، ولعدم ضياح مجهود المدرس، ويجلس الطلاب على مقاعد تمكنهم من أداء الواجب وخاصة إذا كان كتابياً، لم يكن شيء من ذلك، بل كانت غرفاً كبيرة مقسمة بألواح خشبية، وكان الطلاب يجلسون على الأرض يفترشون الحصر المصنوعة من خوص النخل (الخصف)، وإذا كانت الخصفة جديدة فلا يستقيم فرشها، بل لا بد من وضع أحجار على أطرافها لتمسك بها، وجعل بعض الطلاب في أركان

الفصل ليمسك بجلسته الخصفة، فإذا مضى على فرشها عام أصبحت قطعاً ممزقة متناثرة في الفصل، ثم تستبدل بغيرها.

وقد وضع في كل فصل لوح كبير أسود (سبورة) ليكتب عليها المدرس، أو ليشرح الدرس، أو ليكلف أحد الطلبة بحل مسألة حسابية أمام زملائه، وكثيراً ما ينمحي سواد السبورة من كثرة مسحها، خاصة إذا تعود بعضهم مسحها بالماء فلا تلبث غير بضعة أشهر ثم تغدو دكناء ليس منها كبير فائدة.

المنهاج الدراسي:

لست أذكر تفاصيل عن المقررات في هذا المنهاج، إلا أنني أعتقد أنه لا يختلف كثيراً عن المنهاج الابتدائي في الوقت الحاضر، فيه أكثر الدروس المنصوص عليها حالياً: القرآن نظراً، والقراءة والعلوم الدينية إلى جانب الحساب، والجغرافيا، والتاريخ، والإملاء، والخط وحفظ بعض سور من القرآن.

الدراسة في المدرسة الراقية

عندما انتهى صاحب اللمحات من الدراسة الابتدائية في مدرسة الخياط بالمسعى انتقل إلى المرحلة الثانوية، وكان مقر الدراسة فيها في ثكنة جبل الهندي، وهذه الثكنة في أعلى جبل الهندي كانت مقراً للجيش التركي في الماضي على عهد الحكومة التركية، ثم تحولت إلى مدرسة ثانوية تدعى: المدرسة الراقية على عهد الحكومة الهاشمية.

وقد وصف المدرسة أحد الصحفيين القدامى في عهد الشريف حسين بن علي فقال: «هذه الروضة الزاهرة هي ربوة من أجمل ربي البطحاء وألطفها، ذات بناء واسع متقن ومستعد للتوسع، وتضم أربعة صفوف بها (١٥٠) طالباً. ومنهاجها يتكون من العلوم الدينية، وعلوم اللغة العربية، والاجتماعيات، والحساب والهندسة».

المنهاج الدراسي:

كان الطالب يلتحق بالمدرسة الراقية لدراسة المنهج الثانوي الذي ترتفع فيه المقررات نسبياً بحسب مدارك الطلاب، فمن العلوم والفنون التي يتضمنها المنهج: العلوم الدينية والعربية والاجتماعية والرياضية، كانت تدرس فيها العقائد السنوسية لمؤلفها الشريف محمد بن يوسف السنوسي، وهي على طريقة علم الكلام ومصطلحاته ومحاولة إثبات وجود الله جلّ جلاله عن طريق العقل، وفي الفقه الحنفي كان يدرس المختصر للقنبري لمؤلفه الحافظ محمد إعزاز، وفي اللغة العربية يدرس كتاب الدروس النحوية بأجزائه الأربعة توزع على السنوات الأربع، وفي التفسير كان يدرس كتاب تفسير الجلالين، وفي التاريخ تدرّس السيرة النبوية وكتاب إتمام الوفاء، وفي علم تقويم البلدان تدرس القارات الخمس، وهكذا في كل علم وفن مقرر موضوع لا مندوحة عن استيعابه والنجاح فيه.

أمضى صاحب اللمحات في دراسته بالمدرسة الراقية مدة عامين ثم تغير الوضع السياسي بدخول الملك عبدالعزيز إلى الحجاز، وأوصدت أبواب المدرسة، وتعطلت الدراسة في جميع المدارس إلا في المدارس الأهلية كمدرسة الفلاح والمدرسة الصولتية والمدرسة الفخرية.

الدراسة على علماء المسجد الحرام وحفظ القرآن الكريم

بعد إغلاق المدرسة الراقية اتجه صاحب اللمحات صوب المسجد الحرام ينهل من معين العلم على أيدي العلماء فيه، يذكر من بينهم فضيلة الشيخ أبو بكر خوقير - يرحمه الله - درس عليه الحديث في سنن الترمذي، وفضيلة الشيخ عبيدالله السندي - يرحمه الله - درس عليه في موطأ الإمام مالك، وفضيلة الشيخ سليمان الحمدان يرحمه الله، درس عليه كتاب عمدة الأحكام.

وكان لصديقه الشيخ عبدالرحمن مظهر والدٌ عَلَّامٌ في الحديث فكان

صاحب اللمحات يتجه إليه في داره ليدرس عليه بلوغ المرام ومشكاة المصابيح.

حفظ القرآن الكريم:

وجد صاحب اللمحات فراغًا كبيرًا بعد دروس المسجد في الصباح، ففكر في حفظ القرآن، وكان ذلك غاية أمله ومنتهى قصده، إذ كيف يكون طالب علم شرعي وهو لا يحفظ القرآن، وكان بالمدرسة الفخرية فصل خاص لحفاظ القرآن، فجزم أمره وانضم إلى هذا الفصل تحت إشراف مدرسه الشيخ حسن عرب - يرحمه الله - الحازم في أداء مهمته، الصارم في توجيه طلابه، ولقد بلغ من صرامته - يرحمه الله - أنه إذا رأى طالبًا يرفع رأسه عن المصحف أو يكف عن الاهتزازة التقليدية التي يعرفها حفاظ القرآن آنذاك انهال عليه - يرحمه الله - ضربًا بالعصا على جسده وغدا لهذا الحزم أثره لدى صاحب اللمحات إذ اختصر المرحلة وحفظ القرآن بتوفيق الله في تسعة أشهر، ووضع في قائمة الأئمة الذين يصلون بالطلبة التراويح في المسجد الحرام حين كانت المدارس تتبارى في تحفيظ الطلاب القرآن وتعنى بتقديم الأئمة منهم لصلاة التراويح بزملائهم، وكان الحساب على الأئمة عسيرًا حين يعودون للمدرسة في صباح اليوم الثاني، فالمدارس تفتح أبوابها حتى في رمضان.

أقول كان الحساب عسيرًا على الأئمة للتراويح من الطلاب، فالمدرس يحصي كل غلطات الطالب، ثم يحاسبه عليها، ويحسبه من المفرضين في الحفظ، والغرض من هذا الحساب العسير ليس وجه الله، بل حسب قولهم: (تجميل المدرسة وإظهارها أمام الناس بحفاظها وطلبتها بالمظهر المشرف، وللتنافس مع بقية المدارس التي تنحو هذا المنحى).

أعود فأكرر أن هذه المعلومات من وحي الذاكرة، والذاكرة كما سبق أن قلت كثيرًا ما تخون، فلا تحتفظ بالكثير من المعلومات، ومن أمثلة ذلك

أن صاحب اللمحات كان في عهد من عهود تعليمه قد انضم إلى طلاب المدرسة الصولتية لحفظ القرآن في مسجد الصولتية على مدرس هندي الأصل أو باكستاني كان هو الآخر صارماً لأبعد الحدود، فلقد كانت الفلكة - أو الفلقة لست أدري - تعمل عملها عندما يخفق الطالب في الحفظ أو يتأخر عن واجبه، فتوضع رجلاه في الفلكة، وينهال المدرس عليها ضرباً بشدة، ولا يستطيع الطالب أن يتخلص من الفلكة لأنها مشدودة على رجله، وللشد ألم لا ينقص عن ألم الضرب الذي يزاوله المدرس، إنها آلة من آلات التعذيب، وكفى بذلك تعريفاً بها، ويعتذر صاحب اللمحات لفضيلة مدير المدرسة الصولتية الحالي لهذا النسيان في ترتيب المعلومات حيث أخرت الالتحاق بالصولتية عن الالتحاق بالفخرية.

بعد أن أتم صاحب اللمحات حفظ القرآن في المدرسة الفخرية عاود نشاطه العلمي في فصول المدرسة الفخرية لإكمال الدراسة الثانوية مع الفارق في المنهج بين المدرستين الراقية والفخرية، واستمر في الدراسة عامين. وكانت المدارس تعطي شهادة بإكمال كل مرحلة فيها، بل بإكمال الدراسة في كل فصل، وتلك ميزة تذكر لها فتشكر لأن في ذلك حفزاً للطلاب على الاستمرار، وتقديراً لجهوده، وكلما انتقل إلى فصل أعطي شهادة النقل حتى المرحلة النهائية، والشهادات أشبه بإجازات العلماء الأقدمين - يرحمهم الله - تثبت للطلاب الدرجة التي تحصل عليها ليس غير.

دراسة القراءات السبع:

في الفترة التي كان صاحب اللمحات يحفظ القرآن في المدرسة الفخرية وجه فضيلة مدير المدرسة الشيخ إسحاق القاري - يرحمه الله - نظر صاحب اللمحات لدراسة القراءات السبع على فضيلته، وخصص له ولزميل معه فترة ما بين العشاءين للحضور إلى المدرسة لبدء الدرس في شرح ابن القاصح على الشاطبية، ولم يكن ذلك عن رغبة للطلاب، ولكن فضيلة

المدير كان يحرص أن يجمع لتلميذه بين حفظ القرآن ودراسة القراءات؛ ليغدو حافظًا قارئًا خاصة وقد انصرف طلاب العلم عن دراسة علم القراءات، وأضحى علمًا نادرًا في محيطنا منذ أن عول طلاب العلم على التعليم النظامي والحصول على الشهادات، وأمضى صاحب اللمحات أمدًا طويلًا في الدراسة، ولكنه خرج منها دون حصيلة، ولعل السبب في ذلك أن في علم القراءات رموزًا للقراء ومصطلحات كان يضيق بها، وعلى سبيل المثال نورد هذه الأبيات من الشاطبية ليكون العذر واضحًا لصاحب اللمحات في خروجه دون حصيلة:

تحت عنوان (باب إدغام الحرفين المتقاربين في كلمة وفي كلمتين):

يقول الشاطبي رحمه الله:

وإن كلمة حرفان فيها تقاربا فإدغامه للقف في الكاف مجتلى
وهذا إذا ما قبله متحرك مبين وبعد الكاف ميم تخللا
كرزقكم واثقكمو وخلقكم وميثاقكم أظهر ونرزقك أنجلى
وهكذا كل الشاطبية فكيف تدخل معاني هذه الأبيات وأمثالها في ذهن طالب مهما شرحها الشارح، بالإضافة إلى أن حفظ القرآن لا يزاحم بشيء.

فرصة أتاحت:

رغب الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - في تزويد الحرمين الشريفين بنخبة من علماء العالم الإسلامي فأوعز إلى الجهة المختصة بمصر لترشيح من يقوم بهذه المهمة من العلماء السلفيين. وتم اختيار كل من فضيلة الشيخ عبدالظاهر محمد أبو السمح للعمل إمامًا وخطيبًا للمسجد الحرام ومدرسًا فيه، وفضيلة الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة للعمل إمامًا وخطيبًا للمسجد النبوي ومدرسًا فيه، ثم انتقل فضيلته إلى مكة وعمل مدرسًا بالمسجد الحرام ومساعدًا لفضيلة خطيبه، وقد انتهز صاحب اللمحات الفرصة، ولازم

الشيخين مدة طويلة، ودرس عليهما كتب السنة والتفسير واللغة العربية، وما يتصل بهذه العلوم من أصول وقواعد. كما درس النحو على الأستاذ سليمان أباطة الأزهري، وأخذ عن فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي.

في رحاب العلم والفضل:

العلم والفضل صنوان أو هما في الواقع شيء واحد من حيث الإشاعة والبذل، فالعلم فضل مشاع والفضل تتسع فيه الأبعاد، ولا يقل أثره ونتائجه عن بذل العلم ونشره، فإذا اقترن العلم بالفضل في شخصية واحدة طوقت الأعناق بالمنن، وكانت حرية باستباق رحابها، هذه سطور أكتبها لمناسبة الخطوة لصاحب اللمحات، لأن يستبق رحاب صاحب السماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة في الحجاز يرحمه الله رحمة الأبرار، ويسكنه مع الأخيار في دار القرار.

لقد أفاض سماحته على صاحب اللمحات من علمه وفضله، أما العلم فقد سمح له بمجالسة طلبة العلم الذين يدرسون عليه في داره بالداودية على طريقة الإمرار والتعليق، يدرسون عليه التفسير والحديث وغيرهما بعد العصر كل يوم وبين العشاءين.

أما الفضل الذي يحتفظ صاحب اللمحات لسماحته به في قرارة نفسه ولا ينساه أبدًا ما بقي في الزمان أولو فضل يبذلون الفضل هو أن تفضل سماحته فأنزل صاحب اللمحات بجواره، وشمله بعطفه ورعايته وكرمه مما يذكره صاحب اللمحات فيدعو لسماحته آناء الليل وأطراف النهار أخذًا بالتوجيه النبوي الكريم: (من صنع لكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) الحديث.

كما أتاح لصاحب اللمحات القرب من سماحته أن يخصص له فترة ما بعد صلاة العشاء عندما يعود سماحته إلى داره للقراءة عليه في بعض متون العقيدة، بالإضافة إلى أن سماحته كان يقضي فترة ما بين العشاءين في زمن

الصيف على سطح المسجد الحرام يجتمع إليه فيها بعض المشايخ للإمراز عليه في بعض شروح الحديث وفي التفسير والعقيدة وغيرها، وصاحب اللمحات يغشى هذا المجلس المبارك ليكتنز من العلم ويستمع إلى المناقشات التي تدور أحياناً بين المشايخ وبين سماحته في بعض المسائل، وقد لازم صاحب اللمحات دروس سماحته ومجالسه العلمية قرابة عشر سنوات.

الدراسة في المعهد العلمي السعودي

افتتحت الدولة المعهد العلمي السعودي للمرة الثانية فنصح فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي صاحب اللمحات أن ينضم إلى طلابه للحصول على شهادة علمية يكون بها تقييم أو تقويم الحصيللة العلمية التي تحصل عليها من المسجد الحرام وغيره، وقال في نصحه رحمه الله: يا عبدالله، إن الزمان قد تغير عن الماضي، وإن قيمة المتعلم والمثقف بين المجموع هي الشهادة العلمية التي يحصل عليها، وإنك قد لا تزيد كثيراً من الدراسة في المعهد خاصة في العلوم الشرعية، إلا أنك إلى جانب حمل الشهادة سوف تجد في المعهد علومًا عصرية ورياضية ولغة أجنبية لا مندوحة لطالب العلم الشرعي من الإلمام بها إن لم يكن المجلي فيها؛ لئلا يصبح نشارًا بين المجموع أو بتعبير أصرح جاهلاً في علوم الحياة التي يستبق الناس في هذا الزمان ميادينها، بالإضافة إلى تركيز معلوماتك الدينية وترتيبها في ذهنك، وراقت الفكرة لصاحب اللمحات ولاسيما وقد بدأ هذه الخطوة - أي الانضمام في سلك طلبة المعهد العلمي - صديقه الكريمان الأستاذ عبد الحميد حامد يرحمه الله، والأستاذ الباحثة أحمد علي أسد الله الكاظمي، فاستخار الله سبحانه إذ إن الخيرة الشرعية لا مندوحة عن الركون إليها في كل أمر ذي بال يعتزم المرء مزاولته أو الدخول فيه.

ثم خطا خطوته في عزم وحزم ونشاط ملحوظ أولاً ليلبغ ما أراد من تركيز العلوم الدينية في ذهنه، وثانياً للوقوف على العلوم العصرية التي لم

يكن قد فتح لها بالاً أو اعتد بها في زمانه ويأتي حمل الشهادة ضمناً، لأن الأوائل من طلبة العلم كانوا يطلبون العلم لله ثم لنفع عباد الله، وليحملوا قسطهم من المسؤولية في التوجيه والتوعية لأبعد مدى، وبدأ هذه الخطوة في منتصف عام ١٣٤٧هـ أي بعد مضي نصف العام الدراسي، ولأن حصيلته العلمية كانت تفوق المستوى الذي انضم إليه فاز بالأولية في فصله البالغ عدد طلابه (٢٢) طالباً.

درس في المعهد علوم الدين بما فيها الفقه الحنبلي في شرح الزاد، ودرس الفرائض بتوسع، إلا أنه اصطدم بدراسة اللغة الإنجليزية، ولم يك يعرف منها ولا أبجديتها، ودرس علم خواص الأجسام، والجبر: أي علم الجبر، وغيره من العلوم الرياضية.

فهيأ الله له صديقه الأستاذ أحمد علي الكاظمي، وأعطاه الكثير من وقته جزاءه الله خيراً وأكثر من أمثاله الأصدقاء الأوفياء، وأضحى لصاحب اللمحات ملكة في التعبير والقراءة باللغة الإنجليزية، أما الكتابة فلا لأن في هذه اللغة أو في غيرها حروفاً تقرأ لا تكتب، وتلك عقبة بالنسبة للمبتدئ، أما بقية العلوم الأخرى التي لم يكن لصاحب اللمحات سابق علم بها كعلم خواص الأجسام مثلاً فقد استعان لتذليل عقبتها بالحفظ غيباً، وكان الله قد وهبه حافظاً قوية وذاكرة واعية، فحفظ المقرر في علم خواص الأجسام، وحفظ في علم تقويم البلدان أسماء القارات ومواقعها وعدد الأنهار والجزر والمضايق وغيرها مما يرتبط بهذا العلم.

وكذلك الهندسة حفظ منها النظريات والمصطلحات وغيرها في كل علم أو فن لم يكن له به سابق عهد ويريد أن يأخذ فيه درجة النجاح أو تزيد قليلاً.

واقع الدراسة في المعهد:

كانت الدراسة في المعهد تُعنى بالكيف دون الكم، وبعبارة أوضح كان المعول به على تنسيق المعلومات وتركيز الفهم، وإن لم يكن الطالب قد

حشد في ذهنه الكثير من المقرر في البرنامج، وكان لا يكلف إلا بحفظ أجزاء من القرآن في كل فصل، حتى التوحيد أعني كتاب التوحيد لا يكلف الطالب حفظ المتن، بل يكتفي الأستاذ بالشرح الوافي، وحتى الفقه الحنبلي كذلك، وإلى جانب حفظ القرآن كان يحفظ الرحبية في الفرائض. وبالمناسبة سأل صاحب اللمحات أستاذه في النحو والبلاغة فضيلة الشيخ إبراهيم الشورى أمد الله في عمره وكان إلى جانب قيامه بالإدارة يعمل أيضًا في حقل التدريس سأله عن الطريقة التي يستطيع بها تركيز المعلومات في ذهنه دون الحفظ فأجابه بقوله: (اقرأ الموضوع صفحة بعد الأخرى وكلما فرغت من القراءة اطوِ الكتاب، ثم استعرض في ذهنك ما قرأته، وكلما غاب عنك شيء افتح الكتاب وعاود القراءة حتى ترسخ المعلومات في ذهنك)، وقد أفاد صاحب اللمحات من هذه الطريقة في المذاكرة وسأل أستاذ الجغرافيا السؤال نفسه فأشار بالاستعانة بالمصورات الجغرافية، وكثرة النظر فيها وتحديد موضع المذاكرة المرة بعد الأخرى.

وسأل أستاذ الجبر والهندسة السؤال نفسه فقال: «ليكن لك أول الأمر عناية بمطالعة المسائل المحلولة، ثم تدرج في حل المسائل على غرار ما رسخ في ذهنك مما وقفت على حله، وإذا كَلَّ ذهنك وتعذر عليك حل مسألة من المسائل فاتركها إلى فرصة أخرى، ثم عاود المحاولة تجد أنك أصبحت رياضياً من الدرجة الأولى».

انتفاضة:

تقدم في السطور السابقة أن المعهد لم يكن يطلب من الطلبة حفظ متون العلم بما في ذلك الحديث، وعندما حان وقت الاختبار وضع الأستاذ سؤالاً يطلب فيه من الطلاب ذكر نص الحديث، وكان منهم صاحب اللمحات وهو وإن لم يخرجه هذا السؤال، فقد حفظ الكثير من الأحاديث بما في ذلك مقرر المعهد، ولكنه تضامن مع زملائه في احتجاجهم على

الأستاذ؛ لأن في عدم إجابتهم على السؤال نقصاً في درجاتهم، وكانت نتيجة ذلك أن اقتصر الأستاذ في وضع الدرجات على الاختبار الشفهي فقط (ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها)، كان من المفروض النظر في مثل هذه القضية بعين العدل لأن إنقاص درجة الطلاب في الاختبار دون أي سبب له ردود عكسية في نفس الطالب، غير أن مقام الأستاذ يفرض على الطالب أن يدعن مهما كان الأمر فقد قيل: من علمني حرفاً كنت له عبداً، ولكنها عبودية إلى حد ما وفي حدود المشروع، ولعل الأساتذة أغراهم قول أمير الشعراء شوقي:

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا
لذلك ولغيره من الأمور الأخرى انتهت الانتفاضة بسلام دون أن يكون لها عواقب.

أصحاب الفضيلة مشايخ المعهد:

في العهد الثاني للمعهد العلمي تولى منصب الإدارة فيه فضيلة الشيخ إبراهيم الشورى أمد الله في عمره، وكان حازماً محترماً بين الأساتذة والطلاب لشخصيته الفذة، ونشاطه الملحوظ، وسعة أفقه، وتمكنه من علمه، إذ كان إلى جانب قيامه بأعمال الإدارة يعمل في حقل التدريس.

ومن مشايخ المعهد في هذا الدور فضيلة الشيخ محمد بن عثمان الشاوي - يرحمه الله - المدرس بالمسجد الحرام والنائب لسماحة رئيس القضاة في غيابه.

وفضيلة الشيخ محمد بن علي البيز رئيس المحكمة الكبرى في الطائف يرحمه الله، وفضيلة الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة الخطيب بالمسجد الحرام والمدرس فيه يرحمه الله، وفضيلة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المدرس بالمسجد الحرام، وسيادة الأستاذ صادق ماجد الكردي يرحمه

الله، وسيادة الأستاذ محمد حلمي أمد الله في عمره، وسيادة الأستاذ عبدالمنعم الدشلوطي، وغيرهم ممن غاب عن الذاكرة لبعده الزمن.

فكرتان أو نظريتان:

عرضنا سابقًا عند الحديث عن واقع الدراسة في المعهد العلمي أنها كانت تعنى بالكيف دون الكم، فلم يكن استظهار الدروس إلا القرآن والفرائض يضاف إليهما بعض المقطوعات في الأدب العربي لم يكن استظهار شيء غيرها مفروضًا على الطلاب، وبهذه المناسبة نذكر فكرتين أو نظريتين لكل منهما أنصار يروجونها ويعلقون عليها الأهمية في تركيز المعلومات والإفادة منها.

الأولى: تؤيد أو تشجع على الاستظهار، وتعتقد أنه لم يظفر الطالب بحصيلة من درسه لو أسقط الاستظهار من حسابه، ويدعم أنصار هذه الفكرة قولهم بما نظممه صاحب الرحبية في الفرائض في شطر بيته حيث يقول: (واحفظ فكل حافظ إمام) ومركز الإمام بالطبع في المقدمة.

الفكرة الثانية: العناية بالفهم دون الحفظ إلا ما لا بد من حفظه كالقرآن مثلاً، ويدعم المتحمسون لهذه الفكرة رأيهم أو فكرتهم بما يأتي: أ - طالب العلم لو حفظ ولم يفهم يصبح كالحاكي الذي ينقل ما سجل فيه.

ب - يخفق من يعتد بالحفظ في التعبير عما حفظه ووضع عبارة بدل أخرى يستقيم بها المعنى، فيصبح في حيرة من أمره إذ ينبتر المعنى ولا يستقيم وضع التسلسل في التعبير، وعلى العكس من ذلك الفهم.

ويرى صاحب اللمحات حسب تجربته حين كان طالبًا أن الجمع بين الفكرتين أفضل، وقد يغني الفهم في كثير من العلوم عن الحفظ.

الحظوة بحمل الشهادة:

أمضى صاحب اللمحات في دراسته بالمعهد عامين ونصف العام، أي من منتصف عام (١٣٤٧هـ) إلى نهاية عام (١٣٤٩هـ) تخرج بعدها بتفوق وحمل شهادة المعهد على رأس عام (١٣٥٠هـ) يزهو ويعتد بها كصنيع البعض من حملة الشهادات في حاضرتنا؛ لأن حامل الشهادة آنذاك له قيمته ووزنه وأثره في الحياة العملية إذ تسند إليه وظيفة في الدولة وخاصة في حقل التعليم، فقد درس أصول التربية والتعليم نظرياً فهو يطبق ما درسه عملياً، ولست أدري لو كانت شهادة المعهد آنذاك فوق مستواها الواقعي بالنسبة لشهادات التخصص كالطب مثلاً أو الجيولوجيا أو غيرهما من علوم العصر لعل حاملها لا يقف أمامه مثقف في أي مجال للثقافة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الثاني

في إطلاق الحياة العملية



أوائل الوظائف والأعمال

ونعني بذلك التوظيف في حقل التعليم وغيره من الأعمال الأخرى التي قام بها صاحب اللمحات منذ بداية حياته العملية.

في الإمامة:

لقد كان أول عمل قام به صاحب اللمحات هو إمامة مسجد الدندراوي (زاوية الرشيدى) بمكة وذلك في ٢٣/٢/١٣٤٦هـ.

ونظرًا لثقة الكبيرة التي أولاها إياه سماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة في الحجاز فقد استصدر أمرًا ملكيًا بتعيينه إمامًا لصلاة العشاء في المسجد الحرام مضافًا إلى ذلك الاشتراك مع إمام الحرم الشيخ عبدالظاهر أبي السمح - يرحمه الله - في الخمس التسليمات الأخيرة لصلاة التراويح مع تفرد إمامًا لصلاة القيام آخر الليل. وكان ذلك عندما تولى إمامة وخطابة المسجد الحرام فضيلة الشيخ عبدالظاهر أبو السمح - يرحمه الله - مع صلاة المغرب، وأمّ المصلين في صلاة العصر فضيلة الشيخ بهجت البيطار يرحمه الله، وفي صلاة الظهر قام بالإمامة الشيخ محمد نور الكتبي يرحمه الله، وهذه هي المرة الأولى التي بتعين فيها صاحب اللمحات إمامًا في المسجد الحرام، أما المرة الثانية، فكانت بعد انتهاء عمله في الرياض وعودته إلى مكة.

في هيئة الأمر بالمعروف،

وفي عام ١٣٤٧هـ عمل عضواً في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تسلم المذكرة الآتية:

العدد: ١٨١ التاريخ: ١٣٤٧/١/٢٠هـ

حضرة المكرم الشيخ عبدالله خياط

حيث إن المرسوم الملكي الصادر بتاريخ ١٨ المحرم ١٣٤٧هـ يقضي بتعيين حضرتكم عضواً بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فعليه يقتضي مباشرة العمل اعتباراً من تاريخ أمرنا هذا.

النائب العام لجلالة الملك

وفي عام ١٣٤٩هـ عمل صاحب اللمحات مراقباً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدائرة البرق والبريد حيث تسلم المذكرة الآتية:

العدد: ١٠٥ التاريخ: ١٣٤٩/٨/١١هـ

حضرة المكرم الشيخ عبدالله خياط المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد صدر أمر سمو النائب العام لجلالة الملك المعظم حفظهما الله بعدد ٢٧٨٧ في ١٣٤٩/٨/٧هـ بتعيينكم مراقباً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدائرة البرق والبريد.

وكيل رئيس القضاة

في المدرسة الفخرية:

عرض فضيلة مدير المدرسة الفخرية الشيخ إسحاق القاري - يرحمه الله - على صاحب اللمحات أن يعمل بالمدرسة مدرساً للتوحيد والقرآن فلبى الرغبة، وقام بالواجب في نشاط ملحوظ لفت إليه الأنظار، وحُصِّص

له مرتب شهري قدره عشرة ريالات سعودية، وكان لهذا المبلغ آنذاك قيمته إلا أنها لم تكن تصرف شهرياً لضعف إيرادات المدرسة، وكثيراً ما كان فضيلة المدير يحيل صاحب اللمحات على الدهلوية لتسلم الراتب.

هذا ولأن الشيء بالشيء يذكر، أعرض لتعامل الأوائل من الأجداد حين كانوا يتعاملون بشيء اسمه (الدواني)، ولست أدري أهو عملة وهمية أم كان لها واقع؟ فلم يلمس بيده أو يرى بعينه شيئاً اسمه الدواني، كان أحدهم يقف على البائع ويقول له أعطني من هذا بعشرة، ومن هذا بخمسة، ولكنه ينقده عملة نحاسية كان يتعامل بها على عهد الحكومة التركية كالقروش النيكلية التي كانت معروفة إلى عهدنا ثم استعوض عنها بالعملة السعودية المضروبة من النيكل.

نعود بعد هذا الاستطراد الطريف إلى الماضي في الحديث عن التوظيف في حقل التعليم.

في المعهد العلمي السعودي:

عرض فضيلة مدير المعهد الأستاذ الشيخ إبراهيم الشورى على صاحب اللمحات أن يتبرع بتدريس القرآن في بعض فصول المعهد إذ كان لديه فراغ بعد حصص الفخرية فلبى الرغبة، وكان يضرب الأرض مشياً على الأقدام من جوار المسجد الحرام مقر المدرسة الفخرية إلى أحياء مقر المعهد دون عناء أو شعور بتعب، ولم تك حافلات خط البلدة أو النقل الجماعي على الأصح أو سيارات أجرة تقرب المسافة وتسعف المستعجل.

وما انتهى صاحب اللمحات من دور الطالب حتى ارتقى إلى دور المدرس، وهنا يجدر بنا أن نستعيد مرة أخرى شطر بيت أمير الشعراء أحمد شوقي (قم للمعلم وفه التبجيلا...) حيث كان الطلبة في الفخرية والمعهد يمثلون هذا الدور من التبجيل والتقدير أروع تمثيل، لا كما نسمع في حاضرتنا عن بعض الطلبة أنه يقف من أستاذه موقف النذل لند، وفي منتهى

الصلف دون مراعاة لمكانة الأستاذ وتقدير لفضله بصفته معلمًا للخير. والواقع أن دور المدرس من أصعب الأدوار، ولا يستطيع حمل العبء فيه إلا طبقة سخرها الله - سبحانه وتعالى - لنشر العلم والثقافة على حساب أعصابهم، وبخاصة إذا أخلص المدرس في عمله، واحتسب أجر ما يبذله في نفع المتعلمين من تضحيات، واحتسب ذلك عند الله.

يذكر صاحب اللمحات أن أستاذًا من أساتذته درس عليه النحو في المسجد الحرام، وكثيرًا ما كان يردد الأستاذ على أسماع طلابه أنه جلس هذا المجلس الذي كان يجلسه ابن عباس رضي الله عنهما أي: معلمًا للخير، وهذا وهو يعلم النحو فكيف بمن يمارس التعليم في مختلف ضروب العلم الشرعي.

وما انتهى العام الأول أو لعله وبعض الثاني أيضًا إلا وشغرت وظيفة الإدارة في المدرسة الفيصلية (مدرسة حارة الباب سابقًا).

مجلة المعهد العلمي السعودي:

لو لم يكن للمعهد من فضل بعد الله على طلابه إلا أنه بصرهم بالعقيدة السلفية، وغرس في نفوسهم الأخلاق الإسلامية لكفاه شرفًا وفضلًا ورفعة.

غرس فيهم خلق الوفاء لماضيهم، الماضي الذي كان من أنضر عهدهم وأغلى أيامهم، فلقد كانوا حتى بعد تخرجهم واشتغالهم في الحياة العلمية وتحمل المسؤوليات كانوا يتواصلون ويتعاطفون، ويضربون للقاءاتهم مواعيد يستعرضون فيها الماضي، ويفكرون فيما يصلح شأن مجموعتهم ويرفع من شأنهم.

ومن بين تلك اللقاءات لقاءهم للتفكير في إصدار مجلة باسم (المعهد العلمي السعودي) تخليدًا لذكروه ووفاء بعهده، وقيامًا ببعض الواجب نحوه، وتقديرًا لمديره وأساتذته الذين كان لهم الفضل بعد الله في إخراج طلاب إلى الحياة العملية يخوضون غمارها بعلم ودين.

تحديد موعد اللقاء:

في عام ١٣٥١هـ اجتمع خريجو المعهد بدار أستاذهم الكبير المربي الفاضل الشيخ إبراهيم الشورى، وتداولوا الرأي في موضوع إصدار المجلة، وتمخض الاجتماع عما يأتي:

(١) موافقة الجميع على مشروع إصدار مجلة باسم المعهد العلمي السعودي.

(٢) يتولى إدارتها صاحب اللمحات.

(٣) يتولى رئاسة تحريرها الأستاذ أحمد علي الكاظمي.

(٤) يقوم بتقديم الطلب إلى المقام السامي مدير المجلة ورئيس تحريرها.

وقام صاحب اللمحات والأستاذ الكاظمي بتقديم الطلب لسمو النائب العام آنذاك وأوضحا هدف المجلة، وهو نشر الثقافة العامة الدينية والأخلاقية، وعدم التعرض للسياسة من قريب أو بعيد، وأرسل الخطاب بواسطة البريد وكان ذلك في ١٣/٩/١٣٥١هـ.

ومرت الأيام تتلوها الشهور، وأشرق عام ١٣٥٢هـ فانضم إلى أساتذة المعهد سيادة السيد محمد حسن كتبي، وعلم بفكرة المجلة فاتصل بالمسؤولين عنها، ثم اجتمع بهما في داره وتداولوا الرأي في موضوعها وقر القرار على ما يأتي:

(١) أن تصدر المجلة على رأس كل شهر عربي.

(٢) مهمتها نشر الأخلاق الإسلامية والدعوة إليها.

(٣) مبدؤها وهدفها قول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

(٤) تكون موضوعاتها بعيدة عن السياسة.

(٥) تشكيل لجنة للإشراف عليها مكونة من:

أ - فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم الشورى مدير المعهد ووكيل مديرية المعارف (رئيسًا).

ب - سيادة السيد محمد حسن كتيبي المدرس بقسم التخصص بالمعهد (عضوًا).

ج - صاحب اللمحات مدير مدرسة حارة الباب (عضوًا).

د - الشيخ ياسين فطاني سكرتير رئاسة القضاة (عضوًا).

هـ - الأستاذ أحمد علي الكاظمي مدير مدرسة المعابدة (عضوًا).

ومهمة هذه اللجنة هي تزويد السجلة بالمقالات والأبحاث، وعموم الطلبة في المعهد وكذا المتخرجون منه يعملون لصالح المجلة ورفع مستواها.

ويتولى العمل في هذه المجلة:

(١) مدير المجلة (صاحب اللمحات).

(٢) رئيس التحرير (السيد محمد حسن كتيبي).

(٣) سكرتير التحرير (الأستاذ أحمد علي الكاظمي).

(٤) أمين حسابات المجلة (الأستاذ عبد الحميد حامد) رحمه الله.

وبقدر تلغف الجميع ليوم إشراق هذه المجلة فقد ظلت الأيام تمر دون أن يسمع عنها ما يبشر بيوم صدورها حتى كان عام ١٣٥٤هـ دخل على صاحب اللمحات في مدرسة حارة الباب شرطي من مركز الشرطة في نفس الحي وصوت حذائه مزعج مقلق، بل ورؤيته كانت غريبة في المدرسة خاصة، وقد جاء ليصطحب المدير إلى المركز، ويقول له: أنت مطلوب الآن فقم معي. ولم يكن صاحب اللمحات قد سار إلى جانب شرطي يومًا ما بقتاد كما يقتاد المجرم، والناس في الحي يشهدون هذا المنظر الغريب ويتهايمسون (سحبوا المدير إلى المركز).

وكان في المركز ضابط لم يتنازل حتى برد السلام أخذًا بمبدأ العظمة الكاذبة التي يتقمصها بعض الناس لا شيء. وفي الحال أبلغ المدير أنه مطلوب الآن إلى الأمن العام، ولم يشأ صاحب اللمحات أن يستوضح منه احتقارًا له، وذهب تَوًّا إلى الأمن العام، وهناك وجد ضابطًا آخر بدأه بقوله. أنت عبدالله خياط؟، فرد عليه بالإيجاب. فقال: إن المجلة التي طلبتم إصدارها باسم المعهد لم توافق عليها النيابة. فأعطاه صاحب اللمحات ظهره احتقارًا لعجرفته وصلفه، أظن أنه لم تكن مأساة لرجل أدين بشيء أبشع من هذه المأساة التي عاشها صاحب اللمحات مع الشرط ورؤسائهم، إلا أن المدان كان يوضع في يديه (كلبشة)، ويسحب من حارة الباب إلى مقر الأمن العام بجوار الحرم مخفورًا.

وبالمناسبة مناسبة هذه المأساة يذكر صاحب اللمحات أنه أقبل على المسجد الحرام ليخطب خطبة الجمعة، فصاح بالسائق شرطي المرور قائلاً: (ارجع وراك حرك بسرعة) قال السائق: إن معي خطيب الحرم، فرد عليه الشرطي بنفس الرد الأول: (ارجع وراك حرك بسرعة) فأطل الخطيب على الشرطي، وقال له: أنت مسؤول، وسوف أعود الآن من حيث أتيت وأقدم فيك شكوى: قال الشرطي: انزل من السيارة وامش على رجلك. وكانت المسافة بعيدة، وما انتهت المأساة إلا بصياح العريف على الجندي: (خله خله). فاستجاب مرغمًا وهو يبدي غيظه وحنقه لعدم تنفيذ أمره. وكم لبعض أفراد الشرط من مآسي مع الناس فليت سعادة مدير الأمن العام يتفضل بوضع برنامج للتوعية بأداب السلوك يتعلمه أفراد الشرط ليحسنوا معاملتهم للناس، ويأخذوا بتوجيه الإسلام حيث يقول رب العزة: ﴿ادْفَعْ بِالَّذِي فِي أَحْسَنُ﴾ أقول ليت سعادة مدير الأمن العام وهو من آل الشيخ المجدد الذي أخذ بمنهج النبوة في توجيه الناس إلى الخير، وعَلَّمَ الدنيا كيف تكون صلة المخلوق بالخالق في إخلاص العبادة له وحده، وكيف تكون صلة الناس بعضهم ببعض في الأخذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر

بالمعروف الذي جعل الله لمن يقوم به الخيرية ووضعه في أرفع ذروة فقال عز من قائل ﴿كُتِبَ خَيْرَ أَمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. ليت سعادته يفعل.

المدرسة الفيصلية

كانت المدرسة الفيصلية في الماضي تحمل اسم الحي الذي أقيمت فيه (حارة الباب) وقد ذكرنا أن صاحب اللمحات انتقل من دور الطالب إلى دور المدرس، وعمل في هذا الحقل مدرساً للتوحيد والقرآن بالمدرسة الفخرية، كما عمل أيضاً مدرساً للقرآن في بعض فصول المعهد، واستمر هذا الوضع عامًا وبعض العام.

حيث شغرت وظيفة مدير مدرسة حارة الباب بموت مديرها رحمه الله فرشح سماحة رئيس القضاة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رحمه الله رشح صاحب اللمحات لهذه الوظيفة، وكتب بالترشيح إلى مديرية المعارف، إذ كان لسماحته حق الإشراف على هذه المديرية. وتعثرت التعيين لسبب أو لآخر لست أدري ! ثم تغير الوضع في هذه المديرية فأسندت إدارتها لفضيلة العربي الشيخ إبراهيم الشورى - أمد الله في عمره - فكان باكورة أعماله تنفيذ ترشيح صاحب اللمحات لإدارة المدرسة الفيصلية، ووجه إليه المذكرة الآتية:

حضرة الفاضل الشيخ عبدالله خياط المحترم

بعد التحية: صدر التصديق السامي برقم (١٨٩٩ / ١٥٥٨) وتاريخ ١٣٥٢/٢/١١هـ على إسناد إدارة المدرسة التحضيرية بحارة الباب إلى عهدتكم بناء على ما نعلمه فيكم من الكفاءة والأخلاق الحميدة. فباشروا عملكم من يوم ١٣٥٢/٢/١٢هـ وحققوا ثقتنا في تقدم المدرسة وإنهاضها إلى المستوى اللائق بها....

وكيل مديرية المعارف

كلمة لا بد منها،

قد يظن بعض القراء أن كل من درس في أي تخصص من التخصصات العلمية في استطاعته إذا انخرط في الحياة العملية أن يطبق كل النظريات والقواعد التي امتلأ بها ذهنه واعتد بها بوصفه متعلماً ناجحاً لديه رصيد ضخم من المعرفة من حقه أن يستثمره في مجاله وتخصصه، والواقع الذي كشفه صاحب اللمحات - ولعل غيره أيضاً ممن دخل الحياة العملية ومارسها يؤيد ذلك - أن الحياة العملية وخاصة في حقل التدريس تفتح أمام المتخصص آفاقاً من التجارب لم تقع في حسابه، ندلل على هذا بالواقع الذي جابه صاحب اللمحات منذ أن أسندت إليه إدارة مدرسة حارة الباب وبمنظرة فاحصة منه أدرك أن من الحكمة أن يدع الأمور تسير طبق الواقع الذي ألفه ودرج عليه الأساتذة ولو إلى أجل محدود.

ذلك أنه عندما باشر عمله في المدرسة كان فكره ممتثلاً بإصلاح الوضع وتسيير الدراسة على المنوال الذي عرفه من أصول التربية والتعليم، وبعد أن تداول الرأي مع الأساتذة وعرف رغبتهم في أنه لا مندوحة عما جرت عليه الدراسة منذ أن تأسست المدرسة، بل منذ أن تأسست مديرية المعارف في هذا العهد المبارك؛ أي كل قديم يبقى على قدمه وأعلنوا له بأنه لو حاول التغيير والتبديل في الوضع الذي يسيرون عليه فإنهم لا يتحملون مسؤولية ذلك، وسوف تتأخر المدرسة عن بقية المدارس وذلك لا يشرفهم.

وأمام هذا التحدي - إن صح أن يسمى تحدياً - استجاب لرغبتهم على أن يعاود الكرة معهم مرة أخرى بعد أن يتم الانسجام ويمكن التفاهم، وقد أخذ من ذلك تجربة قاسية وعبرة أيضاً، وعرف أن العلم شيء والتطبيق شيء آخر، وأن من الحكمة ألا يصادم الناس بكل جديد وتجديد مهما كان في الجديد من مكاسب، وبعد مضي عام والمدرسة تسير على وضعها القديم بدأ صاحب اللمحات في عمل تشكيلات تحدد مسؤولية كل مدرس وكل

موظف غير المدرسين أيضًا، وأشعر الجميع أنه لا مندوحة من الشعور بالمسؤولية تجاه الواجب والقيام به وتحمل نتائج الإخفاق فيه لو أخفق لا قدر الله.

حاول أن يسند لكل مدرس المادة التي هي أقرب إلى تخصصه، وهذه التخصصات لم تكن حسب المؤهل العلمي الذي يحمله المدرس، فلم تكن آنذاك مؤهلات يحملها المدرس اللهم إلا بعضهم، بل كان المعيار هو نجاح المدرس في المادة التي زاول التعليم فيها لمدة عام وتحت إشراف المدير، ويقدر إنتاجه أيضًا ونضوجه وطريقة إيصال المعلومات إلى الطلاب.

على أن مدرسة حارة الباب كانت تحضيرية أي تحضر للمرحلة الابتدائية، فمراحل التعليم ثلاث مراحل التحضيرية ومدتها ثلاث سنوات، والابتدائية ومدته أربع سنوات، والعالية يستمر فيها الطالب أربع سنوات أيضًا.

أقول: إن المدرسة كانت تحضيرية بمعنى أنها لا تتطلب كبير عناء لتنظيم الدراسة فيها وتوزيع الحصص على المدرسين بالسوية حسب النصاب الموضوع لكل مدرس، ولكن صاحب اللمحات وإخلاصه لعمله وعدم التفريط في شيء من واجبه رغب في أن يبنى للمدرسة والطلاب أساسًا متينًا يذلل للطلاب المرحلة الابتدائية، وبمناسبة وضع جدول توزيع الدروس على المدرسين لا يزال صاحب اللمحات يذكر الصعوبات التي كانت تواجهه في وضعه ليبرزه في غاية الدقة، دون وجود تصادم في التخصص بين المدرسين، ودون أن يخرج به عن الوضع الذي رسمه أساطين التربية والتعليم حيث تكون الدروس الرياضية أول النهار كالحساب مثلاً لصفاء ذهن الطالب في الصباح، والدروس التي تعتمد على الحافظة كالدروس الدينية وفي طليعتها القرآن الكريم توضع في حصص ما بعد الظهر، والدروس التي تعتمد على دقة الملاحظة كدروس الخط والإملاء توضع

أيضًا في حصص ما بعد الظهر، ولكنه أخفق ولم ينجح، وهنا نستعيد الفقرة التي ذكرناها في مطلع هذه اللمحة وهي أن الدراسة التطبيقية تفتح أمام المتخصص آفاقًا من التجارب لم تقع في حسابه، وهذا ما حدث فعلاً لصاحب اللمحات، فلم يستطع أن يطبق كل النظريات التربوية تطبيقًا يشعر بأن المدرسة أو المدرس يسير في خطواته التعليمية طبقاً أصول تربوية صحيحة، فمثلاً دروس القرآن بدل أن يجعلها في الحصة الأخيرة من النهار اضطر لأن يقدمها في أوله؛ لأن الطلبة في فترة ما بعد الظهر وبعد تناولهم طعام الغذاء يغلب عليهم النوم حتى كأن الطالب أعشى لا يقوى على التحديق في المصحف.

أما الدروس الرياضية كالحساب مثلاً فمهما غلب النوم الطالب فلا يمكنه أن يغفل عن حل مسألة يكلف بها أو يتهرب من شرح المدرس لها على السبورة، وليكن ١٠٪ من الطلاب يستسلمون للنعاس، إلا أن ٩٠٪ يتابعون المدرس في شرحه أو يعملون الفكر في حل واجب فُرض عليهم القيام به.

ومثل آخر، تعنى التربية الحديثة بالفهم دون الحفظ، ولكن المدرس وجد نفسه مضطراً لتحفيز الطلاب كل المواد الدينية كالتوحيد والفقه والقرآن والحديث وغيرها؛ أضف إلى ذلك حفظ قواعد النحو والمقطوعات الشعرية.

لذلك يخفق جُل من يحاول تطبيق النظريات التربوية في التعلم مع طلبة صغار في السن من السابعة إلى العاشرة أو حتى لو كان الطالب بلغ الخامسة عشرة، ولعل من وضع القواعد وأصول التربية والتعليم وضعها لبيئة غير بيئتنا.

منهج الدراسة التحضيري:

لعل من غير المبالغ فيه أن يقرر صاحب اللمحات واقع المنهج

المرسوم للدراسة في المدارس التحضيرية في الماضي، وأنه يكاد يضارع المنهج الابتدائي في الحاضر، إن لم يكن في جميع الدروس ففي بعضها، والبرهان على ذلك ضخامة المقررات فيه، فلقد كان المقرر على الطالب أن يحفظ من القرآن غيباً في السنوات الثلاث من سورة الناس إلى سورة يس، وعندما تعدّل المنهج بعد ذلك أضحى الحفظ ثلاثة أجزاء من سورة الناس إلى نهاية جزء (قد سمع) بمعدل جزء لكل سنة دراسية.

أما دراسة القرآن نظراً فقد تقرر جميع المصحف.

أما الدروس الدينية ونعني التوحيد والفقه فقد أُلّف فيها الشيخ عبد الله المطلق رسائل يسيرة للسنوات الثلاث تشمل قسم العبادات في الفقه وأقسام التوحيد الثلاثة في التوحيد بما في ذلك أنواع العبادة بأدلتها وما يتصل بذلك.

وفي قواعد اللغة العربية هناك مُؤَلَّف للأستاذ محمد علي الشالي فيه الكثير من قواعد النحو.

وفي دروس الخط هناك رَسَم الخطوط الثلاثة الرقعة والنسخ والثلث، وقس على ذلك بقية الدروس، ومن ثم كان بعض الطلبة عند انتهاء الدراسة التحضيرية يلتحق ببعض الوظائف طلباً للقامة العيش، فلو لم تكن حصيلته تؤهله للتوظيف لما أقدم عليه، ولما قَبِل المسؤولون هذه الدرجة من التحصيل لشغل الوظائف بها.

على أن الوظائف لم تكن في الماضي مربوطة بالشهادات بحيث يكون بها تقييم الموظف، بل كانت بالوساطات والشفاعات أو الحاجة لشغل الوظيفة.

واستمر صاحب اللمحات على خطته في صقل جوهر المدرسة واختيار المدرسين لها من حملة الشهادات كشهادة المعهد وغيره، خاصة بعد أن

قررت مديرية المعارف إحداث نمو في مدرستين من المدارس التحضيرية بفتح فصل ابتدائي في كل من مدرسة حارة الباب ومدرسة المعلاة.

فكان من أساتذة حارة الباب الأستاذان رشدي العظمة وعبدالرحمن باحنشل من خريجي المعهد، والأستاذ محمد علي الشالي من خريجي مدرسة الفلاح.

منافسة شريفة:

المنافسة الشريفة تكون في الخير والتنافس فيه ومحاولة بلوغ الرقم القياسي في مضاميره، كما جاء في الحديث النبوي الشريف أن فقراء الصحابة - رضوان الله عليهم - شكوا إلى رسول الله ﷺ عجزهم عن التصدق لخلو وفاضهم من المال، فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور؛ يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. فقال لهم الرسول الرحيم ﷺ: «أوليس الله قد جعل لكم ما تصدقون به إن لكم بكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة» الحديث.

فسمع الأغنياء بذلك، فنافسوا الفقراء فيه، فلم يحبب عليهم رسول الله ﷺ ذلك؛ لأنها منافسة في الخير ليست وقفاً على أحد. هذه مقدمة للمنافسة التي نعينها، وخلاصتها أن مدير مدرسة المعلاة أخذ ينافس صنو مدرسته حتى في لوحة المدرسة إذ وضع لوحة كبيرة كتب عليها بالخط العريض (مدرسة المعلاة الجامعة للأقسام التحضيرية والابتدائية)، وليس الغرض تقرير الواقع وإنما المقصود بالذات أن يشهر مدرسته بأنها جامعة، وأضحى رحمه الله والمدرسون والطلاب يُسَقِّطون كلمة تحضيرية أو ابتدائية، ويقتصرون على لفظة جامعة فيقول أحدهم للآخر: هل ذهبت إلى الجامعة اليوم؟، ومن كان في الجامعة؟، هل حضر مدير الجامعة؟ وهكذا ولله في خلقه شؤون.

وليت شعري ماذا عسى أن يقول مدير جامعة أم القرى لو فتحت جامعة
المعلاة في أيامه وكان مديرها - يرحمه الله - على قيد الحياة؟
وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحكك كالبكاء
حفيد الملك في المدرسة:

التواضع ونكران الذات والتمشي مع هذا الخلق لأبعد مدى مما حث
عليه الإسلام، ومن أمثله ذلك - والأمثلة عليه كثيرة - انضمام حفيد الملك
عبدالعزیز - - يرحمه الله - إلى طلاب المدرسة الفيصلية (حارة الباب)
سابقًا، وانخراطه في الفصل تلميذًا عاديًا وعلى مقعد مشترك بينه وبين أحد
الطلبة دون تأففٍ أو تبرم أو كبر أو عجرفة أو اشمئزاز أو إظهار فوارق،
ودون إحراج للمدير والأساتذة بطلبات من المدرسة له دون غيره، أو رغبة
في مفارقات يوحي بها ولو من طريق غير مباشر، يحضر دوام المدرسة،
والميزة الوحيدة التي كانت له علامة فارقة أنه يحضر في سيارة وبقية الطلبة
يضربون الأرض مشيًا على الأقدام ومعه خادم يدرس معه في فصله، وآخر
يلبث في السيارة إلى أن ينتهي عمُّه فيصطحبه، ولم يكن المدير أو الأساتذة
يميزون هذا الحفيد بمناداته بـ (يا سمو الأمير) أو أي عبارة أخرى تُوحي
بالتعظيم.

وانتهى عام وأجري الاختبار للحفيد كما أجري لعامة الطلبة، ولست
أدري أي عام كان هذا العام، وأعطت المدرسة للحفيد شهادة نقل من
فصله إلى فصل أرفع منه، وكان إعطاء شهادة النقل للطلاب متعارفًا عليه
بوصفه إجراءً داخليًا، ووضعت المدرسة شهادة الحفيد في إطار عليه
زجاج. وما وقعت الشهادة في يده حتى طار بها فرحًا وقصد والده يعرضها
عليه في غبطة بادية، وكان يوم سرور وفخار للمدرسة أيضًا حيث وُفِّقت
إلى السياسة التي استطاعت بها أن يمضي تلميذها عامًا دراسيًا دون
مشكلات أو غت.

الناس معادن:

الناس معادن قطعة من حديث نبوي شريف تكملته (كمعادن الذهب والفضة...). هذا الحديث نورده مقدمة للمقارنة بين الناس، فمنهم من معدنه أصيل كالذهب والفضة لا يزيده طول المكث إلا صقلًا، ومنهم من معدنه كالحديد لا يزيده مرور الأيام إلا صدأً وخبثًا.

تقدم في السطور السابقة من هذه اللوحة واقع الحفيد وتواضعه وحسن سلوكه إلى غير ذلك مما سردناه آنفًا.

وعلى عكسه أحد الموظفين في الحي ممن ابتلي بداء العظمة الكاذبة له ابن مدلل في المدرسة، لعل أحد الأساتذة قسا عليه لتقصيره في واجب كلفه به، وما كان من الابن المدلل إلا أن نقل الخبر لوالده فاستشاط غضبًا، واستدعى المدير إلى داره ليملي عليه إرادته، وليلقنه درسًا في العظمة، وليشعره بأن ابنه ابن الأكرمين ليس كغيره من الطلاب، وليهدده بإخراج الابن المدلل من المدرسة إن تكررت القسوة عليه.

واعتملت في نفس المدير كلمة أراد أن يرمي بها في وجه الوالد ليصدم بها كبريائه، وليجعله يتطامن من عليائه، ويعدل عن عجزته؛ ولكنه تذكر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٩٩)، وقوله سبحانه في وصية لقمان لابنه ﴿يَبْنَئُ أَعْرِضْ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧). مرت كل هذه الآيات الكريمة في ذهنه فاكتفى بالخروج من المجلس دون استئذان احتجاجًا صامتًا معطيًا ظهره لصاحب العظمة الكاذبة مرددًا قول أستاذه، المدير (الكبر على المتكبرين عبادة). وقوله أيضًا في مثال هذا المتعجرف: (إنه جيعان مجد). فعندما أعيته الحيل للحصول على مجد؛ لأنه بعيد عن كل مجد أخذ يصطنع المجد ويوهم الناس بكبريائه وصلفه أن له مجدًا وأنه صاحب شأن، وهنا يسمح صاحب اللوحات لنفسه

أن يستعيد ما كان قد كتبه في إحدى مقالاته (ألا ليت كل صلف متعجرف متعالٍ على عباد الله يجد من المجموع إنكارًا لصنيعه ومذهبه، واحتقارًا لزهوه وتصغير خذه).

قم للمعلم وفّه التبجيلا...

لقد استعدنا هذا الشطر من قصيدة أمير الشعراء كلما كانت مناسبة للاستشهاد به قائمة؛ لما يهدف إليه من الدلالة على الخلق الذي يجب أن يتخلق به طالب العلم لتقدير معلمه ورعاية حقه بوصفه معلمًا للخير ورائدًا للقافلة يُبَصِّرُها بالطريق، ويضع لها فيه المعالم لتسير على هدى وفي مأمن المتاهة ومنجاة من التخطئ. ونورد شطر هذا البيت لعة للمرة الثالثة لمناسبة حادثة وقعت لصاحب اللمحات في فترة إدارته للمدرسة الفيصلية، وكم حوادث وقعت له عرف فيها المر، ولم يجد له فيها من حل.

دخل عليه والد تلميذ في غرفة الإدارة وهو يزمجر زمجرة العاصفة الهوجاء إذ تهب فتتلع كل ما يعترض سبيلها وتحطمه.

أخذ الوالد يصرخ في وجه المدير قائلاً: أين الأستاذ...؟ أريد أن (أدهمله) الآن هنا - هكذا دون احترام وفي لهجة حاروية قدرة - وأخذ المدير يهدئ من نائثرته بكل وسيلة، فلم يفلح حتى بكوب من الماء البارد الذي يطفئ لظى الحمى كما جاء في الحديث.

وباعث الزمجرة أن الأستاذ... ضرب ابنه كُفًا، أي صفعه على خده فسال الدم من أنفه، ويقول الوالد بالنص: قد بذلنا جهدنا في معالجة الابن من الرعاف حتى عالجناه بنسف الزغب من تحت إبط الناقة، نحرقه ثم نبخره به مثل العوده وربك أخذ باليد، والآن انتقض الجرح، فماذا نصنع؟ قال له المدير بلهجة فيها معنى السخرية: (ألا تحدثني من الذي حدد لكم هذا الموضوع الدقيق لتأخذوا منه الزغب؟ فرد عليه والد الطالب: «أستهزئ بي؟!» قال المدير: العفو، ولكنني لم أسمع بهذا العلاج في حياتي، أخبرني هل هو

عن تجربة أو وصفة خبير أو عن رأي دكتور؟ وما سمع لفظة دكتور حتى رجع إلى احتياجه بعد أن سكن بعض الشيء وقال: لا دكتور ولا مكتور، الدكاترة ما عندهم إلا الكي في الخشم، وهذا الولد الصغير لا يقدر على الكي.

وتكلم بكلمة قذرة يشتم بها الدكاترة ينزه صاحب اللمحات قلمه من تسطيرها، وانتهت الزوبعة بإعطاء المدير وعدًا صادقًا وإن شئت فقل تعهدًا بأن لا يتكرر هذا الوضع مرة أخرى، وانصرف الوالد بعد أن ترك في نفوس كل موظفي المدرسة أثرًا سيئًا لجحود فضل المعلم، والتنكر له، بل وتوعده وتهديده بالانتقام لأنه أدب تلميذه، ولا يرمي من وراء ذلك غير إصلاحه كما قال الشاعر:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازمًا فليقس أحيانًا على مَنْ يرحمُ
إن المدرس في الواقع هو الأب الروحي، ومكانته لا تقل عن مكانة الوالد، الوالد يربي الجسم، والمعلم يربي الروح، ولكن أين من يربى الجميل في زمن عزَّ فيه الوفاء للجميل؟!، أين الناس من توجيه الرسول الكريم ﷺ بالنسبة لصانع المعروف حيث يقول: «من صنع لكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ماتكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه؟! ألا ليت أي المعلم سلم كفافًا لا عليه ولا له، لا دعاء له ولا جناية عليه: ولقد أفاد المدير من هذه المسرحية دروسًا لا درسًا واحدًا تلخص فيما يأتي:

أولاً: ضرورة الانحناء للعاصفة لتمضي بسلام، أما الانتصاب لها ومحاولة تهدئتها ففيه العطب، أرايت لو قابل المدير الوالد بشدة وعنف وخطأه في تصرفه، واستعمل معه النظام على الأقل؟ ألم يركب الشطط؟ ويتجنى الوالد على المدير وكل من في المدرسة وبخاصة الأستاذ الذي زعم أنه ضرب ابنه؟!.

ثانيًا: اتخاذ الاحتياطات التي تخفف من ضراوة العاصفة أو تحد من

أضرارها، وذلك بالابتعاد عنها وإبعاد كل ما يزيد لها ضرراً، فلولاً لطف الله ثم ملاينة المدير للوالد وتهديته وإطفاء غيظه بكوب الماء البارد، ثم الوعد الذي قطعه له بعدم تكرار الأخذ على يد ولده لأصر الوالد على الانتقام من الأستاذ الغلبان، ولقام الأساتذة بالانتصار لزميلهم، وربما وقعت معركة بالأيدي لا تحمد عقباءها في دار العلوم والمعرفة.

ثالثاً: سوء الخلق يُكسب صاحبه بغض الناس وتبرمهم، واجتناب معاشرته، وعلى العكس من ذلك حسن الخلق كما جاء في الحديث: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً». وفي حديث آخر: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً».

رابعاً: وجوب احترام النظام، والإسلام كله نظام متكامل في مختلف الاتجاهات وضرورة الانصياع له والأخذ ببينوده، فلو أن كل ولي أمر طالب ضرب نظام المدرسة بعرض الحائط لانهارت المدرسة، وفشلت في أداء واجبها العلمي والتهديبي، واستفحل الداء وعزَّ الداء.

وبالمقارنة بين عقلية الأوائل وعقلية بعض من الناس في أعقاب الزمن نجد الفرق شاسعاً، أولئك كان أحدهم عندما يبدأ تعليم ابنه في الكتاب يقول لفقيه الكتاب: (هذا الابن، اللحم لك والعظم لنا). أي يطلق له التصرف في تأديبه وتهذيبه، فإذا اضطر الفقيه لتأديب الابن أوحى الوالد إلى ابنه بأن عصا الفقيه من الجنة، والجنة محبوبة حتى عند الأطفال، يحلمون بكل ما يأتي منها حتى عصا فقيه الكتاب التي تلهب أجسادهم، ولما خطا الناس خطوتهم في التعليم النظامي بالمدارس كان الوالد يلقي على ابنه درساً في الأدب مع المدرس واحترامه والاستجابة لأمره والإذعان لإرادته متمثلاً بقول القائل: (من علمني حرقاً صرت له عبداً)؛ أي في الطاعة كطاعة العبد لسيده، وتدرج

التعليم واتسعت أبعاده وتفتح وعي الطلاب، وارتفعت مكانة المعلم في الذروة؛ لأنه هو المحور الذي يدور عليه النشاط العلمي، ويترتب على جهده وتضحياته نجاح الطالب بإذن الله؛ لذا كان لزاماً على الطالب أن يأخذ في الحسبان توقيير المعلم وتبجيله والتطامن له، وقد رسم الطريق لذلك أمير الشعراء - يرحمه الله - في شطر بيته (قم للمعلم وفه التبجيلا ...).

لقد قال صاحب اللمحات في إحدى مقالاته أو لمحاته بالنص:

إن دور المدرس من أصعب الأدوار، ولا يستطيع حمل العبء فيه إلا طبقة سخرها الله سبحانه لنشر العلم والثقافة على حساب أعصابها وبخاصة إذا أخلص المدرس في عمله، واحتسب أجر ما يبذله في نفع المتعلمين، واحتسب ذلك عند من لا تضيع عنده صنائع المعروف، أكرمه الله بالثمار الطيبة، وحسبه قول الرسول الكريم ﷺ لابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد أعطاه راية المسلمين في غزوة خيبر وخطط له مسيرته، ثم قال في النهاية: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» رواه البخاري ومسلم.

مدرسة الاصطياف

لم يكن في الطائف مدرسة خاصة للطلبة المصطافين، وإنما كانوا ينضمون إلى طلاب المدرسة المعدة لطلاب بلدة الطائف، يجتمع فيها في فترة الصيف أعداد هائلة من جميع المناطق التعليمية، ولعل نظام العطلة الصيفية لم يكن تقرر آنذاك، وهذه المدرسة كغيرها تجمع بين الأقسام التحضيرية والابتدائية.

ظروف الانتقال إلى الطائف:

كان من أشق الأمور على صاحب اللمحات الانتقال إلى الطائف في فترة الصيف لسببين:

أولها: لأن أجور الدور في زمن الصيف بالطائف تكون مرتفعة، وإن كانت لا تعدو العشرات من الريالات غير أن هذه القلة بعيدة المنال بالنسبة لمن استأجر في أول العام بيتًا في مكة.

ثانيها: عدم انتظام صرف الرواتب آنذاك مما يترتب عليه الاستدانة، وصاحب اللمحات في الطائف غريب لا يجد من يسعفه لو اضطر إلى الاستدانة لسد العجز غير أن مدير المعارف - يرحمه الله - ذلل عقبة الراتب، وتعهد أو وعد وعدًا محترمًا بأنه سوف يبعث لصاحب اللمحات راتبه على الموازنة الجديدة التي لم تصدر بعد، وكان مقدار الراتب على هذه الموازنة الجديدة التي لم تصدر بعد ستين ريالاً، أي ثلاثة جنيهاً سعودية أو إنجليزية كانت تصل تباعاً على رأس كل شهر، فاستأجر منها صاحب اللمحات داراً متواضعة في حي اليمانية بخمسين ريالاً، واقتصد أيضاً أجرة الدار في مكة للعام القادم أي عام ١٣٥٦هـ.

نكتب هذا وكأننا في حلم من الأحلام لا واقعاً عشناه يقرره صاحب القصة.

واقع مدرسة الطائف:

كانت المدرسة لكثرة روادها من الطلاب في فترة الصيف تشغل بنائيتين الأولى بجوار باب الريع وفيها القسم التحضيري، والثانية لا تبعد عنها كثيراً وفيها الإدارة وكانت تجمع المدير والمدرسين والفصول الابتدائية.

وقد عهد المدير للمعاون أو إلى أحد المدرسين الاضطلاع بأعباء القسم التحضيري ليفرغ لمهمته بالقسم الابتدائي، وقد تبرع للتدريس فيه من حملة الشهادات الأستاذ محمود صالح شطا، والأستاذ السيد أحمد شطا، والأستاذ حسن شطا، وغيرهم من الأساتذة من الطائف، ويقوم بمعاونة

المدير الأستاذ حسن صيرفي - يرحمه الله - وأستاذ اللغة الإنجليزية سعيد الدباغ وأخوه كامل الدباغ.

كانت المدرسة - كما أسلفنا القول - مكتظة بالطلاب من جميع مناطق التعليم، ولا يخلو من بين هذا العدد الهائل مَنْ تكون له شطحة أو نزوة أو سوء تصرف من الواجب المتحتم على المدرسة أن تستعمل الحزم والصرامة لأبعد الحدود وإلا أخفقت المدرسة في أداء واجبها وسادت الفوضى، ومن ثم رأى المدير أن لا مندوحة للمدرسة من اللجوء إلى العقاب البدني في حدود وقيود وبحكمة، والخطوة الأولى في ذلك تنفيذ ما يسطره الأستاذ في دفتر الفصل على الطالب المقصر في واجبه، أو الذي تجنّى على زميله، أو الذي يخل بالنظام، وعهد المدير إلى معاون بتنفيذ العقوبات من تأخير للطلاب عن زملائه بعد انتهاء اليوم الدراسي ليؤدي ما قصّر فيه من واجب أو إلهاب رجله بالعصا بعدد محدود، دون استعمال الإحرام أو الفلكة، وأي إحرام أو فلكة يستجيب لوضع رجله فيها طالب كبير؟!

عندما يطغى الشر:

عندما يطغى الشر ويستفحل أمره يجب قمعه بكل وسيلة، ولقد كان العقاب البدني متعارفًا عليه يتقبله الطالب لشعوره بسوء تصرفه، ولا يثير لدى المسؤولين في المعارف أية ثائرة.

وحدث في مدرسة الطائف أن طالبًا دأبه التجني على زملائه، والإخلال بنظام الفصل، وإسقاط المدرس من حسابه، لعله كان معتدًا بصهره الذي كان يعمل موظفًا في مقام مرموق فأحضره المدير وتولى عقابه بيده ضربًا على قدمه بالعصا، وعندما امتنع من الانصياع ألهب المدير جسمه بالضرب فصاح قائلًا: هذا يا أستاذ ضرب الحكومة. فأمره المدير بمغادرة المدرسة مطرودًا مذمومًا دون رجعة، وأشعر ولي أمره بالواقع، ولقد تجاوز المدير النظام في موضوع الطرد ومن حقه الطرد لمدة أسبوع فقط، ولكن لم يأبه

بما فعله لعله أن يترتب على تجاوزه للنظام درءًا للمفسدة، إذ قد يترتب على بقاء أمثال هذا الطالب المتمرد في المدرسة أن يكون أسوة سيئة لغيره.

بعد هذه الحادثة التي كانت الأولى والأخيرة من نوعها هدأت المدرسة هدوءًا لم تكن تحلم به، ولم يدرْ بخلد أحد من الأساتذة أنه سوف تبقى له هيئته لدى الطلاب بعد الانتهاكات التي كان يلحظها من بعض الطلبة المسيئين، أما الطلبة فسرى في محيطهم خبر هذا التأديب، فلم يجرؤ أحد منهم أن يقف أمام الإدارة، ولو أن مدرسًا توعد تلميذًا بالشكوى على المدير لتوسل إليه بكل وسيلة للعفو عنه وغفران زلته، وقطعه على نفسه عهدًا أنه لن يعود لمثل ما صدر منه.

تقويض الخيام؛

ونعني بالخيام صيف عام ١٣٥٥هـ، وتلقى المدير مذكرة من مدير المعارف - يرحمه الله - لم تتكافأ مع خدماته وتضحياته وحفظه هيبة المدرسة وتذليل كل مشكلة ترفع إلى المديرية. ونص المذكرة:

(الأستاذ فلان) أي صاحب اللمحات

بعد التحية، لا داعي لبقائكم بمدرسة الطائف بعد الآن.

أهكذا يكون تقدير المخلصين؟ بل المتفانين في الإخلاص والتضحية، إن الكلمة الطيبة صدقة كما جاء ذلك في الحديث الشريف، فهلا تصدقت مديرية المعارف على موظفيها المخلص بكلمة شكر تُحفظ في سجل أعماله وإضبارة خدمته، إذ لم يتقاض طوال مدة إقامته في مدرسة الطائف غير راتبه المقرر له في مكة، فلم يتقاض بدل انتداب، أو حتى مكافأة مقطوعة ولا أجره السيارة التي انتقل فيها إلى الطائف ذهابًا وعودة، ولعل ذلك من ضعف إمكانات مديرية المعارف آنذاك.

الجزاء على الأعمال:

الجزاء على الأعمال عدل أقامه رب العباد بين العباد وخطط له سبحانه بقوله في غير ما آية من كتابه، منها السورة التي يقرأها المصلي صباح مساء في صلواته وفيها: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ (٨) أي جزاء عمله إن خيراً فبالإحسان والجزاء، وإن شراً فبالانتقام وعسير المحاسبة، والأعمال الصالحة كما تكون صلاة وزكاة وصوماً وما إليه تكون أيضاً نشراً للعلم وتضحية في سبيل الواجب بكل الوسائل، يؤيد ذلك الداعية الإسلامي الشيخ أبو الحسن الندوي إذ يقول في كتابه العقيدة والسلوك: (إن كل عمل يقوم به الإنسان ابتغاء مرضاة الله وبدافع من الإخلاص هو وسيلة إلى التقرب إلى الله والوصول إلى أعلى مراتب التعبد ودرجات الإيمان، ولو كان هذا العمل حكماً وإدارة وتمتعاً بالطيبات وسعيًا وراء طلب الرزق والوظيفة). إلى آخر ما قرره مما يوحي بأن العمل الصالح في دنيا الناس تتنوع أساليبه واتجاهاته، ويترتب عليه الجزاء بقدر البذل والتضحية.

فهل إدارة شؤون طلبة العلم والتغرب من أجل ذلك عن الوطن ومعاناة الصعاب في سبيل ذلك هل هو عمل صالح أم هو هباء لا يستحق جزاء حتى بالكلمة الطيبة؟! كلمة الشكر، وترفع المعنوية، ويقدر بها المجهود؟!.

العودة إلى مكة المكرمة:

بعدما لاقى صاحب اللمحات من جحود لجهده ونكران لتضحياته استسلم للأمر الواقع، وعاد إلى مكة وفي نفسه ما الله به عليم من الحسرة والأسى على زمن مضى في جهد مضيع ومأساة دونها تجرع الصَّاب والعلقم.

عاد وهو يتمثل قول الشاعر:

نصحت فلم أفلح وغشوا فأفلحوا

ويقول الآخر:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي
ويقول المثل العامي أو الحكمة لست أدري:
كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا.

وكم لله في خلقه شؤون.

عاد إلى تسلم عمله في المدرسة الفيصلية، وقد كان يقوم به في فترة
الصيف الزميل البحاثة والأديب اللامع الأستاذ أحمد علي الكاظمي.

التعيين مديراً لمدرسة الأمراء بالرياض

الترشيح:

في ضحوة يوم من أيام عام ١٣٥٥هـ استدعى صاحب السعادة مدير
المعارف السيد طاهر الدباغ - يرحمه الله - صاحب اللمحات لمقابلته بمقر
الإدارة (الحميدية)، ولم يكن صاحب اللمحات من خلقه التزلف للرؤساء
والعظماء والتسبيح بحمدهم، ولكنه يعطي الرئيس حقه من الاحترام والتوقير
والاستجابة لأمره فيما يعود بالمصلحة على المدرسة، لذلك عندما استدعاه
مدير المعارف ساورته الظنون وذهبت به الأفكار كل مذهب، ولكنه ترك
الأمر لله سبحانه وهو الفعال لما يريد، وجعل نصب عينيه في وصيته (لابن
عمه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، حيث قال له في وصيته الجامعة:
«واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد
كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتب
الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف»). وإذن فليكن ما يكون من وراء
استدعاء مدير المعارف، فالصلة التي بينه وبين المدير هي صلة الوظيفة وقد
قام بها خير قيام يشهد له بذلك كل من زار المدرسة من مفتشين وكتبوا عنها
تقارير، فلا داعي إذن في التفكير والتقدير في هذا المجال.

غادر المدرسة وهو يتمثل بقول البارودي في بيت من قصيدته العامرة يقول فيه:

خلقت عيوقًا لا أرى لابن حرة عليّ يداً أغضي لها حين يغضب
والتقى مدير المعارف وأخذ معه في حديث طويل، سأله عن المدرسة ونشاط المدرسين فيها، وخاض معه في أحاديث كثيرة تتصل بالمدرسة، ولا غرابة في ذلك فهو رئيس وللرئيس أن يتفقد مصلحة تابعة له وفي نطاق مسؤوليته.

وكان خاتمة المطاف سؤالاً محرّجاً تريث صاحب اللمحات في الإجابة عنه، وأخذ يضرب الأحماس في الأساس - كما يقولون - ويفكر فيما عسى أن يكون وراء هذا السؤال قال المدير: من يستطيع أن يقوم بعمل الإدارة في حالة غيابك عنها؟ فأجابه صاحب اللمحات في تلثم وتأكد أنه منقول من المدرسة حتمًا ولكن إلى أين؟ أجابه قائلاً: أتريد نقلني من مدرسة بذلت في إصلاحها حتى استقام أمرها كل جهدي وضحي من أجلها بالكثير من راحتي؟ لعلك أخذت بأقوال المرتشين المفرضين الذين نقدت لك سوء تصرفهم مع المدرسين، وطلبت تقويمهم وإرشادهم إلى واجبهم بوصفهم موجهين لا متعاضمين متعالين. قال سعادته: لا لم آخذ بقول أحد، وكان نقدك في محله وقد أعرته اهتمامي، ولكننا رشحنك لإدارة مدرسة الأمراء أنجال جلالة الملك ومقرها الرياض طبعًا.

قال صاحب اللمحات: إنني لم أعود الغربة، وما فارقت مكة إلا إلى المدينة أو الطائف في فترة الصيف، على أن مدرسة الأمراء قائمة بمديرتها وهو من خيرة المربين علمًا وخلقًا ودينًا، ومعه أساندة يقومون بالتعاون معه.

قال سعادته: لقد تبلغنا أمرًا ملكيًا بإعادة تشكيلها فرشحناك لإدارتها، فأرجو أن يكون جوابك بالإيجاب، ولك أن تختار اثنين من المدرسين للتعاون معك في هذه المهمة، ولك أن تشترط ما تريد، وسوف يتضاعف

راتبك، ولما رأى صاحب اللمحات أن الأمر قد انتهى ولم يبق إلا الموافقة من عدمها طلب من المدير أن يُنظره أمداً للتفكير والاستشارة وعمل الخيرة الشرعية، فأجابه إلى ما طلب فودع صاحب اللمحات مد المعارف وخرج من مجلسه والدنيا تدور أمامه لموجة التفكير التي استولت عليه، ففكر في الغربة ولم يتعود عليها، ففكر فيما عسى أن يؤول إليه أمره، وهل يستطيع السير مع طلبة من طراز آخر غير الذي ألفه طوال انتظامه في سلك التعليم، ثم بدأ الخطوة الأولى بالاستشارة، استشار بعض أصدقائه فكان منهم المشجع على القبول والمشيط عنه، يتمثل بقول القائل: «الحس مسني وأبات متهني». ويقول الآخر: «قديمك نديمك». ثم اتجه إلى صهره فضيلة الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة - رحمه الله - فقوى من عزيته، وأشار عليه بقبول العرض قائلاً: إنه عرض كريم واختيار موفق، لم يفكر رحمه الله في ابنته التي سوف تغترب عنه تبعاً لزوجها ولا يدري متى يكون اللقاء بها، ففكر - رحمه الله - في مصلحة صهره وقدمها على عاطفته، وأدى واجب النصيحة، والنصيحة من صميم الدين كما جاء في الحديث: (الدين النصيحة). وبعد هذه الاستشارة لم يبق أمام صاحب اللمحات إلا الاستشارة الشرعية التي شرعت عند القيام بأمر ذي بال لا يدري المرء وجه المصلحة فيه من عدمها.

الاستشارة الشرعية التي علّمها رسول الله ﷺ لأصحابه لا الاستشارة على المسبحة، أو عمل التبيّنة أو غيرها مما يتخذ بعضهم وسيلة للكشف عن المخبأ المكنون. يقول الصحابي راوي حديث الاستشارة: (كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستشارة كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: «إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك...» إلى نهاية الدعاء المأثور. وقد ترك المستخير الأمر لله يدبره حسب مصلحته، ولا يشترط في هذه الاستشارة أن يرى المستخير في نومه شيئاً يستبشر به مثلاً أو يوحي إليه بعدم المضي في مشروعه، بل عليه إذا

استخار أن يسضي في الأمر الذي اعتزم القيام به فإن كان فيه مصلحته يسّر الله له أسبابه، وإن كان العكس فالتوت به الأمور وتعسرت فترك محاولته غير آسف ولا نادم.

وكذلك صنع صاحب اللّمحات بعد أن استشار واستخار عاد إلى مدير المعارف وأفاده بالقبول فكلفه باختيار أستاذين للقيام بالمهمة.

وجهة نظر في الترشيح:

كان لترشيح صاحب اللّمحات في إدارة مدرسة الأمراء بالرياض وجهة نظر لشخصيتين كبيرتين يدفعهما إليها المصلحة.

الشخصية الأولى شخصية والد الحفيد إذ كان يرغب أن يتمم ابنه دراسته مع صاحب اللّمحات تقديرًا لجهوده، ولثلا يتغير على ابنه وَضْعُ دَرَجَ عليه فتضطرب دراسته فأقنعه مدير المعارف بقوله: إن كل المدرسين هنا والمديرين سوف يقومون بالواجب خير قيام، أما في الرياض فلا يصلح للمهمة إلا هذا الرجل، وإني أقول هذا عن خبرة بنشاطه وتجربة لتصححه في عمله.

وأما الشخصية الكبيرة الأخرى فسماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاء يرحمه الله، ووجهة نظره عدم الإخلال بمصلحة الإمامة في المسجد الحرام إذ كان صاحب اللّمحات يؤمُّ الناس في صلاة التراويح في العشر الثانية بعد الشيخ عبدالظاهر أبي السمح، يقول سماعته بالنص: «لا نريد أن يؤم الناس في هذا الحرم إلا من يجود القرآن، ويحسن الأداء». وعندما أخبره صاحب اللّمحات براتب الوظيفة قال سماعته: «هذا مبرة لا راتب». ذلك أن راتب مدير المعارف آنذاك كان ثلاث مئة ريال، ولقد وعد سماعته بأن ييسط لجلالة الملك واقع صاحب اللّمحات وإمامته، ولست أدري ماذا حدث بعد ذلك إلا أن أمر الترشيح ما برح قائمًا.

ترشيح الأساتذة لمدرسة الأمراء:

أشرنا سابقاً إلى أن سعادة مدير المعارف ترك لصاحب اللمحات حق اختيار الأساتذة الذين يتعاونون معه، لم يفرض عليه أحدًا ولم يشر ولا من باب التزكية بأحد، وذلك بعد نظر من سعادته لأن القيام بالواجب يتطلب المساندة واتساع أبعاد التعاون فيه، ولا يتسنى ذلك إلا بالانسجام التام والتوافق في الأمزجة، والتقارب في الاتجاهات، ولعل ذلك هو الباعث لترك الفرصة لصاحب اللمحات في اختيار من يتعاون معه من الأساتذة، وفي مقدمة ما يتوخاه صاحب اللمحات في اختيار المدرس الخلق والدين إلى جانب الحصيلة العلمية والعقل الكبير والتجربة والمران في حقل التعليم، فالحصيلة العلمية دون تمتع صاحبها بالعقل الكبير لا تجدي فقد يتصرف صاحبها تصرفاً أهرج يحجب الإفادة من علمه ولا يدرك من جهده شيئاً.

يذكر صاحب اللمحات فيما يذكره في عهد دراسته بالمعهد أن أستاذاً ضليعاً في مادته ضعيفاً في عقله أمر طالباً بالخروج من الفصل لشغبه عليه فامتنع الطالب، فما كان من الأستاذ إلا أن ترك المنصة وأقبل على الطالب ليتولى إخراجه بنفسه بالقوة فانتقل الطالب إلى مقعد غير مقعده، وأخذ يجوب الفصل والأستاذ وراءه حتى أمسك به ودفعه إلى خارج الفصل، وقد بلغ من الأستاذ الجهد مبلغاً أقعده عن إتمام الدرس، وهذا مثل واحد له أشباه ونظائر للأستاذ كثير العلم قليل العقل، وصاحب اللمحات أمام وضع لطلبة ركبوا صهوة العز وترفعوا عن الدهماء، فيجب أن يكون ترشيح المدرس من طراز له وزنه.

وبعد إعمال الفكر والجهد وقع اختياره على أستاذين هما الضالة المنشودة الأستاذ محمد صالح الخزامي والأستاذ أحمد علي الكاظمي، كلاهما كان يدير مدرسة ابتدائية ناجحة، وعرض على مدير المعارف ترشيحهما فقال له: لقد أحسنت الاختيار.

صدور التعيين:

بعد هذه الخطوة رفع سعادة مدير المعارف الترشيح لجلالة الملك، وأعطاه نبذة عن حياة صاحب اللمحات وزميليه فصدرت الموافقة الملكية لمدير المعارف وهو بدوره بلغ بها أصحاب الشأن وكان ذلك في ١٦/١/١٣٥٦ هـ.

المقابلة الملكية:

في شهر صفر سنة ١٣٥٦ هـ اصطحب مدير المعارف صاحب اللمحات وزميليه للقصر الملكي للسلام على جلالة الملك وليتعرف جلalte على من سوف يحملون أمانة تعليم أبنائه، وقدّم مدير المعارف صاحب اللمحات فعرفه جلalte وسأله هل أنت الذي صليت بنا التراويح سنة كذا؟ فقال: نعم. ثم قدّم الأستاذين فرحب جلalte بالجميع وأخذ يزودهم بنصائحه الغالية، ويخطط لهم المنهج الذي يجب أن يسيروا عليه في التعليم، ثم أذن لهم في الانصراف على أمل وضع المنهج ورفع له جلalte ليحوز الموافقة الكريمة.

منهج الدراسة:

قد يظن بعض الناس أن علم التربية وأصول التعليم وقف على فريق من الناس وضعوا نظرياتهم وألفوا فيه القواعد، واصطلحوا على أساليبه مستوحين ذلك من دراسات وتجارب خاصة أو مسترشدين بآراء علماء النفس الذين سبروا أغوارها ووقفوا على أسرارها وعالجوا مذاهبها وهذبوا نزعاتها، وقد يكون في ذلك شيء من الحقيقة إلا أن العجز به على اعتبار أنه قاعدة لا تقبل المناقشة ولا تحتل التغيير والتبديل خَطْلٌ وتَجَنُّ على الواقع، إذ قد عُرف عن كثيرين ممن عاشوا في أوساط لم تُرَج فيها المذاهب المستحدثة ولم يدخلها التثقيف العصري بكل وسائله وتطوراته أنجبتهم الصحراء: ولم يكتب لهم أن يريموها، وقد أثّر عنهم في هذا المضمار دروس هي في

الواقع من خير ما يهدي إلى السبيل ويرتفع بمدارج التربية والتعليم إلى أوج الكمال ويخطو بها خطوات تقدمية ناجحة تؤتي أحسن الثمار وفي حدود خاصة ونطاقات معينة، ولست بصدد عرض النماذج وسرد القصص والتحدث عن اتجاهات أولئك الموهوبين وطريقتهم في التربية، وما يرسمونه في مجالات الثقيف والتهذيب فلذلك مجال أوسع مما نكتبه في هذا التمهيد غير أنني سوف ألمح إلى مَثَلٍ واحد يوقفنا على مبلغ ما وصلوا إليه من النضوج وكمال المعرفة وصحة التجربة في دنيا الثقيف، هذا المثل يشمل ضروريًا من ألوان التوجيه السديدة الراشدة لجلالة الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه نلمسه في منهج الدراسة الذي خططه لأبنائه.

كان أول ما رسمه - يرحمه الله - أن طلب إلى مدير المعارف أن يضع بالاشتراك مع أحد مستشاريه منهجًا للدراسة يدرس في أنجاله الروح الدينية لتهيمن على نفوسهم، ونص على تفسير القرآن قائلًا: (أريد أن يفهم أبنائي معنى ما يقرؤونه من القرآن ليكون ذلك أدعى إلى العمل، فالعلم بلا عمل لا فائدة فيه). ثم التفت إلى مدير المدرسة صاحب اللوحات قائلًا: (نحن عرب ندرك بفطرتنا ما لا يدركه غيرنا، البسائط من الأمور لا تعتنوا بها، اسمع هذا المثل: البقرة بشكلها المعروف لها أرجل ورأس وغير ذلك، فتعليم شيء عن البقرة أكثر من هذا ضياع للوقت وحرمان من الفائدة، اعتنوا باللباب واتركوا القشور). وتلك نظرية من أروع النظريات في أصول التربية يرشد إليها جلالته على سجيته دون تعمق وفي غير فلسفة وتعسف، ووضِع المنهج على التخطيط الذي رسمه جلالته - يرحمه الله - فكان في واقعه أفضل ما في مواد المنهج الابتدائي وموصولًا بمواد المنهج الثانوي بل بمواد المنهج العالي لشموله مادة التفسير والحديث والفقه واللغة العربية والتاريخ الإسلامي إلى جانب اللغة الإنجليزية والعلوم الرياضية.

وعُرض على جلالته عن طريق الشيخ يوسف ياسين فحاز الموافقة، وعندما تهيأت الأسباب واكتمل الترتيب لفتح المدرسة في مكة استدعى

جلالته - يرحمه الله - مدير المدرسة صاحب اللمحات في مجلس خاص، وأخذ يزوده أو يرسم له الطريق الذي يجب أن يسلكه في كل ما يتصل بالمدرسة والتعليم لأنجانه، واستهل الحديث بقوله: (أنا علمت أنك شديدًا، وبلغني أنك ضربت ابن فلان، وأنا أشير عليك أن لا تضرب العيال - يعني أنجانه - طبعًا من أول مرة لأنهم ينفرون منك، أما إذا درجوا على المدرسة وألفوا التعليم وأحمل أحدهم فأدبه [أحمّل أي أتى بما يؤاخذ عليه]، وإذا تأخر أحد منهم عن المدرسة ساعة فأخره بعد إخوانه ساعتين، وإذا قصّر أي منهم في أداء الواجب فأخره حتى يكمل القاصر عليه).

وجلالته بهذه التوجيهات العظيمة يرسم أنجع طريقة للجزاء على أحدث ما نوه عنه أساطين التربية فيما يوردونه ويسطرونه، ومن البدهي أن جلالته رحمه الله منساق إلى هذه التوجيهات بفطرته وثاقب حكمته وصادق تجربته.

مدرسة الأمراء عام ١٣٥٦هـ

بدء الدراسة في مكة:

أمر جلالته - يرحمه الله - ببدء الدراسة في مكة انتهازًا للفرصة قبل السفر إلى الرياض، وكان مقرها المدرسة المحمدية في حي المعابدة، وهي مدرسة أبناء الحي، ونظرًا لأن الفترة كانت فترة عطلة فقد أشغلت المدرسة بتدريس الأمراء وعلى مقاعد الطلاب لم تتغير، ولم يدخل عليها أي إصلاح أو تنسيق وتزويق حتى ولا بالتلميع أو كسائها بلون جذاب.

ومضى اليوم الأول وحضر الافتتاح مدير المعارف السيد طاهر الدباغ - يرحمه الله - وكان يومًا عصيبًا بالنسبة للمعلم والمتعلم؛ أما المعلم فلأنه لم يسبق له أن اضطلع بمهمة تجعله يضع في حسابه أنه في ذروة المسؤولية فني كل كلمة يعبر بها أو درس يشرحه يتصور المسؤولية ويخشى الإخفاق فيها.

وأما المتعلم فلرغبة المقام ولكل قادم دهشة مهما كانت حيثيته ومكانته، وعلى سبيل المثال لهذه الدهشة ورهبة المقام عَثَرَ أحد الأمراء وكان صغيراً في مدرج المدرسة فثَجَّ رأسه وبدأ الدم يسيل منه، وحمدت المدرسة الله سبحانه أن مدير المعارف كان حاضراً وشاهد الحادث فطلب من الصحة من يضمّد جرح الأمير، وما انتهى من تضميد جرحه إلا وأخذ يسأل صاحب اللّمحات قائلاً: (أنتم تطقون العيال). فهذأ روعه وطمأنه أن المدرسة لا تضرب العيال ولكن تعلم العيال، والتعليم ليس فيه ضرب.

ويبدو أن جلّالته - يرحمه الله - زود الأنجال بما يجب أن يسيروا عليه في المدرسة ومع المدرسين، كما أوحى إليهم بشدة المدير، وهذا أثر الرهبة والشدة، وسارت الدراسة على خير ما يرجو المعلم والمتعلم في مواعيد محددة بالساعة الزمنية بداية ونهاية، ولاهتمام جلّالته بالدراسة كان كثيراً ما يسأل أنجاله عما درسوه ويراجع كراساتهم، واستمرت الدراسة في مكة فترة لم تكن طويلة إذ قد حان موعد قفول جلّالة الملك إلى الرياض فتعطلت الدراسة في مكة على أمل استئنافها في الرياض.

انتقال المدرسة إلى الرياض:

تقاضانا هذه الخطوة أن نلمع إلماعاً عن حدود نجد وصلتها بالحجاز، وعن طبيعة نجد قلب الجزيرة العربية وعن أرضها، وتغني الشعراء بها، وعن الحركة الإصلاحية التي قام بها المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وعن غير ذلك مما يصور واقع نجد مستوحين بعض ذلك من كتاب سعادة الشيخ عبد الله بن خميس (المجاز بين اليمامة والحجاز) ومن غيره أيضاً.

ولعل سؤالا يرتسم على الشفاه أو علامة استفهام مفتوحة تتطلب الإجابة عن الآتي:

ما علاقة اللّمحات وهي في واقعها تاريخ حياة مضغوط ما علاقتها

بنجد وصلتها بالحجاز وطبيعتها وتغني الشعراء بها وحركة الإصلاح التي قامت فيها ما علاقة كل ذلك باللمحات؟ والجواب أن نجدًا هي المستقر الثاني لصاحب اللمحات عاش فيها ربيع العمر، ومن حقه أو من حقها عليه أن يسجل الكثير عنها مما صادفه أو درسه في بطون الكتب أو نُقل إليه.

ثم هي إلى جانب ذلك عرين الأسود من آل سعود، ومهد الدعوة الإصلاحية، ثم من الوجهة التاريخية من حق الملاء أن يتعرف هذا القطر الذي تجنى عليه خصومه وما أكثرهم! وشوهوا معالم الحقيقة فيه، بل تسلطت السياسة عليه بالحديد والنار طلبًا لهزيمته وشفاءً لنار الحقد المتأججة في صدور الخصوم، فإذا كتب صاحب اللمحات طرفًا من واقع نجد بل من بعض أجزاء نجد (الرياض) تقريرًا للحقيقة فإنما ذلك وضع طبيعي لكل من يكتب عن بلد خاصة إذا اتخذ منه وطنًا؛ إنه يتحدث عن واقع عاشه ويسجل انطباعات عاصرها فلا غرابة إذن في هذه المحاولة.

واقع نجد:

يصف الشيخ عبدالله بن خميس واقع نجد فيقول: من هذه الأقوال وغيرها مما على شاكلتها تبين حدود نجد من الحجاز وحدود الحجاز من تهامة، فهي في مجموعها تعطينا أن ما سال من جبال السروات مشرقًا فهو نجد وما سال مغربًا حتى يفسح الجبال فهو حجاز، وما خلف الجبال إلى البحر فهو تهامة. والاشتقاقات اللغوية تؤيد هذا إلى آخر ما أفاض فيه في هذا المجال، وأما وضع نجد ووصفها فننقل ذلك من الكتاب المذكور أيضًا وقد نقله الشيخ ابن خميس من كتاب مهد العرب للدكتور عبدالوهاب عزام رحمه الله يقول فيه: نجد الفيحاء الخضراء ذات الأودية والمروج والقرى والحدائق، وذات الجبال والسهول والمدن والوبر، مُتَقَلِّبُ القبائل الكبيرة ومسرح الجياد العربية الأصيلة، نجد ملعب الصبا والنعامى ومنبت العراى والخزامى، وموطن الشعراء تجاوبت أرجاؤها بأشعارهم وروت غدرانها

ورياضها أخبارهم، بلاد أمريئ القيس وطرفة والحارث بن حلزة وأوس بن حجر وزهير وعنترة، ومنها جرير والفرزدق وهي التي حفظ الشعر العربي ذكراها وردد خارج الجزيرة صداها وحن إلى صباها.

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد زادني مسراك وجدًا على وجدي
نجد التي أثارت الهوى والفتون ونشأت فيها ليلى والمجنون.

نجد حيث الجبال أجا وسلمى وأبان، وحيث سهل القصيم والصمان، وحيث اليمامة ذات النخيل والزروع والأودية والعيون، مسارح الجلال والجمال ومشاهد البداوة والحضارة ومجالي النشاط والقوة والمروءة والفتوة.

حركة الإصلاح الديني في نجد

في كل فترة من الزمن وكلما تقادم العهد على إشعاع نور الهداية على الإنسانية وأخذت الشموع تذبل وتتلاشى بعد طول اتقاد يبدأ إشراق جديد لنجوم أخرى تلمع في سماء البشرية فتستضيء بلآلئها وتهتدي إلى الطريق بسطوع أنوارها فتحيا في النفوس المعرفة بعد اضمحلالها ويتنبه الوعي بعد خموله لقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - - يرحمه الله - - نجمًا من تلك النجوم اللامعة التي استضاءت بنورها الإنسانية بعدما خبت فيها جذوة التفكير، وأظلم أمامها سبيل الحق وغشيتها غاشية من الجهل فجاء ظهور الشيخ في الوقت المناسب.

ولادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

ولد رحمه الله عام ١١١٥ هـ / ١٧٥٣ م في بلدة العيينة وفي قلب الصحراء من بيت علم محافظ، وترعرع في أحضان العلم حيث كان أبوه وجده علمين من أعلام زمانهما، وارتشف مناهل العلم على والده، ثم سعى في الكشف لطلب المعرفة في الحجاز والعراق وبلغ من طموحه أن فكر في

التطواف في البلاد رغبة في الكشف عن معالم الحقيقة ولكن إمكاناته وقفت به عند هذا الحد، وقد حصل على رصيد كبير في علوم الدين وما يتصل بها من علوم اللغة العربية مما هياها للاضطلاع بمهمة الزعامة الدينية والقيام بواجب المصلح لما أفسده تقادم العهد على شريعة السماء السمحة التي جاء بها الرسول محمد ﷺ، ويبعد عنها الزيف ويبرزها واضحة المعالم.

صبره وتحمله في سبيل الدعوة:

كثيراً ما يصطدم المصلحون في كل زمان ومكان بأطماع المغرضين وأصحاب النزوات الطائشة الذين يكرهون الحد من أطماعهم والقضاء على نزواتهم فيحتالون بكل الوسائل لإحباط مجهودات المصلحين وإيقاف حملة الانتقاد التي يقودونها، وقد لقي الشيخ - يرحمه الله - من العنت والإرهاق والتضييق ومصادرة الحرية، لقي من ذلك الشيء الكثير فصبر وجالد شأن كل مؤمن بمبدئه مقتنع بسلامة قضيته وصحة دعوته.

خصوم الدعوة:

خشي خصوم دعوة الشيخ - يرحمه الله - من امتداد دعوته، وذلك أمر طبيعي ومنطقي إذ إن البقاء للأصلح، فوجدوا له كل الإمكانات للقضاء عليه حتى رموه بالأطماع السياسية ليوغروا الصدور عليه، ووصموا دعوته بـ (الوهابية) إمعاناً في التنفير منها بوصفها خارجة عن تعاليم الإسلام ونظريات أئمة المذاهب.

اجتماع الشيخ بأمير الدرعية:

وفي ظروف غير اعتيادية وتحت تأثير سلسلة من الاضطهادات المتعاقبة قرر الشيخ النزوح إلى بلدة الدرعية عاصمة ملك آل سعود شمال الرياض وتعاقد الشيخ مع الأمير محمد بن سعود على نشر تعاليمه التي هي في الواقع تعاليم الإسلام الصحيح، وكان للأمير محمد ولأولاده من

بعده مع الشيخ وأبناء الشيخ وأحفاده مواقف حميدة اتسع بها نطاق الإصلاح حيث تضامن السيف مع الكتاب لإظهار الحق تحت علم الدولة الأخضر الذي يحمل شعار الإسلام وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

وقد اجتذب هذا الشعار في العلم الخفاق القلوب، ونبه الوعي الإسلامي فأدرك بعد طول غياب أن هذا الصوت المدوي المنبعث من قلب الصحراء مهد الفطرة هو صوت النذير باضمحلال سحب الباطل صوت التحرير يقود حملته الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

آراء بعض المستشرقين في الحركة الإصلاحية في نجد:

قال المؤرخ الأمريكي لوثر استودار صاحب كتاب حاضر العالم الإسلامي: الدعوة الوهابية إنما هي دعوة إصلاحية خالصة بحتة، غرضها إصلاح الخلق ونسخ الشبهات وإبطال الأوهام ونقض التفاسير المختلفة والتعاليم المتضاربة التي وضعها أربابها في عصور الإسلام الوسطى، وفحص البدع وعبادة الأولياء، وعلى الجملة هي الرجوع إلى الإسلام والأخذ به أوله وأصله ولبابه وجوهره؛ أي الاستمسك بالوحدانية التي أوحى الله بها إلى صاحب الرسالة صافية، والاهتداء والانتماء والالتزام بالقرآن المنزل مجرداً وأما ما سوى ذلك فباطل وليس فيه شيء من الإسلام. وقال وليمز وارمسترونج في كتاب (ابن سعود): كذلك لما شاع الفساد في بلاد المسلمين قام في جزيرة العرب محمد بن عبد الوهاب يحارب البدع ويدعو إلى جمع الصفوف لإعادة مجد الإسلام وعبادة الله بقلب سليم، ولكنه كغيره من المصلحين اضطهد، وأُتهم بالإلحاد والزندقة.

وكتب غيرهما عن دعوة الشيخ من قادة الفكر في الشرق كالأستاذ أحمد أمين في كتابه (زعماء الإصلاح في العصر الحديث) والدكتور طه حسين في كتابه (الحياة الأدبية في جزيرة العرب)، وغير هؤلاء كثير ممن كتب عن

دعوة الشيخ قديماً وحديثاً مما يوحي بأن دعوة الشيخ رحمه الله طبقت الآفاق وتفتح لها الوعي الإسلامي.

وفاة الشيخ يرحمه الله:

توفي رحمه الله سنة ١٢٠٦ هـ بعد أن قرأت عينه بانتشار دعوته إلى أبعد مدى أمكن أن تنتشر إليه في الجزيرة، وبعد أن خلفه من ذريته من يحمل على عاتقه القيام بالدعوة إلى مبادئه التي هي في الواقع مبادئ أفضل شريعة جاءت من السماء عن طريق هادي البشرية بهداية الله سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ.

ولنختم هذه اللوحة بما سبق أن عرضنا له أنفاً من المدائح في نجد مكتفين بقول أحد الأعراب فيقول:

أكرّر طرفي نحو نجدٍ وإنني إليه وإن لم يدرك الطرف أنظرُ
حنيناً إلى أرضٍ كأنّ ترابها إذا أمطرت عودٌ ومسكٌ وعنبرُ
بلاد كأنّ الأقحوان بروضه ونور الأقاحي وشي بُرْدٍ محبرُ
أجنُّ إلى أرض الحجاز وحاجتي خيامٌ بنجد دونها الطرفُ يقصرُ
رحلة الرياض:

هذه الرحلة هي الأولى من نوعها بالنسبة لصاحب اللمحات، إذ لم يكن غادر مكة إلا إلى المدينة المنورة فترة قصيرة ولغرض زيارة المسجد النبوي والسلام على خير الورى ﷺ، أو إلى الطائف في فترة الصيف.

أما الرحلة إلى الرياض فلم تقع في حسابه، ولو قدّر أن أحداً تنبأ له بها أو حدّثه أنه سوف يرتحل إلى الرياض ويتخذ منه وطناً أمداً طويلاً لذارَ بخلده أن ذلك حُلُم من الأحلام، ولكن وعلى حد قول الشافعي رحمه الله في بيت الشعر الذي درج كالمثل:

مشيئتها خُطِي كُتِبَت علينا ومن كُتِبَت عليه خُطِي مشاها
 وفعلاً كانت رحلة الرياض مكتوبة - لا حلمًا ولا حدسًا - وإذا أراد الله
 شيئًا هيأ أسبابه، وقد هيأ الله سبحانه أسباب الارتحال إلى الرياض بإسناد
 إدارة مدرسة الأمراء إلى صاحب اللمحات، وخطا الخطوة الأولى في
 مزاولة العمل بمكة، وبقي استئنافه في الرياض، وفي أواخر فترة الدراسة
 بمكة أمر جلالة الملك - يرحمه الله - بإضافة أستاذ للمدرسة تلافياً لما لعله
 أن يحدث من عجز أو ضغط على المدرسين إذ سوف تستقبل المدرسة في
 الرياض أحفاد جلالته وأبناء إخوته وغيرهم من أبناء الشعب، فهي أمُّ
 تحتضن كل من له صلة بالملك وغيرهم فرشَّح صاحب اللمحات الأستاذ
 علي حمام لهذه المهمة.

بدء الرحلة:

استأذن صاحب اللمحات الأستاذ أحمد علي الكاظمي في الاستعانة
 بمذكراته في تسجيل وقائع الرحلة لأنه - أي الأستاذ أحمد - كان يُعنى
 بكتابة اليوميات، ويضمَّنُها كل شاردة وواردة.

وفي يوم ١٤ صفر ١٣٥٦هـ وصل إلى المدرسة رسول من جلالته الملك
 يبلغها بضرورة الاستعداد لرحلة الرياض، ويشعرها بأن جلالته قد أمر المالية
 بتهيئة السيارات اللازمة لهذا الغرض. وتوجه ركب جلالته بأنجاله إلى
 الرياض يوم ١٦ صفر عام ١٣٥٦هـ.

التعقيب على المالية:

علمت المدرسة أن جلالته الملك أصدر أمره لوزارة المالية بصرف مبلغ
 من المال لشراء الكتب والأدوات المطلوبة للمدرسة، كما أمر بإعداد ثلاث
 سيارات إحداها صغيرة واثنان من نوع اللوزي، وأخذ الأساتذة يُعقبون على
 هذا الأمر حتى تم تسليم المطلوب يوم ٧/٣/١٣٥٦هـ.

يوم الوداع:

إنه وداع البيت الحرام بالطواف والدعاء عند الملتزم بأن يكتب الله السلامة في الرحلة، وألا يجعله آخر العهد ببيته ولا بحرمة. ووداع للأصهار والأقارب والأصدقاء وصفوة المحبين، وكان وداعاً مؤثراً لم تبق عين من الحضور إلا سكبت الدمع، ولم يبق قلب إلى واصل الدعوات.

طرفة مُستملحة:

عندما ضاق النهار، ومالت الشمس للمغيب، وحضرت السيارات، واستعجل السائقون في الرحيل أشرتُ المُودِّعون في وضع الزاد في المزود، ولعدم علمهم بواقع الأزواد خلطوا السكر بالملح بوصفهما شيئاً واحداً، ولم يُكتشف ذلك إلا عندما أُلقيت عصا التسيار في الطريق، وفي ظلمة الليل والرغبة كانت شديدة في تناول الشاي عندئذ اكتُشِفَت الغلطة، وهيهات أن ينفع الندم والحسرة.

خطوات الرحلة:

يدع صاحب اللمحات زميله الأستاذ أحمد علي الكاظمي يتولى الكتابة بقلمه وأسلوبه ليستوعب الكثير من وقائعها التي كان يسجلها في يومياته. يقول: صادف ركوبي بجانب السواق في السيارة الصغيرة والسواق رجل حضرمي لم يسبق له السفر إلى الرياض ورحلته هذه كانت على غير رغبته، ولذلك كان كلما تأثر من أمر في السفر أنزل على سفرته الشتائم ألواناً، وقد تزاхمت في نفسي الأفكار، ومضى الوقت ولم أشعر إلا وأنوار الشرائع ومصابيحها أماناً.

مواصلة المسيرة إلى السيل:

بعد استراحة قصيرة في الشرائع تحركنا إلى السيل وكان الليل قد تلطف والجو أمسى بارداً والرياح صرصراً. وعندما وصلنا وادي البهيتا فوجئنا بزمجرة السيل وهو منحدر إلى اليمانية بقوة سريعة، سمعنا أصوات البدو

وهم يصيحون: السيل السيل. فارتاع السائق من هذه الهيئات، والتجأ إلى نقطة قريبة أوقف فيها السيارة وهو خائف، واقتربت السيارتان منا وقررنا المبيت، واستمر جريان السيل عن أيماننا وشمالكنا، وأصبح موضع مقامنا يشبه الدلتا.

خليليّ بالبوبات عُوجاً فلا أرى بها منزلاً إلا جديب المقيد
نذق برد نجد بعد ما لعبت بنا تهامة في حمّامها المتوقّد
البيتان لشاعر من مزينة، والبوبات هي البهيتا، جديب من الجذب،
والمقيد موضع التقييد.

بعد صلاة الفجر اتجهنا إلى السيل الكبير ولم نلبث فيه بل واصلنا السير إلى عشيرة، وبعد سير سريع طويل ومن وسط أيكّة شوكية انتهى بنا السير إلى بئر يحيط بها البدو مع إبلهم ومواشيهم ودوابهم ثم ابتعدنا عن البئر فوجدنا أشجاراً ضخمة من الطلح أو القتاد بعيدة عن منطقة البئر يأوي إلى ظلالها المسافرون، فذهبنا إليها للمقيل، وقضاء سويعات الظهيرة تحت ظلال الطلحات.

أرض الحجاز ونجد:

ودّعت أرض الحجاز واستقبلت طريق نجد، وكانت الصورة المرتسمة في مخيلتي للصحراء والبرّ هي صورة أرض الحجاز التي لا يسير الإنسان فيها مسافة إلا ويجد نفسه بين جبال أو تلال قريبة كانت أو بعيدة. بيّد أنّ هذه الصورة أخذت تتلاشى بمجرد ما تركنا المفرق وانحدرنا مع ريع إلى سهل تاركين سلسلة المرتفعات وراءنا، وبعد لحظات كانت السيارة تسير في سهل مترامي الأطراف لا ترى فيه عوجاً ولا أمّتا ولا يحده إلا دائرة الأفق الكبيرة. المقيل:

كانت وقفنا في عشيرة للمقيل خير تجربة لاستخدام ما معنا من الأدوات والاستعدادات للطبخ والشاي، وتمرينّا عملياً للخدم في معرفة

نشاط كل واحد منهم، وفي تملئة القَرَب وحملها وربطها على السيارة، وفي إعداد الغذاء. وذهب أحدهم إلى البئر واشترى خروفاً سميناً بخمسة ريالات عربية كان أساساً للغداء.

ولأول مرة في حياتنا شربنا حليب النُّوق قَدَّمه إلينا نفر من البدو وأهل الإبل، ولم يقبلوا منا مقابل في ذلك من الدراهم، فأعطيناهم كمية من البُنِّ والسكر. وقد استساغ حليب النوق بعضنا فأكثر منه ولم يستسغه بعضنا الآخر، وانتهينا من الغذاء والشاي والتحدث مضطجعين، وبعد الساعة الثامنة غروبي أخذنا في الاستعداد للرحيل، وفي أثناء ذلك احتجبت الشمس وراء غيوم مكفهرة تبشر بالغيث فأسرعنا في لَمَّ شملنا وملء القَرَب وأداء الصلاة جماعة جمعاً وقصراً، وغادرنا مكاننا في الساعة الثامنة والنصف غروبي، ونظرت إلى عشيرة من كثيب قبل تحركنا فوجدتها سهلاً واسعاً تحضنها من الناحية الشمالية حرة ممتدة إلى مسافة بعيدة فيها بثران ماؤهما عذب لا ينقطع الرواد عنهما ليلاً أو نهاراً، وفي جوانب هذا السهل في الناحية الشرقية والغربية تكثر أشجار الطلح والسلم الشوكية، وهذا الوصف ينطبق على عشيرة في سنة ١٣٥٦هـ.

إلى المويه:

لاحتجاب الشمس خلف السحب القادمة كان الوقت يبدو متأخراً والساعة لم تزل التاسعة غروباً، والأرض الممتدة بين عشيرة والمويه باستثناء سهل ركة كأنها مُعَبَّدة بالزفت سارت فيها السيارات سيراً سريعاً كأنها تسابق الريح، ولطول المسافة وتزاحم الأفكار كثيراً ما كنت أنس أننا في عربة متحركة، وأظن أننا واقفون وأن السيارة واقفة، ولا يقطع هذا التصور والظن غير بعض المطبات صغيرة كانت أو كبيرة تعترض سير السيارة فتزهزها يمنة ويسرة، ويهتز الركاب تبعاً لها، عندئذ أرجع إلى صوابي وأدرك أننا في عربة تجري كالفلك المشحون على البر لا على البحر.

ولقد اقتربنا من المويه ولكن ليس ثمة أية علامة تدلنا على ذلك، فلا أنوار ولا بنايات، وأخيرًا وقفنا أمام قلعة المويه (أو قصر المويه) ورأيناها في سواد الليل وعلى ضوء النجوم وضوء مصابيح السيارات بناءً عاليًا ذا أبراج أربعة شاهقة، لا منافذ لها غير فتحات صغيرة، وللحصن باب خشبي بمصراعين كبيرين ودهليز طويل كأنه نفق إلى داخل القلعة، وعلى جانبي الدهليز مصاطب (دكك) لجلوس حرس القلعة.

المبيت:

ذهب بنا السوّاقون إلى أحد أبراج هذا القصر وقالوا: هنا يكون المبيت. وبعد تناول العشاء مهّد كل منا فراشه للنوم، وفي هذه الأثناء جاء أمير القصر وهو رجل عادي كأحد الحرس جاء بحكم وظيفته وسألنا عن مهمتنا من هذه الرحلة، ومن هو كبيرنا وعدد السيارات التي معنا ليهيئ لنا (بنزينًا وزيتًا)، وأخذ منا الأمر الذي بيدنا باسمه لصرف هذه المواد. ثم وجه إلينا أسئلة مألوفة غير رسمية: متى قمنا من مكة؟ وهل وراءنا سيارات؟ وهل جاءنا مطر في الطريق؟ وأخيرًا وعندما أراد الانصراف قال: إذا رأيتم المطر فادخلوا القصر.

لقد نمنا نومًا هادئًا متدثرين بأثقل الأغطية، ومن كان في النوم خفيفًا بات منزعجًا من كلاب مُطلقة ظلت طوال الليل تركض وتجري وتثب من فوق النائمين أو تدخل بينهم وتقوم بحركات (بهلوانية) بجوارهم.

وأصبحنا يوم الثلاثاء ١٣٥٦/٣/٩ هـ بعد أداء صلاة الفجر وتناول الفطور ذهب السواقون لأخذ البنزين والزيت من القصر من أمور خاص، ثم ذهبوا إلى ناحية الآبار لملء القرب، ثم تحركنا نحو الدفينة.

ما برح الأستاذ أحمد علي الكاظمي يتولى تسجيل وقائع الرحلة مبتدئًا برصف المويه.

المويه:

سهل وسط حرّة واسعة الامتداد تتخللها سباح كبيرة، وعلى نَسْرِ من

الأرض يقوم قصر المويه ذو الأبراج المربعة الشاهقة، وبجانب هذا القصر ثلاثة أكواخ بناها الرعاة من البدو ومن براميل البنزين الخالية، وكان البنزين في تلك الأيام يُنقل في براميل من جدة إلى هذه المراكز، فإذا فرغت رماها المأمور كما يرمي الإنسان العلب بعد تناول ما فيها، ولعدم وجود حجارة قريبة في المنطقة استعملها البدو بدلاً من الحجارة لبناء أكواخهم، وفي الناحية الغربية من القصر وعلى مسافة ثلاثة كيلو مترات تقريباً ووسط صخور من صخور الحرة توجد آبار مياهها في الغالب تكون قريبة من سطح الأرض، والماء عذب ولكن له طعم كطعم الكلس، وسمعت أن ميزة هذا الماء إنضاج الأطعمة الثقيلة عند الطبخ بسرعة فائقة.

السير إلى الدفينة:

استأنفنا السير إلى الدفينة وكان الجو أثناء الطريق غائماً والرياح تلطفت وبردت فلم نشعر بحرارة الشمس ولا حرارة الصحراء، والأراضي التي كنا نقطعها سهول مترامية الأطراف تتخللها سبخات تبدو من بعد كبحيرات، وإذا كانت جافة مشت عليها السيارات كمشيها على الطريق المعبدة بالزفت، أما في موسم الأمطار وبعده بأيام فمن المستحيل السير فيها للسيارات أو لغيرها من المواصلات؛ لأن ترابها يغدو كمادة غروية، ولم يكن الطريق يخلو من مناطق تزينها أعشاب خضر وحشائش يانعة ترعى فيها قطعان من الإبل، ولا تسمع صوت السيارة إلا وتهرب إلى مسافات بعيدة عن خط السيارات.

استمرت سياراتنا تسير في سرعتها التامة ما يقرب من ثلاث ساعات، وصلنا بعدها سهل الدفينة فوجدنا حول آبارها سيارات كثيرة بعضها تقصد الرياض، والأخرى عائدة منه، كما وجدنا سيارات متعطلة تنتظر الإسعاف كما لاحظنا جموعاً كبيرة من البدو مع إبلهم ودوابهم في المنطقة نفسها.

كانت السحب قد انقشعت، وبدت السماء صافية زرقاء، وتجلت

الحرارة بأجلى معانيها، وشعرنا بلفحات السموم الصحراوية مع ذرات من الرمل تصطدم بوجوهنا وكأنها رؤوس الإبر، فوقفنا بسياراتنا مبتعدين عن السيارة الواقفة، ونصبنا شرارنا للاستظلال، وقرر السواقون أن نبقى إلى الساعة الحادية عشرة غروبى نظراً للحرارة، وبعد أن ارتاح الجميع أخذنا في إعداد الغداء، وفي هذه اللحظة تغير الجو فجأة بعد هبوب شبه عاصفة على الصحراء، وتراكمت السحب مُبَشِّرة بالغيث فعدلنا عن المقييل واكتفينا بتناول الشيء الجاهز في الغداء.

وصف الدفينة عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م:

سهل رملي تكثر في منخفضاته أشجار شوكية من الطلح والسلم، فيها عدة آبار بعيدة الغور يَرُدُّها رجال القبائل من مسافات شاسعة، ولبعد الماء في هذه الآبار عن الأرض يستعمل الوُزَاد أهل الإبل والماشية طريقة السواني، فيقف إنسان عند فوهة البئر ويدلي دلوه أو غُربه بواسطة بكرة تُربط في عود عند الفوهة، وعند سحب الدلو وهو ملآن يأخذ رفيقه الطرف الثاني من الجبل ويجري به في الجهة المضادة للبئر، فإذا وصل الدلو عند فوهة البئر أخذه الواقف عندها وأفرغه في إنائه، ثم يعود مَنْ كان بيده طرف الجبل إلى البئر وهكذا يذهب ويعود بالجبل حتى يأخذ كفايته من الماء، ويربط بعضهم جملاً لسحب الماء بدلاً من الإنسان، وعلى بعد كبير من منطقة الآبار يوجد تلٌ صخري أسود يعرف باسم (خال الدفينة) ويبدو كفنار من مسافات بعيدة.

وجهة نظر:

يطول بنا الحديث لو تتبعنا الرحلة بكل ظروفها وملابساتها ووصف الأماكن فيها وعدم تجاوز كل نقطة وكل حدث عابر على طريقة ما يكتبه الأستاذ أحمد علي وبذلك نخرج هذه اللوحات عن الخطة المرسومة لها وهي اللوحة فقط لا الاستيعاب والتقصي، وبناء عليه أثر صاحب اللوحات الاقتباس مما كتبه الأستاذ أحمد علي في يومياته لنقطع شوطاً كبيراً ونأتي

على بقية الرحلة، وننتقل بعد ذلك إلى صميم الموضوع كاستئناف الدراسة في الرياض وما يتصل بذلك من تخطيط وتنظيم ومقابلات وما إليه مما تجب العناية بذكره.

وقد بقي من المراكز التي مر بها صاحب اللمحات ورفاقه في الرحلة ما يأتي:

- (١) عفيف (٢) القاعية (٣) الدوادمي (٤) خف (٥) النفود الكبير
(٦) نفود قنيفدة (٧) العويند (٨) الجيلة (٩) العيينة.

غادر صاحب اللمحات ورفاقه الدفينة إلى عفيف، وعفيف سهل منخفض تحيط به تلال رملية وصخرية وفيه بئر بعيدة الغور، وهو مورد للألوف من البدو؛ لسقي الإبل والمواشي ويتزود منه أهل السيارات أيضًا، وكانت أرض عفيف مغطاة بحشائش جافة، ومكث صاحب اللمحات ورفاقه في عفيف ما يقرب من ساعتين ونصف، ثم غادروها بعد المغرب إلى القاعية، فوصلها بعد ما يقرب من أربع ساعات، والقاعية سهل فسيح فيه عدة آبار لا رقاب لها؛ لذلك كانت مُعرّضة لتسرب ما يتراكم عندها من الأوساخ.

إلى الدوادمي:

وفي الصباح الباكر قبل طلوع الشمس توجه الجميع إلى الدوادمي، وهي بلدة من بلدان الوشم مُسوَّرة يكثر فيها النخيل، وعلى مسافة قصيرة يقع (قصر الدوادمي) وفيه مقر الإمارة ومركز لاسلكي، وفيه مأمور مستودع البنزين والزيت. وماء الآبار التي حول القصر أو في القصر عذب، ولبث أعضاء الرحلة في الدوادمي حتى الساعة التاسعة نهارًا ثم استأنفوا المسير إلى خف. وهذا الوصف للدوادمي كان في سنة ١٣٥٦هـ.

السير إلى خُف:

بضم الخاء فلاة واسعة يشاهد المرء منها في الناحية الشرقية رمال النفود، فيها عدة آبار ليس لها حواجز على فوهاتها، وقد انخدع بعض

الرفاق ببئر من آبارها ظننها حفرة أراد النزول إليها فإذا هي بئر عميقة اكتشفها بمصباح كهربائي كان معه.

واستقر قرار الجميع على المبيت لاستقبال رمال النفود في الصباح الباكر. وبعد صلاة الصبح ووقت الغسل بدأت الرحلة، وعند أول الرمال وجّه السواقون التعليمات الآتية للسير في إطارها تفاديًا للتغريز في الرمال ثم لا سهل الخلاص:

١ - كل سائق من حقه أن يختار الخط الذي يسير فيه دون ارتباط بالآخر.

٢ - يكون الاجتماع بعد منطقة النفود.

٣ - إذا تعطلت إحدى السيارات في الطريق فلا تقف السيارات الأخرى لمساعدتها إلا إذا أُنْجِنَ جانب التغريز.

ثم اقتحمت السيارات برُكَّابها رمال النفود، ووقفت إحدى السيارات في لجة من الرمال أسرع إلى نجدتها السائقان الآخران، ولم يتمكنوا من إخراجها من الرمل إلا بجهد كبير، ثم استمر الوقوف أمدًا ريثما تبرد سخونة السيارات واستؤنف السير، وكانت المسافة التي قطعت في النفود وبين رماله تقدر بـ (٢٥) كيلو مترًا.

نفود قنيفدة:

بعد منطقة النفود الكبرى عرضت نفود قنيفدة، سميت بذلك لكثرة مطباتها وتعاريجها فقطعتها السيارات كما قطعت النفود قبلها.

الوصول إلى مرات:

قرية كبيرة أو بلدة من بلدان الوشم، كل بيوتها من اللبن، واستقر قرار الجميع على قضاء سحابة اليوم في مرات للجهد الذي بُذِلَ في اجتياز الرمال

والمعاناة الصعبة التي لم تقع على بال أحد من أعضاء الرحلة، واستمر المقل في مرات إلى ما بعد الظهر ثم استؤنفت الرحلة.

فائدة علمية:

يذكر الأستاذ أحمد علي في مذكراته أنه قرأ في كتاب قلب جزيرة العرب للأستاذ فؤاد حمزة، وهو بدوره نقل عن فليبي وغيره ممن وضع تأليفاً في هذه البلاد أن معظم هذه الأراضي أي بعد الدوادمي كانت في عهد من العهود بحاراً، وأن بلدة الدوادمي لارتفاعها كانت ساحلاً لتلك البحار. ويقول الأستاذ أحمد: كثيراً ما رأى أثناء وقفات السيارات في الطريق مع الرمال حيوانات بحرية صغيرة من نوع الحلزونات متحجرة ومتكسرة، وهي تؤكد الرأي الذي يقول بوجود بحر في هذه الأراضي.

الوصول إلى العويند:

وصل أعضاء الرحلة إلى العويند بعد مغرب شمس يوم ١٢/٣/١٣٥٦هـ، واستقر القرار على المبيت فيها، ولم يَصِفُ الحال ويهدأ البال لهبوب عاصفة هوجاء اضطرت كل عضو في الرحلة إلى أن يلوذ بمأمن عن العاصفة، واستسلم الجميع للنوم حتى انصباح، ولحظ الجميع عند الاستيقاظ أن الرمال لم تترك أحداً إلا غمرته حتى غدا وكأنه قد دفن في الرمال، وافتقد الكثير منهم الأحذية، وبعد البحث الشديد عثر عليها وقد غمرتها الرمال أيضاً.

والعويند واحة كبيرة فيها أشجار ونخيل تروى بالعين وبيع بعض الآبار، وفيها الجبال والصخور الرملية لا تبعد كثيراً عن العويند. واستؤنفت الرحلة من العويند في الساعة الواحدة والنصف صباحاً بالتوقيت الغروبي.

السير إلى الجبيلة:

الجبيلة منطقة جبلية غير أن جبالها لم تكن كجبال الحجاز ذات الصخور الصلدة بل كانت رملية، ومن عَجَبٍ أن أعضاء الرحلة شاهدوا فيها

أخذودًا عميقًا وكأنه كان في يوم من الأيام بحيرة صغيرة. والطريق من العويند إلى الجبيلة وَغَرَّ وفيه منعطفات ومرتفعات، ومن تلك المرتفعات ريع الحيسية وهو ريع يحسب له السواقون عند صعودهم إليه ألف حساب، وتخترق السيارات بعد هذا الريع المنعطفات السبعة المشهورة بـ (السبع الملفات).

الوصول إلى العيينة والجبيلة،

العيينة بلدة تكاد تكون أطلاقًا وخرائب وذلك في وقت الرحلة (١٣٥٦هـ)، وقد بدأت الحركة الزراعية فيها للاستفادة من آبارها ومياهها العذبة، واجتاز أعضاء الرحلة هذه البلدة التاريخية في مسافات متواصلة. كلها - أي أرض العيينة - مزدهرة بالخضار والقمح، ومعظمها أو كلها تسقى بالسواني.

ومن العيينة اتجهنا إلى بلدة الجبيلة وهي كالعيينة في خرائبها وأطلالها، وفيها بعض مرتفعات أهلة بالسكان، وفيها المزارع تمتد إلى مسافات بعيدة.

الوصول إلى الرياض،

غادر صاحب اللمحات ورفاقه بلدة الجبيلة إلى الرياض بعد زوال الشمس من كبد السماء، فبلغوا الرياض قبل الغروب يوم ١٣/٣/١٣٥٦هـ بعد رحلة استغرقت ستة أيام، ولعل من نافلة القول كتابة شيء عن الرياض عاصمة الدولة ومهد العروبة وعرين الأسود من آل سعود، فلقد طفحت كتب التاريخ بذكرها وسطر روادها الكثير عنها وعن نهضتها في مختلف الاتجاهات، وتحدث المعجبون بها أحاديث ممتعة لم تدع لكاتب أو متحدث أن يقول بعدهم شيئًا. وحسبنا أن نقول: هي أثر بارز من آثار الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - وكم له من آثار عظيمة، وهي يد من أياديه وحصن من الحصون التي شيدها تفاخر الزمان وتزهو بروائها وروائع جنانها وبدائع رياضها على مر الحقب والأزمان. يقول عضو الرحلة الأستاذ أحمد

علي الكاظمي في يومياته : لقد أدركنا أن من سمى هذه البلدة بهذا الاسم «الرياض» لم يكن مبالغاً، فقد بدت لنا كغابة من النخيل وقد توجت شمس الأصيل وأشعتها العسجدية رؤوسها فأكسبتها لوناً بديعاً طبيعياً خلاّباً .

ولعل ما جادت به قريحة شاعر يصف الروض يصور في أجمل تصوير (الرياض) ومغانيها ورياضها نجتزئ من قصيدته العامرة ما يأتي :

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| أيها الروض كن لقلبي سلاماً | وهناء من الشقاء المُلَازِم |
| تتناغى بيض من الطير فيه | سابحات وتحتها النجم عائم |
| حبذا الماء والمصابيح فيه | كبناء يَزِينُهَا بخواتم |
| جنة بانئت المكاره عنها | وهي بكر من الأذى والمحارم |
| إنما أهلها طيورٌ حسان | أن دعاها الصباح قامت تنادِم |
| وضياء يموج في الماء حتى | لنراه كأنه متلاطم |

وحسب صاحب اللمحات أنها البلدة التي ألقى فيها هو ورفاقه عصى التسيار بعد أيام قضوها في الرحلة بين شد وارتحال ومعاناة وعناء السفر، فكان للوصول إليها في أنفسهم فرحة غامرة، فرحة بانتهاء أيام السفر المضني والاستقرار في الوطن الغالي وفرحة باللقاء الكريم لقاء جلالة الملك والحظوة بعطفه وكريم تقديره، وفرحة باستئناف جهودهم في العمل بعد الانقطاع عنه فترة منذ كان موصولاً بمكة، فلعل فترة الانقطاع عن الدرس أمداً قد أضاعت من أذهان الطلبة ما سبق أن درسوه وكرسوا جهودهم في تحصيله .

وأدم للعلم مذاكرة فحياة العلم مذاكرته وفرحة بلقاء الطلاب الذين انسجموا مع معلمهم بمكة وكان لفراقهم حرقه، وليس أفضل لدى المعلم من أن يرى غراساً يأمل أن يؤتي ثماره .

عندما وطأت السيارات باب الثميري وهو مدخل الرياض كان من حسن المصادفة دخول رئيس الخاصة الملكية الشيخ عبدالرحمن الطبيشي فأوقف صاحب اللمحات سيارة معاليه وسلّم هو ورفاقه عليه وراجعوه في المنزل المُعدّ لسكنائهم، فانتدب أحد أتباعه لإنجاز كل ما يتعلق بذلك، وانتهى الأمر بالنزول في منزل أساتذة المدرسة السابقين، كما انتهى تفريغ حمولة السيارات واستقر المقام أول ليلة في الرياض في حي دخنة المعروف بسكن آل الشيخ، وكان من وافر الحظ أن يقع المنزل بجوار منزل وليّ العهد آنذاك الملك سعود يرحمه الله، وحَمِدَ الجميع الله سبحانه على حسن العقابة وقطع المسافة الهائلة بين مكة والرياض في بضعة أيام، وقد كانت تقطع على ظهور الإبل فيما يقرب من شهر أو يقل عن الشهر قليلاً.

السلام على جلالة الملك:

في صبيحة الليلة التي وصلنا فيها الرياض وصل إلى الدار رسول من القصر يستعجل صاحب اللمحات ورفاقه للسلام على جلالة الملك، فأسرع الجميع للقاء الكريم وتولى الرسول القيادة حتى الشعبة السياسية حيث كان مجلس جلالته، وقد لقي الجميع من جلالته - كجاري عاداته معهم - كل رعاية وعطف وتقدير لم يدع - يرحمه الله - سؤالاً عن الرحلة إلا سأل، واستوضح عن المشقة التي عاناها صاحب اللمحات ورفاقه ومعاونة السفر، وكان في ذلك عزاء أي عزاء عن كل نصب أو وصب.

أخذ الأهبة لاستئناف الدراسة:

تفادياً لكثرة المراجعات لجلالته في إعداد المدرسة وتهيئة فصولها وتوفير كل الإمكانيات للدراسة أمر جلالته المعلم الأول بمراجعة الشيخ رشدي ملحس سكرتير الشعبة السياسية آنذاك في كل ما يتصل بشؤون المدرسة، وقد اهتم الأساتذة بسرعة إنجاز الجدول وتصنيف الحصص وتوزيعها كما كان الوضع في مكة، ولم يمض كبير زمن إلا وقد أنجز كل

شيء، وتم كل إعداد للدراسة، فكتب المدرس الأول لجلالته يستأذنه في بدء الدراسة.

وورد الجواب شفهيًا ينقله سعادة الشيخ رشدي ملحق وهو كالآتي:

أولاً: تبدأ الدراسة صباحاً فقط لمدة ثلاث ساعات.

ثانياً: ضرورة إنهاء الدراسة قبل أن يخرج جلالته من قصر الحكم في الديرة ليتسنى أن يستصحب أنجاله معه إلى البدية.

وكانت الشعبة السياسية في قصر الحكم داخل الرياض لا تبعد عنها المدرسة كثيراً، بحيث يتمكن الطلبة من مغادرة المدرسة قبل مغادرة جلالته لانتظاره في طريق سيره داخل القصر.

عناية جلالته بدوام الطلبة في المدرسة:

بدأت الدراسة يوم ١٩/٣/١٣٥٦هـ وتقاطر الطلبة على المدرسة من الصباح الباكر، وكان مما ساعد على أداء واجب المدرسة أن خصص جلالته أحد خدمه الخاصين ليتولى تفقد الطلبة في دوامهم على المدرسة ثم يرفع إليه بخبر المتخلف أو المتأخر، وقد كان جلالته زوّد المدرسة في مكة بأوامره التي تنفذها بالنسبة للطلاب المتأخر، ومنها الحجز بعد انتهاء الدراسة ضِعْف المدة التي تأخر فيها.

وضماماً للمصلحة ورغبة في أن تؤدي المدرسة واجبتها بحزم طلب المدرس الأول من جلالته أن يصدر أمره بعدم دخول أي خادم أو تابع إلى المدرسة مع الطلبة إلا من كان يدرس معهم، أما بقية الخدم والحشم والأتباع فيُحَدُّ لهم حدٌّ لا يجتازونه، ويوضع حدٌّ يمنع كل من أراد أن يجتازه، وكان ذلك فسلمت المدرسة من تأثر الطلبة أو الدخول إليهم في غرف الدراسة.

اقتراح بزيادة حصص الدراسة:

لاحظ المدرس الأول أن الدراسة على المعدل المرسوم لها أي ثلاث حصص في اليوم لا تستوعب المنهج المعد لكل فصل في السنة، فاتصل بالشيخ رشدي ملحس ورغب إليه في أن يرفع إلى جلالته اقتراحه بزيادة حصتين أو ثلاث حصص على المعدل السابق فلم يسعفه فلعله لم يتعود أن يتدخل في شؤون جلالته الخاصة، وكان جوابه: من المستحسن جدًا أن تراجع جلالته شخصيًا وتعرض عليه الفكرة، فإما أن تقنعه بزيادة الحصص أو يقنئك بوجهة نظره.

فلم ير المدرس الأول من ضرورة عرض الأمر شخصيًا، فانتهاز فرصة في إحدى الليالي التي كان يجلس فيها جلالته للاستماع إلى أحد طلبة العلم يقرأ عليه قسطًا من علوم الدين كتفسير ابن كثير وغيره واستأذن الحديث في مجلس خاص وعرض الفكرة وضرورة تنفيذها، وأبدى وجه المصلحة في ذلك فمانع جلالته أول الأمر لأمرين:

الأول: أن قصر البديعة ليس فيه أماكن صالحة للدراسة، وهو على قدر مرافقه لا يتسع لشيء آخر.

الثاني: أن وقت الظهر وقت راحة ويمضي أكثره في الغداء والصلاة.

فكرر المدرس الأول المراجعة وأقنع جلالته بأن الدراسة يمكن أن تكون في مسجد القصر، وكل الكتب ومتطلبات الدراسة يحملها المدرسون معهم ولا يأتي الطالب إلا بجسمه فقط، وأما الراحة فسوف يجدونها في أي وقت آخر، ومصلحتهم العلمية مقدمة على الراحة فوافق رحمه الله على إضافة حصص بعد الظهر يخرج إليها المعلمون بعد فترة من صلاة الظهر وتستمر حتى قبل العصر.

وبناء عليه تعدّل الجدول الدراسي إلى ست حصص؛ أربع منها قبل الظهر في المدرسة وحصتان في مسجد البديعة.

واقع البديعة:

البديعة من وادي حنيقة شمال غربي الرياض تبعد عنها (٧) كيلو مترات تقريباً، وكان طريقها يومئذ لا يخلو من وعورة ومرتفعات ومنحدرات، ويطن الوادي منخفض كثيراً عن المرتفعات التي على جانبي الوادي، وتمتد على جانبي الوادي حدائق ونخيل وقصور للأمرء والأعيان، ويعد هذا الوادي وما فيه من قرى وبساتين ونخيل مصيفاً لأهل الرياض لا من ناحية الجو والطقس ولكن من ناحية الاستفادة من الفواكه والخضروات، وفي مقدمة الفواكه الرُّطْبُ^(١).

المستوى العلمي للطلاب:

لم يكن طلاب هذه المدرسة يتَّحِدُونَ في مستواهم العلمي، بل كان منهم من يبدأ الشوط والآخر قد قطع أشواطاً، غير أن المدرسة بفضل الله أولاً ثم لانسجام مدرسيها وتقديرهم للمصلحة تغلبت على هذه الفوارق، وجعلت نصاب المدير والمعاون والمدرس في الحصص الدراسية واحداً أي (٣٦) حصة في الأسبوع؛ أربع قبل الظهر واثنان بعده بما في ذلك يوم الخميس، ووُزِعَ الطلابُ حسب تحصيلهم، ويتناوب المدرسون في الدخول على كل فصل مستوى الطلاب فيه واحد.

واستمرت الدراسة على هذا المنوال حتى بعد أن انتقل جلالته من قصر البلدة (الرياض) إلى قصر المربع فقد استمرت الدراسة فيه ست حصص، أربع حصص يدخل إليها الطلبة الرياض، وحصتان يخرج إليها المعلمون في مسجد المربع.

(١) من مذكرات أحمد علي.

المسجد هو المدرسة الأولى:

لم يكن دور المسجد في صدر الإسلام قاصراً على الصلاة فحسب بل كان إلى جانب ذلك مهبطاً للعلم ومقرّاً للوعظ والتوجيه وغير ذلك من المهام التي تركزت في المسجد وانطلقت منه، يقول رسول الله ﷺ في حديث طويل رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

ومن هذا المنطلق وأخذاً بالتوجيه النبوي الكريم أشار المعلم الأول في مدرسة الأمراء على جلالة الملك - يرحمه الله - بأن يسمح بالدراسة في مسجد البديعة وتقرير حصص إضافية للطلبة فيه دون أي تغيير في وضع المسجد أو مزاحمته ببعض متطلبات الدراسة، والمعول في تنظيم الدراسة فيه على المدرسة، وتقرير المواد التي تتناسب مع واقع المسجد كمادة القرآن الكريم والتجويد والمحفوظات العربية والتاريخ الإسلامي وغيرها من المواد النظرية التي لا ترهق المعلم والمتعلم من أمرهما عسراً، فكان الطلبة يُقسَّمون فيه أقساماً يتحلّقون حول المدرس، كل حلقة تبتعد عن الأخرى بقدر ما يمنع التشويش، ويستمر هذا الوضع كل يوم ما يقرب من ساعتين ثم ينتهي قبل أذان العصر.

استساغة الطلبة للوضع:

على الرغم من أن المدرسة في الرياض كانت مجهزة بالمقاعد والسيورات والمكاتب وخدم المدرسة لتلبية طلبات التلاميذ، ولم يكن من ذلك شيء في المسجد حتى أرض المسجد لم تكن مفروشة بغير ما يسمى بالمداد وهو نوع مستطيل من الحصر، فلم يُفرش بالبسط ولا بالسجاد فعلى الرغم من ذلك وعلى الرغم مما اعتاده الطلبة في بيوتهم من ترف فقد استساغوا الدراسة في المسجد وتقبلوها بصدر رحب دون تبرم وتأفف ودون

تعال وتعاظم، ومَرَدُّ ذلك بعد توفيق الله إلى توجيهات جلالته - يرحمه الله - الذي غرس الرغبة في العلم في نفوس أنجاله.

يقول أحدهم معتدًا ومعتزًا وهو ما برح في عمر الزهور: (أنا ولد عبدالعزيز جلست على المداد في المسجد أو على مقاعد الدراسة في الديرة في الرياض).

بدء قطف الثمرة:

لقد نجحت الفكرة أيما نجاح في إضافة حصص بعد الظهر في المسجد، وبدأت الأزاهير تتفتح وتنضج الثمار، وبدأت باكورة نجاح المدرسة بختم الأمير مشاري بن عبدالعزيز للقرآن الكريم بعد مضي أربعة أشهر تقريبًا من استئناف الدراسة في الرياض، وكتب المدرس الأول لجلالته بالبشرى وبأن المدرسة قد أقامت لهذه المناسبة الكريمة حفلًا متواضعًا.

إقامة العرضات في الرياض:

لم يكن لهيئة المدرسة سابق علم بأن هذه المناسبة مناسبة ختم القرآن الكريم لها شأن عظيم عند الأسرة المالكة وعلى رأسها جلالة الملك، ودهشت عندما أعلن إقامة العرضات في الرياض لهذه المناسبة يوم ١٨/٨/١٣٥٦هـ، وقد عطلت الدوائر الرسمية لاشتراك الأهالي والموظفين في العرضة، وفي صباح يوم العرضة نُظِمَ القصر الملكي مأدبة إفطار دُعِيَ إليها أطفال الكتاتيب ومعلموهم، كما دُعِيَ أيضًا هيئة التدريس في مدرسة الأمراء، وبعد المأدبة خرج الأمير مشاري الخاتم للقرآن وخلفه إخوانه وزملاؤه يمتطون صهوات خيولهم، ووراءهم أطفال الكتاتيب يرددون (صومعي لومعي)، ولعل هذه الكلمة تحكي واقعهم إذ فسرها بعضهم بأنها محرفة من (سامعين لامعين) أي سامعين لكلام الله لامعين سيوفنا. ومن الممتع الطريف أن يحمل الأطفال سيوفًا يُشهرونها في أيديهم بعد خروج الأمراء من القصر.

بدء العرضة:

ابتدأت العرضة أول الأمر من قبل الأهالي تحت قصر الحكم، ثم اشترك فيها الأمراء، وأخيرًا تحمس جلالة الملك وانضم إلى العرضة والسيف في يده فَسَرَت موجة الفرح في الحاضرين وزاد النشاط والحماس، وكان ممن حضر هذه الاحتفالات ضيف الحكومة الكولونيل ديسكن الوكيل السياسي بإحدى إمارات الخليج. واستمرت العرضة إلى الساعة الخامسة والنصف غروبًا على أن تستأنف بعد العصر خارج الرياض.

إلى غار المعذر:

خرج الأمراء إلى غار المعذر قبل الظهر، وخرجت هيئة التدريس بدعوة من رئيس الخاصة الملكية قبل العصر، كما وصل ركب جلالة - رحمه الله - قبل العصر أيضًا، وبعد الأذان تقدم جلالة وأُم المصلين ثم أخذ مكانه من المجلس واجتمع حوله الأمراء ورجال الحاشية، وقصدت هيئة المدرسة الذهاب إلى إحدى الخيام فاستدعاهما وأجلسها عن يمينه، ثم أخذ يُحدِّث الحاضرين عن القرآن وأهميته عند المسلمين وأهمية التمسك به، وأقبل بعد ذلك الأمير فيصل (جلالة الملك فيصل) رحمه الله واستأذن جلالة في بدء العرضة فانتصب الأمراء ووقفوا صفوفًا على شكل دائرة، وبدأت العرضة على صوت الطبل، واستمرت في حماس ونشاط بارز حتى الساعة الحادية عشرة غروبًا.

ختام المجلس:

ساد المجلس الصمت بعد الفراغ من العرضة فالتفت جلالة - يرحمه الله - إلى المدرس الأول وأمره أن يقرأ شيئًا من القرآن ليكون ختام المجلس فقرأ فترة ليست طويلة إذ حضر العشاء ومُذَّت موائد الطعام، فتهيأت هيئة المدرسة للانصراف فلم يسمح لها جلالة بل أدنى مجلسها منه وجعلها على مائدته.

استماع جلالتة للقرآن:

بمناسبة رغبة جلالتة في الاستماع إلى القرآن على الدوام أرسل رسولاً للمدرسة في مسجد البديعة يقول للمعلمين: إذا انتهيتُم من التدريس (فالشيخ يبونكم) أي يريدونكم، والشيخ اصطلاح لأهل نجد أو لأهل الرياض يقصدون به الملك، وبمجرد انتهاء الدراسة بادر المدرسون إلى مجلس جلالتة الحافل بخاصة الشخصيات فالتفت جلالتة إلى المدرس الأول وقال له: اقرأ لنا وطوّل القراءة حتى يؤذّن العصر. ثم التفت - يرحمه الله - يتحدث إلى من حضر مجلسه من المستشارين وغيرهم يثني الثناء ويبدي ارتياحه لسماع القرآن من معلم أنجاله، وكان الحزب الذي قرأه المعلم سورة الفرقان. ومن عادة جلالتة إذا استمع للقراءة أن يطرق برأسه وتدمع عيناه فيظل يمسح الدموع بطرف (غترته)، ويلبث بعد القراءة ساكتاً أمداً قصيراً ثم يستأنف الحديث، أو يردد بعض الآيات القرآنية التي استمع إليها. وحدث مرة أخرى أن بعث جلالتة أحد خاصته إلى القصر في الرياض يقول: (الشيخ يبونكم في البديعة والسيارة حاضرة واقفة عند باب القصر). فلبى المدرسون الطلب، وعند الوصول إلى البديعة بعث جلالتة أحد حاشيته ليرافق المدرسين إلى مجلسه وجلسوا حيث انتهى بهم المجلس فاستدعاهم رحمه الله وأجلسهم إلى جواره، ثم أخذ في السؤال عن المدرسة وعن دوام الأنجال، ووجههم رحمه الله إلى العناية بالقرآن كعادته مكرراً الاهتمام به قبل أي شيء آخر والتفت أثناء الحديث إلى المدرس الأول قائلاً: ما طلبناك إلا لتقرأ علينا القرآن فلبى الرغبة وقرأ سورة الحشر والمجلس كله منصت في خشوع لروعة كلام الله وتأثيره في النفوس. أما جلالتة فكعادته أخذت عيناه تذرف الدمع حتى انتهت القراءة. وحضر وقت العصر وبعد الفراغ من الصلاة سمح جلالتة لجميع الحاضرين بالانصراف إلا هيئة المدرسة أمرهم بالاقتراب منه، وأخذ يتحدث مع المدرس الأول عن أنجاله والحرص عليهم، ويزيد من دعمه

للمدرسة بقوله: (أيُّ أمر يشكل عليك فاتصل بي في أي وقت، أو اكتب لي وأرسل الخط مع أحد العيال) يعني أنجاله، وانتهر المدرس الأول فرصة للاستئذان في العودة إلى الرياض فأذن وهو يقول: (لا تغيّبوا عنا طويلاً). أسكنه الله فسيح جناته.

بين يدي جلالته:

كثيراً ما كان يصحب هيئة التدريس إلى البديعة للاشتراك مع الأمراء في التعليم الطالب عبدالرحمن بن حسن بن عمران (معالي سفير الدولة سابقاً في جمهورية تونس)، ولقد دفعه الحماس مرة بعد أن قرأ المدرس الأول على جلالته حزناً من القرآن فتقدم الطالب واستأذن جلالة الملك في إلقاء قصيدة من محفوظاته التي اكتسبها من المدرسة، وكانت مناسبة للمقام فأذن له وجلالته يعرف والده إذ كان من خاصته، وفي القصيدة يخاطب الشاعر ممدوحه وكأنه يخاطب جلالته فسرّ الحاضرون وفي الطليعة جلالته خاصة من جرأة الشاب وروعة إلقائه وإشارته. قال أحد كبار البدو ممن حظي بمجلس جلالته: (والله إن المدارس تعلم). فرد عليه رحمه الله بقوله: (إنه ولد حسن العمران) أي ووالده فيه هذه الجرأة والشجاعة.

وكان موقف هيئة المدرسة إزاء صنيع الشاب موقف المذعور من المسؤولية أولاً: لأنه لم يكن لهم سابق علم بما اعتزم عليه الشاب في نفسه، وثانياً: لأنه لم يستأذن، وثالثاً: خشية أن تبدر منه عبارة لم يوفق فيها يتأثر منها جلالته أو أحد من الحاضرين، ولكن الله سلم وانتهى الأمر دون أن يكون له عواقب، وجاء الشاب يعتذر لأساتذته مما صنع ويقول: لم يكن لديّ عزم سابق بما صنعت، ولكنني عندما انتهيت من قراءة القرآن - يخاطب المدرس الأول - ورأيت المجلس قد أغرق في الصمت رأيت نفسي مندفعة للإلقاء هذه الأبيات فوقفت وتقدمت واستأذنت وألقيت، فمعدرة.

فترة ما بين العشاءين:

كانت هيئة التدريس تقضي هذه الفترة في المدرسة بالقصر إذ كانت مزودة بالمصابيح الكهربائية، وتستقر في غرفة الإدارة لتحضير الدروس للغد ويزورها فيها بعض رجال الخاصة الملكية.

والتمس بعضهم من عضو هيئة التدريس الأستاذ محمد صالح الخزامي أن يخصص له فرصة في هذه الفترة لتعليمهم الخط والحساب والإنشاء وغيرها من المواد حسب اتساع الوقت، فلبى الأستاذ الطلب فكانت مدرسة الأمراء مدرسة الشعب عامة سراتهم ودهماؤهم، وكم كانت هيئة التدريس سعيدة بإشاعة المعرفة إذ لم تكن قد فتحت في الرياض آنذاك أية مدرسة نظامية، بل كانت الكتابيب الأولية هي العدة والعمدة في التحصيل، وعليها المعول.

زيارة جلالة الملك للمدرسة:

من أبرز عناية جلالة الملك رحمه الله بتعليم أنجاله تشجيعهم بكل الوسائل، ومن وسائل التشجيع أن فاجأهم بالزيارة في المدرسة للوقوف شخصياً على الخطوات التي قطعوها في دراستهم ومدى نشاطهم وتنافسهم فيها، وهضم المعلومات التي تلقى إليهم ومن ثم مدى استجابتهم لمعلميهم والانصياع لتوجيهاتهم، وعندما فوجئت المدرسة بالزيارة الكريمة كان المدرس الأول في فصل الطلبة الصغار وبقية المدرسين في الفصول الأخرى، واتجه جلالاته إلى الفصل الذي فيه المدرس الأول وجلس على كرسي الأستاذ وأخذ - يرحمه الله - يسأل عما يأتي:

(١) سير الدراسة. (٢) مواظبة الأنجال. (٣) المواد التي يدرسونها.

ثم استدعى بقية الأنجال من الفصول الأخرى، وكانت لفظة تشجيعية كريمة من جلالاته لأحد أنجاله وقد رأى على ثوبه بقعة من الحبر يسترها عن نظر جلالاته فالتفت إليه قائلاً: (لاتخفها، هذا عطر المتعلمين وطلبة العلم).

وانتهز المدرس الأول فرصة اجتماع الأمراء بالدهم، وأخذ يشرح لجلالته مفصلاً عن واقع المتأخرين بأسمائهم وإهمال بعضهم الآخر في أداء الواجب المدرسي فالتفت إليهم - يرحمه الله - مؤنباً ثم ناصحاً، ونعمت النصيحة من الوالد الشفيق بأبنائه، ثم ختم جلالته رحمه الله نصحه بقوله: (سوف أزورك إن شاء الله مرة أخرى ولا أسمع من خطيبكم إلا كل خير). والخطيب والمعلم والأستاذ والمطوع كلمات مترادفة تؤدي معنى واحداً وهو من يتولى التوجيه لطلبة العلم.

فحص جلالته لجدول الدراسة:

رغب جلالته من المدرس الأول في التفصيل عن المواد التي يدرسها الأنجال، فأخذ المدرس الأول يعددها عليه مادة مادة، القرآن الكريم، التجويد، التوحيد، الفقه، النحو، الخط، الإملاء، التاريخ الإسلامي، الجغرافيا، الإنشاء، الحساب، اللغة الإنجليزية. فسكت هنيهة سكوت الرضا ثم قال للمدرسين جميعاً: (اهتموا بالقرآن قراءة وتجويداً وتفهيماً). ثم دعم المدرس الأول بقوله: (إذا أردت أن تخبرني في شيء عنهم فاكتب لي وأنا أطلبك عندي، أو أجيكم بنفسي). ثم سأل عن نهاية وقت الدوام في المدرسة، فأخبر بأنه في نهايته، فودعه الجميع وكلهم قد أخذ درساً من هذه الزيارة الكريمة المعلم والمتعلم، أما المعلم فلكني يمضي قدماً في أداء واجبه دون أن يحسب حساباً لما قد يعرض له من متاعب مع الطلبة فيما لو بالغ في محاسبتهم كيف وقد سمع من جلالته كل وسائل الدعم، وأما المتعلم فقد وضع في حسابه أن الزيارة سوف تتكرر، وأن صاحب الحظ الوافر من كان عند حسن ظن والده.

رؤاى المدرسة:

كان من عادة جلالته رحمه الله أن يبعث بضيوف جلالته أو من كان له صلة بالتعليم يبعثه لزيارة المدرسة، ليكشف له عن سير الدراسة. يذكر

المدرس الأول أن من بين زوار المدرسة سعادة الشيخ كامل القصاب يصحبه الأستاذ رشدي ملحس وذلك يوم ١٢/٦/١٣٥٦هـ، فقد قصد سعادته الإدارة وأخذ يفحص جدول الدراسة فلاحظ قلة عدد الحصص في مادة الحساب، فأجابه المدرس الأول أن المدرسة تدير طبق منهج حاز التصديق الملكي الكريم، وقد خُطط له حسب رغبة جلالة الملك والشيخ يوسف ياسين والسيد طاهر الدباغ مدير المعارف العام، ثم انتقل سعادته إلى فصل الأمراء الصغار واختبرهم في القراءة والكتابة كما اختبر الأمراء الكبار في النحو والمحفوظات والإملاء والمطالعة، ولبث في المدرسة طويلاً ينتقل من فصل إلى آخر حتى جاء رسول من الشعبة السياسية يعلمه أن جلالة الملك في انتظاره، فهرول مسرعاً. وتنفس الطلبة الصعداء أولاً من معاناتهم الإجابة عن أسئلة الزائر المحرجة لبعضهم، وثانياً للمفاجأة التي لم تقع لهم على بال ولم يعتد الطلبة أن يغشاهم في المدرسة غير من ألفوه، ثالثاً لما كان في بعض الأسئلة من تجاوز للمنهج أو كانت فوق مستواهم، ذلك أن الزائر لا يدرك بالضبط مستوى الطالب فيسأله أسئلة في لغة رفيعة وبأسلوب علمي يُوقعه في حيرة لولا الله ثم المعلم ينقذ الموقف بالفتح على الطالب وتوجيهه للغرض من السؤال فيجيب إجابة مقتضبة، ولقد أثلج صدر الجميع من معلمين ومتعلمين أن جاء إلى المدرسة متبرع كان في الشعبة السياسية عندما عاد سعادة الشيخ القصاب وأخبر عما دار بين جلالة الملك وبين الشيخ القصاب عن المدرسة، وأن سعادته أثنى على سير الدراسة ومستوى الأمراء العلمي، وتلك شهادة حقٌ اتخذت منها المدرسة صكاً بالاعتراف بالمجهودات المبذولة في تعليم الأمراء وتثقيفهم.

حدث لا ينسى:

حيث إن الشيء بالشيء يذكر فزيارة سعادة الشيخ القصاب لمدرسة الأمراء دُكرت المدرس الأول بلقاء له مع سعادته، إذ كان في عهد الطفولة يدرس المرحلة الابتدائية في مدرسة الخياط بمكة وكان الشيخ القصاب

مديرًا للتعليم آنذاك، ومن عاداته التجول على المدارس في كل أسبوع للوقوف على سير الدراسة، ونشاط المدرسين وتأديب الطلبة المقصرين والمفرطين بنفسه، وحدث أن زار مدرسة الخياط وتقدم له المدير بكشف للطلبة الذين يستحقون العقاب، وكان العقاب المؤلف المعروف لدى الجميع وضع رجلي الطالب في الإحرام ويمسك بالإحرام اثنان من زملائه ويتولى المدرس عقاب الطالب، أما العقاب الذي اختاره الشيخ القصاب فكان إحضار الطالب في صالة المدرسة وسط عموم الطلبة والمدرسين وإجلاسه على كرسي ورش ظهر رجله بالماء، ثم يرفع سعادته بكراباج في يده ليهوي على رجل الطالب المسكين. ولقد زاول هذه العملية مرة وبمجرد رفع يده ليهوي بها على رجلي الطالب ذعر الطلبة وصاحوا بصوت واحد وأجهشوا بالبكاء يطلبون الخلاص ويستنجدون بالله ثم بأساتذتهم: فأنقذ الله الموقف بفضيلة الشيخ محمد نور فطاني عضو مجلس التعليم آنذاك، وأمسك بيد سعادته، وحال دون تنفيذ الخطة فحمد له الجميع هذا الموقف ودعوا له.

ومن حقنا أن نتساءل ألم يكن علماء التربية والتعليم ممن يجنح إلى اتخاذ العقاب البدني للتقويم؟ ألم يكونوا قد وضعوا لإيقاعه القيود وأوضحوا الهدف من إيقاعه؟ وأنه لم يكن التقصير في واجب مدرسي أو الإهمال وإنما كان هدفه أمورًا أخرى لا نتعرض لها في هذه السطور. وسعادته على علم بها لأنه من المربين القدامى الذين مارسوا التعليم وتسمنوا كبريات وظائفه، ثم من الوجهة الشرعية وهو عليم بها أيضًا ورود الوعيد المرعب المرهب لمن يخيف المسلم ولو بحديدة، فكيف بإخافة أطفال في عمر الزهور؟ ألم يكن هذا الخوف عاملاً على ابتلائهم بالعقد النفسية منذ نعومة أظافرهم حتى إذا ما بلغوا الأشد بقيت معهم روااسب من هذه العقد تجعلهم أعضاء فاشلين في المجتمع؟!

وناحية أخرى وهي أن من الواجب على مدير المدرسة والمدرسين فيها

أن تكون لهم شجاعة أدبية تحملهم على الانتفاضة بأسلوب الحكمة؛ لرفع هذا العقاب عن الطلاب، ثم الأولياء والآباء، ألم يكن من الواجب المتحتم عليهم نحو فلذات أكبادهم أن يرفعوا الصوت بالاحتجاج لإيقاف هذا العقاب؟ ومع الأسف أن شيئاً من ذلك لم يكن، والذي يبدو أن هذه الطريقة في التأديب كانت تمثيلية لا أكثر ولا أقل بدليل أن سعادته لم يعاود الكرة في مدرسة أخرى، وإنما كان الغرض منها الإخافة. إننا مع تقرير هذا الواقع المؤلم، نسأل الله لسعادته الرحمة والغفران، فما كان غرضه إلا الخير، وكثيراً ما يخطئ المجتهد، وإنما أوردنا هذا الحدث الذي لم ينسه صاحب اللمحات منذ عهد طفولته حتى الآن لأمرين:

الأول: إظهار الفارق العظيم بين الحاضر والماضي في التعليم، وأن السابقين من طلاب المدارس النظامية قد لاقوا من العنت والمشقة والتضييق ما لا يحتمل.

الثاني: ليحمد الجيل الصاعد واقعههم وليشكروا الله على ما لديهم من اللين والعطف والتقدير واحترام مكانتهم بوصفهم طلاب علم ورجال مستقبل، أقول: ليذكروا الله على ذلك؛ فالنعم لا تقدر إلا بالشكر.

الخروج إلى القنص:

جاء في لسان العرب في مادة قنص:

قَنَصَ الصَّيْدَ يَقْنِصُهُ قَنْصًا وَقَنْصًا وَاقْتَنَصَهُ وَتَقَنَّنَصَهُ: صَادَهُ.

ومعنى الخروج إلى القنص أي إلى الصيد، وتلك عادة قديمة عند العرب، وقد لا يكون ارتياد القنص لغرض الصيد بل لقضاء فترة للاستجمام والراحة في البر من صخب المدينة ومسؤوليات الأعمال واستنشاق عبير الروض، خاصة وأن الخروج للقنص لا يكون إلا في فصلي الاعتدال الربيع والخريف عندما تعشب الأرض وتفتح الزهور فيجد المرء متعة طبيعية في البر لا تعدلها متعة (والبر بار بأهله).

ومن ثم كان من عادة جلالة الملك - يرحمه الله - أن يخرج إلى القنص في بقعة سهلة مترامية الأطراف يكسو أرضها الروض، ويأمر بنصب خيامه ويقيم أمدًا يستصحب الأهل والأنجال، وقد يطول أمد البقاء في القنص وقد يقصر بحسب ارتياح جلالته واعتدال مزاجه، ومن ثم كان خروج المدرسة إلى القنص متحتماً لعدم ضياع الفرصة على الأنجال في فترة القنص دون دراسة.

وفي يوم ١٣٥٦/٨/٤هـ أبلغ أن جلالة الملك يأمر بأخذ الأهبة وإعداد العدة للخروج إلى القنص في رماح لاستئناف الدراسة في الخيام، وفي الحال نفذت المدرسة الأمر.

وما أوفت الساعة الحادية عشرة بالتوقيت الغروبي أي بعد العصر إلا وهيئة التدريس يحملها سيارة (بكس) جديدة تحمل معها ما تتطلبه الدراسة من كتب وأدوات مدرسية تسير في طريق رماح، وبعد أن قطعت ما يقرب من (١٩) كيلومتراً ضلَّ السائق الطريق فاستقر الرأي على العودة إلى الرياض لأخذ دليل خبير يقطع بهم المسافة إلى حيث المخيم الملكي برماح.

ومن حسن المصادفة بل من فضل الله سبحانه أن سمو ولي العهد (الملك سعود) - يرحمه الله - كان ذاهباً إلى الرياض فلحظ هيئة التدريس بسيارتهم واقفة عند باب الثميري (مدخل الرياض) فأوقف رحمه الله سيارته وسأل المدرس الأول عن سبب العودة فأخبره بالواقع، وتفضل سموه وأمر بدليل خبير ليوصل الهيئة إلى المخيم.

وقد أرخى الظلام خيوطه فانطلقت السيارة تملو نشرًا وتهبط وادياً، ولم يكن الركب سعيدين بدليلهم فقد ضل هو الآخر الطريق، وأخذ يتعرف إليه بالنجوم ومع ذلك أخفق، وكان التعب قد بلغ من الأساتذة مبلغاً لم تعد لهم القدرة على مواصلة السير فاستقر القرار على المبيت والسير في وضح النهار على هدى وبصيرة.

السلام على جلالة الملك:

استأنفت هيئة التدريس السير إلى رماح في وضوح النهار، وسارت على هدى من أمرها، وحدث أن جلالة الملك عندما استبطأ وصولها وكان قد علم بمغادرتها الرياض بعث في طلبها والتعرف على أسباب تأخيرها، وكان ممن بعثه لهذه الغاية مهندس سيارات الحكومة أو مساعد مدير الجراش الملكي، وأمره باستصحاب كل ما يتطلبه الإسعاف بما في ذلك الزاد والماء والآلات الرافعة.

ولم تطل مدة البحث إذ التقت الهيئة بمدير الجراش فأخبرها بما كان من اهتمام جلالة الملك، ثم حمل الهيئة في سيارته لعله لزيادة الحفاوة أو ليجد بذلك حظوة حيث قد بالغ في البحث والإكرام لدرجة أن استصحب الهيئة في سيارته، ولدى الوصول إلى رماح لبثت الهيئة فترة ريثما يتم لها الإذن بالدخول على جلالتة، وكعادته رحمه الله لم يترك سؤالاً عن الرحلة وموعد القيام من الرياض وسبب التأخير لم يترك ذلك إلا وسأل عنه، ثم التفت إلى المدرس الأول قائلاً: أسمعنا شيئاً من القرآن إن لم تكن متعباً. إنه لطف منقطع النظير من رجل عظيم، وبعد الانتهاء من القراءة أمر جلالتة الموظف المسؤول بتموين المخيم بالماء والزاد وأن يهيئ كل ما تحتاجه المدرسة.

مقر المدرسة في المخيم:

يقع المخيم الملكي في منبسط من الأرض مترامي الأطراف تنتشر فيه الخيام إلى مسافات بعيدة، تختار كل مجموعة قطعة تنصب فيها خيامها، فللملك وعائلاته وأنجاله مخيم، وللموظفين في الديوان ومن يرتبطون بهم مخيم، وللشعبة السياسية مخيم: فتفضل جلالتة بالسؤال عن رغبة الهيئة في مقر مخيم المدرسة فأجاب سعادة الشيخ فؤاد حمزة بقوله: (يا طويل العمر نريد أن تكون خيامهم حول خيامنا). وهو تقدير من سعاداته فوافق جلالتة،

ولم تغادر الهيئة السرادق الملكي إلا والخيام الخاصة بالمدرسة وهيئة التدريس قد نصبت وفرشت أرضها فتحولت الهيئة إليها.

مأدبة الأمير محمد بن عبدالرحمن:

قبل الظهر من اليوم نفسه جاء إلى مخيم الهيئة رسول جلالته يقول: (الشيوخ يُسلمون عليكم ويقولون: إن الأمير محمد بن عبدالرحمن دعا جلالة الملك اليوم لتناول العشاء بعد العصر فهل تريدون أن تكونوا معه؟). فرحب الجميع بالعرض الكريم واللفتة العظيمة، وبعد العصر عاد رسول جلالته ليصطحب الهيئة في سيارة خاصة للذهاب إلى سرادق الأمير محمد بن عبدالرحمن، وكان جلالة الملك قد اتخذ مكانه في صدر المجلس، ولدى وصول الهيئة استدعاها وأجلسها عن يمينه والمجلس غاص بالأمرء من آل سعود ورجال الشعبة السياسية وغيرهم.

وبدأت موائد الطعام تنتشر إلى مسافة طويلة، وكل من انتهى من المائدة عاد إلى مجلسه، وبعث جلالته أحد خاصته يستدعي الهيئة للحضور، ثم توجه بلطف إلى المدرس الأول وطلب أن يقرأ القرآن ويعطيل القراءة لتكون خاتمة المجلس، ثم عاد جلالته إلى مخيمه وعاد كلٌّ إلى خيمته.

الوضع في القنص:

رماح سهلٌ فسيح مترامي الأطراف شمال شرق الرياض لا ترى فيه أكمة ولا جبلاً؛ ومن ثم كان مضرِباً للعواصف الهُوج تشاهدها وتُنظر إلى غبارها في الجو وكأنها جيوش مقبلة تريد غزو المخيم، وترى الناس إذ تفجؤهم العاصفة من كل فج يصيحون بأصوات مرتفعة: (طفوا الضو - أي أطفئوا النيران - اقضبوا الخيام). وعندما تصل العاصفة إلى المخيم لا تدع خيمة إلا أسقطتها ولا وتدًا إلا اقتلعتها، وترى الأكثرين إذا عجزوا عن الإمساك بالخيمة تركوها وشأنها إلى أن تهدأ العاصفة، ثم يعودون إلى

نصبها مرة أخرى، ومثل كل الخيام خيام المدرسة وهيئة التدريس. وحدث مرة أن هبت العاصفة ليلاً وكان الطلبة يداومون في الليل فلم يكن أمام المدرسة الخيار في تعطيل الدراسة في الخيام واتخذت من سيارات الطلبة غرفاً للدراسة، ولشدة هبوبها كانت السيارات تهتز دون حركة، وعند انتهاء الدوام هدأت العاصفة، وكان من الغرابة بمكان أن تصبح السيارات غرفاً للدراسة وذلك لحرص جلالة على تعليم أنجاله حتى في أخرج الأوقات اغتناماً للفرصة وللمزيد من المعرفة.

تخفيض حصص الدراسة:

بعد هدوء العاصفة بعث جلالة الملك رسوله إلى المدرس الأول يبلغه أمر جلالة في لطف وعطف ويقول: (إننا في سفر وإننا نقصر الصلاة، فمن المستحسن أن تكون الدراسة قاصرة على أربعة دروس بدلاً من ستة). ونفذ أمر جلالة في الحال، وتعديل الجدول الدراسي من ست حصص إلى أربع.

هذه التضحيات العظيمة بالنسبة لكل من المعلم والمتعلم في سبيل غرض شريف هو نشر العلم وتحصيله والإفادة بأكبر قدر من الثقافة، هذه التضحيات كلما عرّضت لصاحب اللمحات في ذاكرته إذ كان لها أثر في حياته، يدور بخلد هـل تعرض أيضاً لطلاب الأمس ورجال اليوم؟ وفي اعتقاده أن أنضر العهود هو الماضي، خاصة إذا كان له ملابسات وذكريات، كل فيها بحسب فطرته وحنينه إلى الماضي وإنزاله من نفسه منزلة الحبيب الغالي واستجرا أحداثه لاسيما وأن ماضي الأمراء الطلبة بالأمس كان يربطهم بأنموذج رفيع للمعلم العفّ النزيه، المخلص في واجبه، المضحي في سبيل أداء رسالته، المقدر للمسؤولية العظيمة التي تقلدها والأمانة الغالية التي حُمِّلها مرة ثانية، يردد صاحب اللمحات ويقول: هل يذكر طلاب الأمس ورجال اليوم كل ما كان في الماضي من تضحيات؟ ذلك ما يرجوه.

الرجوع من القنص:

وهكذا مضت أيام ما يقرب من خمسة عشر يومًا حيث أمر جلالة رحمه الله بتقويض الخيام والعودة إلى الرياض.

تحرك الרכب الملكي من رماح قبل المغرب في أكثر من مئتي سيارة، كلها تقصد ناحية واحدة، إنه موكب مهيب جمع بين الروعة في مظهره ودقة التنظيم في سيرة، لم يحدث لهذا العدد الهائل من أرتال السيارات صدامات أو حتى توقف في الطريق، ولم تشذ سيارات هيئة المدرسة عن الרכب بل كانت مندمجة فيه، وقد حمد الجميع حسن العاقبة والعودة إلى المستقر في سلامة وأمان.

استئناف الدراسة:

بعد أيام القنص استؤنفت الدراسة كعادتها، واستمرت إلى ما بعد منتصف رمضان حيث راجت إشاعة أن جلالة الملك سوف يعتمر في رمضان فأجري للطلبة اختبار للوقوف على حصيلتهم وتثبيت معلوماتهم وضمنان نتيجة الشهور التي انصرمت، وانتهى الاختبار وكانت النتائج مرضية.

زيارة الدرعية:

الدرعية عاصمة آل سعود الأولى، ومهد الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتقع شمال الرياض، وكان لها ماضٍ مشرق إذ كانت مصدر الإشعاع الديني بعد أن خبت أنواره في نجد، وبعد تضامن الأمير محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب على نشر عقيدة الإسلام الصحيحة السليمة من كل مأخذ واتخاذها دستورًا للحكم، ومرجعًا في فض الخصومات والمشكلات.

وتهيأت الفرصة يومًا للطلبة فسمح لهم جلالة بالخروج إلى البر إذ كان

الجو غائماً، فانتهزت هيئة التدريس هذه العظلة المؤقتة واستأذنت جلالته في زيارة الدرعية وعاد الجواب بالإذن مع الأمر بسيارة للذهاب فيها.

والدرعية عام ١٣٥٦هـ كانت مشطورة شطرين الدرعية الجديدة وهي العامرة بالسكان تتخللها النخيل والبساتين النضرة، والدرعية القديمة التي تصور المأساة وتشكو ظلم الإنسان للإنسان، فمنذ أن تسلط عليها إبراهيم باشا بجنوده للحد من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وصرف الوجوه عنها تركها أطلالاً وخرائب متهدمة حتى المساجد بيوت الله لم تسلم من الغزاة وامتدت إليها يد العدوان.

وكان من حسن حظ هيئة التدريس أن وجدت في تجوالها بالدرعية أحد حاشية الأمراء رافقها وأوقفها على كل قصر متهدم يذكر اسم صاحبه، ثم طاف بها على مسجد الطريف وهو المسجد الذي استشهد فيه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣هـ، وقد بقيت أجزاء من جدران المسجد ومحرا به قائمة، وكلما مرت الهيئة بآثار الظلم العاتي تذكرت قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

العودة إلى مكة:

لا بد لكل إشاعة من أصل، غير أن الأصل قد يكون موثقاً به فيصدق وقد يكون على العكس، وحدث في شهر رمضان عام ١٣٥٦هـ أن راجت إشاعة في القصر مفادها أن جلالة الملك يعتزم الاعتمار في رمضان، وكان من واجب المدرسة أن تثبت من الخبر لتعد العدة للرحيل، خاصة وأنها سوف تحمل معها كل ما تتطلبه الدراسة في مكة أو غيرها حيثما يقرر جلالته المقام، ولأن الخبر أو الإشاعة كانت في نطاق السرية لا يعلم بالحقيقة إلا الخاصة فقد اتصلت هيئة التدريس بالشيخ يوسف ياسين بعد صلاة التراويح في مسجد القصر وسألته عن واقع الإشاعة وجليه الخبر

فأجاب رحمه الله إجابة تحكي وضع الشبهة السياسية قائلاً: (أما نحن فقد أمرنا بالاستعداد للسفر إلى مكة، ولا أستطيع أن أقول لكم عن جلالته أو عن الوجهة التي يريدنا). وفي الليلة نفسها اجتمعت الهيئة بسعادة الشيخ فؤاد حمزة ووجهت إليه السؤال نفسه فقال: (من المستحسن جداً أن تسألوا جلالته بنفسه). وتفادياً لما لعله أن يحدث للمدرسة من ارتباك وبلبلة إذ يفجئها الأمر بالسفر ولا يكون لها علم مسبق به بعث مدير المدرسة لجلالة الملك خطاباً مع الفراش سلمه لجلالته في مجلسه طلب التوجيه والإشعار عن السفر، ولم تمض برهة إلا وحضر إلى المدرسة رئيس شعبة البادية بالديوان الشيخ إبراهيم بن عبدان رحمه الله وقال: (يسلم عليكم جلالة الملك ويقول: استعدوا). وبعث بعد ذلك رئيس الخاصة الملكية الشيخ عبدالرحمن الطيشي أوامر بزيادة السفر.

المقابلة الملكية:

وفي ليلة ٢٠/٩/١٣٥٦ هـ حظيت الهيئة بمقابلة جلالته للسلام عليه في المجلس الليلي الذي كان يستمع فيه جلالته لطالب علم يقرأ عليه في تفسير ابن كثير وفي فضائل رمضان، وبعد انتهاء المقرري التفت جلالته إلى المدرس الأول وقال: (اقرأ علينا وطول القراءة). فألقي في روعه أن يقرأ آيات في إطارها التشويق إلى البلد الحرام والدخول فيه مع الأمن والسلام فقرأ آخر سورة الفتح، وعندما بلغ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ عَابِدِينَ مُخْلِطِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُصْطَبِرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ سَمِعَ لجلالته أزيز من البكاء تائراً بما وقع في نفسه من البشارة فأمسك القارئ عن المتابعة، فأشار عليه بالمضي حتى أكمل السورة، وبقي رحمه الله في جو روحاني لا يدرك كنهه أو يتصوره إلا المؤمنون الذين وصف الله واقعهم عند ذكر الله وتلاوة آياته عليهم بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّمَّا دَرَجَتْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. طيب الله ثراه، ثم في أثناء مغادرة الهيئة لمجلس جلالته اعترضها خادم من رئيس الخاصة الملكية يحمل أمراً من سعادته بسيارة واحدة للذهاب بها إلى مكة، ولدى مراجعته في ذلك وإيضاح أن كل ما تحتاجه دراسة الأمراء لا بد من نقله تصلب وأصر على رأيه، ولم تطب نفسه بزيادة سيارة أخرى على الأقل، فكتب المدرس الأول لجلالته بالواقع، وبعث بالكتاب مع فراش المدرسة وسلمه في يد جلالته فقرأه واستبقاه عنده، ثم عمّد رئيس الخاصة بإضافة سيارة أخرى صغيرة للركوب.

بدء الرحلة:

على الرغم من أن الأمر للمدرسة بالرحيل وإعداد العدة كان متأخراً غير أن السعي في إنجاز مطالب السفر وتسلم السيارات كان سريعاً، فلم تتأخر الهيئة عن الركب بل كانت تسير وسط أرتال السيارات وزحمتها، ومن كرم الله وفضله أن هذه الجموع من السيارات على الرغم من تقاربها وسرعتها لم يقع بينها تصادم أو حتى وقفات اضطرارية، ولعل ذلك كان من أثر الدافع الروحي لقطع المسافة في سرعة للوصول إلى البلد الحرام وقضاء أيام من رمضان فيه.

الوصول إلى مرات:

عندما وصل الركب الملكي إلى مرات استقبله أهلها بمباخر العود، وأخذوا برهة للسلام عليه، فانتهزت الهيئة ذلك وتقدمت الركب هرباً من الغبار الخائق، وكانت النتيجة أنها مثلت دور المُنبِت الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، أتعبت سيارتها ولم تصل إلى غايتها، وانفصلت عن سيارتها الأخرى التي كانت تحمل المؤونة وزاد الطريق، والتقت بمقدم الركب الملكي وألقت عصا التسيار حيث قرر المقيّل، وكادت تقبل دون

غداء لولا أن الله سبحانه المتكفل برزق عباده سَخَّرَ لها أحد الضلَبَةِ من غير الأمراء فجهز لها طعامًا من المطبخ العام، ثم بعد القيلولة استأنف الركب المسير واندفعت السيارات في سرعة هائلة حذرًا من رمال النفود والتغريز فيها، واندمجت سيارة الهيئة في الركب، ولم تلتق بسيارتها الأخرى التي كانت تحمل مؤونتها إلا في محطة المويه.

وواصل الركب الملكي المسيرة حتى بلغ عشيرة يوم ١٣٥٦/٩/٢٨ هـ في ضحوة اليوم ومنها إلى البلد الحرام، والجميع قد نوى الصيام ودخل الحرم مليًا.

على هامش رحلة الرياض:

لم يقع في حسابان صاحب اللمحات ولا في تقديره، ولم يدر في خلد أنه سوف تكون له الخطوة والرفعة والرعاية والعطف من صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه ورفَّع منزلته في عليين خاصة أنه لم يكن له سابق اتصال بجلالته أو تعرُّف إلى شخصيته إلا ما كان من ائتمام جلالته به في صلاة التراويح في سَنَةِ من السنين، وإلا ما كان عن تقديم مدير المعارف له بوصفه مديرًا لمدرسة الأمراء، وأن كل ما سجله صاحب اللمحات من عطف جلالته وتقديره ورعايته ما هو إلا جزء من أجزاء لا يستطيع التعرض لها أو تسجيلها خشية أن يفسر ذلك بعض ممن يقرأ هذه اللمحات بأنه نوع من التعالي بالنفس أو الزعم الذي لا يؤيده واقع.

لقد قصر صاحب اللمحات زيارته لجلالته على قدر الضرورة ولمصلحة العمل، ولكن جلالته أمر مدير الجراش الملكي بتجهيز سيارة للمدرس الأول كلما أراد أن يغشى قصر المربع لحضور المجلس الليلي الذي يحضره العلماء وفيه الاستماع إلى فصول من التفسير والحديث وغيرهما، ومن لطف جلالته أنه لم يحدد للزيارة يومًا أو ليلة بل جعلها بحسب رغبة المدرس وراحته، وذلك منتهى الإكرام، ويأتي ضمن الزيارة تلاوة القرآن التي كثيرًا

ما كان يحب الاستماع إليها من معلم أنجاله، ومن حيث الواجب المدرسي ترك الحرية كاملة للمدرس الأول، ويرعى جلالته اقتراحه ولو كان فيه مشقة على أنجاله كاقترح زيادة حصص بعد الظهر واقترح الدراسة في رمضان، والدراسة في مسجد البديعة على مداد المسجد، واقترح منع أي طارق للأنجال في أوقات الدراسة، وغير ذلك مما يكون في موافقته عليه دعم للمدرسة وتقدير لمقترحه.

ثم في دخول خادم المدرسة على جلالته في مجلس الحكم والمجلس غاص بالشخصيات البارزة والأمراء ورؤساء الدواوين، أليس في ذلك عناية خاصة من جلالته وتقدير للمرسل؟! وإلا كان الاكتفاء بأخذ الكتاب من الفراش وتقديمه لجلالته عن طريق أحد الكُتَّاب واقياً بالعرض.

وفي قول جلالته للمدرس الأول كما سبق الإشارة إلى ذلك: (إذا أردت أن تخبرني شيئاً عنهم فاكتب لي وأنا أطلبك عندي أو أجيكم بنفسي). أليس ذلك غاية الرفعة لمعلم أنجاله والأخذ بيده ودعم مركزه؟ وثمة أمور أخرى تكشف عنها اللمحات الآتية - إن شاء الله - وإنما أراد صاحب اللمحات بهذا الحديث أن يبرز الجانب الحاني الذي نَعِمَ به هو وزملاؤه سبعة أشهر في رحاب الملك الجليل رحمه الله، وتعليم أنجاله جانب العطف والتقدير وإكرام الشخصية لدرجة أنهم لم يكونوا يشعرون بعد عن وطن أو فراق لأهل وبنين.

جلالة الملك في المحدثه:

المحدثه أرض فسيحة شمال عشيرة يصفها الأستاذ أحمد علي بقوله: (الأرض مروج خضرة تتوجها أزهار الأعشاب المختلفة الألوان، تتخللها مياها جارية أو غدران كبحيرات).

ولقد كان من عادة جلالته رحمه الله عندما ينتهي شهر الصيام المبارك وهو في الرياض أن يقوم برحلة إلى البر، حيث الروض والأرض الفسيحة

المعشوشبة والأزهار المتفتحة والروائح العطرة ليأخذ من كل ذلك معه،
ويستخدم لأيام يقدرها حسب ارتياحه ورغبته في المقام الذي نزل فيه.

وانتهى رمضان هذا العام أي عام ١٣٥٦ هـ وجلالته بمكة، فقرر المسير
إلى المحدثه وأقام - رحمه الله - فيها خمسة عشر يومًا من شهر شوال من
العام نفسه، وبالطبع كان أنجاله في الطليعة إذ بعث رئيس الخاصة الملكية
للمدرسة يُبلّغها أمر جلالته بإعداد العدة للخروج إلى المحدثه واستصحاب
كل ما تتطلبه الدراسة وقد كان ذلك، وبعد الاستقرار ونصب الخيام أمر
جلالته باستئناف الدراسة ليلاً لترك الفرصة لأنجاله في مزاوله القنص
والتجول في البر نهارًا.

حدث ومدة:

عندما حزمت المدرسة أمرها وبدأت هيئة التدريس المسير إلى المحدثه
كان الجو غائمًا أعقب ذلك تهاطل الغيث مما اضطر الهيئة إلى الانضواء
إلى مقهى من مقاهي السيل الكبير ريثما يكف المطر، ولبثت في قاعة من
قاعات المقهى، غير أن لبثها لم يطل إذ شعر الأستاذ صالح خزامي أحد
أعضاء الرحلة بضيق من اللبث في القاعة فأشار بالخروج منها، وألح في
ذلك، ولدى إصراره وافق الجميع على رأيه، وبمجرد مغادرة القاعة إذ بها
تنهار، ولم يبق منها حجر على حجر، ولعل ذلك من الكرامات التي يُكرم
الله بها عباده، وكان للسلامة من مُرّ القضاء فرحة انطلقت تحت تأثيرها
الأسنة تلهج بالشكر للمولى العظيم على ما أولاه من نعمه، وكم لله على
عباده من نعم لا تعد ولا تحصى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾. وكم
لله من لطف خفي، أرأيت لو كانت الكارثة ألم يتألم نساء ويُسَمُّ أطفال؟
لقد رأى صاحب اللمحات تسجيل هذا الحدث والمدد الإلهي ليبقى مدي
الحياة يذكره هو ورفاقه بل وكل من غني بقراءة هذه اللمحات عاجلاً أم
آجلاً، يذكره بأن لله ألقافاً لا يمكن أن يحدها التصور أو تدركها العقول:

لا تدبّرُ لك أمراً فذوو التدبير هَلْكَى
 سلّم الأمر إلينا نحنُ أولى بك منك
 استئناف الدراسة بمكة:

بعد مضي أيام من شهر ذي القعدة سنة ١٣٥٦هـ أمر جلالة الملك باستئناف الدراسة كالعادة في المدرسة المحمدية بالمعابدة، أربع حصص فقط، واستمرت إلى قبيل أيام الحج، وفي نهاية شهر ذي الحجة تحرك الركب الملكي عائداً إلى الرياض، وبقيت المدرسة بمكة حتى صدر أمر جلالته إلى وزارة المالية بصرف مخصص الكتب الدراسية والسيارات المطلوبة، وبهذه المناسبة رغب أحد الأساتذة في البقاء بمكة إلى جوار عياله وهو الأستاذ علي حمام، فاختار مدير المدرسة بدله الأستاذ محمد نور المرشد.

مدرسة الأمراء عام ١٣٥٧هـ

رأى صاحب اللمحات أن لا يسهب في تفاصيل الرحلة هذا العام كما سبق في عام ١٣٥٦هـ، بل يذكر لمحات عنها تؤدي الغرض؛ إذ في الإسهاب والتفصيل تكرار دون جدوى، فالرحلة إلى الرياض تتجدد كل عام طوال سنوات الدراسة وقيام المدرسة لمدة سبعة عشر عاماً تقريباً، وخير الكلام ما قل ودل، ولم يطل فُيْلًا.

خطوات الرحلة:

لقد عانت هيئة التدريس في هذه الرحلة هذا العام كثيراً من المتاعب يأتي بيانها فيما يأتي:

أول ما صادف هيئة التدريس في هذه الرحلة نفاد البنزين من محطة المويه، مما اضطرها للإقامة في المحطة أمداً طويلاً حتى نفد منها الزاد، فزاد بلبالها غير أن الله سبحانه وتعالى وهو صاحب العوائد الجميلة لم يترك

عباده يستبد بهم القلق، وكان يجتاز الطريق إلى الرياض سعادة الشيخ يوسف ياسين فاستعلم خبرها ونَفَحَها الفائض من زاده، ووعد بمكاشفة جلالة الملك بخبرها، وجاء الله بالفرج إذ عبرت الطريق سيارات تابعة للأمير خالد بن عبدالعزيز (جلالة الملك خالد) فعرضت الهيئة أمرها على رئيس قافلة السيارات، ورغبت إليه في إمدادها بالبنزين المطلوب ريثما تصل المحطة، ففعل وانحلت أزمة البنزين كما انحلت أزمة الغذاء، وكانت الهيئة تأمل أن يكون ما اعترضها من متاعب هو آخر ما قُدِّرَ عليها، ثم استأنفت الرحلة ولم يطل المسير بها حتى سمعت في السيارة الصغيرة صوتاً مفرغاً، واكتشف السائق - كما يقولون - (أن الستة انفرطت)، ولم يستطع السائق إصلاحها، واستقر الرأي على التحول إلى السيارة اللوري للتخفيف عن الصغيرة لضمان وصولها إلى الدفينة، وهناك من يساعد السائق في العمل والإصلاح، ونجحت الفكرة ووجد السائق من يساعده في الإصلاح، واستؤنفت الرحلة إلى القاعية، وقبل البدء أُنذِر سائقا السيارتين أن البنزين لا يُوصِّلُهُما إلى الدوامي، مما اضطر الهيئة لقطع الرحلة والتريث حتى تحصل على البنزين، ومرت سحابة اليوم وأقبل الليل بظلامه، ونمى إلى علم الركب أن هذه المنطقة يرتادها الذئاب فلم يغمض لأحدهم جفن.

وقد تأكدت صحة الخبر من أحد كتاب الشعبة السياسية كان هو الآخر قد نفذ بنزين سيارته فكان يروي مأساته، ويقول: في هذه الليلة أحسست بالذئب حول خيمة عيالي، ثم سمعته يحفر طرف الخيمة ليستطو على فريسته، فخرجت عليه ببندقيتي فولى هارباً، وأخيراً مرت حملة كبيرة وسيارات محملة بالبنزين فتوسل الجميع إلى رئيس الحملة أن يمددهم بالبنزين المطلوب للسيارات جميعاً شريطة أن يردوه إليه متى وصلوا إلى الرياض، وانحلت الأزمة ثانية.

ولم يَصْفُ الحال أو يستقيم أمر الرحلة؛ إذ ضل سائق السيارة اللوري الطريق، وفي النوري الزاد وأدوات المدرسة والكتب الدراسية، وقد ضل

الطريق بين الدوامي و(خف) بضم الخاء وسكون الفاء، وزاد الأمر سوء الوعكة التي ألمت بالأستاذ أحمد علي الكاظمي حيث شعر بقشعريرة لعله من أثر البرد، فأسعفه الأستاذ صالح خزامي بدهن (القرنفل) فأذهب الله بأسه وشفى علته، ولا يدري صاحب اللمحات ما نظرة الأطباء في دهن القرنفل؟ ومضت على الهيئة ليلة ليلاء، إذ بات كل أفرادها على الطوى لضياح اللوري، وفي الصباح وعلى بعد مسافة لم تكن طويلة لحظ أحد الرفاق بمنظاره السيارة اللوري فذهب إليها ووجدها متعطلة، وسارع إليها بقية الركب فاندفعوا بها إلى الأمام فسارت بعون الله، وانضمت إلى السيارة الصغيرة.

مأساة:

سارت السيارتان حتى دخلتا في النفود، وكلما انغرزت إحداهما أسعفها الجميع وأنقذوها من الإنغراز في الرمل، وفي المرة الثالثة لوقوف السيارة اللوري، وبعد أن دفع بها الرفاق وخرجت من الرمال أطلق لها السائق السير فمضت في سرعة جنونية، ومثل ذلك صنع سائق السيارة الصغيرة، وبقي ركابها يضربون الأرض سيرًا على الأقدام في الرمال إلى مسافات بعيدة إلى أن مالت الشمس للغروب، واستولت على الرفاق موجة من القلق، وحدثت المأساة حين سقط صاحب اللمحات على الأرض من شدة الجهد والإعياء.

ويكمل القصة عضو الرحلة الأستاذ أحمد علي الكاظمي ويسجل المأساة فيقول: ... وجدت الشيخ عبدالله قد غشي عليه من شدة الظمأ والتعب فجلس ثم اضطجع وأغمض عينيه، وأردت أن أجلسه فلم يتمكن، وكلمته فلم يجب، بل أشار بيده أن أتركني، وقد تكدر الجميع لهذا الحادث وطلبوا من الله له العافية، وجاء رجل بعد دقائق يحمل ماءً وقطر في فمه، ثم نضح الماء على وجهه وصببته على رأسه ووجهه، ثم شرب

واندفع الشيخ صالح خزامي لاسترجاع السيارة الصغيرة وركبناها جميعاً، ومشى السائق بها مسرعاً حتى قطعنا مسافة لا بأس بها، ثم وقفنا في أرض قليلة الرمل، أما السيارة اللوري فما برحت ضائعة في النفود، ولبشنا في موضع وقوفنا نضرب الأخماس في الأسداس، ولكن الله سبحانه لم يُطل موجة قلق البال فلم نمكث طويلاً إلا والسيارة اللوري تتجه نحونا، وكان لوصولها بعد اليأس منها فرحة غامرة ومفاجأة سارة، وكأننا غنمنا كسباً كبيراً.

استئناف السير:

نزولاً على الأمر الواقع قرر الركب المبيت في النفود، ولم يكن قد مضى منه إلا القليل، وفي الصباح الباكر أغيث الركب بريح باردة سارت في برودتها السيارات دون أن تضطر إلى ملء خزاناتها بالماء، وانتهى السير إلى مرات، وطاب فيها المقيبل بعد الجهد الذي كان في النفود، والحادثة المؤسفة التي حدثت لصاحب اللمحات. ومن مرات إلى العويند وقد أُرْخِيَ الليل سدوله، ولم يصل الركب إليها إلا وأخذت الرياح الباردة تهب بشدة، الأمر الذي ألجأ الجميع بعد الوصول إلى العويند لاتخاذ السيارة اللوري سكناً، وبعد تناول طعام العشاء فيها استسلم الجميع للنوم، واستؤنفت الرحلة صباحاً إلى الجبيلة، وكان الوصول إليها في ضحوة يوم ١٣٥٧/٢/٢هـ.

ومن الجبيلة إلى الرياض حيث كان الوصول إليه عند غروب الشمس يوم ١٣٥٧/٢/٢هـ.

السلام على جلالة الملك:

عند وصول الهيئة إلى الرياض كان جلالة الملك قد خرج إلى القنص، ثم عاد يوم ١٣٥٧/٢/١١هـ إلى الرياض فتشرفت هيئة المدرسة بالسلام على

جلالته؛ وأمرها باستئناف الدراسة كالعادة، وبدأت المدرسة بواجبها يوم ١٣/٢/١٣٥٧هـ على الوضع السابق أربع حصص تؤديها في المدرسة داخل الرياض وحصتان تخرج إليها في قصر المربع، وكان طلائع النجاح هذا العام ختم الأمير عبدالرحمن للقرآن الكريم يوم الخميس ١٣/٣/١٣٥٧هـ، واحتفلت المدرسة بهذه المناسبة، كما أتيحت لأهل الرياض الفرصة في إقامة العرضة لإظهار شعورهم بالفرحة، وأقام القصر الملكي كالمعتاد في هذه المناسبة موائد الطعام الخاص والعام، كما حظيت المدرسة بخطاب شكر من رئيس الديوان الملكي على لسان جلالته؛ فكان له أحسن الوقع وأطيب الأثر.

زوار المدرسة:

زار المدرسة كل من الشيخ محمد سرور الصبان والشيخ صالح نصيف والسيد صالح الدباغ رحمهم الله، واستعرضوا منهج الدراسة، وطافوا بالفصول وذلك في اليوم الذي احتفلت فيه المدرسة بختم الأمير عبدالرحمن للقرآن.

الدعم الملكي المتجدد للمدرسة:

بمناسبة ما كان يبلغ جلالة الملك رحمه الله من طلاب المدرسة أنجاله عن تأخر فلان عن الدوام، وتقصير فلان في الواجب المدرسي، وتشاجر فلان مع أخيه أمام المعلم أراد أن يرسم للمدرسة خطة تقضي على كل مشكلة تواجهها، وتقطع ما لعله أن يعرقل سير الدراسة، فبعث إلى المدرسة سعادة الشيخ رشيد ملحس رحمه الله ليبلغ أمره بالنص وهو: (استعملوا مع العيال «أنجاله» اللين مع الشدة، وخوفوهم بنا - أي بجلالة والدهم - وما أن علم الطلبة بمهمة الشيخ رشدي إلا واستقام أمرهم، ووجدت المدرسة من هذا الدعم وسيلة لتطبيق النظام، والسير على الخطة المرسومة منذ إنشاء المدرسة.

وهكذا لا يمضي زمن دون أن يواصل جلالته المدرسة بتوجيهاته الكريمة دعمًا لجهودها ورغبة في حصول أنجاله على ركيزة ملحوظة من العلم والمعرفة.

زوار المدرسة أيضًا:

ما برحت المدرسة تستقبل في الكثير من الأحيان زوارها من الشخصيات البارزة التي لها وزنها لدى جلالة الملك، ففي يوم ١٣/٥/١٣٥٧ هـ زار المدرسة صاحبها السعادة الشيخ يوسف ياسين رئيس الشعبة السياسية والشيخ خالد القرقي أحد أعضاء المجلس الاستشاري لجلالته، وطافا بالفصول واختبرا الطلبة في معظم مقرراتهم، ثم عادا يلهجان بالثناء على جهود المدرسة، والدعاء للطلبة بالنجاح، ولدى اجتماعهما بجلالته في الشعبة السياسية عرضا موضوع الزيارة وأثنيا ثناءً عاطفًا على الطلبة ونجاح الأمراء في دراستهم، كما ألما إلى جهود المدرسة وقرروا واقعها وقيامها بواجبها خير قيام، وذلك فضل من الله سبحانه الذي لا يضيع عمل عامل.

انضمام أنجال ولي العهد إلى المدرسة:

تقدم في هذه اللمحات أن جلالة الملك أمر بإضافة معلم رابع للمدرسة تفاديًا لما لعله أن يحدث من عجز لو انضم إلى المدرسة غير أنجاله، وفي يوم ٩/٥/١٣٥٧ هـ انضم إلى المدرسة بعض أنجال ولي العهد (الملك سعود بن عبدالعزيز) رحمه الله، وأخذت المدرسة بعدها تستقبل الطلبة من الأمراء وغير الأمراء لغرض الاقتباس من نور العلم والحظوة بأكبر قسط من المعرفة، كما انضم إلى المدرسة أنجال الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، والأمير أحمد بن عبدالرحمن، والأمير محمد بن عبدالرحمن، والأمير مساعد بن عبدالرحمن وغيرهم من أحفاد جلالة الملك وأبناء عمومتهم، بالإضافة إلى انضمام كل من يحصل على أمر من جلالته أو ولي العهد

بقبول المدرسة لأبنائه من موظفي الديوان وغيرهم، فغدت مدرسة الأمراء هي المدرسة الأم التي احتضنت الأعداد الهائلة من الطلاب إذ لم يكن غيرها في الرياض أية مدرسة نظامية.

استئناف الذهاب إلى البديعة:

نظرًا لموجة الحر أو فترة الحر التي غشيت الرياض استأنف جلالة الملك هذا العام ١٣٥٧هـ بالذهاب إلى البديعة، وبعث للمدرسة رسولاً يبلغها أمره بقصر الدراسة صباحًا على المدرسة، ويجب أن تنتهي في الساعة الرابعة غروبى ليتسنى لجلالته استصحاب أنجاله، وعادت المدرسة فقصرت الدراسة على أربع حصص قبل الظهر، وحدث بهذه المناسبة تعديل المنهج الدراسي العام، وأبلغ الشيخ يوسف ياسين المدرس الأول الخطة التي رسمها جلالة الملك، وتعديل المنهج طبق الرغبة الملكية، وعرضه الشيخ يوسف ياسين على جلالته ليحوز التصديق، وتم ذلك يوم ٢٠/٥/١٣٥٧هـ.

أثر التنافس في الخير:

أبواب الخير كثيرة، والتنافس فيها له الأثر الطيب في دنيا العبد وعقباه، والتنافس الذي يعنيه صاحب اللمحات هو تنافس الطلبة الأمراء في ختم القرآن الكريم، فلقد كان مجال التنافس عظيمًا في ختم القرآن هذا العام عام ١٣٥٧هـ إذ حظي بهذه الفضيلة عدد كثير منهم، وكانت المدرسة كعادتها تقيم لهذه المناسبة التقليدية احتفالاً متواضعًا، إلا أنه تطور نسبيًا فكانت المدرسة تدفع للطلبة عمومًا جوائز رمزية من الكتب والأدوات الدراسية، كما أسهمت مديرية المعارف بإشارة من المدرس الأول في تقديم جائزة محترمة كقلم ذهبي وحقيبة مدرسية للطالب الخاتم للقرآن، فتركت هذه الجوائز أثرًا طيبًا في الطلاب دفعهم إلى المزيد من مضاعفة الجهود في الدرس والتحصيل.

مفاجأة ولي العهد للمدرسة:

وفي يوم من أيام قيام المدرسة باحتفالها التقليدي فاجأ المدرسة ولي العهد (الملك سعود) رحمه الله فأعاد الأمراء الكثرة في إلقاء خطبهم أمامه، فسُرَّ لذلك أيما سرور، وودعته المدرسة بعموم أساتذتها وطلابها شاكرة له هذه المفاجأة التشجيعية بل والمكرمة العظيمة، كما حضر بعض الاحتفالات رئيس الخاصة الملكية ومساعدته، فأضافت المدرسة بذلك السنة أخرى تتحدث عنها، وتذكر بالتقدير جهودها.

الاحتفال بمقدم ولي العهد:

ذاع في الرياض خبر قدوم ولي العهد من سفرته في الخارج، فاستأذن المدرس الأول جلالة الملك أن تُسَطَّر خطبٌ للأمراء يلقونها أمام ولي العهد في مجلسه يوم قدومه، فوافق رحمه الله، وفي أول يوم قدم فيه سموه وعندما جلس في مجلسه بقصر الحكم دخل عليه المدرس الأول واستأذنه في السماح للأمراء بإلقاء كلمات ترحيبية أمامه بمناسبة الفرحه بقدومه، فأذن وكان مجلسه لا يبعد كثيرًا عن مقر المدرسة في القصر، وقد غص المجلس بالأمراء وكبار الموظفين، وبدأت المدرسة احتفالها، وتبارى الخطباء في موقف الخطابة في نظام بديع وإلقاء بارع، الأمر الذي استهوى الجميع، وكان خير وسيلة تترجم عن نبوغ الطلاب وجهود المدرسة.

جلالة الملك يغشى مجلس الحفل:

ومن حسن الصدفة أن جلالة الملك رحمه الله غشي مجلس الحفل مارًا في طريقه إلى الشعبة السياسية، وعندما أخذ مجلسه في الشعبة أوقف كل عمل ليستمع إلى خطب أنجاله، ويسبر مدى شجاعتهم في الإلقاء وفصاحتهم في التعبير ونبوغهم في التحصيل، وكانت مفاجأة سارة للجميع أن يطرق جلالته مجلس الحفل، وكان تشجيعًا كريمًا أن يوقف كل أعماله

ليستمع إلى أنجاله، وكان تقديرًا للمدرسة في الخطوات التي اتخذتها وتتخذها في تثقيف الأمراء.

انقطاع الطلبة عن المدرسة:

في يوم ٢٤/٩/١٣٥٧هـ لم يداوم في المدرسة أحد من الأمراء، فاتصل المدرس الأول بجلالة الملك في القصر بالمربع هاتفيًا واستعلم من جلالة عن سبب تأخر الأنجال عن الدوام، فأجابه في لطف قائلاً: (إنني كلّمتُ يوسف ياسين منذ يومين ليبلغكم بإيقاف الدراسة هذين اليومين التي نسميها الوقفة أي يوم ٢٨ و ٢٩ من رمضان، ولكن الخطأ من يوسف ياسين).

وعليه فقد أوقفت الدراسة إلى أجل غير معلوم، والذي يُعلّق به صاحب اللمحات على هذا الخبر، أولاً: صراحة جلالة يرحمه الله، ونسبته التقصير إلى من لم يبادر في إشعار المدرسة بأمره فلم يجامله وإن كان له وزنه عنده. ثانيًا: اللطف في مخاطبة معلم أنجاله، وقد كان في وسعه أن يصرفه بكلمة مقتضبة كقوله مثلاً: نحن رخصنا لهم. ثالثاً: طول أمد الدراسة، فقد بدأت في الرياض منذ الشهر الثاني وامتدت إلى نهاية رمضان دون عطلة أو فترة راحة حتى في القنص يأمر باستئناف الدراسة، وكان نتيجة ذلك أن الطلبة حصلوا على رصيد كبير في العلم والمعرفة مكّنهم من الوقوف على بعض علوم المنهج العالي في نهاية دراستهم.

الاستئذان في العودة إلى مكة:

بمناسبة إيقاف الدراسة إلى أجل غير مسمى وكان عادة جلالة رحمه الله الخروج إلى القنص بعد رمضان بعث المدرس الأول لجلالته يستأذن في العودة إلى مكة لقضاء شهر شوال، فتفضل جلالة بقبول الطلب، فأتبع المدرس الأول بخطاب آخر يبدي الرغبة في الأمر بسيارتين صغيرة للركوب وكبيرة للحمل، وفي الحال صدر الأمر الكريم لرئيس الخاصة الملكية

بإنجاز الطلب، وأحضرت السيارات إلى الدار، وكانت جيدة عَوَّضَ الله بها ما كان قد سبق لهيئة التدريس في القدوم إلى الرياض هذا العام من المتاعب والمصاعب، وقطعت الطريق بين الرياض إلى أم القرى في أربعة أيام، وبلغت الهيئة مكة يوم ١٢/١٠/١٣٥٧هـ.

التعليق على الرحلة:

إن كان لصاحب اللمحات أن يُعَلِّقَ على هذه الرحلة هذا العام إلى الرياض، فلا ينسى قبل كل شيء أُلطافَ الله سبحانه التي صاحبت الهيئة من مبدأ الرحلة إلى نهايتها، ثم التوفيق الذي صادفها في أداء واجبها الذي كان من أبرزه ختم العديد من الأمراء للقرآن الكريم في هذا العام، والحفاوة التي لقيتها، وفي طليعتها الكتب الملكية التقديرية التي كان يبعثها إليها جلالة الملك فتغدو إكليل فخار وشارة مجد، ثم الخاتمة الحميدة التي صاحبت الهيئة منذ أن غادرت الرياض إلى أن بلغت مكة دون عناء وبلاء ومتاعب كما حدث لها في مستهل الرحلة هذا العام، وكم لله من لطف خفي، نسأل الله أن يُوزعَ الجميع شكر نعمه؛ إنه أكرم مسؤول.

مدرسة الأمراء عام ١٣٥٨هـ

عودة جلالة الملك إلى الرياض:

غادر الركب الملكي مكة المكرمة عائداً إلى الرياض ليلة ١٥/١/١٣٥٨هـ، ولبت في عشيرة إلى يوم ٢٠/١/١٣٥٨هـ، ثم واصل السير إلى ما بعد عفيف حيث نصب المخيم الملكي بالقرب من غدير تجتمع فيه مياه الأمطار، ومكث جلالته في انتظار ضيف قادم، ثم واصل الركب المسيرة حتى بلغ الرياض يوم السبت ٢٧/١/١٣٥٨هـ، وكانت هيئة المدرسة تسير ضمن الركب، ولدى الوصول إلى الرياض حلت في منزلها، وأفرغت حمولة السيارة من الأدوات المدرسية وغيرها.

وفي صباح يوم الاثنين ٢٩/١/١٣٥٨هـ حظيت الهيئة بالسلام على جلالة الملك وسمو ولي العهد، فأمر جلالتهم باستئناف الدراسة على ما جرت به العادة أربع حصص قبل الظهر في القصر بالرياض وحصتان بعد الظهر في غرفتين بالمربيع خصصتا للمدرسة، ولم يطرأ أي تغيير في وضع المدرسة إلا أن الأستاذ محمد بناني خريج المعهد العلمي السعودي، وأدخل على بناية المدرسة في القصر إنشاءات جديدة وتشيد فصول دراسية حديثة مستوفية لما تتطلبه المواصفات الصحية من إضاءة وتهوية.

الرحلة الملكية إلى الظهران:

في يوم ١٦/٢/١٣٥٨هـ راجت إشاعة بقرب مغادرة جلالة الملك الرياض إلى الظهران لحضور حفلة افتتاح بعض آبار البترول، ومن ثم يتقدم لزيارة البحرين بدعوة من حكامها آل خليفة، وفي يوم ٢٠/٢/١٣٥٨هـ تلقى مدير المدرسة أمراً بالاستعداد لرحلة الظهران في معية جلالة الملك، كما تلقى أمراً آخر بسيارة أخرى للركوب، فاعتذر بقلّة السيارات فكتب لجلالته بالواقع، وأن سيارة واحدة لا تكفي لحمل الأدوات المدرسية وركوب الأساتذة، فأصدر رحمه الله أمراً لرئيس الخاصة بسيارة أخرى لركوب الأساتذة إلا أن سيادة رئيس الخاصة وقف عند الأمر الأول بدعوى أن كثيراً من حاشية جلالتهم تأخروا عن الرحلة لقلّة السيارات.

بدء الرحلة:

ونزولاً على الأمر الواقع استلم خادم المدرسة السيارة الكبيرة وضافت بالأدوات الدراسية، ولم يبق لركوب هيئة التدريس إلا فجوات بين الأدوات أشغلتها الهيئة بالركوب على مضض، وسارت الهوينى في آخر ساعة من ساعات اليوم حتى أرحى الليل سدوله فقررت المبيت.

مرتقى بويب:

مرتقى بويب مرتقى صعب يُفَضَّل الكثيرون ممن يجتازُه النزول عن السيارات والصعود على الأقدام تلافياً لما لعله أن يحدث من تقهقر السيارة وعندئذ تقع الكارثة. يصف الأستاذ أحمد علي هذا المرتقى في يومياته ويقول: (هو باب للرياض للمقدام من الأحساء). تحرك جلالة الملك إلى هذا المرتقى ووقف في رأسه، ونزل الكثير من (الخويا) للإسعاف وبأيديهم حبال يربطون بها السيارة المتقهقرة ثم يصعدون بها، ولقد كانت سيارة هيئة التدريس ضمن السيارات الصاعدة في المرتقى واجتازته بحمد الله في يسر، ثم أخذت مكانها إلى جانب السيارات المنتظرة. أذن جلالتَه بالسير، ولم يمض زمن طويل إلا واستأنف الركب الملكي سيره إلى أن بلغ المخيم.

مقابلة جلالة الملك:

تشرفت الهيئة بالسلام على جلالة الملك، واستأذنته في استئناف الدراسة، وتطرق الحديث مع جلالتَه لذكر المتاعب التي عانتها هيئة التدريس من ركوب السيارة اللوري، وأردف المدرس الأول الحديث بطلب سيارة صغيرة، فقال - يرحمه الله - في لطف: (لقد أوصيت الطبيبشي وهو لم يأت إلى الآن أوصيته بسيارة صغيرة لكم). ثم أمر جلالتَه أن تستأنف الدراسة ليلاً من الساعة الواحدة غروبى حتى الثالثة، فُنَفَّذَ أمر جلالتَه، وبدأت الدراسة في نشاط ملحوظ لم يؤثر فيه متاعب الطريق ولا ركوب السيارة اللوري، فالواجب يتحتم القيام به مهما كانت الظروف.

وهكذا استمر الوضع؛ يستأنف الركب الملكي المسيرة نهاراً، وتؤدي المدرسة واجبها ليلاً في خيام معدة لها في كل منزل.

تصرف خاطئ:

كانت سيارة الهيئة تسير ضمن سيارات الركب الملكي إلا أن شدة زحام

السيارات والغبار المتصاعد ضايقها فنظرت إلى فرجة عن بعد فاتجهت إليها، وأخذت في طريقها محاذية للركب، وحدث ما لم يقع في حساباتها، إذ فوجئت بهوّة سحيقة تقدمت فيها عجلتا السيارة، أو على الأصح نصف عجلتي السيارة الأماميتين، فأوقف السائق السيارة بلطف، وأخذ يتراجع بها حتى أمن الخطر، ولعل من أسباب السلامة أن السائق لم يكن مسرعاً في سيره فاستطاع أن يهيمن على السيارة، ولقد أدركت الهيئة بعد هذه المغامرة أن السير مع الركب أفضل من الانعزال عنه.

وصول الركب الملكي إلى قرية:

بلدة قرية تقع على حدود المملكة الشمالية، نزل جلالة الملك ضيفاً في منزل أحد كبار مطير، ولدى وصول الهيئة إلى القصر حيث نزل جلالة الملك لم تجد مجلساً فيه، ونظر جلالتهم إلى الحيرة التي استولت عليها، فدعاها وأجلسها أمامه بالقرب من عمود الدار إلى أن انتهت الوليمة.

وصول جلالتهم إلى (أبو حدرية):

واستمر السير من منزل إلى آخر، أي من محطة إلى أخرى حتى بلغ الركب (أبو حدرية) من آبار البترول التي ما برحت الشركة آنذاك تُجري فيها الحفريات من مدة سبعة أشهر، ولم تصل إلى طلبتها.

وصول جلالتهم إلى الجبيل:

بعد عناء ومتاعب وانغراز للسيارتين التابعتين للهيئة ونفاد البنزين، بعد كل ذلك وصلت الجبيل وكان الركب الملكي قد غادرها إلى الظهران، وأمضت الهيئة سحابة اليوم في الجبيل طلباً للاستجمام، ثم استأنفت مسيرتها إلى الدمام فالخبر حتى وصلت إلى جبل الظهران مستقر المخيم الملكي، فتخيرت مستقراً مرتفعاً نزلت فيه في انتظار الأمر باستئناف الدراسة إذ كانت على ما جرت به العادة ليلاً.

وتم ذلك، وبدأ الطلبة جهمهم في بذل نشاطهم، وحدث أن اختل دوامهم يومين أو على الأصح ليلتين؛ فاستأذن المدرس الأول بالدخول على جلالته في الصباح الباكر قبل أن يجلس في سرادق الاستقبال، واستوضح منه سبب انقطاع الأنجال عن المدرسة ليلتين فأجابه رحمه الله في أسلوب مرح يقول: (أما قبل البارح فكان لهم لازم - أي لهم أمر لامندوحة لهم عنه - وأما الليلة فسوف يحضرون إليكم، ولكن اقرأ علينا شيئاً من القرآن). وبعد الانتهاء ودّع المدرس الأول جلالته وهو يتسم له ابتسامه الرضا، رفع الله درجاته في عليين، فلقد كان نسيجَ وحده وفريدَ عصره.

رحلة جلالة الملك إلى البحرين:

وفد إلى الظهران أمراء البحرين يوم ١٣٥٨/٣/٩ هـ لدعوة جلالة الملك لزيارة البحرين ولبي جلالته الرغبة، وكانت هيئة التدريس في عداد من شملتهم الرعاية الملكية حيث استصحبها جلالته، فسعدت بمرافقة الشعبة السياسية والمستشارين والركوب معهم في الزورق الذي أقلّهم إلى البحرين، وقطع الزورق المسافة من الخبر إلى البحرين في ثلاث ساعات، وازدانت المدينة بالأعلام، واصطفّ سكان البحرين على طول الطريق يرحبون بجلالة الملك، واستمر ركب جلالته في السير إلى أن بلغ قصر الشيخ حمد آل خليفة الذي أقام منزلاً لجلالته وحاشيته، وكان عند وصول جلالته غاصاً بالأمراء والأعيان، وأقيمت بالمناسبة عرضة عظيمة اشترك فيها كبار بلدة البحرين والأمراء من آل خليفة والأعيان.

وقبل غروب الشمس غادر جلالة الملك القصر إلى قصر الرفاع خارج البلدة اختاره آل خليفة منزلاً لجلالته لجودة هوائه ومائه، وإلى جانب هذا القصر قصران آخران نزل فيهما الخاصة والأمراء، أما بقية الركب فقد أعدت لهم خيام بجوار قصر جلالته، وكانت هيئة التدريس ضمن من نزل الخيام.

استئناف جلالة الملك السير إلى قصر الصخير:

أعد الشيخ حمد آل خليفة مائدة العشاء لجلالته في قصر الصخير، وعند وصول الهيئة إلى هذا القصر لم تجد موضعاً تحلُّ فيه، فاكتفت بالبقاء في البهو الخارجي. فافتقدها جلالته - يرحمه الله - فبعث في طلبها، وبعد انحطوة بالجلوس إلى جلالته التفت إلى المدرس الأول، وطلب منه قراءة حزب من القرآن، ثم بدأت موائد الطعام تنتشر على طول المجلس، ثم انتقل الركب الملكي إلى القصر المُعدَّ لنزوله في الرفاع، ونظرًا لأن الحاشية الملكية والخاصة وكل من تشرف بصحبة جلالته كانوا موزعين في المنازل والخيام استحسن المُضيفون أن يحظى الجميع بالتشرف في حضور مجلس جلالته قبل كل وجبة من وجبات الطعام، وبعد تناول الطعام على مائدته ينصرف كلُّ إلى منزله، وذلك كان دأب هيئة التدريس.

مغادرة جلالة الملك للبحرين:

انطوت مدة الزيارة التي قام بها جلالة الملك إلى البحرين في أربعة أيام، وفي صباح يوم الأحد ١٣٥٨/٣/١٧ هـ غادر جلالته البحرين إلى الظهران، ورافقت هيئة التدريس أعضاء الشعبة السياسية والمستشارين في الزورق الذي أُعدَّ لهم، وتقدم زورق جلالة الملك وتبعته كل الزوارق، وعاد جلالته إلى الخبر فجبل الظهران، كما وصلت الهيئة إلى خيمتها حامدة الله سبحانه على حسن العاقبة.

عودة جلالة الملك إلى الدمام:

في صباح يوم ١٣٥٨/٣/٢١ هـ تحرك الركب الملكي من جبل الظهران إلى الدمام، وتناول فيه طعام الغداء على المائدة التي أقامها تكريمًا لجلالته أمير الدمام، ثم استأنف جلالته الرحلة إلى الجبيل، وقرر المبيت فيه، وفي الصباح الباكر واصل السير في مراحل متعددة وقف في بعضها للمقبل وبات في بعضها،

وقد عانت هيئة التدريس - كما عانى غيرهم - من المتاعب وانغراز السيارات ونفاد البنزين، ولكن حسن العاقبة أنهى كل شي، وانتهت الرحلة الملكية رحلة الظهران يوم ١٣٥٨/٣/٢٥ هـ، وقد استغرقت شهرًا كاملاً.

استئناف الدراسة:

في يوم ١٣٥٨/٣/٢٦ هـ افتتحت المدرسة أبوابها في الرياض لاستئناف الدراسة، ولم يداوم أحد من الأمراء، فكتب المدير لجلالته يُشعره بالموقف، فأجابه هاتفياً بأن الأمراء سوف يداومون بالمدرسة يوم السبت ١٣٥٨/٤/١ هـ، وما أشرقت شمس يوم ١٣٥٨/٤/١ هـ إلا وتقاطر الأمراء على المدرسة من الصباح الباكر، كما استؤنفت أيضاً بعد الظهر كالعادة في قصر المربع.

تعديل زمن الدراسة:

بعث جلالة الملك الشيخ رشدي ملحق إلى المدرس الأول يبلغه أمر جلالته بزيادة حصتين على الدراسة قبل الظهر تعويضاً لحصص بعض الظهر التي يخرج المدرسون إليها في المربع، فتعدل جدول الدراسة مع الزمن.

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!

لقد حدث لهيئة المدرسة مأساة أقضت مضاجعها، ذلك أنه نعى إلى مسامع جلالة الملك أن المُدرّسين يفاضلون بين الطلبة، وقد يكلون إلى بعضهم تعليم بعض، فاستشاط غضباً، وناهيك بغضبة الحليم، وعهد جلالته لولي العهد (الملك سعود) بالتحقيق في الأمر، فاستدعى المدرس الأول وأبلغه الواقع، فلم يتمالك - أي المدير - نفسه، وبدأ التأثير واضحاً عليه، وأقسم بالله العظيم أنه لم يحدث شيء من ذلك، وأخذ ولي العهد - يرحمه الله - يهدئ المدير، وطلب منه كتابة مذكرة لجلالته يقرر فيها الواقع، ويتولى سموه تقديمها لجلالته.

ولم يمض على لقاء المدير بولي العهد يوم واحد إلا وفوجئت المدرسة بكل من الشيخ فؤاد حمزة والشيخ يوسف ياسين والدكتور مدحت شيخ الأرض، وعلى رأسهم سمو ولي العهد يطوفون بغرف الدراسة، ويسألون الأمراء صغارهم وكبارهم في تحصيلهم. ويشاهدون خطوطهم العربية والإنجليزية، ولبثوا في تفتيشهم وأسألتهم بالمدرسة فترة طويلة، ثم غادر ولي العهد المدرسة، وبقي المستشارون يمارسون الاختبار حتى اقتنعوا بصحة خطط المدرسة وسيرها في التعليم على المنهج الموضوع المتقرر من قبل جلالته، فأثنوا خيرًا، ونقلوا الواقع لجلالته، ولبثت المدرسة تنتظر النتيجة.

وفي صباح اليوم التالي للزيارة وعندما داوم الأمراء يوم ١٠/٥/١٣٥٨هـ بشرّوا المدرسة بأن الأمير سعود بن عبدالعزيز ويوسف ياسين وفؤاد حمزة أثنوا على أجوبتهم كثيرًا، غير أن جلالة والدهم لم يقتنع، بل توعدهم بالحضور إلى المدرسة بنفسه مصطحبًا معه الكتب الكبيرة ليسألهم بها عن أصعب المسائل.

بشارة أخرى للمدرسة:

زار المدرسة أحد موظفي الشعبة السياسية، وأنهى إلى علم هيئة التدريس أن الشيخ يوسف ياسين والشيخ فؤاد حمزة بعد زيارتهما للمدرسة كتبوا لجلالة الملك تقريرًا ضافيًا عن المدرسة أرفقا به الكتاب الذي قدّمه المدرس الأول لولي العهد بنفي تهمة تفضيل بعض الطلبة على بعض، فكانت بشارة أخرى للمدرسة طمأنتهم على مجهوداتهم المبذولة في التعليم وإخلاصهم للمسؤولية التي تقلّدوها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

دعم جلالته للمدرسة:

في صباح يوم ١٦/٥/١٣٥٨هـ تفضل جلالة الملك بمكالمة مدير مدرسة

أنجاله هاتفيًا قائلاً: (اليوم لاتخرجوا العيال - ويعني أنجاله - من المدرسة إلا قبل المغرب؛ لأنهم طلبوا أن تُرخص لهم اليوم من المدرسة، وهذا جزاؤهم ولا يجلس معهم أحد منكم). وهذه ثالث حادثة من نوعها؛ أي حجز الطلبة في المدرسة بعد الدراسة لفترة طويلة لطلبهم الرخصة من المدرسة، وقد غادر الأساتذة المدرسة حسب أمر جلالته وتركوا الطلبة وشأنهم.

يقول أحد الأنجال تعليقًا على هذه الحادثة: (أمران لا يتسامح فيهما الشيوخ - أي لا يقبلون فيهما عذرًا - الصلاة والقراءة). أي إقامة الصلاة في جماعة بالمسجد، والتعليم.

التقارير المدرسية:

جرى مدير المدرسة منذ أن أسندت إليه الإدارة على كتابة تقرير سنوي عند نهاية العام الدراسي، وبعد أن يجري الطلاب الاختبار النهائي يُضَمَّن التقرير كل ما يتصل بنشاط الطلاب في دراستهم وترقيتهم في فصولهم والمكاشفة بنتائج اختبارهم، وفي يوم ٦/١٠/١٣٥٨ هـ رفع المدير التقرير لهذا العام عن طريق رئيس الديوان الملكي الشيخ عبدالله بن عثمان فتلقى من سعادته الجواب الآتي:

(إن جلالة الملك يشكركم على المجهودات التي بذلتموها، ويأمر بمشابرتكم على الدراسة من الآن). وكان لذلك فرحة غامرة لأساتذة المدرسة للتقدير الكريم والتشجيع على المُضي في الخط المرسوم.

طلب الإجازة:

أذن جلالته لأنجاله في الذهاب إلى البر للقنص والفسحة لمدة بضعة أيام، فانتهاز المدرس الأول هذه الفرصة ورفع لجلالته طلبًا للعودة إلى مكة في إجازة تستغرق شهرًا واحدًا لقضاء مصالحهم وزيارات أهلهم، ورفع الخطاب عن طريق رئيس الديوان، وفي الحال نقل الشيخ يوسف ياسين خبر

موافقة جلالته للمدرس الأول، وحثَّ على مراجعة رئيس الديوان، فلقي منه كل ترحيب وتقدير وقال له: (إن جلالة الملك ممنون منكم ولله الحمد، ويوافق على سفركم، ولا تعتبروا أنفسكم إلا مسافرين).

لفتة ملكية كريمة:

في ضحوة يوم ١٦/١٠/١٣٥٨هـ بينما كان جلالته في مجلس الحكم بعث رسولاً إلى هيئة التدريس يقول: (إن الشيوخ يبونكم). فأسرعت الهيئة للقاء جلالته، وبعد السلام عليه كان أول ما بدأهم به من حديث: (نحن في الحقيقة غيرنا عليكم في ترتيبكم حين سمحنا للعيال بالرخصة دون أخذ رأيكم، ولكن هذه الأيام كما تعرفون العيال مشتاقون إلى الخروج للبر، وأنا لولا المشاغل لخرجت معهم لأنني أتضايق من طول الجلوس في البلد، وإن رأيكم جميل، وأنا ممنون منكم، والشهران - يقصد شهري الإجازة - هما أقل ما يمكنكم الاجتماع فيها بإخوانكم وعيالكم، وقد جلستم معنا السنة كلها، أما من جهة العيال فأنا مسرور منكم، وهم في الحقيقة عيالكم، وعندني رأي: فكروا في رجل يأتي إليهم كل يوم يُسَمَّعُ لهم القرآن صغارا وكبارا حتى لا ينسوا ما أخذوه، وهذا الرجل الذي تعتمدون عليه يأتي للعيال صباحا كل يوم، وإن كنتم توافقون فقد كتب لي رجل (سناري) طلب مني هذا الغرض). فتولى الإجابة المدرس الأول بقوله: سوف أقدم لجلالتكم من يقوم بهذه المهمة - إن شاء الله - وإن أمرتم أن نجلس فهذا واجبنا. فأجاب رحمه الله: (لا: أنتم مسافرون إن شاء الله، والشهران مدة قليلة للجلوس مع الأهل والعيال، ولكن ابحثوا عن من يقوم بهذه الوظيفة، وأنتم الآن تريدون السفر تأمر لكم غداً أو بعد غد بما تريدون). ثم قال: (وهذا الرجل تأتي به معك غداً أو بعد غد). ثم تبسم رحمه الله رحمة الأبرار وقال عند السلام عليه: (لا تنسونا من المواعدة).

هذه هي بعض الجوانب الحانية التي نعمت بها هيئة التدريس طوال

به التشرف بتوديع جلالة الملك في قصر المربع، ثم استأنفت السير، وكم مرة تعطلت السيارة الصغيرة فأصلحت، وكذلك اللوري كم توقف لنفاد البنزين، ثم انفرجت الأزمة وتجاوزت الرحلة رمال النفود إلى الدوادمي فقررت المبيت بعدما عانته من المشقة وانغراز السيارات في الرمال، ثم استؤنفت الرحلة صباحًا في سير حثيث، وقطعت مسافة هائلة حتى بلغت عشيرة، واستقر القرار على قضاء الليل فيها للراحة من عناء السير الطويل الممل، وفي الصباح بادرت الهيئة في السير من عشيرة وتوقفت في إحدى مقاهي السيل الكبير للإحرام، ثم استأنفت السير إلى الشرائع ومنها إلى مكة حيث كان الوصول إليها في الساعة الحادية عشرة غروبًا أي قبل المغرب بساعة، وحمد الجميع حسن العاقبة، وشكروا الله على سلامة الوصول وجمع الشمل بالأهل والولد والحظوة بالإقامة في الوطن الغالي بلد الله الذي تهوى إليه الأفتدة، وله في قلب كل مسلم حنين، فالحمد لله على ترادف نعمه.

مدرسة الأمراء عام ١٣٥٩هـ

العودة إلى الرياض:

هكذا تمر الأيام تبعًا دون أن تقف عجلة الزمن، وفي مرور الأيام عبرة توحى بسكب العبرة لأن في مرور الأيام انقضاء للأعمار، والعمر أعظم رصيد وهبه الله للعباد، ومن حقه أن يُعمر بما يكون لهم فيه السعادة في عقباهم من عمل صالح يُرضون به مولا هم.

هذه مقدمة يكتبها صاحب اللمحات بمناسبة مرور أيام الإجازة، انقضت وكأنها حلم نائم، وتجددت بانقضائها رحلتهم إلى الرياض لمزاولة عملهم إذ صدر أمر جلالة الملك - - يرحمه الله - - بسرعة سفرهم.

بدء الرحلة:

لم تكن الرحلة هذا العام طويلة إذ بدأت يوم ٢١/٢/١٣٥٩ هـ وانتهت يوم ٢٦ منه، والطريق بمراحله ومتاعبه ومشقاته، وما يعترض المسافر فيه من أمور لم تقع في حسبانته غير أن حسن العاقبة وبلوغ الأمل يُنسي المرء كل ما صادفه في طريقه من مشقة وعناء؛ فيحمد الله ويوالي شكره.

جلالة الملك في روضة التنهات:

عند وصول هيئة التدريس إلى الرياض كان جلالة الملك ينتقل في البر بين رماح وروضة التنهات ثم استقر فيها مقامه، وقد أبقى نائب رئيس الخاصة لجلالته بوصول الهيئة إلى الرياض، فأمره بتسهيل أمر شخوصها إلى القنص في روضة التنهات، وبعد المراجعات فيما يُصلح شأن السفر، وبعد تحميل السيارة اللوري بالأدوات المدرسية وصناديق الكتب غادرت الهيئة الرياض مساء يوم ٢٨/٢/١٣٥٩ هـ. وطوت الأرض في ظلمة الليل إلا أنها لم تَغشَ روضة التنهات إلا صباح يوم ٢٩/٢/١٣٥٩ هـ.

السلام على جلالة الملك:

أوقفت الهيئة سيارتها الصغيرة بالقرب من سرادق جلالته، ثم ترجّلت حتى حظيت بالسلام عليه فأجلسها عن يساره كعادته يسأل عن مكة ومن تركته الهيئة فيها من أهل وولد، وعن الرحلة وعدد أيامها.

ثم قال - طيب الله ثراه - : (إن العيال يسألوني عنكم، ويقولون: إنكم تأخرتم عليهم هذه السنة، ولا أدري هل يسألون رغبة في القراءة أم عكسها؟ وأرجو أن يكونوا صادقين في سؤالهم). ثم تلطف في إبداء الرغبة بسماع القرآن وقال للمدرس الأول: (أتقرأ علينا شيئاً من القرآن؟ فالقرآن كله بركة). وبعد الفراغ من التلاوة استدعى أحد رجال الحاشية وأمره بتجهيز كل ما يلزم الهيئة من طعام وماء وغير ذلك، ثم عيّن جلالته موضع

نصب خيام المدرسة، وأمر أن تكون بين مخيم الرجال والعائلات بالقرب من خيام الأنجال، ثم استؤنفت الدراسة.

وصف روضة التنهات:

يصف الأستاذ أحمد علي روضة التنهات بقوله: ((الأرض خضراء معشوشبة بأنواع من العشب الغض والأزهار الملونة تصدح عليها الطيور بالأصوات المشجية، وإذا هبت عليها الرياح حملت معها عطراً جميلاً، وفي وسط هذه الأعشاب تجد أشجار السدر البري تكون أحراشاً بديعة تُرى من بُعد كغابة قصيرة الارتفاع، لكن إذا دخلتها وجدت الأشجار متباعدة كل واحدة منها لها ظلٌ ظليل يمكن أن يقضي الإنسان بياض نهاره فيه دون أن يشعر بحرارة الشمس أو لفحاتها). إلى آخر ما أفاض فيه من الوصف مما أحدث في النفس الرغبة في ارتيادها وقضاء فترة استجمام في أرضها المعشوشبة وأزهارها الملونة والروائح العطرة التي تنبعث منها.

جلالة الملك في روضة الخفس:

في يوم الأربعاء ١٦/٣/١٣٥٩ هـ انتقل جلالته من روضة التنهات إلى روضة الخفس واستؤنفت الدراسة فيها، وفي ثاني ليلة من ليالي روضة الخفس وكانت ليلة جمعة تعطل فيها الدراسة فوجئت هيئة التدريس بالطلبة الأمراء يتقاطرون إليها، وكانت خيمة المدرسة قد اقتلعتها العاصفة، ولم يبق إلا خيمة واحدة منصوبة فيها الأساتذة وأثاثهم، ولم توقد مصابيح، ولم يكن بُدٌّ من مزاولة العلم، وانضم كل الطلبة صغارهم وكبارهم إلى الخيمة المتواضعة، وعندما انهمك الطلاب في أداء الواجب إذ بالعاصفة تهب من جديد، ويزداد ضغطها على الخيمة حتى انكسر بعض أعضائها فأرعب ذلك الأمراء الصغار، وأرادوا الخروج بعيداً عن الخيمة فلم يهتدوا إلى أي موطن يلتجئون إليه للظلام الحالك واشتداد هزيم الرعد، ومن لطف الله أن كانت سيارتان من سيارات الأمراء لم تبرح المدرسة، فسمح المدرس الأول

للأمراء باللجوء إليهما، ثم انضم إليهم في إحداها ليكمل الحصص الباقية كما صنع ذلك أيضًا الشيخ صالح خزامي، واستمرت الدراسة دون انقطاع إلى نهاية الدوام في الساعة الثانية والنصف ليلاً بالتوقيت الغروبي، وذلك أنموذج من حرص جلالة الملك على عدم فوات أية فرصة دون أن يشغلها الأُنجال بالتحصيل والمزيد من العلم والمعرفة.

عودة جلالة الملك إلى الرياض:

لم تطل الإقامة بروضة الخفس بل اختصرت إلى أربعة أيام، وفي صباح يوم ٢٠/٣/١٣٥٩هـ أمر جلالة الملك هيئة التدريس بالعودة إلى الرياض حيث قد تقدمها إليها الأسرة المالكة.

استئناف الدراسة:

وفي صباح يوم ٢٥/٣ استؤنفت الدراسة كالعادة لم يتخلف عنها طالب.

استقبال ولي العهد (الملك سعود) رحمه الله:

في يوم ٥/٦ قدم ولي العهد من رحلته إلى الهند فاحتفلت الرياض بمقدمه، وأقيمت للمناسبة عرضة خارج الرياض، كما استعرض سموه الجيش النظامي وأسهمت المدرسة أيضًا في إظهار شعور الفرحة بمقدم سموه، وتقدمت بالطلاب من الأمراء للإلقاء كلمات ترحيبية في مجلسه بالقصر، واستمرت الخطابة فترة وجهت الأنظار إلى جهود المدرسة المبذولة في سبيل تثقيف الأمراء، ورسم الطريق أمام رجال المستقبل.

دورة تفتيشية:

لقد تهرب المُربُّون من كلمة تفتيش لما يتبادر منها من الكشف عن السقطات والبحث عن الهنات، واختاروا بدلها كلمة (توجيه)، هذه مقدمة يكتبها صاحب اللمحات بمناسبة هيئة التفتيش التي قامت بأمر جلالة الملك للكشف عن سير الدراسة واختبار الطلاب، وكانت مؤلفة من معالي الشيخ

خالد أبو الوليد ومعالي الشيخ بشير السعداوي وسعادة الشيخ رشدي ملحس، وطافت بكل الفصول، واختبرت الطلبة في كل علم أو فن في إطار المنهج المرسوم، ولم تغادر المدرسة إلا في الساعة السادسة غروباً وذلك يوم ١٣٥٩/٩/٦هـ، وعلى الرغم من أن الدورة في نهار الصوم وللصوم أثره في فتور النفس والحدّ من النشاط إلا أن الطلبة بفضل الله سبحانه أولاً ثم بفضل الجهود المبذولة في تعليمهم والتضحيات التي كانوا يبذلونها في أداء الواجب كانت إجاباتهم موفقة مسددة.

النشاط الملحوظ في ختم القرآن:

كان هذا العام كسابقه من حيث تباري الأمراء في ختم القرآن الكريم، فقد ختم فيه العديد من الأمراء، ولن نذكر اسم أحد منهم أولاً: لأننا نكتب عن الماضي، وقد أضحى طلاب الأمس رجال اليوم يتقلدون أعلى المسؤوليات، ثانياً: نظرة الأوائل تختلف عن نظرة الناس اليوم، فقد كان الأوائل ينظرون إلى ختم القرآن بوصفه بادرة طيبة وفأل حسن يدرك بعده الطالب أمله في المزيد من حصيلته العلمية، أما الناس اليوم فنظرتهم للشهادات ونوعيتها، وعلى مدى الترقى فيها، وتقييم طالب العلم بحسب الشهادة التي يحملها، وحسبنا أن سجّلنا أن عام التسع والخسين لم يكن سلبياً بالنسبة لدراسة القرآن وختمه.

الإجازة السنوية:

أشرقت شمس أول يوم من شهر ذي القعدة فرفع المدرس الأول لجلالة الملك خطاباً يستأذن فيه في العودة إلى الحجاز لقضاء فترة كالمعتاد، ورفع الخطاب عن طريق رئيس الديوان الشيخ عبدالله بن عثمان، ولم يمض اليوم الأول إلا والإذن بالسفر في قبضة هيئة التدريس محولاً من الديوان إلى رئيس الخاصة الملكية لإنجاز مطالب السفر، وبعد المحاولات في تنفيذ الأمر الملكي تسلمت المدرسة سيارتين كبيرة وصغيرة.

وانتهى كل شيء بفضل الله وتيسيره طبق الرغبة، وغادرت الهيئة منزلها إلى قصر المربع لتوديع جلالة الملك في الساعة الثالثة والنصف صباحاً من يوم ٤/ ١١/ ١٣٥٩هـ، وودعت الهيئة الرياض تحت تأثير الحنين إلى البلد الأمين، وقطعت المسافة في يسرٍ دون عنّت أو مشقة، وحمدت الله على ما تفضل به وأنعم من إنهاء العام على خير ما كان مؤملاً، والحمد لله أولاً وأخيراً.

وإن كان لصاحب اللمحات من تعليق على هذا العام، فهو اجتياز المدرسة كل صعوبة اعترضت سبيلها من حيث متاعب الطريق أولاً والشد والترحال المتكرر من الحجاز إلى الرياض، ومن الرياض إلى القنص في أكثر من روضة، ثم من الرياض إلى الظهران فالبحرين، ثم من حيث التفتيش المتتابع على المدرسة وغير ذلك مما كانت المدرسة متعرضة فيه لهزات تكاد تأتي عليها من القواعد: ﴿وَمَنْ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ نسأل الله سبحانه أن يجعلنا ممن توكل عليه فكفاه كل ما أهمه من أمر دينه ودنياه.

مدرسة الأمراء عام ١٣٦٠هـ

العودة إلى الرياض:

كم طوت الأيام من آمال وأحلام كان يعيش بها المرء في متعة وبهجة، ويود لو طال أمد الاستمتاع بها والفرحة بامتداد ظلالها، غير أن كل شيء مصيره إلى الزوال كما قال الشاعر:

كل شيء مصيرٌ للزوال غير ربي وصالح الأعمال

هذه مقدمة أخرى يستفتح بها صاحب اللمحات الكتابة عن الرحلة إلى الرياض عام ١٣٦٠هـ حيث قد صدر الأمر الملكي بترحيل هيئة التدريس إلى الرياض، فأخذت تعد العدة لذلك، وما أشرقت شمس يوم الاثنين ١٩/ ٢/ ١٣٦٠هـ إلا وقد أخذت طريقها إلى المسجد الحرام ليكون آخر ما تودعه، ومن ثم ابتدأت السير إلى السيل الكبير فالشرائع فعشيرة، وعندما قام قائم

الظهيرية فيها وكان ذلك يوم ٢٠ لبثت للمقبل، وبعده استأنفت الرحلة إلى المويه وقد أعيأها السير فلم تستطع الوصول إلى المويه بل قررت المبيت في سهل ركبة، وطاب المقل في المويه، ومن المويه إلى الدفينة في مساء ٢١/٢/١٣٦٠هـ، ومن الدفينة إلى عفيف في يوم ٢٢/٢/١٣٦٠هـ، ومن عفيف إلى القاعية ومنها إلى الدوادمي، واستمرت بين مبيت ومقبل حيث تضطر إلى ذلك وغادرت الدوادمي إلى (خف) بضم الخاء وسكون الفاء، ومن خف إلى النفود في ٢٣ منه، واجتازته في عناء وبلاء من رماله وانغرازات السيارات فيها، وما وصلت مرات. إلا في ٢٤ منه وقد بلغ منها الجهد مبلغاً لم تستطع معه مزاوله أي عمل فاستقر رأيها على المبيت، وفي صباح يوم ٢٥/٢ استأنفت الرحلة إلى العويند فالعينة فالجبيلة، وأمضت في هذه المسيرة أكثر اليوم، وقبل غروب الشمس استأنفت الرحلة إلى الرياض فبلغته في مساء يوم ٢٥/٢/١٣٦٠هـ.

الرحلة إلى القنص:

لم يستقر مقام الهيئة بالندار إلا وخادم رئيس الخاصة الملكية يبلغها عن مُرسِلِه أمر جلالة الملك بالتوجه إلى روضة الخفس حيث المخيم الملكي، وفي صباح يوم ٢٧/٢ بعث رئيس الخاصة الملكية للهيئة دليلًا ليرافقها إلى الروضة، ولما طال السير وكان ليلاً والظلام حالًا رغبت الهيئة إلى الدليل ألا يدخل الروضة في الظلام الدامس، واستقر القرار على المبيت عند مشاهدة أنوار المخيم وقد كان ذلك، وفي صباح يوم ٢٨/٢ وبعد أن أشرقت الشمس استؤنفت الرحلة فبلغت الهيئة روضة الخفس بعد فترة وجيزة.

وصف روضة الخفس:

يصف عضو الرحلة الأستاذ أحمد علي الكاظمي روضة الخفس في يومياته فيقول: (أراض واسعة فسيحة غطاها العشب الأخضر الجميل

والأزهار البديعة المختلفة الألوان، والروائح الذكية العطرة تفوح من هذه الأزهار فتنعش الروح، وأسراب الطيور المتنوعة فوقها مما يزيد المنظر جمالاً وروعة يسرُّ النظر إليها واستماع أنغامها الشجية. وقد كونت عجلات السيارات وسيرها ممرات بين هذه الأعشاب، ترى من بُعد كأنها خطوط معدة للسيارات، ولا يسمح لأحد أن يخرج عن هذه الممرات أو يحيد عنها فيطأ بعجلات سيارته شيئاً وسط هذه الممرات أو يحيد فيطأ العشب بعجلات سيارته).

السلام على ولي العهد:

عندما وصلت الهيئة إلى الروضة كان جلالة الملك متغيياً في الخرج فتصدت مخيم ولي العهد (الملك سعود) رحمه الله، وبعد السلام والمكث في رحابه برهته أمر لها سموه بكل ما يتطلب لنزلها ريثما يعود جلالة الملك.

استئناف الدراسة:

وبعد عودة جلالته أمر باستئناف الدراسة وتقاطر الأمراء إلى المدرسة، وكان أول يوم استؤنفت فيه ٤/٣/١٣٦٠هـ بعد انقطاعها أربعة شهور تقريباً.

انتقال الركب الملكي إلى الخرج:

في يوم السبت ٩/٣/١٣٦٠هـ تحرك الركب الملكي إلى الخرج فقوضت المدرسة خيامها لتكون في المعية إلا أنها لم تلحق بالركب في إحدى سيارتها، فقررت هيئة التدريس المبيت في بنبان، وفي صباح يوم ١٠/٣ استأنفت السير إلى الخرج، وسألت عن المخيم الملكي فلم تظهر بظائل، وأخيراً وبعد أن أعيتها الحيلة نصبت خيامها في أرض وقع في حدسها أنها سوف تكون قريبة من مخيم الأنجال تدعى السهلاء من أعمال الخرج استمر وصول الناس إليها حتى اليوم الثالث، وفي يوم ١٢/٣/١٣٦٠هـ أمر جلالة الملك بانتقال مقر المدرسة وهيئة التدريس إلى موضع

يكون أكثر قربًا من مخيم الأمراء، وتم النقل ونصبت الخيام، وكانت في أرض رملية.

هبوب العاصفة:

لقد هبت على المخيم عاصفة هوجاء، وكانت خيام المدرسة والهيئة في طليعة ما اقتعلته، وأعقب ذلك هطول المطر بشدة مع هبوب العاصفة، وكانت ليلة ليلاء لم يغمض فيها جفن، ولم يرتح بال، كان الجميع يتوقع الخطر من مdahمة السيل، ولكن الله سلّم.

استئناف الدراسة:

استؤنفت الدراسة في السهلاء يوم ١٦/٣/١٣٦٠هـ من الساعة الثانية صباحًا بالتوقيت الغربي حتى الساعة أربع حصص، واستمرت قائمة حتى يوم ٣٠/٣/١٣٦٠هـ.

العودة إلى الرياض:

في يوم ٢/٤/١٣٦٠هـ تحرك الركب الملكي عائداً إلى الرياض وكانت المدرسة في المعية فبلغ الرياض يوم ٤/٤/١٣٦٠هـ، وكان أمد المكث في الخروج - السهلاء ٢٢ يومًا.

استئناف الدراسة:

في يوم ٢٤/٤/١٣٦٠هـ أمر جلالة الملك باستئناف الدراسة على العادة، وزار المدرسة يوم افتتاحها الأمير فهد بن عبدالعزيز (جلالة الملك) حفظه الله، وغادر المدرسة مغتبطًا بما رأى من نشاط الأمراء وإقبالهم على التحصيل وتنافسهم في طلب العلم. واستمرت الدراسة على وضعها المتقرر طوال الفترة التي كان يقيم فيها جلالة الملك في الرياض هذا العام.

أمل يتحقق:

ما أعظم تحقيق الأمل في النفس! إن له إشراقه تبعث الفرحه، وتضفي على النفس الطمأنينة.

في يوم ٢٧/٧/١٣٦٠هـ أمر جلالة الملك - - يرحمه الله - - رئيس الخاصة الملكية أن يبلغ المدرس الأول بما يأتي:

إن جلالة الملك سوف يرحل إلى القصيم في الأيام المقبلة ثم يعود في رمضان، ورمضان شهر عبادة فما هي رغبتكم، هل تحبون السفر إلى الحجاز أم تريدون البقاء في الرياض؟ فأجابه قائلاً: إنّ رغبتنا هي رغبة جلالة الملك، إن أراد أخذنا معه في رحلته أو أبقانا في الرياض ريثما يعود، أو أذن لنا في السفر إلى الحجاز وهي إجابة سلبية لم تحدد الغرض، ثم أتبعها المدرس الأول بخطاب لجلالته حدد فيه الرغبة، وطلب الإذن بالسفر إلى الحجاز نظراً لأن البقاء في الرياض بدون عمل لا جدوى منه، وفي الحال تفضل جلالته - - يرحمه الله - - بإجابة الطلب، وذلك هو الأمل الذي تحقق، فقد طال الشوق إلى الأهل والولد والوطن الغالي.

بدء الرحلة:

في يوم ١/٨/١٣٦٠هـ أنجزت الهيئة متطلبات السفر، وخطت الخطوة الأولى بالانتقال إلى الجيلة.

مأساة مرعبة مرهبة:

لم تتم الفرحه ببلوغ الأمل وذلك شأن الدنيا لا تصفو أبداً إذ لم تكن دار قرار وإنما هي معبر إلى الآخرة، فكل نعيم فيها بما في ذلك تحقيق الآمال لا يصفو من كدر لثلا يركن إليها، لقد حدث للمدير في أول خطوات الرحلة مأساة مرعبة كدرت الصفو، وأنذرت بالخطر، يترك صاحب اللمحات الأستاذ أحمد علي الكاظمي عضو الرحلة يسجل المأساة:

شعر الشيخ عبدالله برعاف من أنفه فجلس على الأرض، وصببت على رأسه ماءً باردًا فلم يقف الرعاف، وتوجهنا إلى العويند والنزيف مستمر يرفع منديلًا لتلقيه ويضع آخر، ثم أخذ إحرامًا كبيرًا فامتلاً من كل جهة، فأوقفنا السيارة ونزل منها فصببنا الماء على رأسه ووجهه والنزيف مستمر حتى وصلنا مرات فازداد النزيف، وجلس تحت السيارة وحفرنا له حفرة صغيرة جعل أنفه فيها والدم يصب كأن أحدًا فصدّه، وقد بدأ جسمه يتغير، وشعر بانهداد سرى في جسمه، وخشي على نفسه.

ثم وضعت شيئًا من الأدوية في الماء وجعلته يستنشقه فلم يفد كل ذلك، وأحضر بعض الناس أشياء أخرى للشم فلم تفد، وقد تأكدت من ساعة الخطر الرهيبة فتغيرت نفسي، وأظلمت الدنيا في عيني، ولست أدري أكان مقدرًا أن يدفن الشيخ عبدالله في مرات؟ اللهم إنا نسألك العفو والعافية. وبعد أن خرج كل ما كان من الدم وبقي النزيف خفيفًا واستراح الشيخ عبدالله بعض الراحة ونام قررنا مواصلة السير فتوجهنا إلى النفود، وتقدم الشيخ عبدالله ليصلي المغرب والعشاء، وبينما هو في الصلاة بدأ النزيف ثانية فقطع الصلاة وأكملها الشيخ صالح خزامي، ثم ركبنا السيارة فازداد النزيف وملاً ثيابه، وإذا اضطجع نزل الدم من حلقه، وسبب له الغثيان فيعتدل وينزل الدم من أنفه، ووصلنا الدوادمي وكان نزول الدم شديدًا، ووقفنا عند القصر والنزيف مستمر بل في ازدياد، فوضعت على رأسه ماء كالثلج، ولكنه لم يقف بل خف قليلًا ثم ازداد.

وفي يوم ١٣٦٠/٨/٢ هـ كفّ النزيف بقدرة الله، وأصبح الشيخ عبدالله مُصَفَّرًا لا أثر للحمرة في وجهه ولا في بقية جسمه.

وهكذا مرت المأساة بسلام، وكانت العاقبة حميدة بفضل الله وذلك من مُرِّ البلاء الذي تداركه الله بلطفه ورحمته، وتلك عوائده الجميلة التي عوّد بها عباده. وبعد العصر من اليوم الثالث في الشهر الثامن استؤنفت الرحلة

من الدوامي، ولم يقف الركب غير برهة في كل محطة حتى تم الوصول إلى الطائف حيث الأهل والولد، وحمد الجميع العاقبة وشكروا لله فضله ولطفه والحياة الجديدة التي كتبها لصاحب اللمحات بعد أن رأى الموت عياناً، وكم لله من لطف خفي، وكم له على العباد من نعم لا تعد ولا تحصى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾.

برقية جلالة الملك لوكيل وزارة المالية:

مع إشراقة شهر رمضان المبارك عام ١٣٦٠هـ أبرق جلالة الملك - يرحمه الله - إلى وكيل وزارة المالية الشيخ حمد السليمان - يرحمه الله - يأمره بإحضار المدرس الأول لأنجاله وسؤاله عن صلاحية السناري الموجود بالرياض لمذاكرة الأنجال في دروسهم، وإلا فليرسل اثنين من معلمي المدرسة ليقوموا بهذه المهمة، فكان جواب المدرس الأول أن لمهمة تعليم الأنجال خطة مرسومة درجت عليها المدرسة، وأخشى أن تتغير الخطة على الأنجال لو أقجم في تعليمهم من لا يكون له علم بهذه الخطة؛ لذلك فسوف أبعث بأستاذين عاجلاً للقيام بالمهمة.

ثم اختار المعلم الأول الأستاذ صالح خزامي وكان بمكة فأبلغه ورغب إليه في الشخوص إلى الطائف ليصحب معه الأستاذ عبدالرحمن باحنشل وليبدء في تدريس الأنجال حسب أمر جلالة الملك، وقد كان ذلك، وحال وصولهما إلى الرياض أمرهما الملك بمباشرة العمل، وليثا في الرياض إلى نهاية شهر ذي القعدة ثم عادا إلى مكة.

مدرسة الأمراء عام ١٣٦١هـ

العودة إلى الرياض:

في يوم الأحد ١٣/٢/١٣٦١هـ أبلغت هيئة التدريس أمراً برقيًا عاجلاً بالعودة إلى الرياض لمزاولة عملها، فأخذت تعد العدة للرحيل، وبدأت

السير من مكة إلى الشرائع فالسيل مارّةً بالطائف لبعض أمور خاصة، ومن الطائف إلى عشيرة في يوم ١٦ منه، ومن عشيرة إلى المويه، ومن المويه إلى الدفينة فعفيف فالقاعية صباح يوم ١٨، ثم إلى (خف) صباح يوم ١٩ واجتازت النفود بسلام، وواصلت السير إلى مرات ومنها إلى الجبيلة في صباح يوم ٢٠، فالعويند فالسبع الملقّات، وبلغت الرياض في مساء يوم ٢٠/٢/١٣٦١هـ.

الرحلة إلى القنص في روضة خريم:

أبلغت هيئة التدريس أمر جلالة الملك عن طريق رئيس الخاصة الملكية بالسفر إلى القنص عاجلاً وذلك يوم ٢٠/٢١، وأخذ الرسول يستعجل الهيئة حتى بدأت الرحلة آخذة طريقها إلى المخيم الملكي في روضة خريم فبلغته يوم ٢٢، وكانت قد ارتحلت من الرياض في مساء يوم ٢١.

التشرف بالسلام على جلالة الملك:

وفور وصولها سعت إلى سرادق جلالة الملك للسلام عليه، ثم أمرها جلالته قائلاً: (يستحسن أن تكون الدراسة ليلاً من الساعة الثانية إلى الرابعة غروبياً). كما أمر أن يكون مخيم المدرسة بالقرب من مخيم الأنجال، وقد كان ذلك.

بدء الدراسة في الروضة:

استؤنفت الدراسة يوم ٢٤/٢/١٣٦١هـ واستمرت حتى يوم ٦/٣/١٣٦١هـ، ونظرًا لعدم ملائمة وقت الدوام ليلاً وتغيب بعض الأنجال عرض المدرس الأول على جلالته أن يسمح بدوام الأمراء نهارًا لضمان المصلحة فوافق رحمه الله.

زيارة عابرة ودعم للمدرسة،

في صباح يوم ١٣٦١/٣/٧ هـ وقد حضر جميع الأنجال فوجئت المدرسة بصوت جلالته ينادي بأعلى صوته قائلاً: (يا الأخوان). فهرع لاستقباله المدرس الأول وتبعه الأساتذة ولمّا يبرح جلالته السيارة، وبعد السلام عليه أمر المدرس الأول بتطبيق نظام الدوام الذي رسمه جلالته، ومواخذة المتخلف بحجزه في المدرسة يومًا كاملاً، ثم استمر جلالته في سيره.

هبوب العاصفة:

في يوم ٢٣/٣ هبت على المخيم عاصفة هوجاء يصفها عضو الرحلة الأستاذ أحمد بن علي الكاظمي بقوله: (اشتد الهواء من الصباح، وأقبلت زوبعة استلأ الفضاء بها من الأرض إلى السماء، فلا أرض ولا سماء ولا خيام ولا أشجار، ولا أرى إلا إعصارًا هائلًا قادمًا نحونا، ووصلت طلائعه إلينا، وأخذت جوانب الخيمة تهتز وتلعب تكاد الخيام تتطاير، أعقب العاصفة مطر شديد، وسالت قباب الخيام بماء منهمر، وزادت الحلكة، فلا نجم يتلألأ ولا قمر يضيء، السماء مكفهرة، والمطر مستمر، لا ترى غير مصابيح الخيام. وفي يوم ٢٣ استمر المطر ليلة البارحة كلها).

وهكذا يستمر الأستاذ أحمد في وصف العاصفة وهطول الغيث. ثم يصف الطيور المغردة على رؤوس الشجيرات المزدهرة تنشد أناشيد الفرح والابتهاج في نغم شعري ساحر، ثم يختم وصفه ومخاطبته للطير بقوله: (فلتدم لكن هذه المناظر الخلابة، وليدم ابتهاجكن بها أيتها الطيور المغردة).

العودة إلى الرياض:

في صباح يوم ١٣٦١/٤/٢٠ هـ بدأت طلائع الركب الملكي تعود إلى الرياض، ونظرًا لأن المدرسة لم تحصل على سياراتها المطلوبة لم تحظ بأن

تكون في المعية، فلبثت في مقرها إلى حين صدور الأمر الملكي لرئيس الخاصة بضرورة ترحيل المدرسة فلا تمسي الليلة إلا في الرياض، عندئذٍ وُقِّرَ رئيس الخاصة للمدرسة كل أسباب الرحيل فبلغت الرياض في الصباح الباكر يوم ٢١/٤/١٣٦١هـ.

استئناف الدراسة:

بعد الفترة التي انقضت في القنص عاودت المدرسة نشاطها في القيام بواجبها بالرياض يوم ٢٣/٤/١٣٦١هـ، غير أن الدوام للأُنجال ما برح متوقفًا حتى يوم ٢٦ حيث تقاطر الأمراء إلى المدرسة، وسارت الدراسة كالعادة.

انتقال المدرسة إلى المربع:

المربع هو القصر الجديد الذي انتقل إليه جلالة الملك بعائلاته وأنجاله، ولقد كانت المدرسة في قصر الرياض في السكن الذي يسكنه جلالتهم، أما وقد تغير الوضع فقد أمر جلالتهم بانتقال المدرسة إلى قصر المربع، وبعث إليها رسولاً يُبلِّغها ذلك، وسارت الدراسة أمداً طويلاً إلى يوم ٢٤/٦/١٣٦١هـ، حيث ارتحل جلالتهم إلى الخارج مستصحباً أنجاله، ثم استؤنفت الدراسة بعد عودته.

مقابلة عابرة لجلالته:

في يوم ٦/٢٩ وبينما كانت الهيئة عائدة من المربع في سيارتها بعد أداء واجبها إذا بجلالته يخترق الطريق، فتراجعت الهيئة القهقري فلحظها جلالتهم، وأوماً إليها بالقرب منه، فانتهزت الهيئة الفرصة، وسلمت على جلالتهم بعد عودته من الخارج، وأعلمه المدرس الأول بتغييب الأمراء هذا اليوم فقال رحمه الله في تواضع العظماء وكأنه يعتذر: (إنني لم أبلغهم اليوم

بالحضور إليكم، ولكن سوف يحضرون غداً جميعاً إن شاء الله). رحمه الله كم له من مواقف تشجيعية للمدرسة، ودعم مستمر بمختلف الوسائل.

النشاط في ختم القرآن:

لم يخل هذا العام من نشاط لبعض الأمراء في ختم القرآن الكريم، ونظرًا لأن المدرسة كانت تزاوّل عملها في مسجد المربع لم يتسن لها إقامة احتفالها التقليدي بهذه المناسبة، فاستأذن المدرس الأول جلالة الملك في العودة إلى المدرسة في قصر الرياض لإقامة الحفل فأذن له، وأعلمت المدرسة ولي العهد بموعد الحفل إذا تهيأت له فرصة لحضوره تشجيعًا للأمراء وتقديرًا لجهود المدرسة، وقد كان ذلك فشرّف الحفل، وكان لنقل خطواته إليه الأثر الطيب في نفوس المعلمين والمتعلمين.

عدم الشعور بالمسؤولية:

عندما يتبدل الحسن لا يبقى في النفس شعور بالمسؤولية، يضرب لذلك مثلاً: لقد أمر جلالة الملك - رحمه الله - منذ أن انتقلت الدراسة إلى المربع بسيارة للأساتذة تنقلهم لأداء واجبهم، غير أن المسؤول في الكراج الملكي كثيرًا ما كان يهمل فتتأخر السيارة، وتضيع الفرصة على الطلبة في التعليم، وللمرة الثانية يجد الأساتذة جلالة الملك وجهًا لوجه عند نزوله من قصر المربع فأضفى عليهم - رحمه الله - من عطفه وحلمه، وقال لهم متبسّطًا: (نريد أن نحبسكم هذه هي المرة الثانية التي تتأخرون فيها على العيال). فلم يجد المدرس الأول بُدًا من مصارحه جلالته بالواقع، وأن التأخير خارج عن إرادتهم، فاستشاط غضبًا، والتفت وراءه لوزير المالية ورئيس الخاصة الملكية موجّها الخطاب إليه مُحمّلًا المسؤولية مدير الكراج متوعّدًا له بالعقوبة إن لم يبعث بسيارة المعلمين مبكرًا.

توقف الدراسة:

في يوم ٢١/٩/١٣٦١هـ أبلغ الأمير منصور - رحمه الله - أمر جلالة الملك هاتفياً للمدرسة بتوقف الدراسة مؤقتاً بمناسبة العشر الأخيرة من رمضان، وعليه فقد توقف خروج المدرسين إلى المربع. وبهذه المناسبة يُعلّق صاحب اللمحات أن دراسة الأمراء أنجال جلالة الملك لم يكن لها أمد محدود أو سنة دراسية تنتهي بانتهائها، فلقد بدأت هذا العام في الشهر الثاني في ٢٤ منه إلى أن أمر جلالة الملك بإيقافها يوم ٢١/٩/١٣٦١هـ. فهل بعد هذا الجهد للطلبة في الدراسة والإخلاص للمدرسين من جهد يمكن أن يبذل أو تضحية بالنسبة للمعلم والمتعلم تذكر فتشكر؟

التقرير السنوي عن المدرسة:

أجرت المدرسة للطلبة اختباراً على العادة تمهيداً لطلب الرخصة في العودة إلى الحجاز للإجازة، وألمح المدير في التقرير لموضوع الإجازة بأن السنة الدراسية قد انتهت، ورفع التقرير عن طريق رئيس الديوان، فأمره جلالتهم بالكتابة للمدرسة على لسان جلالتهم بممنونيته للمدرسة وتقديره لجهود المدرسين، ولم يأت في الخطاب ذكر للإجازة، بل أمر جلالتهم باستئناف الدراسة في شوال، واستؤنفت في يوم ٨/١٠/١٣٦١هـ.

طلب الإجازة في العودة إلى الحجاز:

نمى إلى علم هيئة التدريس أن جلالة الملك سوف يغادر الرياض إلى الخرج، فانتهمز المدرس الأول الفرصة لطلب الإجازة، وفعلاً ارتحل جلالتهم ولم تتلق الهيئة أية إجابة عن الإجازة، وأخيراً أخبر ولي العهد مدير المدرسة بموافقة جلالتهم على العودة، وأصدر أمره لرئيس الخاصة بإنجاز كل متطلبات السفر، إلا أن الهيئة فوجئت بأمر جلالة الملك عن طريق ولي العهد بضرورة استبقاء أحد المعلمين ليذاكر للأمراء دروسهم خشية أن يُعفى عليها النسيان.

كتابة خطاب لولي العهد:

كتب المدرس الأول لولي العهد أن ينقل إلى جلالة الملك ما يأتي: (إن دراسة الأنجال موكولة إليه وفي عهده وهو المسؤول عنها، ولا يطمئن بأن يبقى بعيداً عن هذا الواجب، وعليه فسوف يبقى بمفرده، ويرخص للأساتذة في العودة إلى الحجاز). وكان لهذا الخطاب وقع حسن لدى ولي العهد - رحمه الله - فأبرق لجلالة الملك بملخصه وورد الرد بالترخيص للمدير مع زملائه في السفر، ثم العودة إن شاء الله مع الشكر على تقديم مصلحة الأنجال على نفسه، وقد أمر سمو ولي العهد بإنجاز كل متطلبات السفر.

بدء العودة إلى الحجاز:

في أمسية يوم ٢٠/١٠/١٣٦١هـ بدأت الرحلة من الرياض وانتهت يوم ٢٣ منه في سهر متواصل ورحلة موفقة بفضل الله وكرمه، وعادت الهيئة إلى أم القرى بعد غيبة ثمانية أشهر عنها. ولا تعليق لصاحب اللمحات على رحلة الرياض هذا العام، فقد طال الحديث عنها، وشكر الله على فضله وكرمه وإحسانه وتوفيقه.

مدرسة الأمراء عام ١٣٦٢هـ

الأمر الملكي بالسفر إلى الرياض:

مهما طال الزمان وامتدت الأيام فلا مندوحة عن أداء الواجب وبذل التضحيات فيه والإخلاص في أدائه، خاصة إذا كان الواجب نشرًا للعلم واتساعاً لأبعاد المعرفة، ومن هذا المنطلق كانت هيئة التدريس لأنجال جلالة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - في حلّ وارتحال كل عام من مكة إلى الرياض، وقد بدأت رحلتها هذا العام حيث صدر الأمر الملكي في ٢/٤/١٣٦٢هـ على مدير المعارف بتهيئة سفر الهيئة فبدأت مراجعاتها للمالية في إنجاز متطلبات السفر، وغادرت مكة يوم ٢١ ربيع الأول ١٣٦٢هـ مرة

بالشرائع، وتوقفت في السيل لعطب في إحدى سيارتها، وأبرقت لوكيل وزارة المالية الذي كان يتابع سيرها ويسأل مراكز التفتيش عنها أبرق المدرس الأول للوكيل بالواقع فأسعفها بسيارة أخرى، ولم تكن الهيئة سعيدة بالسيارة الأخرى إذ كان يعتريها العطب، واستمرت الهيئة في السير مارة بعشيرة، فالمويه، ولم تخل مسيرتها من وقفات اضطرارية للعطب الذي كان يعرض للسيارات أو نفاد البنزين، وقطعت منطقة النفود دون عَنَبٍ ومتاعب وفي سرعة ملحوظة، ولم توقف مسيرتها حتى بلغت الرياض في مساء يوم ٢٩/٣/١٣٦٢هـ.

السلام على جلالة الملك:

كان جلالة الملك متغيّباً في الخروج يوم وصول الهيئة إلى الرياض، وتشرفت بالسلام عليه يوم وصوله في ٢١/٤.

السفر إلى القنص في روضة خريم:

بعد ثلاثة أيام من عودة جلالته من الخروج تحرك ركبته إلى روضة خريم، وتأخرت الهيئة عنه ريثما أعدت العدة، فبعث معها رئيس الخاصة الملكية دليلاً يوصلها إلى الروضة، ومع الأسف لم يكن الدليل خريّناً فَضَّلَ الطريق، وعندما أعيته الحيلة أشار بالرجعة فلم توافقه الهيئة بل لبثت حيث انتهى بها السير، فمرّت بها سيارة واستعلمت عن سبب الوقوف فأخبرتها بالواقع، وأرادت السيارة أن ترافقها الهيئة إلا أن غياب الدليل عنها للبحث عن مصلحتها حال دون تنفيذ الفكرة، وأخيراً جاء الله بالفرج، وجاء الإسعاف من المخيم الملكي فاستأنفت المسيرة معه، وفور وصولها إلى المخيم الملكي قصدت سراق جلالته الملك للسلام عليه، وأخذ يستعلم عن سبب التأخير، ثم التفت إلى المدرس الأول قائلاً: (اقرأ علينا شيئاً من القرآن). وانتهت المقابلة، وأمر جلالته بإعداد كل متطلبات المدرسة.

بدء الدراسة ثم العودة إلى الرياض،

ابتدأت الدراسة هذا العام في روضة خريم يوم الجمعة ١٨/٤/٦٢ نهائياً من الساعة الواحدة بالتوقيت الغروبي حتى الساعة والدقيقة (١٥)، واستمرت حتى يوم ٨/٥/١٣٦٢هـ إذ بعث جلالة الملك إلى المدرسة يأمرها بأخذ الأهبة للعودة إلى الرياض بصحبة ركب الأنجال والأسرة، وقد كان ذلك، وبدأت الرحلة من الروضة إلى الرياض فبلغته في مساء يوم ٩/٥/١٣٦٢هـ.

استئناف الدراسة في الرياض،

وفي يوم الأحد ١٢/٥ استؤنفت الدراسة، وسارت طبق المنهج المرسوم، وقد أقامت في أول فترة ابتداء الدراسة حفلها التقليدي بمناسبة ختم بعض الأمراء للقرآن الكريم وتوزيع الشهادات الابتدائية على المتخرجين من هذه المرحلة وذلك يوم ٧ شعبان ١٣٦٢هـ.

وصف الاحتفال،

يصف عضو هيئة التدريس الأستاذ أحمد بن علي الكاظمي هذا الاحتفال التقليدي الذي يتكرر كل عام فيقول: (وقفت ثلة من الشرطة عند مدخل المدرسة لأداء التحية العسكرية لولي العهد، وكان مجلس المدرسة الكبير قد ازدانت جدرانه بالمصورات الجغرافية للعالم، وأقيم مجلس ولي العهد في صدر القاعة وعلى يساره ويمينه صُفَّت الكراسي لجلوس الأمراء، وفي وسطها بالقرب من مجلس ولي العهد وُضِعَ مكتب كبير عليه الشهادات وضعت في إطار ومعها جائزة الأمير الخاتم للقرآن، وهي جائزة متواضعة عبارة عن قلم ذهبي وحقية داخلها دفاتر وأقلام مختلفة، وجوائز أخرى للطلاب غير الأمراء في الناحية الشرقية الشمالية. واصطف الطلبة صفًا واحدًا، وعند تشريف ولي العهد هزجت فرقة النشيد بنشيد الاستقبال، وكان في معية ولي العهد الأمير ناصر بن عبدالعزيز والأمير أحمد ابن الإمام عبدالرحمن ثم حضر الأمير

محمد بن سعود الكبير أثناء الاحتفال، ثم تقدم الأمير نايف بن عبدالعزيز وجلس على كرسي أمام ولي العهد وقرأ آخر حزب بقي عليه من سورة البقرة أعقبه الأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز وتلا شيئاً من دعاء ختم القرآن الكريم، وتبارى الأمراء من طلاب المدرسة لإلقاء كلمات بهذه المناسبة، وبعد الفراغ من الخطابة قدّم الشيخ عبدالله الشهادات لولي العهد لتوزيعها على المتخرجين، ثم أديرت المرطبات وكانت من شراب اللوز اللذيذ الطعم، وهزجت في هذه الأثناء فرقة الشيد بنشيد الدعاء لجلالة الملك، وغادر ولي العهد والأمراء القاعة تحوطهم الحفاوة. وكان مسك الختام شكر ولي العهد للمدرسة على ما رآه من نشاطها الملحوظ، وكتب الشيخ عبدالله خطاباً لجلالة الملك يقصُّ عليه خبر الاحتفال وما دار فيه، ورفع عن طريق الديوان فَوَرَدَ الرد الملكي بارتياح جلالته وممنونته من المدرسة.

مغادرة جلالة الملك الرياض إلى الخرج:

في يوم ٢٠/٨/١٣٦٢هـ غادر جلالة الملك الرياض إلى الخرج مستصحباً أنجاله، ثم ورد الأمر الملكي عن طريق رئيس الخاصة للمدرسة باستئناف الدراسة في الخرج على أن يكون ذلك عاجلاً، فواصلت هيئة التدريس جهودها لتهيئة نقل المدرسة وغادرت الرياض واستأنفت الدراسة في الخرج، ولبثت فيه خمسة أيام عادت بعدها إلى الرياض.

عطف ملكي كريم:

كان من عطف جلالة الملك - يرحمه الله - على هيئة تدريس أنجاله أن جعل لهم حظاً في الترفيه أيام الخرج حيث أمر لها بسيارة خاصة تنقلها في أمسية كل يوم للفسحة ومشاهدة عيون الخرج العظيمة والتسلية بمناظر الخرج الخلابة ومزارعه، فكانت لفتة كريمة، وكم لجلالته من عطف تفخر به، وكم لجلالته - يرحمه الله - على معلمي أنجاله من فضل سابغ - بعد الله - يذكرونه ويعتزون به.

امتداد فترة الدراسة:

مضى رمضان المبارك هذا العام والدراسة مستمرة، وقد أجرت المدرسة للطلبة الاختبار السنوي، وقَدَّم مدير المدرسة تقريره عن الدراسة والاختبار لجلالة الملك، ونظرًا لتأخير هيئة التدريس في أجازتها هذا العام فقد أمر جلالته باستئناف الدراسة بعد عيد الفطر، وأعلم الأنجال بقراره في أن عودة المدرسين هذا العام إلى الحجاز سوف تكون في معيته عندما يعتزم الحج.

الرحلة الملكية إلى الحجاز عام ١٣٦٢هـ:

في يوم ١٠/٢٠ غادر الركب الملكي الرياض إلى الحجاز ولبت هيئة التدريس، كما بقي الكثير من حاشية جلالتهم وذلك لقلة السيارات آنذاك.

وفي يوم ٢٤ منه وردت برقية جلالتهم على الكراج الملكي بترحيل هيئة التدريس، وكان في الكراج زميل للهيئة ناب عنها في استلام السيارة المخصصة لها فأخذت الهيئة تُعدُّ العدة للرحيل، وفي يوم ٢٦ خططت الخطوة الأولى وتبعتها الخطوات الأخرى في طريق الرياض - مكة، وفي مساء يوم ١١/٢/١٣٦٢هـ أُلقيت عصا التسيار بأَم القرى، ونَعِمَتْ بالبلد الأمين والوطن الغالي وَجَمَعَ الشمل بالأهل والولد بعد غيبة ثمانية شهور تقريبًا كان فيها الحلو والمر والشد والرحيل، وكل الدنيا شُدَّ ورحيل، وليست كلها وروداً ورياحين أو شَهْدًا سائغًا للشاربين، وإنما هي إلى جانب ذلك الصخور والجنادل التي يرتطم بها المرء فتعكر صفو عيشه، والحمد لله على حسن العاقبة.

واقع هيئة التدريس:

بعد مرور ست سنين من عمر مدرسة الأمراء أنجال جلالة الملك - يرحمه الله - انتقل أحد مؤسسيها والعُضد بعد الله في حزم أمر المدرسة مع

زملائه، إنه الأستاذ صالح إبراهيم الخزامي انتقل إلى عمل آخر في حقل التعليم أيضًا وهو معتمد المعارف بنجد ليكون مرجعًا وواسطة بين مديرية المعارف ومدارس نجد، ولقد رشحت مديرية المعارف لهذا العمل جملة من الشخصيات البارزة في حقل التعليم فكان الأستاذ صالح خزامي لامعًا بين المجموعة، الأمر الذي جعله يحوز ثقة المقام السامي فيصدر الأمر بالموافقة على ترشيحه. ولا يزكي صاحب اللمحات على الله أحدًا غير أنه وقد خبر الأستاذ صالح خزامي وزامله أمداً طويلاً، وعرف سابقته في التعليم وطول ممارسته له وتنقله في وظائفه، كان من حقه عليه أن لا يمانع في ترقيته بل يسعى لتحقيق رغبته للانتفاع به في مجال أوسع، وتحمل مسؤوليات أضخم وأعظم من مسؤولية مدرس في مدرسة، وإن كان لهذه المدرسة وزنها فحسبها أنها تضطلع بثقيف أنجال سيد الجزيرة وتعليم أبناء الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه ورفع درجاته في عليين.

وهكذا انطوت صفحة خدمات الأستاذ صالح خزامي من المدرسة، وحلَّ في عمله الأستاذ عبدالحميد الحامد خريج المعهد العلمي السعودي بمكة. وقد حدث في مرور السنوات الست تشكيلات في الأساتذة، فكان قوام المدرسة منذ تأسيسها المدرس الأول فالأستاذ صالح الخزامي فالأستاذ أحمد علي الكاظمي فالأستاذ علي حمام، ثم استبدل الأستاذ علي حمام بالأستاذ محمد نور المرشد ثم استبدل الأستاذ المرشد بالأستاذ محمد بناني واستبدل البناني بالأستاذ عبدالرحمن باحنشل، وبقي الوضع في هذا العام أي عام ١٣٦٢هـ بالنسبة للمدرسين على التوضيح المذكور.

مدرسة الأمراء عام ١٣٦٢هـ

السفر إلى الرياض:

عندما تبدأ الصبحوة بعد الاستغراق في النوم العميق يفاجأ المرء بالواقع، الواقع الذي لا مندوحة عن مواجهته، والأخذ بما يمليه والسير طبق الخطوات

التي التزمها المرء، والواجبات المفروض عليه حتمًا أن يقوم بها، ولقد كانت صحوه هيئة التدريس بعد قضاء فترة إجازته طويلة في الحجاز على الأمر الملكي في يوم ١٣/٣/١٣٦٣هـ على وزارة المالية بترحيل هيئة التدريس وإنجاز كل متطلبات سفرها، فأخذت المراجعات لوزارة المالية فترة طويلة نزولًا على الروتين حتى انقضى كل شيء وكل مصلحة للسفر.

بدء الرحلة:

عندما حان يوم الرحيل في ٢٦/٤/١٣٦٣هـ كانت الهيئة قد هيات الأسباب لاستصحاب العائلات معها هذا العام، وكان من حظّ العائلات أن تعاني بأطفالها ما عانته الهيئة في رحلاتها. يذكر صاحب اللمحات مما عانته العائلات السيل العظيم الذي اعترض الطريق فقطع خط السير بين السيل والشرائع، وانكسار ما يسمى بالعكس في السيارة (البكس) في المنطقة القفر بين عشيرة والمويه كاد يحدث منه انقلاب للسيارة لولا لطف الله ثم ركوب الجميع نساءً ورجالاً وأطفالاً في سيارة الحمل بعد تعطيل السيارة (البكس) إلى المويه، وهي مسافة هائلة أضنت الركاب، وأخيرًا المكث في المويه ثمانية أيام حتى نفذ الزاد المُعدُّ للرحلة مما اضطر إلى التقشف إلى أبعد الحدود.

استئناف الرحلة من المويه:

وفي يوم ٨/٥ استؤنفت الرحلة من المويه إلى الدفينة بعد أن وصلت السيارة المتعطلة، فعقّف فالقاعية فالدوامي فخف فالفنود حيث استمر فيه السير بعنف خشية انغراز السيارات في الرمل دون التفات لصرخات الأطفال وعناء النساء، فالمضطر يركب الصعب إلى أن بلغ الركب مرات وبعدها العويند فالعينينة فالجبيلة فالرياض، حيث كان الوصول إليه يوم ١١/٥/١٣٦٣هـ في رحلة مضيئة استغرقت خمسة عشر يومًا إذ كان بدء الرحلة يوم ٤/٢٦ وانتهت يوم ١١/٥/١٣٦٣هـ.

ماساة غريبة طريقة:

كان مما زاد الطين بلةً أيام انقطاع الهيئة في المويه أن سطا في الليل عدد من الحمير بالمشاركة مع الكلاب على أغلى ما كانت الهيئة تعتدُّ به وتدخره لأيام الرياض من طعام، وقد بُذِل في إعدادة بمكة عناء طويل للعائلات، أنه ما يسمى (بالمعمول)، ذلك الطعام اللذيذ يحتفظ به دون ثلاجة إلى أمد طويل، لم تبق منه الحمير والكلاب العادية ولا فُتات المائدة، وإلى جانبه البرتقال والجبن والخبز وكل ما كان في المتناول، فكانت الحسرة أولاً على هذا الزاد الذي يعد فاكهة في حين كانت الحاجة إليه ماسة خاصة في أيام المويه العجاف، وثانياً، لعدم استطاعة عمل مثله في الرياض لعدم توافر الإمكانيات والوسائل، وكم يعرض للمرء في أدوار حياته من محن تتلوّن وتعظم بنسبة وقعها وهول الصدمة بها، من أجل ذلك كان الصبر عدة للمسلم في كل شدة كما قال علي - رضي الله عنه - : وجدنا خير عيشنا بالصبر .

برقية مدير المدرسة لجلالة الملك:

عندما بلغت الهيئة الرياض كان جلالتة متغيّباً في القنص، فأبرق له المدير بوصول الهيئة وانتظار أمره، فتلقى الإجابة الكريمة بالبقاء في الرياض نظراً لقرب عودة جلالتة، وكان في ذلك راحة ورحمة للعائلات والأطفال وقضاء على البلبال الذي كان يداخل أعضاء الهيئة، إذ كيف يكون الصنيع لو ورد الأمر كالعادة باستئناف الرحلة إلى القنص؟ فلو تُرك الأطفال والنساء في الرياض دون قِيَمٍ لشق ذلك على الجميع، واستصحاب العائلات بالنسبة للهيئة غير ميسور ولا مقبول، ولم تطل إقامة جلالتة بالقنص بعد ذلك، ولدى عودته أمر باستئناف الدراسة وكان ذلك يوم ٢٠/٦/١٣٦٣هـ، ولم يتخلف عنها أحد من الطلبة .

الحفل التقليدي للمدرسة:

ما برحت المدرسة كلما ختم أحد الأمراء للقرآن الكريم تقيم حفلها التقليدي لهذه المناسبة، وقد وصفه في اللوحة السابقة عضو الهيئة الأستاذ أحمد علي الكاظمي. وفي يوم ١٣/٨/١٣٦٣هـ تكرر إقامة هذا الحفل بمناسبة ختم الأمير نواف بن عبدالعزيز، وشرف المدرسة في معية ولي العهد الأمير فيصل بن عبدالعزيز (جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز) - يرحمه الله - وعدد كثير من الأمراء الذين لم يسبق لهم حضور أمثال هذا الحفل، وعلى العادة تفضل جلالة الملك بكتاب شكر للمدرسة كان لها خير حافز لمضاعفة الجهود في الواجب.

طلب الإجازة:

في يوم ٢٦/١١/١٣٦٣هـ كتب المدرس الأول لجلالة الملك خطاباً يستأذنه فيه بالرخصة لإعادة العائلات إلى الحجاز، ثم العودة بعد الحج لمزاولة العمل، وكان الجواب أن بعث جلالتة أحد موظفي الديوان الملكي إلى دار الهيئة يبلغها بموافقة جلالتة في الإذن بالسفر إلى الحجاز ثم العودة بعد الحج مباشرة.

وفي اليوم نفسه اتصل بيس الخاصة الملكية بالمدرس الأول يقول له بالنص: (يقول جلالة الملك: كونوا على استعداد للسفر). وعليه أخذت الهيئة تحزم أمرها في تهيئة أسباب رحلتها، ثم بدأت الخطوة الأولى يوم ٢٩/١١/١٣٦٣هـ وسرعان ما بلغت أم القرى يوم ١/١٢/١٣٦٣هـ بعد رحلة موفقة قطعت المسافة فيها بين الرياض ومكة في ثلاثة أيام، وحمد الله سبحانه على تفضله في تيسير أمر العودة وطى الطريق الطويل الممل الذي كان كثيراً ما تعاني فيه الأمرين وأقرب إلى الأذهان عن متاعبه الانقطاع في المويه ثمانية أيام. وكان الوصول إلى البلد الأمين في يسر خير عزاء عما نال الهيئة في ارتحالها إلى الرياض في مستهل هذا العام، وهكذا لا يخلو

المُرُّ دائِمًا من حلو إلى جانبه والشدة من رخاء يضمد الجراح، فليست الدنيا كلها ورودًا ورياحين كما سبق أن ذكر صاحب اللمحات ذلك في اللمحة السابقة؛ وذلك لثلا يركن إليها فما هي إلا معبر لدار القرار، وحسب صاحب اللمحات هذه الفقرات تعليقًا على الرحلة عام ١٣٦٣هـ.

مدرسة الأمراء عام ١٣٦٤هـ

العودة إلى الرياض:

كان لزامًا على هيئة التدريس بعد إذ أمرها جلالة الملك بضرورة العودة إلى الرياض بعد الحج مباشرة كان لزامًا أن يكتب المدرس الأول لجلالته يوم ٢٣/١٢/١٣٦٣هـ باستعداد الهيئة للسفر إلى الرياض للقيام بواجبها، ثم أعقب ذلك قدوم جلالته مكة بعد الحج فتشرف المدرس الأول بالسلام عليه فأمره بأن تكون الهيئة على أتم الاستعداد للسفر في معية جلالته، وحدث أن غادر الركب الملكي مكة إلى جدة يوم ٦ صفر ١٣٦٤هـ ثم إلى جبل رضوى لمقابلة الملك فاروق في ١٠/٢/١٣٦٤هـ.

عودة جلالة الملك:

وفي ليلة السبت ٢٠/٢/١٣٦٤هـ عاد جلالته إلى مكة فتشرف المدرس الأول بالسلام على جلالته يوم ٢٢/٢ فسأله قائلاً: (هل أنتم مستعدون للسفر؟) وكان الجواب بالإيجاب إلا أن المالية لم توفر للمدرسة كل متطلباتها، فأمره بكتابة ما يريده من المالية، وأخذت الهيئة بعد ذلك توالي مراجعاتها فلم تُجِدِ المراجعات شيئًا مما اضطر المدرس للإبراق لجلالته يوم ١١/٤/١٣٦٤هـ فصدر أمر جلالته بضرورة إنجاز كل ما تطلبه المدرسة والمدرسون، وتم كل شيء وخُطت الهيئة خطوتها في الرحيل.

بدء الرحلة:

في يوم ١٥/٥/١٣٦٤هـ بدأت الرحلة إلى الرياض، واجتازت الهيئة

الشرائع فعشيرة فالمويه فبقية المراحل حتى بلغت الرياض في مساء يوم ١٣٦٤/٥/٢٣ هـ.

السفر إلى روضة خريم:

في ثاني يوم لوصول الهيئة إلى الرياض أبرق المدرس الأول لجلالة الملك في روضة خريم بالوصول إلى الرياض فتلقي الأمر الملكي بالرحيل إلى الروضة، وفي يوم ١٣٦٤/٥/٢٦ هـ استؤنفت الرحلة إلى الروضة في سيارات الجيش الكبيرة، ولم يكن لأعضاء هيئة التدريس خيار في أن يعتلوا صناديق الأدوات الدراسية لعدم وجود سيارة أخرى لركوبها.

ومنذ أن خطت الخطوة الأولى والغيث ينهمر مزارًا حتى سالت الشعاب وتغيرت معالم الطريق، وغدت السيارة وكأنها سفينة تمخر بركابها عباب البحر، وكم تعرضت للخطر إذ تهوي في حفرة فينقذها الله منها بلطفه ورحمته، وكانت ليلة ليلاء عانت فيها الهيئة الأمرين حتى بلغت المخيم الملكي بالروضة في الساعة الرابعة ليلاً فتنفست الصعداء، وحمدت الله سبحانه على سلامة الوصول، وقد نصب لها شراع مؤقت إلى الصباح ريثما تتم مقابلتها لجلالة الملك.

وفي الصباح وبعد التشرف بالسلام على جلالته أمر بإعداد كل متطلبات المدرسة، كما حدد موضع استقرارها، ثم استؤنفت الدراسة نهارًا كالعادة.

غزو حشرة الدبا للمخيم:

الدبا - بتشديد الدال وعدم تشديد الباء - صغار الجراد، وقد دأبت الدولة في مكافحته كلما ظهر في ناحية من نواحي المملكة، وفي يوم ١٣٦٤/٦/٩ هـ غزا المخيم الملكي في روضة خريم. ويقول صاحب اللمحات غزا ولم يعبر بتعبير آخر لأن تحركاته كتحركات الجيش في انتقاله من ناحية إلى أخرى، وفي نظام دقيق في هبوطه وصعوده، وكأن قائدًا أمامه يعطيه

الإشارات. لذلك يصف الأستاذ أحمد علي الكاظمي عضو الهيئة غزو الدبا للمخيم فيقول: (في ١٣٦٤/٦/٩ هـ هجمت أسراب الدبا على المخيم من ناحية الجنوب، وتقدمت نحونا ولم نعد نستريح داخل خيمتنا، فقد تراكمت عليها أسراب عظيمة منها، واكتنفها من كل جانب، وصارت الخيمة البيضاء من الداخل سوداء من كثرة تراكم الدبا عليها، وأخذ يتساقط علينا كتساقط المطر، والأرض كلها يدب عليها، وأطراف الخيمة مغطاة به، وأخذ يصعد في أعلاها، وأعيننا الحيلة في طرده فأخرجنا الأمتعة من الخيمة، ثم أخذنا نجمع كميات منه في علب من الورق، وكلما تجمعت كمية كبيرة دفناها في التراب، وقتلنا كثيراً منه بالنعل واشتركنا جميعاً في مكافحته حتى تمكنا من تطهير خيمة واحدة أوينا إليها، وما حان الليل إلا وقد عادت أسراب الدبا وتجمعت في ثنايا الخيمة وملأتها من الداخل).

الدراسة في روضة خريم:

استمرت الدراسة في روضة خريم يوم ١٣٦٤/٥/٢٨ هـ حتى قوض القنص خيامه بعد منتصف الشهر السادس من العام نفسه، ثم استؤنفت في الرياض يوم ١٣٦٤/٦/٢٨ هـ وسارت على وضعها كعادتها، وكان من نشاط المدرسة هذا العام ختم الأمير سلمان بن عبدالعزيز للقرآن الكريم يوم ١٢/٨/١٣٦٤ هـ، فأجرت المدرسة احتفالها التقليدي لهذه المناسبة، وحظيت بتشريف ولي العهد يصحبه الكثير من الأمراء، من بينهم الأمير خالد بن عبدالعزيز (الملك خالد) يرحمه الله، وانتهى الحفل كما ينتهي كل عام وكان مسك الختام كلمة الشكر التي وجهها ولي العهد لمدير المدرسة، والتي جاء فيها أن حالة الأمراء أحسن من كل عام، بالإضافة إلى خطاب الشكر من جلالة الملك - رحمه الله - كالعادة.

الركب الملكي إلى الحجاز:

في يوم ١٣٦٤/١٠/٢٣ هـ توجه الركب الملكي إلى الحجاز يصحبه

الأنجال والأسرة، ولبثت هيئة التدريس بالرياض دون عمل، فكاشف المدرس الأول ولي العهد بالواقع واستأذن سموه في عودة هيئة التدريس إلى الحجاز مع طلب الأمر لها بالسيارات المطلوبة فوافق سموه على الطلب، وعمد الكراج الملكي بتجهيز سيارة واحدة نظرًا لندرة السيارات آنذاك بالكراج.

بدء الرحلة:

في أمسية يوم ١٧/١١/١٣٦٤هـ بدأت الرحلة من الرياض إلى الجبيلة إلى أن بلغت النفود فاجتازته بصعوبة لكثرة انغراز السيارة في رماله، واستمرت المسيرة إلى عشيرة فالسيل الكبير فمكة، إذ أُنقِئت الهيئة فيها عصا التسيار يوم ٢٤/١١/١٣٦٤هـ، وعادت إلى مهبط الوحي بعد فترة ستة أشهر ونصف تقريبًا، فقد استأنفت رحلتها من الحجاز يوم ١٥/٥، وأنهاها يوم ٢٤/١١/١٣٦٤هـ.

مدرسة الأمراء عام ١٣٦٥هـ

مغادرة جلالة الملك الحجاز إلى الرياض:

في يوم ١٠/٢/١٣٦٥هـ تحرك الركب الملكي من الحجاز عائداً إلى الرياض، وقد تشرف المدرس الأول بالسلام على جلالته وتوديعه، فأمره بأخذ الأهبة والاستعداد للرحيل بعد عشرين يومًا من سفر جلالته، ومرت الأيام سراعًا وكان يوم ٢٨/٤/١٣٦٥هـ إذ وردت برقية من جلالته لمدير المدرسة يأمره بمراجعة وزير المالية في أمر ترحيل الهيئة إلى الرياض، وطالت فترة المراجعة جريًا على الروتين.

بدء الرحلة:

في يوم ٢٠/٥/١٣٦٥هـ كان الرحيل من مكة المكرمة إلى الشرائع فالسيل فعشيرة فالمويه فالدفينة فعفيف فالقاعية فالودامي فخف فمناطق

النفود الكأداء فمرات فالعويند فالجبيلة فالسبع الملفات فالعينة فالرياض، حيث كان الوصول إليه في مساء ١٣٦٥/٦/٥ هـ بعد رحلة لم تُخل من متاعب وصعاب تجرعت هيئة التدريس غصصها، تبث أثناء الرحلة أو تقيل حسب الظروف، وعند الصباح يحمد القوم السُرى، وإذا كانت العاقبة حميدة والصبر عدة فلا يبقى للشدائد من عواقب.

استثناء الدراسة:

بعد السلام على جلالة الملك أمر باستثناء الدراسة، إلا أنه حدث تعديل في الوضع بالنسبة للطلبة الذين بلغوا الأشد وكان يعترهم الخجل لمرورهم بمكاتب الديوان الملكي في طريقهم إلى المدرسة في مقرها بالناحية الغربية من القصر، فرأى جلالتهم أن يخصص المدرس الأول لهذا القسم الذي بلغ الأشد مُعلِّماً يتولى تدريسهم في قصر المربع دون دخوله إلى المدرسة في قصر الرياض، ونظراً لأن هذا الوضع لا تتوافر فيه المصلحة لأن كل مدرس يقوم بواجبه في حدود اختصاصه اقترح المدير تعديل زمن الدوام؛ فيبدأ في مدرسة قصر الرياض من الساعة الواحدة بالتوقيت الغربي إلى الساعة الرابعة نهاراً، ثم يبدأ الدوام الآخر من بعد الظهر إلى العصر في قصر المربع يخرج فيه المدرسون جميعاً لأداء الواجب كاملاً، وبذلك تضمن هيئة التدريس مصلحة جميع الأمراء، فتفضل جلالتهم بالموافقة على هذا الاقتراح الذي جمع بين مصلحة الطلاب وأداء المدرسة واجبها كاملاً، إلا أنه مع الأسف الشديد كثيراً ما كانت هيئة التدريس تتعثر في الوصول إلى أداء واجبها الحريصة عليه كل الحرص لعدم شعور الكراج بمسؤوليته في بعث وسيلة النقل للهيئة في المواعيد المحددة، الأمر الذي أدى إلى اختلال دوام الأمراء، إذ ليس من المعقول أن يستمر المتعلم فترة طويلة في انتظار معلمه، وقد يحضر متأخراً فتفوت فرصة تطبيق الجدول وقد لا يحضر، وانقضت الشهور بإشراق هلال رمضان المبارك، ورمضان - بحكم وضعه - شهر عبادة لا يُزاحم بشيء آخر، ولقد كان السلف رضوان الله عليهم يتفرغون فيه لتلاوة القرآن، وكان العلماء في سالف عهدهم يتركون

حلقات التدريس ويتفرغون للقرآن؛ لذا كان للأنجال ممن بلغ الأشد أسوة بسلفهم في التفرغ لتلاوة القرآن في بيوتهم، واقتصرت الدراسة على الطلبة الذي يدرسون في قصر الرياض.

ثقة ملكية كريمة:

لم تقف ثقة جلالة الملك - يرحمه الله - بمدير مدرسة أنجاله عند حد تسليمه أمانة تثقيف أنجاله وارتباده لهم الطريق السليم السديد الذي تتحقق فيه المصلحة التعليمية، بل تجاوزت الثقة هذا الإطار حيث كان - يرحمه الله - يهيئ معلم أنجاله لمسؤولية أوسع وأعظم من مسؤولية إدارة مدرسة في إطار محدود، ففي يوم ١٨/٧/١٣٦٥ هـ استدعى الشيخ فؤاد حمزة مدير المدرسة وأخذ يوجه إليه أسئلة غريبة توحى بأن وراءها أمراً يُدبر أو خطة قد تكون في غير صالح المدير، وأول ما يتبادر إلى المرء عندما يفاجأ بأمر لم يقع في حساباته إساءة الظن، ولقد كان من بين سيل الأسئلة ما يأتي: (١) كم عدد فصول المدرسة؟ (٢) كم عدد الأمراء والمعلمين؟ (٣) هل للمدرسة معاون يقوم مقامك في غيابك؟ (٤) ما هي العلوم التي درستوها والمدارس التي تخرجت منها؟ (٥) ماذا قرأت في السياسة؟ وانتهى سيل الأسئلة بأن رغب الشيخ فؤاد حمزة من المدير في كتابة العلوم التي درّسها ثم يبعث بها إلى الشيخ رشدي ملحق، وقبل أن يغادر المدير مقعده في الشعبة السياسية رغب إلى الشيخ فؤاد حمزة في أن يكشف عن باعث هذه الأسئلة، وأعلمه أنه لم يكن جديداً على التعليم أو حتى على الإدارة فيه، ولقد اختارته مديرية المعارف وقدمت لجلالة الملك تقريراً ضافياً عن حياته وحصيلته العلمية وكل شي يتعلق به، الأمر الثاني أنه لم يكن فاشلاً في إدارة مدرسة الأمراء، بل على العكس كان ناجحاً تشهد بنجاحه الخطوات التي مرت بها المدرسة طوال عشر سنين تقريباً، وتقارير المفتشين الذي كثيراً ما كان يبعثهم لجلالة الملك ومن بينهم سعادتك، فهذا عليه الشيخ

فؤاد حمزة وقال فيما قاله: لا تذهب الظنون بك بعيداً عن الواقع، كل ما في الأمر أن جلالة الملك يرغب في أن يسند إليك عملاً أكبر من عملك ويقول جلالته: (لا يصلح لهذا العمل إلا عبدالله خياط) فأجابه المدير على الفور: إنني مع تقديري لجلالة الملك على حسن ظنه بي وعطفه علي ورعايته لمكانتي وثقته الغالية بشخصي أرجو أن ترفعوا لجلالته أن مسلكي هو العلم والتعليم، ولا أفضل عليه أي عمل. ولا أرغب في غيره. وانتهى الحديث عند هذا الحد، وغادر المدير الشعبة وهو يضرب الأخماس في الأسداس، واستولت عليه الأفكار التي لا ساحل لها ولا قرار، فلجأ إلى الله أن يخرج من بلبانه وهو القائل: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾. وكان ما عوده الله به من عوائده الجميلة فلم يُغَيَّرْ عليه في عمله بل استمر التأييد الملكي له والدعم للمدرسة وكأنه لم يحدث شيء.

الحفل التقليدي:

أقامت المدرسة يوم ١٧/١٠/١٣٦٥هـ حفلها التقليدي بمناسبة ختم الأمير فواز بن عبدالعزيز للقرآن الكريم وحضره ولي العهد ووزع الجوائز وألقيت أمامه الخطب المناسبة، وحظيت المدرسة بخطاب شكر من جلالة الملك تشجيعاً وتقديراً لها.

الاختبار النهائي:

في يوم ٣٠/١٠/١٣٦٥هـ أجرت المدرسة للأمرء الذين يدرسون في قصر المربع اختبارها السنوي، وقدمت لهم النتائج في شهادات داخلية، وعندما رفعوها إلى والدهم أعلموه بأن السنة الدراسية قد انتهت، وكان ذلك فاتحة أمر الإجازة بالنسبة لهيئة التدريس، وقد كان ذلك حيث كتب مدير المدرسة لجلالة الملك بطلب الإجازة فقال له جلالته: (أنتم على البال، وسوف أعتمد الطبيشي سفركم). وأخيراً غادر جلالته الرياض فراجع المدير ولي العهد معقباً على أمر جلالة الملك فأمره سموه بكل ما يتطلبه سفر

الهيئة إلى الحجاز، وغادرت الرياض يوم ٢٠/١١/١٣٦٥هـ وبلغت أم القرى يوم ٢٦ منه، وكان التوفيق حليفها في الرحلة، وكم لله على العباد من نعم من حقها المزيد من الشكر تقديرًا لعظم المنة.

أما التعليق على الرحلة هذا العام فأبرزه الثقة الملكية الكريمة التي لصاحب اللامحات والذي ترجمت عنها السطور آنفة الذكر في هذه اللوحة، والذي أقل ما يقال عنها: إنها حسن ظن كبير من رجل عظيم له وزنه، ثم الموافقة الملكية على اقتراح المدرس الأول بالنسبة لأداء هيئة التدريس واجبها مجتمعة، كل في حدود اختصاصه الأمر الذي ضمن مصلحة المدرسة، وحقق رغبة الأمراء الكبار في عدم غشيان مدرسة قصر الرياض.

وكل ذلك وغيره مما قطعت به المدرسة العام سواء ما كان يتصل برحلة مكة والرياض، أو ما يتصل بالواجب التعليمي، كل ذلك من فضل الله وتوفيقه وتسديده وعونه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾. نسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه.

مدرسة الأمراء عام ١٣٦٦هـ

الارتحال إلى الرياض:

الارتحال الدائم في دنيا الناس الذي يُترجم عنه بالنقلة من دار إلى دار أو من بلد إلى آخر هو ارتحال مُصَغَّر يُدْكَرُنا دائماً بالارتحال الحتمي الذي لا مفر منه ولا مندوحة عنه، إنه الارتحال إلى دار البقاء لكل من عاش على الغبراء، وإن هيئة التدريس لمدرسة الأمراء لم يغب عنها يوماً في ارتحالاتها المتكررة كل عام واقع الارتحال الحتمي، وهو عزائها في كل ما صادفته في رحلاتها من متاعب ومصاعب تمضي فيها إلى نهاية الشوط، عزائها حيث لا نصب فيه ولا وصب. هذه مقدمة يكتبها صاحب اللامحات بمناسبة ارتحال الهيئة إلى الرياض عام ١٣٦٦هـ بعد أن طوت فترة إجازتها وكانت تظن أن لا رحلة بعدها، ففي يوم ٢٦/٥/١٣٦٦هـ ورد إلى وزير المالية أمر

برقي من جلالة الملك بترحيل هيئة التدريس إلى الرياض، وبعد المراجعات المتكررة انتهى الأمر بإنجاز كل متطلبات المدرسة، ومنها وضع سيارة نقل تحت تصرف الهيئة، وأمر على المطار بالإركاب في الطائرة إلى الرياض، وكان قد انضم إلى هيئة التدريس خلفاً للأستاذ عبدالرحمن باحنشل الأستاذ عبدالجليل العقاد خريج المعهد العلمي. وأخذت السيارة طريقها إلى الرياض مع القادم ونزلت الهيئة إلى جدة في أحد الفنادق انتظاراً لتحديد موعد قيام الطائرة وذلك يوم ١٣/٦/١٣٦٦هـ، ولبثت في الفندق إلى يوم ١٥/٦ حيث أشعرها المطار بقيام طائرة في صباح يوم ٢٠ منه، وما حان الموعد إلا والهيئة على متن الطائرة، وكانت الطائرة ملكية تُقَلُّ الرئيس رشيد عالي الكيلاني، وليس فيها من الركاب غير ثمانية، ومع الراحة التامة والعناية التي صادفتها الهيئة كان القلق يتتاب بعض أعضائها كلما تصور أنه بين السماء والأرض، وأن غلطة من الطيار أو وقفة لأحد المحركات تأتي بالكارثة، ثم يعود فيُعَلِّل النفس بالأمل بسلامة الوصول، وكل الحياة آمال، يعلل المرء نفسه ببلوغها كما قال الشاعر:

أُعَلِّلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبُهَا مَا أَضِيقَ الْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ الْأَمَلِ
وكان صاحب اللمحات يعزي نفسه وي طرح البلبال عنه بتلاوة القرآن، وهل في غير القرآن من عزاء في مُرِّ الْبَلَاءِ ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

ومع هدوء نفسه بالذكر إلا أن جسمه كثيراً ما كان يضطرب لنوبات الدوار التي كانت تزعجه فيسعه الأستاذ أحمد علي الكاظمي بأنبوبة احتبس فيها مادة النشادر فيرتاح نسبياً، وعلى الرغم من أن الطائرة كانت تسير في غاية الاعتدال إلا أنها عندما وازنت منطقة النفود أخذت تميل يمنة ويسرة وتعلو مرة وتهبط أخرى. يصف الأستاذ أحمد علي هذه الحركات بقوله: (وكل ذلك بهدوء مثل الزورق البخاري إذا ابتعد عن الساحل ووصل العمق الكبير من البحر). واستمر الأستاذ الكاظمي في وصفه فقال: (ومرت ساعة

وثانية وثالثة ونحن بين الأرض والسماء، ولم نعلم أننا وصلنا إلا بعد وقوف المحركات وفتح باب الطائرة).

وعند الوصول إلى المطار كان رئيس الخاصة الملكية ضمن مستقبلي الرئيس رشيد عالي، والتفت رئيس الخاصة إلى هيئة التدريس وكلف من يُنزلها بدار الضيافة إلى حين وصول سيارات النقل، وكان الوصول إلى مطار الرياض يوم ١٣٦٦/٦/٢٠ هـ.

السلام على جلالة الملك:

بعد صلاة العصر تشرفت الهيئة بالسلام على جلالة الملك وكان المجلس غاصاً بالناس فالتفت جلالتة إلى المدرس الأول وأمره أن يتلو شيئاً من القرآن، ثم استدنى مجلسه وأخذ يسأله عن الرحلة والوصول، وأكد الأمر بنزول الهيئة في الضيافة ريثما تصل السيارة، ولبت الهيئة بالضيافة يوماً وليلة ثم انتقلت إلى دارها.

استئناف الدراسة:

استؤنفت الدراسة كالعادة منذ يوم ٦/٢٥، وبقيت على وضعها غير أنها اقتصرت على الأمراء الذي يغشون المدرسة في قصر الرياض نظراً لأن جلالتة - يرحمه الله - أذن للأمراء الكبار الذي بلغوا الأشد وحان موعد زواجهم أذن لهم في مغادرة مقاعد الدراسة؛ لأنهم قد أمضوا في المدرسة بعد حصولهم على الشهادة الابتدائية فترة طويلة، وهذا هو الفوج الثاني من الأمراء الذين تخرجوا في المدرسة، وانتظم غيرهم في حقل الدراسة وهم الأمراء عبدالإله وسطام وأحمد وهذلول.

واقع مدرسة الأمراء أنجال جلالة الملك عبدالعزيز:

تقدم في موضع سابق أن ولي العهد الملك سعود - يرحمه الله - ورّع الشهادات الابتدائية على الأمراء المتخرجين.

وبهذه المناسبة كان لزاماً من الكشف عن واقع هذه الشهادات، إنها ابتدائية في عُرف نظام التدريس، ولكنها في واقعها ترتفع كثيراً عن مستوى الابتدائية بمراحل، ذلك أن المنهج الذي وضع للمدرسة لم يكن ابتدائياً يسير طبق مقررات المنهج الابتدائي، بل هو أرفع بكثير منه، ففيه الكثير من مواد المنهج الثانوي وبعض من المنهج العالي، لم يكن في المنهج الابتدائي مادة اللغة الإنجليزية، ولا إلماعة عن الأدب العربي، ولا الخطوات الواسعة في اللغة العربية والتاريخ الإسلامي ولا غير ذلك مما كان مقرراً في منهج مدرسة الأمراء الذي رسمه بأمر جلالة الملك مدير المعارف العام بالاشتراك مع رئيس الشعبة السياسية الشيخ يوسف ياسين، ولنضرب لمنهج الأمراء مثلاً بالمقررات في المواد الآتية:

- (١) العقيدة: كتاب كشف الشبهات ولمعة الاعتقاد فكتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد.
- (٢) الفقه: عمدة الفقه مع أبواب من كتاب الروض المربع.
- (٣) التفسير: تفسير ابن كثير لبعض آيات الأحكام.
- (٤) الحديث: بلوغ المرام متناً مع كتاب رياض الصالحين.
- (٥) التاريخ الإسلامي: سيرة ابن هشام، الخلفاء الراشدون، والأمويون والعباسيون.

وقس على ذلك المقررات في المواد الأخرى، ولذلك كان جلالة الملك - يرحمه الله - كثيراً ما يتوعد أنجاله كلما بدر من أحدهم الزهر والغرور بحصيلته العلمية يتوعدهم بقوله: (أنا لا أصدق كل هذا حتى أحضر بنفسني إلى المدرسة وأحضر معي الكتب الكبار فأسألكم عن المسائل الصعبة)، ويقول أيضاً: (سوف أحضر لكم المشايخ الكبار يسألونكم عن المسائل الصعبة الكثيرة). ولم يكن ذلك إلا عن دراسة واسعة الأبعاد لا تقتصر على المقررات الابتدائية، إذن لم تكن الشهادة الابتدائية كجواز سفر

من المدرسة، وإنما كان جواز السفر من المدرسة هو الزواج، يدخلها الطالب منذ نعومة أظفاره ويتدرج في حقل التعليم حتى يحين يوم زواجه، وعندئذ يغادر المدرسة وقد كسب حصيلة علمية أقل ما يقال عنها: إنها فوق المستوى الثانوي بكثير، وإن لم تكن في كل العلوم والفنون؛ إذن فقول بعض الناس: إن مدرسة الأمراء لم تنتج غير طلاب في المرحلة الابتدائية قول مجانب للواقع والحقيقة.

وإن من حق كل متخرج من مدرسة الأمراء أنجال جلالة الملك عبدالعزيز أن لا يدور بخلده أنه لا يحمل غير الشهادة الابتدائية؛ فذلك غمط لحقه وإهدار لحصيلته العلمية والجهود العظيمة التي بذلها بين غرف الدراسة سنوات طويلة مديدة منذ نعومة أظفاره إلى أن بلغ مبلغ الرجال، وهبوط أيضًا بمستوى المدرسة التي كانت تنتج إنتاجًا عظيمًا كونت به رجالًا أصبحوا في مستوى المسؤوليات العظيمة. هذه كلمة كان لزامًا للمسؤول الأول في مدرسة الأمراء تسطيرها لتقرير الواقع، ولتدخل في إطار هذه اللوحات التي غنيت عناية خاصة بكل الأدوار التي قطعتها في حياتها مدرسة الأمراء، وسجلت الكثير من نشاطها في مناسبات مختلفة، والكثير أيضًا عن تحصيل الأمراء وعناية والدهم - يرحمه الله - بتوجيههم إلى العلم وتثقيفهم ثقافة يحرزون بها سعادة الدارين، رحم الله الملك عبدالعزيز ورفع درجاته في عليين. وإنا ونحن في آخر هذا الشهر المبارك رمضان نضرب إلى الله سبحانه أن يستجيب فيه دعاءنا ويكرمه فيما يكرم به عباده الصالحين لقاء ما قدم للأمة عامة ولأنجاله خاصة من خير سابغ، وأن يرحم من لحق به من أنجاله الملك سعود والملك فيصل والملك خالد، ويحفظ للأمة من حمل الأمانة بعدهم جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز، وأن يمد في عمره وبقي للأمة آل سعود الغر الميامين عضوًا للدولة وسياجًا منيفًا للإسلام والمسلمين إنه أكرم مسؤول.

مغادرة جلالة الملك الرياض إلى الأحساء عام ١٣٦٦هـ:

في يوم ١٠/١٠ غادر جلالة الملك - يرحمه الله - الرياض إلى الأحساء مستصبحاً معه الأنجال بما فيهم طلاب المدرسة، وعليه فقد توقفت الدراسة وقد كانت منتظمة منذ يوم ٦/٢٥ حتى يوم ٩/٢٦، ومضى شوال وهلاً هلال شهر القعدة وهيئة التدريس على أمل عودة جلالة الملك لاستئناف الدراسة.

طلب الإجازة:

ولما طال أمد الانتظار كتب المدرس الأول لجلالته في الأحساء يوم ١١/٤ يطلب الإذن في العودة إلى الحجاز، فتفضل جلالته بإجابة الطلب، وأحال موضوع الترحيل إلى ولي العهد، ولم يمض طويل أمد إلا والأمر في متناول الهيئة بسيارة لحمل أدوات المدرسة وإركاب الأساتذة بالطائرة، وحزم الأساتذة الأمر ورحلوا السيارة مع أحد الخدم إلى مكة، ولبثوا في مراجعة المطار أياماً، ولعدم وجود سيارات أجرة تقلهم إلى المطار يومياً للمراجعة عكفوا في خيام المطار حتى نفذ زادهم، وعادت عليهم أيام المويه العجاف التي مرَّ ذكرها في إحدى الرحلات، وكانت طيارات البريد ترد من الظهران محملة بالحجاج، ومرت الأيام وطال الانتظار حتى جاء الله بالفرج وحدث أن الأمير خالد بن عبدالعزيز (الملك خالد) - يرحمه الله - والأمير منصور بن عبدالعزيز كانا يعتزمان السفر إلى الحجاز، فعرض مدير المدرسة على الأمير منصور الواقع وطول الانتظار في المطار دون أمل، فوعد - يرحمه الله - خيراً، وبعد أن ركب جميع مرافقي الأميرين استدعى سموه هيئة التدريس وأركبها في مقاعد أخلى منها خُدَمَه، وحقق الله الأمل، وكم لله من عوائد جميلة وفرج بعد الضيق ورخاء بعد الشدة وصدق الله إذ يقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ووصلت الطائرة جدة في رحلة موفقة، وبلغت هيئة التدريس مكة في يوم ١٢/٧/١٣٦٦ هـ وكانت أم القرى غاصة بالحجيج.

أما التعليق على الرحلة هذا العام، فيتلخص فيما يأتي:

- ١ - السطور التي كتبت عن واقع المدرسة إذ قد أوضحت الكثير عنها وتحدثت عن ماضيها وحاضرها.
- ٢ - تخريج الفوج الثاني من الأمراء وحلول غيرهم، وذلك ما يوحى بامتداد عمر المدرسة ونشاطها الملحوظ.
- ٣ - تعطيل الدراسة شهرًا كاملاً، وتلك بادرة ليس لها سابقة طوال عهود المدرسة.

وكل ذلك مما يعطي الصورة الواضحة عن المدرسة وتضحيات هيئة التدريس وإخلاصها في القيام بواجبها لأبعد ما يمكن أن يقوم به موظف في أي مجال من المجالات، وذلك من توفيق الله ومدده وعونه المتتابع، وهو سبحانه الحسيب ونعم الوكيل.

مدرسة الأمراء عام ١٣٦٧هـ

العودة إلى الرياض:

وقفة التوديع وقفة مثيرة تستثير الأحزان وتهيج الأشجان، إنها وقفة توديع بُنَيَاتٍ في عمر الزهور اجتمعن في سيارة والدهن صاحب اللمحات يوم الرحيل إلى الرياض، إذ قد وردت برقية من رئيس الديوان الملكي للمدرس الأول يوم ٢٥/٣/١٣٦٧هـ بالسفر إلى الرياض. يصف الأستاذ أحمد علي الكاظمي المدير المساعد للمدرسة وقفة التوديع فيقول: كم كان منظر الأطفال بنات الشيخ عبدالله الصغيريات مؤثراً حينما أخرجناهن من السيارة ليرجعن إلى الدارة وعيونهن ملأى بالدموع، ثم بقيت صُغَراهن على بُعدٍ من السيارة وهي تبكي، فأراد والدها أن يهدئ عليها فذهب إليها فظنت المسكينة أنه جاء ليضربها لبكائها فهربت وهي تبكي إلى الدار، وقد أثرت هذه المناظر في نفس الشيخ عبدالله أثراً كبيراً.

مشيناها خطى كُتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها
بدء الرحلة:

بدأ الدور الأول بمراجعة النيابة العامة حيث قد صدر الأمر الملكي عليها، وبقيت معاملة الترحيل لديها حتى يوم ٣/١٤ ثم أُحيلت إلى المالية بصورة مستعجلة ولبثت فيها من يوم ٣/٥ حتى ٤/٢٣ ثم أُنجزت الطلبات وصدر الأمر للهيئة بالسفر على الطائرة مع سيارة للحمل.

لا يلدغ المرء من حجر مرتين:

نظراً لما عانته هيئة التدريس في عودتها من الرياض والمتاعب التي صادفتها والعكوف في مطار الرياض آنذاك على شطف العيش أياماً فقد قرر مدير المدرسة ومساعداه الأستاذ أحمد علي الكاظمي السفر على السيارة مهما كان في ركوبها من عناء أخذاً بقول القائل: (أتعب جسمي ولا تتعب قلبي).

وفي أمسية يوم ١٢/٥/١٣٦٧هـ أخذت السيارة طريقها نحو السيل الكبير فعشيرة فالمويه فالدفينة فعفيف فالقاعية فالدوادمي فخف فمنطقة النفود الصعبة، وبلغت الهيئة مرات يوم ٥/١٥، ولبثت فيها لخلوها من البنزين فترة، ثم استأنفت الرحلة إلى العيينة فالجيلة فالرياض حيث وصلت إليها يوم ٥/٢١ بعد رحلة استغرقت ثمانية أيام في شد وارتحال ومقيل ومبيت.

السلام على جلالة الملك:

وفي صباح يوم ٥/٢٢ تشرفت بالسلام على جلالة الملك فأبدى رحمه الله رغبته في سماع شي من القرآن من مدير المدرسة، ثم أمر باستئناف الدراسة فاستؤنفت يوم ٥/٢٥، واستمرت قائمة على منهجها ووضعها في دوام طلابها حتى ٦/١١/١٣٦٧هـ، وقد أجرت المدرسة للطلاب الاختبار النهائي، ورفعت نتائجه إلى جلالة الملك.

الرحلة الملكية إلى الحجاز:

في صباح يوم ٨ / ١١ / ١٣٦٧هـ ارتحل جلالة الملك بالطائرة من الرياض إلى مطار الحوية، أما هيئة التدريس فقد طلبت الإذن في العودة إلى الحجاز من ولي العهد فلبى الرغبة، وبدأت المراجعات في إنجاز مطالب السفر أياماً، وفي يوم ١٩ / ١١ أحضرت سيارة الحمل بعد لأي ووضعت فيها حمولتها وبدأت الرحلة، أما الهيئة فقد لبثت في انتظار الرحيل بالطائرة، ولم تكن سعيدة بهذا اللبث إذ عادت إلى اللف والدوران مع المسؤولين في المطار، وفي كل يوم وعود لم تتحقق، وكانت الطائرة تغادر مطار الرياض دون أن يكون للهيئة حظوة السفر فيها، وقد أضحت دارها خاوية من كل إثبات، ومن أعضائها من كان يستأجر داراً لأهله مدة إقامته في الرياض فسلمها لصاحبها ولم يبق أمامه إلا السفر أو الضياع بعياله، وكم جرى المسكين وصاح وأبدى من الاستعطاف لضابط المطار لعله يرحم أهله وعياله فلم يُجد ذلك والناس في المطار من الركاب وغيرهم ينظرون إليه نظرهم إلى شيء غير طبيعي، ولكن المسكين مضطراً والمضطر يركب الصعب. وعندما أعييت الهيئة الحيل وأوصدت الأبواب أمامها تحركت الشهامة في نفس رجلين أحدهما رئيس بلدية الرياض الشيخ أحمد خليفة - يرحمه الله - فعرض على بعض الهيئة أن يستضيفهم في داره ريثما يتقرر يوم الرحيل، أما الرجل الآخر فهو الأخ عبدالقادر جزار مأمور مطار الرياض فقد استضاف عضو الرحلة الأستاذ عبدالجيل العقاد بأهله، وكانت نفحة إنقاذ سخرها الله سبحانه.

تحقيق الأمل:

وأخيراً وبعد أن أمضت الهيئة بضعة أيام في ضيافة الرجلين الكريمين أجرى الشيخ أحمد خليفة اتصالاً مع الشيخ عبدالله بلخير وكان الرجل الأول في ديوان سمو الأمير سلطان بإمارة الرياض، عرض فيه الشيخ خليفة

موضوع تعثر هيئة التدريس في سفرهم إلى مكة فوعد الشيخ بلخير خيراً، ومن فضل الله وكرمه ولا أقول: من حسن الصدفة؛ لأن الأمر كله لله يدبره كيف يشاء، وإن كان للصدفة في بعض الظروف المتعمدة أثر في انفساح الأمل أقول: من كرم الله أن يسر طائفة ملكية تشق طريقها من حائل إلى الرياض وهي على وشك الوصول، وبعد العرض على سمو الأمير سلطان لم يترك أساتذته نهباً للقلق يأخذ بهم البلبال كل مذهب فوعد وعداً جازماً قائلاً: (إنهم سيتوجهون إن شاء الله في هذه الطائفة وإنهم يعتبرون من ركبائها). وكانت مفاجأة سارة للهيئة فتحت أمامها باب الأمل بعد أن لم يكن لها منها بصيص، وما أن سمع الأخ الكريم الشيخ عبدالله بلخير هذا الوعد حتى طار فرحاً، وسعى إلى دار الشيخ أحمد خليفة بالبشارة مستصحباً معه ما يلزم من ضيافة الهيئة ليسهم بقدر في تكريم محبيه وكما يقولون مستصحباً ذبيحة وتوابعها، وكم في الناس من أكرمين يكشف عنهم الزمان فيسعدون بالثناء وجزيل الدعاء.

عطف ولي العهد (يرحمه الله):

في أمسية يوم ١٢/٢/١٣٦٧هـ تحدث الأمير سلطان هاتفياً مع مدير برق الرياض وبريده الأستاذ عبدالحميد عقاد وأبلغه أمر سمو ولي العهد بشأن الطائفة الملكية، وكلف المدير أن يتولى أمر إبلاغ الجهة المختصة بأن لا يركب الطائفة غير معلمي مدرسة الأمراء ومدير الشرطة، وكان عطفاً كريماً من سموه يوحى بالتقدير والرعاية لمعلمي إخوانه، وفي صباح يوم ١٢/٢/١٣٦٧هـ وبعد صلاة الفجر وقبل طلوع الشمس أخذت هيئة التدريس طريقها إلى المطار بصحبة مضيفها الشيخ أحمد خليفة - يرحمه الله - وفي سيارته، وما برح القلق يساورها إذ إنها ربطت الحاضر بالماضي، فكم وعود تكررت دون جدوى.

غير أن هذا الأمر الأخير كان له وزنه وقيمته، إذ هو من شخصيتين

عظيمتين أمرهما هو الأمر، وجاء الله بالفرج حيث حقق الآمال وحظيت الهيئة بامتطاء الطائرة وتنفس الجميع الصعداء، وشكروا الله على فضله ونعمته بتحقيق أملهم، ولم يكن في الطائرة غير عشرة ركاب، وانطلقت في طريقها إلى جدة فبلغتها مع أذان مغرب يوم ٢/١٢/١٣٦٧ هـ وانتهت الرحلة بسلام مع المنغصات والمتاعب النفسية وتحمل من للناس، ولو استقبلت الهيئة من أمرها ما استدبرت لركبت السيارة وانتهى موضوع سفرها في أسبوع، ولكنَّ المقدر كائن لا محالة، والصبر على أقدار الله المؤلمة من الإيمان.

هذا ولقد أطل صاحب اللمحات في خبر العودة إلى مكة هذا العام على غير عادته وذلك لتقرير الواقع المؤلم الذي عاشته هيئة التدريس مما لم يقع في حسابها، وفي سرد واقعها في هذه الرحلة عبرة وتوجيه لصاحب الشأن جل جلاله في كل مُلَمَّة، فالأمر كله مَرَجُّهُ إليه، وما الخلق إلا وسائط فقط لإيصال الخير أو الشر، أما العبرة ففي عدم الاتكال على المنصب والاعتداد به، والأمل في أن المرء سوف يبلغ به كل شيء، وذلك خَطْلٌ في الرأي، ولو كان الاتكال على المنصب مُجْدِيًا لكانت هيئة التدريس في طليعة من يُعْنَى بأمره، ويقَدَّم على غيره في كل ما تعرض له من حاجة.

ولقد ضَمَّد الجراح وسرَّى عن الهيئة الحظوة ببلوغ البلد الأمين وجمع الشمل بالأهل والولد وخير الصحب ووصول سيارتها التي كانت تحمل كل ما أودعته فيها من متاع خاص وأدوات وكتب مدرسية دون أن تنال السيارة في قطعها الطريق من مأسٍ كما سبق أن لاقته الهيئة في رحلاتها السابقة، وقد وصلت مكة بحمد الله في أقرب فرصة.

أما التعليق على الرحلة هذا العام فأبرز ما فيه ولعله مما تكرر في السنوات الأخيرة:

أولاً: طول أمد الإجازة في مكة مما يسبب للطلبة هجر حصيلتهم العلمية، وقد يعفّي عليها النسيان فتبدأ الهيئة معهم أمداً قبل الدراسة في استذكار الماضي.

ثانياً: إنهاء الدراسة في غير مواعييدها في السنوات الأولى من عمر المدرسة، فقد كانت تبدأ في الشهر الثالث من العام ولا تنتهي إلا في الشهر العاشر أو الحادي عشر حتى غدت أنموذجاً للمدارس في أداء الواجب دون التقيد بفترة معينة للسنة الدراسية، وأنموذجاً في التضحية.

ثالثاً: تراخي الطلبة في الدوام لعدم المؤاخذه على ذلك، ولذلك أسباب وعوامل يطول شرحها، ولا داعي لذكرها بعد أن ذهب الساضي بخيره وشره.

رابعاً: المتاعب والمنغصات التي كانت تعترض الهيئة في رحلاتها بالسيارة أو الطائرة أخيراً، وأقربها إلى الأذهان خبر العودة إلى الحجاز هذا العام في هذه الرحلة، وإن كانت المتاعب تدرك كل من عاش على الغبراء في مختلف الألوان فليست الحياة كلها - كما سبق أن قرر صاحب اللمحات - وروداً ورياحين أو شهداً سائغاً للشاربين، ولكنها إلى جانب ذلك الجنادل والصخور يرتطم بها المرء فتُدْمِي قدميه: (من سره زمن ساءته أزمان). غير أن العبرة في حسن العاقبة.

مدرسة الأمراء عام ١٣٦٨هـ

عودة جلالة الملك إلى الرياض:

في يوم السبت ٢١/٣/١٣٦٨هـ غادر جلالة الملك مكة إلى جدة بعد أن أقام هذا العام في الحجاز فترة أطول من السنوات السالفة أي من يوم ٨/١١/١٣٦٧هـ حتى يوم ٢٢/٣/٦٨ أي أربعة شهور تقريباً، وقد كان في

السنوات السابقة لا يزيد على شهر، أما هيئة التدريس فقد طال أمد إجازتها في الحجاز حتى ١٣٦٨/٥/٧ هـ حيث ورد أمر جلالته إلى وزارة المالية بسرعة ترحيل الهيئة، ولم تستغرق المراجعات في إنجاز متطلبات السفر أكثر من بضعة أيام، إذ كانت الأوامر تصدر في أقسام وزارة المالية تبعاً مما أدى إلى سرعة الإنجازات فتسلمت الهيئة أمراً بركوب أعضاء الهيئة بالطائرة وأمرًا آخر بسيارة للشحن.

بدء الرحلة:

في يوم ١٣٦٨/٥/٩ هـ بدأت الرحلة بالنسبة لسيارة الشحن وعليها عضوان من الهيئة أخذوا عبدة من التجربة القاسية التي عانتها الهيئة في عودتها من الرياض، ومن الفترة التي قضتها في المطار تستجدي الإركاب ثم تحمل مَنَ استضافتها لحين تهيئة مقاعد لها في الطائرة، كل ذلك مما زهد المدير ومساعدته في استعادة التجربة القاسية وفضلاً السفر على السيارة على الرغم من صعوبة السفر عليها ما قد يعرض لهما في الطريق من متاعب ومصاعب، فقطعت بهم السيارة الطريق في ستة أيام، وبلغا الرياض يوم ١٣٦٨/٥/١٤ هـ، ولم تخل الرحلة كالعادة من إرهاق وعنت بالنسبة للوقوفات الاضطرارية والمكث في بعض المراكز لنفاد البنزين، أو لتلف في بعض أجزاء السيارة، ولكن حسن العاقبة يُنسي كل عَنَتٍ ومشقة وإرهاق.

أما العضوان اللذان فضلاً ركوب الطائرة فقد بدأت رحلتها من جدة يوم ٥/١٥ ووصلا إلى الرياض في اليوم نفسه.

خيال مستطرف:

أطلق المدير المساعد الأستاذ أحمد علي الكاظمي لخياله العنان يُسجل في أسلوب شعري اجتياز السيارة في منطقة النفود فيقول:

أقبل النفود برماله، تلال رملية أو هي جبال من رمل، إن السيارة تعاني أشد المعاناة في شق طريقها بين هذه الرمال، إنها ذرات صغيرة تتطاير هنا

وهناك في نسيم الصباح الهادي، إن أجهزة السيارة عجزت أمام هذه الذرات وتعب المحرك من إنتاج القوة، إن السيارة سَتَعُدُّ نفسها فائزة في جائزة السرعة إذا نجت من هذه الرمال بسرعة (الحمار) أي حمار واحد لا حصان أو أية دابة من دواب الركوب. يشعر الإنسان وهو في سيارته كأن شيئاً يجذب السيارة من تحتها فلا يدعها تجري كعادتها بل تسير بكل تودة ووقار، إن لجاذبية الأرض تجربة في هذه الذرات اللامعة النقية الطاهرة من الرمال، وإن الرجل الحكيم الذي نصح أولاده بالاتحاد بعده وضرب للاتحاد مثلاً بحزمة الحطب إذا هي كانت مجتمعة في شكل (حزمة) وضعف التفرق ووهنه بتكسير الحطب واحدة إثر أخرى، وإنه لو وجد سيارة وركبها هو وأولاده في أرض رملية كهذه، ورأى قوة هذه الذرات الصغيرة بعد اجتماعها لما ضرب لأولاده مثلاً في الاتحاد إلا بها.

ويصف الأستاذ الكاظمي الوضع في سيارة الشحن فيقول: (ماذا أقول عن الأصوات التي تُحْدِثُهَا الأمتعة والصناديق التي حولنا في السيارة، إنها أصوات غريبة لم يعرفها صاحب الأغاني (يقصد صاحب كتاب الأغاني)، ولا يعرفها الموسيقيون القدامى ولا الجُدُد، كل شيء في السيارة وهي تجري له صوت عجيب، ولو وجدت السيارة أمام الأولين وركبها أولئك العرب الذين وضعوا لكل صوت اسمًا ولكل شيء عَلَمًا لما تركوا صوتًا بين هذه الأصوات إلا وضعوا له اسمًا خاصًا مناسبًا، وكان الآن قاموسنا أو لسان العرب في ضخامة غير الضخامة التي هما فيها الآن، وكنا نجد أسماء مختلفة لأنواع من المطبات على حسب تأثيرها في السيارة والركاب). وهكذا يسر الأستاذ أحمد علي الكاظمي عن نفسه متاعب الرحلة بنفثات قلمه في أسلوب مرح ممتع، وهكذا يجد صاحب اللمحات المتعة في أن يُضْمَنَ لمحاته هذه الطَّرَفَ المستملحة التي كثيرًا ما تضمها يوميات الأستاذ الكاظمي هذا، ولأن الشيء بالشيء يذكر لا يجد صاحب اللمحات مندوحة من أن يعترف للأستاذ أحمد علي الكاظمي بالجميل على وضع مذكراته

تحت تصرف صاحب اللمحات يستمد منها التواريخ ويستوحي منها الأحداث المهمة في السنوات التي قضاها معه الأستاذ الكاظمي مديراً مساعداً في مدرسة الأمراء، إنه عمل إنساني وخدمة جليلة يذكرها صاحب اللمحات فيشكرها، ويدعو للأستاذ أحمد علي الكاظمي عليها.

السلام على جلالة الملك؛

في ثاني يوم لوصول الهيئة إلى الرياض تشرفت بالسلام على جلالة الملك فتلطف وطلب من المدرس الأول أن يُسمِّعه شيئاً من القرآن. وقد افتتحت المدرسة أبوابها يوم ٥/١٦ إلا أن دوام الطلبة كان مختلاً لتغيب بعضهم في القنص، فكتب المدير لجلالته بالواقع فكُلِّف أحد الحاشية وهو المسؤول عن تفقد الطلبة في دوامهم كلفه بمعاودة نشاطه، واستقام الدوام بعد عودة الأمراء من القنص، وسارت المدرسة في أداء واجبها دون هوادة.

قوام طلاب المدرسة هذا العام؛

كان قوام طلاب المدرسة هذا العام من أنجال جلالة الملك عبدالعزيز كالاتي: الأمراء بدر، تركي، نواف، عبدالمجيد، سلمان، ماجد، عبدالإله، أحمد، سظام، هذلول، مقرن، وغير هؤلاء من أبناء إخوتهم وعمومتهم وأبناء الشعب في مختلف مناصبهم، وما برحت الدراسة قائمة طوال شهور العام منذ ابتدائها في ٥/١٦ حتى يوم ١٥/١١/١٣٦٨هـ، وقد أُجري للطلبة الاختبار النهائي، ورفع عنه التقرير لجلالة الملك، وكان بمثابة انتهاء العام الدراسي.

إيضاح:

(١) سأل الكثيرون ممن يتابع قراءة هذه اللمحات عن أكبر من انتظم في سلك التعليم طالباً من أنجال جلالة الملك عبدالعزيز؟

(٢) وهل مدرسة الأمراء ومعهد الأنجال شيء واحد؟

والجواب عن السؤال الأول أن أكبر من انتظم في سلك التعليم طالباً

من أنجال جلالة الملك عبدالعزيز وفي العهد الذي أسندت فيه إدارة مدرسة الأمراء لصاحب اللمحات هو الأمير بندر بن عبدالعزيز وكان في منتصف العقد الثاني من عمره.

والجواب عن السؤال الثاني أن مدرسة الأمراء غير معهد الأنجال، فمدرسة الأمراء أُعيد تنظيمها للمرة الثانية عام ١٣٥٦هـ، وانتظم فيها الأمراء أنجال جلالة الملك عبدالعزيز وغيرهم من أبناء الأسرة المالكة وأبناء الشعب، ونظرًا لأنها كانت متنقلة تارة في الرياض وأخرى في القنص وثالثة في مكة فلم يسنَّ لبقية أفراد الأسرة كأنجال ولي العهد (الملك سعود) - يرحمه الله - وأنجال الأمير عبدالله بن عبدالرحمن لم يتسن لهم مجارة الوضع، فأنشأ ولي العهد مدرسة في قصر الرياض لأنجاله، وبعد انتقاله من القصر إلى الناصرية تطورت المدرسة فأضحت معهد الأنجال، كما افتتح الأمير عبدالله بن عبدالرحمن مدرسة لأنجاله.

الرحلة الملكية إلى الحجاز:

في يوم ١٦/١١/١٣٦٨هـ غادر جلالة الملك الرياض بالطائرة إلى الطائف مستصحبًا أنجاله، فتعطلت الدراسة، وبدأت هيئة التدريس تراجع ولي العهد في ترحيلها، فصدر أمره لرئيس الخاصة الملكية بإنجاز أمر سفر الهيئة إلا أنه تمهّل وسوّف وماطل (لعل له عذرًا وأنت تلوم)، ولقد كانت الأزمة مستحكمة في السيارات نظرًا للحاق الحاشية الملكية بجلالته، فاستصدر المدرس الأول من ولي العهد أمرًا بإركاب أحد المدرسين بعائلته في سيارة البريد.

برقية عاجلة:

في يوم ١٦/١١/١٣٦٨هـ وردت من جلالة الملك برقية عاجلة لولي العهد بضرورة ترحيل هيئة التدريس في سرعة خاطفة بحيث لا يبيتون ليلتهم

في الرياض، وكان ذلك من فرج الله وعوائده الجميلة التي كثيرًا ما عوّد الله بها عباده.

وما من شدةٍ إلا ويأتي لها من بعد شدتها رخاءٌ ولقد بلغ بهيئة التدريس القلق ويئست معه من العودة إلى البلد الأمين، ومن شدة حرص ولي العهد على ترحيل الهيئة استجابةً لأمر والده أن كلّف مدير الشرطة بإبلاغ الهيئة بواسطة جندي بعث به إليها في الدار يستحبها على مغادرة الرياض فورًا، ثم عَقَّب على ذلك مدير مالية الرياض وأشعر الهيئة بأن السيارة المطلوبة حاضرة، وكل متطلبات السفر في متناول الهيئة.

بدء الرحلة:

في ضحوة يوم ٢٩/١١/١٣٦٨ هـ بدأت الرحلة من الرياض دون أن يكون فيها متاعب تقض المضاجع أو تؤخر حركة السير فبلغت الهيئة الطائف يوم ٣/١٢/١٣٦٨ هـ، وقرت الأعين بالاستقرار والاجتماع بالأهل والولد وإنهاء دور السفر على خير حال، وذلك من فضل الله وكرمه، وكم لله على عباده من فضل سابغ من حقه الشكر للمنعم العظيم.

أما التعليق على رحلة هذا العام إلى الرياض فأبرزه:

١ - انكماش عدد طلاب المدرسة بحكم الوضع، فلقد أخرجت المدرسة في أعوامها السابقة فوجين من طلابها يُكوّنون فصولًا متعددة تشغل في المدرسة حيزًا كبيرًا ومقاعد أضحت بعدهم تَجُنُّ إلى أربابها، وتود لو تحظى بمن يخلفهم فيها.

٢ - نقص الطلبة هيأ لهيئة التدريس فرصة في بذل جهود أكبر ونشاط أكثر في التعليم لاختصار المراحل لا في تقلص أمد الدراسة ومراحلها المتقررة بل في تركيز المعلومات واختيار أقصر الطرق للإفادة من ألوان

المعرفة والاضطلاع بثقافة تجعل الطالب على استعداد لتلقي معلومات قد لا يكون سلفه قد طرق أبوابها أو حصل عليها.

٣ - اختصار الإجراءات التي كثيراً ما كان يطول أمدها عند سفر الهيئة من الحجاز أو العكس من الرياض، وذلك للأوامر الملكية التي كان يصدرها جلالة الملك في صالح الهيئة والتي يبدو فيها الصرامة لأبعد الحدود.

رحم الله الملك عبدالعزيز، ورفع درجاته في عليين، وبارك في خلفه ممن حمل أمانة الأمة بعده.

مدرسة الأمراء عام ١٣٦٩هـ

حرص جلالة الملك على تثقيف أنجاله:

لقد كان حرص جلالة الملك - يرحمه الله - على تثقيف أنجاله وإحرازهم لأكبر قسط من العلم والمعرفة يحفزهم على الدوام بافتتاح المدرسة كيفما تيسر وفي أي موضع يتسنى استئناف الدراسة فيه في الرياض أو القنص أو على مقاعد الدراسة أو على الحُصُر في مسجد البديعة ومسجد المربع وفي الحجاز أيضًا في القصر أو في مدرسة المعابدة مدرسة أبناء الشعب المتواضعة، ومن أمثلة ذلك أن المدرس الأول ومساعدته ذهباً للتشرف بالسلام على جلالته في القصر حين قدم إلى الحجاز فأمرهما بافتتاح المدرسة واختيار موضع مناسب لها في القصر يضمن مصلحة الدارس وواجب المدرسة، فعاد إليه المدرس الأول يوم ١٠/١/١٣٦٩هـ ليعلم جلالته باختيار المقر المناسب للمدرسة وهو البهو الذي تقام فيه الاحتفالات في القصر، فوافق جلالته على الاختيار، وقبل أن يغادر المدير المجلس تلطف جلالته فأمره بقراءة شيء من القرآن، وبلغت تلاوة آيات الذكر الحكيم من نفس جلالته مبلغاً من التأثر والاتعاظ حتى تهافت الدمع منه مدراراً، ولقد اضطلع المدير المساعد الأستاذ أحمد علي الكاظمي

بعبء إعداد الكتب الدراسية وجميع أدوات الدراسة ولم يمض أمد طويل إلا وأخذ الطلبة من الأمراء مع مدرسيهم يلتفون حول مائدة مستديرة؛ إنها مائدة الطعام، وكما يكون الطعام ماديًا قوامه ما لذ وطاب من الأطعمة والأشربة يكون روحياً قوامه العلم والمعرفة لا حرج في ذلك، واستمرت الدراسة على منهجها إلى ما قبل إزماع جلالتها العودة إلى الرياض وذلك يوم ١٢/٤/١٣٦٩هـ.

الأمر الملكي بترحيل هيئة التدريس:

ورد من الديوان الملكي أمر على وزارة المالية بالإسراع في ترحيل هيئة التدريس إلى الرياض، غير أن معاملة السفر أخذت تسير في مكاتب المالية سير السلحفاة، وانقضى أمد طويل دون حصيلة. ونستشف من وصف المدير المساعد الأستاذ أحمد علي الكاظمي الواقع الذي كان يلاقه في مراجعته للمالية آنذاك حيث يقول: ... يصلنا أمر جلالة الملك بالترحيل إلى الرياض وإنجاز طلباتنا بسرعة، ويبقى الأمر ينتقل في وزارة المالية من قسم إلى آخر ولا ينتهي إلا بأمر آخر يأتي إلى النيابة أو إلى وزارة المالية بسرعة ترحيلنا بحيث لا يأتي المساء إلا ونكون متوجهين إلى الرياض، عندئذ تتحرك القضية وتتم كيفما نريد، وما لا يمكن عمله في شهر يتم في ساعة. ثم يفصل الأستاذ الكاظمي طريقة مراجعته وتجاهل بعض الموظفين له فيقول: في المحاسبة راجعت الأمور المختص فأحالني على زميل له وهو كذلك بحث عنها فلم يجدها وقال: ربما تكون عند زميلي الغائب، راجعنا غداً وراجعته في اليوم الثالث فبحث في الأوراق وأحالني على مأمور آخر، وقد بحث هذا في أوراق أمامه وتركني واقفاً، وأخذ ينظر في المعاملات أمامه دون تفكير أو التفاف إليّ وإلى انتظاري فقلت له: هل أنتظر؟ وهل للبحث نتيجة؟ قال: استحسن أن تراجعني غداً فانصرفت وراجعت الأمور الأولى فقال معذراً: الأولى أن تأتينا بصورة جديدة من صور طلبك موقّعة من

المدير العام بوصفه طالبًا جديدًا، هذه هي نهاية المراجعات الطويلة لأمر رسمي فكيف لو كان الطلب لأمر خاص.

لقد كان ذلك في الماضي: ويبدو أن الوضع في الحاضر قد تحسن عن ذي قبل.

برقية ملكية أخرى:

ورد لوزارة المالية برقية ملكية أخرى نصها (اعطوا مطاوعة الأمراء طلباتهم وعجلوا ترحيلهم. عمَّدنا الابن عبدالله الفيصل والدفاع لإركابهم في أول طائرة). وكانت النتيجة أن المدير المساعد للمدرسة لم يغادر وزارة المالية إلا وجميع الأوامر المتعلقة بالسفر وغيره في قبضة يده وهي كالآتي:

(١) سند قديم عن بدل الاغتراب في موازنة عام ١٣٦٨هـ.

(٢) الأمر بسيارتين كبيرة وصغيرة.

(٣) الأمر بنزول أحد الأساتذة بعائلته في الفندق بجدة لانتظار الطائرة.

(٤) الأمر بألة كاتبة للمدرسة.

وسبحان الذي يغير ولا يتغير (إن الله يَزَعُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن).

بدء رحلة السيارتين:

في يوم ٢٢/٦/١٣٦٩هـ تحركت السيارتان من مكة؛ إحداهما (بكس) تُقَلُّ أعضاء هيئة التدريس، والأخرى للشحن، وقبل مغادرة مشارف مكة تعطلت السيارة (البكس) فعاد السائق إلى الكراج لإصلاحها وأخذ أدوات احتياطية تفاديًا لخراب جديد يطرأ في الرحلة، ثم لحقت بسيارة الشحن بالشرائع واجتازتا الشرائع فالسيل وبلغتا عشيرة.

وصف الرحلة من عشيرة إلى المويه:

يصف المدير المساعد الأستاذ أحمد علي الكاظمي هذه الرحلة في

هذه المرحلة بأسلوبه الشعري الممتع فيقول: (لم ترتفع الشمس وتبدو أشعتها من وراء الغيوم إلا وكنا - ولله الشكر - نقطع الفيافي والبيد في طريقنا إلى المويه في جو بديع وهواء بارد عليل وشمس قد احتجبت بالغيوم نرى قرصها كأنه البدر في السماء، ولا نشعر بحرارة أشعتها، ولا نستطيع أن نعرف الوقت إلا بالساعة، وكانت السيارتان كأنهما في سباق هادئ والرهان الخيالي مشترك بينهما فمرة يكسبه (البكس) وأخرى تكون من نصيب اللوري، وهكذا حتى وصلنا المويه، وما اقتربنا من محطة البنزين إلا ونذير ينذر بعدم وجوده، ومعنى ذلك أننا سنمكث هنا إلى ما شاء الله).

الاستغلال:

الاستغلال بشع في كل صوره وأشكاله وعلى أي وضع من أوضاعه، ويكون أبشع وأفظع عندما يغدو مع المحتاج المضطر. يعرض صاحب اللمحات لمسألة استغلال سكان المويه أو أصحاب الحوانيت فيه على الأصح، إذ كانوا يشترون من السواقين الفائض لديهم عن حاجتهم من البنزين ثم يحتجزونه لليوم الذي ينفد البنزين من المحطة فيبيعونه بأضعاف مضاعفة استغلالاً لحاجة المضطرين إلى السفر وقطع الرحلة، ولقد نمت إلى أعضاء الهيئة أن كل من تعطل وخشي طول الانتظار في المحطة اشترى حاجته من السوق السوداء وارتحل، فأخذت الهيئة الأسوة منهم وتضامنت لدفع الثمن الباهظ رغبة في إنهاء الرحلة ولعدم استعادة الأيام العجاف التي عاشتها الهيئة في المويه في إحدى رحلاتها السابقة وإن كانت المويه قد تحسنت عن ذي قبل إلا أن السفر قطعة من سقر لا يرغب في تجرع غصصه إلا المضطر، ثم استؤنفت الرحلة إلى الدفينة فعفيف، فالقاعية. نستمع إلى وصف الأستاذ الكاظمي للقاعية ومقارنته بين ماضيها وحاضرها يقول: (أما الآن فقد أصبحت القاعية مركزاً تجارياً يحمل منها التجار والناس كميات من السمن وقطعان الغنم إلى الرياض وبلدان أخرى من نجد، وأنشئت بها

مدرسة أولية، وفي دكاكينها جميع اللوازم الأولية وبعض الكماليات كالروائح العطرية).

ومن القاعية إلى الدوادمي ومنها إلى حُف فالتوغل في منطقة النفود، وعلى الرغم من أن الرمال كانت ملبدة بمياه الغيث الذي نزل بها إلا أن ذلك لم يمنع من إمساكها بالسيارات وإغرازها في خضسها، ثم استمر المسير في بقية المطبات حتى بلغت الهيئة الرياض يوم ٢٠/٦/١٣٦٩هـ، بعد رحلة سبعة أيام، وأُتقت بالرياض عصا التسيار.

السلام على جلالة الملك:

وفي اليوم الثاني من وصول الهيئة إلى الرياض تشرفت بالسلام على جلالة الملك في قصر المربع، فالتفت إلى المدرس الأول وتلطف في أمره بقراءة جُزْء من القرآن، وفي اليوم نفسه وصل الزميل الذي أفلته الطائفة بأهله من جدة.

استئناف الدراسة:

استؤنفت الدراسة منذ اليوم الثالث من وصول الهيئة إلى الرياض، وبقيت مستمرة دون أي تعديل أو تغيير في وضع الدوام أو المنهج الدراسي حتى منتصف شهر ذي القعدة ١٣٦٩هـ، فأجريت للطلاب الاختبارات النهائية على ما جرت به العادة، ورفع المدير التقرير السنوي لجلالة الملك.

طلب الإجازة:

وفي يوم ٢٠/١١/١٣٦٩هـ كتب مدير المدرسة لجلالة الملك طلباً لإجازة قصيرة ثم العودة في نهايتها، وبعث الطلب عن طريق رئيس ديوان البادية الشيخ إبراهيم بن عبدان رحمه الله، فحظيت الهيئة بالموافقة الملكية مع الأمر لها بكل ما يتطلبه السفر وفي يوم ٢٢/١١ أغلقت المدرسة وبدأت

الهيئة في المراجعات، وفي يوم ٢٤ منه تشرفت الهيئة بتوديع جلالة الملك في المجلس العام الذي يحضره المشايخ وعلية القوم، ولدى السلام على جلالته سأل المدير قائلاً: (هل نجزت أعمالكم فأجابه بالسلب فقال رحمه الله: سأقول لهم ينجزونها، ثم اتصل رئيس الخاصة الملكية بناءً على أمر جلالته بالمدير هاتفياً وسأله عن الطلبات فبعث بها إليه، ومن ضمنها سيارتان فلم يأمر إلا بواحدة مما اضطر المدير لرفع الأمر إلى جلالة الملك، فأمر - يرحمه الله - بتحقيق الرغبة، وطال أمد المراجعات وتعسر الحصول على سيارتين إلا بأجرة باهظة وبواسطة مدير شرطة الرياض، ثم بالأمر الحازم الجازم من رئيس الخاصة باستئجار السيارتين كيفما كانت أجرتهما.

بدء الرحلة:

وفي أمسية يوم ١٢/١/١٣٦٩هـ بدأت الرحلة من الرياض من مرحلة إلى أخرى ومن سهل إلى رمل فبلغت الهيئة الطائف يوم ٤/١٢/١٣٦٩هـ، أي بعد أربعة أيام من مسيرتها، وفي أقصر مدة قطعتها في رحلاتها السابقة التي كانت تجوب الأرض من الحجاز إلى الرياض أو العكس. انتهت الرحلة كما ينتهي كل شيء وانتهت بانتهائها كل متاعب الهيئة سواء ما كان منها لتغيير الوضع في السفر إذ كان جلالة الملك يأمر بعودتها بعد أن يصل إلى الحجاز، أو يرخص لها في العودة قبل أن يغادر جلالته الرياض تحقيقاً لرغبتها، ولقد كان يدور بخلدها هذا العام أن الدراسة قد تستمر إلى أمد غير معلوم لعدم ترجيح كفة سفر جلالة الملك إلى الحجاز من عدمه. انتهت الرحلة على خير ما ترجو الهيئة، والحمد لله على كل حال.

التعليق على الرحلة:

١) قد يكون أبرز ما في التعليق افتتاح المدرسة في القصر هذا العام، وقد كانت هذه المكرمة لجلالته منذ أن أسندت إدارة المدرسة لصاحب اللوحات، ثم رؤية الاكتفاء بالدراسة في الرياض والقنص.

- (٢) ملاحظة جلالة الملك لوزارة المالية ببعث البرقيات المستعجلة إليها وإلى النيابة العامة لسرعة ترحيل هيئة التدريس وتلبية كل طلب تتقدم به عاجلاً، وذلك ما يوحى بأن جلالته - رحمه الله - كان لا تشغله مهام الدولة عن مصلحة أنجاله التعليمية ليأخذوا بأوفر قسط من التعليم.
- (٣) الاستغلال البغيض الذي يلجأ إليه بعض الناس دون مراعاة لحاجة المضطر، وذلك ما سبق التمثيل له بأرباب الحوانيت المستغلين للبنزين في المويه.
- (٤) عدم المبالاة من بعض الموظفين وعدم تقديرهم للمسؤولية وتضييع معاملات الناس الرسمية وتوقيق المصلحة أبرز مثل ما سبق أن شرحه المدير المساعد في هذه اللمحات عند مراجعته للمالية في هذا العام عام ١٣٦٩هـ.

مدرسة الأمراء عام ١٣٧٠هـ

العودة إلى الرياض:

المتعة العابرة كالزهرة الذائبة من حيث إن المرء لا يسعد بطول أمدها ولا بقضاء أربه منها؛ إنها كالزهرة سرعان ما تذوي بعد أن كانت الأنظار إليها متطلعة، والنفوس بروعة نضرتها مشغلة، وهكذا كل مُتَع الدنيا لا تلبث أن تزول وتذوي مهما امتد أمدُها أو جانبته محن الزمان وصروف الليالي، وهنا يستعيد صاحب اللمحات بيت الشعر الذي كان قد استشهد به في إحدى لمحاته:

كل شيء مصيره للزوال غير ربي وصالح الأعمال
هذه المقدمة يكتبها صاحب اللمحات بمناسبة عدم إرواء هيئة التدريس ظمأها من البلد الأمين بعد العودة إليه من رحلة الرياض عام ١٣٦٩هـ، والأنس فيه بالبيت الحرام ومشاهدة الطائفين والصلاة مع المصلين، حيث

قد صدر الأمر الملكي إلى وكيل وزارة المالية في ١٩/٢/١٣٧٠هـ بترحيل هيئة التدريس إلى الرياض، ولم يمض على إجازتها فترة طويلة، ولم تأخذ المراجعات لوزارة المالية ما كانت تأخذه في السنوات الماضية، بل أنجزت المالية كل متطلبات السفر في ساعة واحدة استجابة للأمر الحازم من جلالتهم.

وشيء آخر كان حافزاً للإسراع في الرحلة، إنه اتصال رئيس المكتب الخاص للنيابة بصاحب اللمحات وإبلاغه شفهيًا أمر النائب العام بالاستعجال في السفر، غير أن الأمور مرهونة بأوقاتها وقضاء الحوائج له فرص، ويتحتم على صاحب الحاجة الصبر وإلا لم يبلغ ما يريد، كانت العقبة التي اعترضت الهيئة الحصول على السيارات المطلوبة إذ كانت معظم السيارات التي في الكراج تالفة معطلة، بحث الموظف المسؤول في الكراج عن سيارة (بكس) فلم يحصل على شيء إلا على سيارة قد تكسر كل زجاج نوافذها فأمر مدير الكراج بتوليف زجاج لها من جميع سيارات الكراج، وانتهت بذلك الأزمة، ثم عرضت مشكلة أخرى عندما خطت الهيئة الخطوة الأولى في الرحلة وهي مشكلة الشرطة.

مشكلة الشرطة:

الشرطة أو الشرطة من عجينة واحدة عجنت بالشدة والقسوة والغلظة، ومشكلتهم ما برحت قائمة من الماضي حتى الحاضر، يضرب صاحب اللمحات لذلك المثل عندما أخذت سيارة أساتذة الأمراء طريقها إلى الرياض عام ١٣٧٠هـ أي قبل ثلاثين عامًا تقريبًا من كتابة هذه المذكرات، وفيها مدير المدرسة وبعض الأساتذة أوقفها شرطي مركز المعابدة وطالبها بالترخيص لاجتيازها مكة، وبكل وسيلة حاولت الهيئة إقناعه فلم تفلح، وأخيرًا رغب الشرطي في أن تعود السيارة إلى مركز الحجون فنذرت الهيئة الرغبة، وكان ضابط مركز الحجون لبقًا مؤدبًا فما أن تعرف إلى الهيئة حتى اتصل هاتفياً بمركز المعابدة ليسمح بمرور السيارة.

مواصلة الرحلة:

ثم واصلت الهيئة الرحلة إلى الشرائع، ولم يكن السير منتظماً إذ عرض لإحدى السيارتين عطب اختلّ به توازنها، وأضحى لها صوت مزعج كالطائرة، وكانت كل السيارات تترك لها الخط واستمر السير حتى الشرائع، وهنا عالج السائق إصلاح الخراب فأفلح إلى حد ما، وما لبث أن عاد مرة أخرى. يقول الأستاذ أحمد علي الكاظمي: أصبح للسيارة زمجرة كزمجرة عدد من البراميل الفارغة وهي تندرج فوق حجارة غير منتظمة. ثم واصلت الهيئة مسيرتها حتى بلغت عشيرة فاستسلمت للراحة وقررت المبيت.

وفي صباح يوم ١٧/٣/١٣٧٠هـ استأنفت السير إلى المويه، ولم تطل الإقامة به بل استمر السير حتى الدفينة وفيها قررت الإقامة ريثما ترتاح من عناء السفر.

خداع المظهر:

وكم للمظاهر من خداع، وكم للخداع من ضحايا يغريهم المظهر فيوقعهم في الفخ، عندما بلغت الهيئة الدفينة وقد أرخى الليل سدوله أخذت تبحث عن كوخ تقضي فيه ليلتها، فالتقت برجل حسن الهندام لطيف الحديث رحّب بها للنزول في بيته وكان البيت مرتفعاً مشرفاً، وقد وضع على نوافذه الزجاج، وفرشت غرفه بأفخر السجاد، وبعد الاستراحة أخذ صاحب الدار يسرد على أسماع الهيئة النفحات التي ينفحها إياه النزلاء في داره على طريقة (إياك أعني واسمعي يا جارة) يقول: إن فلاناً أعطاني أربع مئة ريال، وفلاناً خمس مئة ريال، ويذكر أسماء شخصيات بارزة لها وزنها، فعضت الهيئة أصابع الندم على الوقوع في الفخ وخديعة الرجل لها بالمظهر والترحيب والكلام المعسول، وما ذاك إلا لتصيد المادة واقتناص النزلاء، وكم للمظاهر من خداع، وكم للخداع من ضحايا.

حادث مؤسف:

فوجئت الهيئة أثناء سيرها من الدفينة بانخلاع إحدى العجلتين الأماميتين من السيارة وكادت تنقلب بهم لولا لطف الله، وقد لاحظ السائق ارتباكًا في مقود السيارة فتحسس الخبر فأذهلته المفاجأة المؤسفة، وعلى الرغم من محاولته إصلاح العجلة لتسير إلى المرحلة التالية فإنه لم يفلح، وعندما أزمعت الهيئة الرحيل من عفيف كاشَفَها السائقُ بالحقيقة وبأن السيارة (البكس) تعطلت تمامًا، وأنه اتفق مع وكيل الشركة على تحميلها في سيارة أخرى لتعود إلى مكة، واستسلمت الهيئة للأمر الواقع وانضمت إلى ركاب سيارة الشحن من الخدم، وهكذا لن يصفو الزمان أبدًا (من سره زمن ساءته أزمان).

الوصول إلى الرياض:

واصلت الهيئة رحلتها في بقية مراكز الطريق فبلغت مرات وقد طاب فيها المقبل بعد الجهد الذي بذلته في منطقة النفود، ومن مرات إلى العويند ثم إلى العيينة، ومنها إلى الجبيلة فالرياض حيث كان الوصول إليه في مساء يوم ٢١/٣/١٣٧٠هـ

السلام على جلالة الملك:

في صبيحة يوم ٢٢/٣/١٣٧٠هـ، تشرفت الهيئة بالسلام على جلالة الملك في قصر المربع، وكان في المجلس رشيد عالي الكيلاني والأمير عبدالله بن عبدالرحمن وولي العهد، فتلطف جلالته وأمر المدرس الأول بقراءة شيء من القرآن، ثم أمر باستئناف الدراسة فاستؤنفت يوم ٢٤/٣/١٣٧٠هـ مع بعض الأمراء نظرًا لأن البقية كانوا في القنص، وعند عودتهم انتظم الدوام واستمرت الدراسة حتى نهاية شعبان، وأجرت المدرسة الاختبار النهائي تفاديًا لما لعله أن يحدث من اختلال الدوام في رمضان، ورفعت بذلك التقرير لجلالته الملك.

الإجازة:

رمضان شهر عبادة والدراسة فيه كثيراً ما تكون مختلفة لأنه يكثر فيه السهر بالليل، والنوم بالنهار؛ لذلك رفع مدير المدرسة لجلالة الملك طلباً للإجازة لمدة شهر فوافق رحمه الله على الطلب، وبدأت الهيئة في الأخذ بأسباب السفر ابتداء من يوم ٢٣ شعبان ١٣٧٠هـ.

وداع جلالة الملك:

وفي يوم ٢٤/٨/١٣٧٠هـ تشرفت الهيئة بوداع جلالة الملك بمناسبة سفرها وكان ذلك يوم الخميس الذي يجتمع فيه المشايخ بجلالته والمجلس حافل بهم، وبمجرد أخذ الهيئة مكانها من المجلس التفت جلالة الملك متلطفًا راغبًا في سماع شيء من القرآن، فقرأ المدير ما تيسر منه، ثم أراد الاستئذان فاستبقاه جلالته حتى حضر المجلس المفتي الأكبر سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم يرحمه الله، فأعاد المدير قراءة حزب آخر من القرآن لرغبة جلالته، ثم أخذ - يرحمه الله - يشني عاطراً على قراءة معلم أنجاله وحسن أدائه، وقال رحمه الله: (بودي عندما يقرأ القرآن أن يطيل فلا أسأم من قراءته). ثم استعرض رحمه الله في أخلاق معلم أنجاله، ورَفَعَ من شأنه، وعَدَّد مزاياه، الأمر الذي جعل المعلم يتضاءل وينكمش في نفسه للثناء العاطر الذي كان يسمعه من جلالته، والثناء وإن كان كما قال الشاعر: (حب الثناء طبيعة الإنسان) تحب النفوس سماعه والاستزادة منه إلا أن صاحب اللمحات للمرة الأولى في حياته يسمع رجلاً عظيمًا له مكانته وهيبته وجلاله يشني على معلم أنجاله كل هذا الثناء.

بدء الرحلة:

بعد المراجعات الطويلة التي أضحت من مستلزمات الرحلة بدأت الرحلة في سيارة لوري، وقد تبرع سعادة الأستاذ حمد الجاسر لأصدقائه

هيئة التدريس وكان إذ ذاك معتمداً للمعارف بنجد تبرع لهم بسيارته (البكس) لتوصلهم إلى الطائف، وتلك مئة تذكر فتشكر لسيادته، ومرت أيام السفر ولم تخل من متاعب كانت الهيئة قد تعودت عليها بحكم التكرار، وأخيراً انتهت الرحلة بالوصول إلى الطائف في يوم ٢/٩/١٣٧٠ هـ وعاد الهدوء والاطمئنان للنفوس بعد أن كانت قلقة لا تفكر في إجازة خاصة كإجازة هذا العام المبكرة عن العادة.

التعليق على الرحلة:

(١) أبرز ما فيها اختصار الإجازة في العام الماضي، ثم بدء الارتحال إلى الرياض هذا العام مبكراً.

(٢) اختصار السنة الدراسية هذا العام، إذ انتهت بنهاية شهر شعبان. وقد كانت لا تنتهي في السنوات السابقة إلا في شوال أو ذي القعدة.

(٣) خداع المظهر للاستغلال.

(٤) مشكلة الشُرط.

(٥) الشناء العاطر من جلالة الملك - يرحمه الله - على معلم أنجاله بحضرة المشايخ وهو تقدير عظيم يعتز به المدير ويضيفه إلى رصيد حياته أثراً خالداً لجلالته طيب الله ثراه، ورفع درجاته في عليين آمين.

مدرسة الأمراء عام ١٣٧١ هـ

صدور الأمر الملكي بالعودة إلى الرياض:

هكذا الدنيا نزول وارتحال، يستهل صاحب اللمحات مقال اليوم بهذا الشطر من بيت الشعر لأنه يصور الواقع الذي يمضي فيه كل من عاش على الغبراء، فهو في كل يوم في استقرار لا يلبث أن يزول، إنه استقرار بقدر ما

قُدِّر للعبد من عُمرٍ في هذه الحياة، ثم يكون بعد ذلك المصير المحتوم: الارتحال إلى دار القرار، وتنقل الناس في هذه الحياة بحكم مصالحتهم ومقتضيات ظروفهم تصوّر إلى حدّ كبير الرحلة إلى الآخرة، فالحصيف الواعي من وضع في حسابه أن لكل رحلة نهاية مهما تكررت وتجددت على مرور الزمان، ومن ثم يجد صاحب اللمحات المدخل إلى الحديث عن رحلة الرياض إذ قد ورد الأمر الملكي البرقي في يوم ١٥/٢/١٣٧١هـ إلى مديرية المعارف آنذاك بترحيل هيئة تدريس الأمراء في أول طائرة، ولمزيد الاستعجال أبلغت النيابة العامة مدير الأمن العام اللواء علي جميل بالاتصال شخصيًا بمدير المدرسة وإشعاره بضرورة السفر عاجلاً.

طارق بالليل:

وبعد منتصف الليل طرق باب مدير المدرسة جندي يحمل تعهداً يرغب مدير الأمن في أن يوقعه مدير المدرسة ونصه: (أنا فلان ابن فلان مدير مدرسة الأمراء أوقع على أن أتوجه إلى الرياض في أول طائرة قائمة إلى الرياض). فلبى المدير الرغبة على الرغم من جفاف المعاملة وتجاهل مكانة المدير والمدرسة، وعندما عارض المدير المساعد في موضوع التوقيع قال له المدير مشجعاً: وماذا عسى أن يعملوا لو تأخرنا وسبب التأخير خارج عن إرادتنا؟ ولم يترك مدير المدرسة هذه المعاملة المجحفة تمر دون أن يوجه نظر مدير الأمن إلى سوء تصرفه وأنه سوف ينهي إلى علم جلالة الملك خبر ذلك مما اضطر مدير الأمن للاعتذار متذرعاً بأمر النائب العام، وأن النائب العام هو الذي طلب منه ذلك.

استعجال آخر بالسفر

في يوم ١٦/٢/١٣٧١هـ تلقى مدير المدرسة مذكرة من مدير المعارف يستحثه بسرعة السفر تنفيذاً للأمر الملكي الشديد.

برقيات ملكية تعقيبية:

في ليلة ٢٤/٢/١٣٧١هـ وردت صور البرقيات الآتية لمدير المدرسة، وكلها تعقب على الأوامر السابقة بشأن الترحيل:

- (١) صورة برقية لوزير المالية.
- (٢) صورة برقية من وزير المالية لمراجعة مكتب شؤون الرياض.
- (٣) صورة برقية من وزير المالية لوزير الدفاع لإركاب هيئة التدريس بعائلاتهم في أول طائرة إلى الرياض.

وفي تتابع البرقيات ما يوحي بأن الأمر جدُّ لا هوادة فيه، ومع ذلك وعندما راجع المدير المساعد للمدرسة مكاتب المالية أخذ كل مكتب ينجز شيئاً ويرجئ آخر سوى الأمر بالسيارة فقد انتهى وأخذت حمولتها وبدأت رحلتها مع الخادم صوب الرياض.

الإبراق لجلالة الملك:

وبعد مراجعات طويلة انتهى الأمر بصدور أمر إركاب هيئة التدريس بالطائرة، فأبرق المدير لجلالة الملك بذلك، كما أبرق وزير المالية لجلالته في الموضوع نفسه، وفي يوم ٢٧/٢/١٣٧١هـ كان عسوم أعضاء الهيئة بعائلاتهم في فندق بجدة انتظاراً للطائرة، وكان في عداد ركاب طائرة يوم ٢٨/٢/١٣٧١هـ أعضاء الهيئة ووصلت الرياض في اليوم نفسه وقصدت دارها، وانتهى بالوصول إلى الرياض كل معاناة للهيئة في سبيل الرحلة، وانقطع سيل المراجعات المملة التي تتكرر للهيئة كل عام عند سفرها من الحجاز إلى الرياض أو العكس.

السلام على جلالة الملك:

في صباح يوم ٢٩/٢/١٣٧١هـ تشرفت الهيئة بالسلام على جلالة الملك في قصر المربع، ودخلت على جلالته دون استئذان أو انتظار فرحَّب

جلالته - يرحمه الله - بالهيئة كعادته، ثم رغب إلى معلم أنجاله أن يُسمعه شيئاً من القرآن، وبعد الانتهاء من القراءة أعاد جلالته - يرحمه الله - ما سبق أن أضفى به على معلم أنجاله من الثناء العاطر وحسن أدائه للقرآن، واستعرض - يرحمه الله - أيام صباه، وأبدى الأسف الشديد لعدم حفظه للقرآن وأنه كان يوده ذلك.

استئناف الدراسة،

في يوم ٢/٢/١٣٧١هـ استؤنفت الدراسة، وسارت سيرها المعتاد دون أي تعديل أو تبديل في وضعها أو منهجها.

معهد الأنجال،

أنشأ ولي العهد (الملك سعود يرحمه الله) هذا المعهد - كما سبق في إحدى اللمحات - في حدائق الناصرية حيث يقيم سموه، وكان من هدفه أن يجمع فيه عموم الأمراء من الأسرة المالكة بما فيهم إخوانه لأنه معهد أنشئ على طراز حديث، واستقدم له أساتذة من الخارج، ويديره الأستاذ المربي القدير عثمان الصالح، وفي النية أن يُجعل فيه قسم داخلي، وهو تنظيم لا غبار عليه إلا أنه عندما أستاذن ولي العهد والده في ضم إخوانه إلى هذا المعهد قال له بالنص: (دع عيالي في مدرستهم). ولعل جلالته يهدف من وراء ذلك إلى عدم تغيير الوضع الذي درج عليه أنجاله منذ أن تأسست مدرستهم، وخطط لها جلالته المنهج وطريقة سيرها بنفسه وحسب رغبته.

التفاته ملكية سامية:

كان النهج الذي سلكه صاحب اللمحات منذ أن أُسِّدت إليه إدارة مدرسة الأمراء أن لا يغشى مجلس الملك أو يزوره إلا لمصلحة المدرسة أو إذا استدعاه جلالته، وتمر الأيام تلو الأيام دون أن تكون قد عرضت

مصلحة للقاء كريم أو مناسبة للسلام، وفي يوم ٦/٨/١٣٧١هـ بعث جلالاته خادمه الخاص الذي يتولى تفقد الطلبة في دوامهم على المدرسة يقول: (الشيوخ يبني تخرجون له الليلة). وبعد صلاة العشاء كان المذكور في الانتظار عند مدخل قصر المربع فقاد المدير ومعاونه إلى مجلس جلالاته فأخذ جلالاته يتعطف ويتلطف بالسؤال عن غياب المدير قائلاً: (أين أنتم كل هذه المدة لا نراكم)؟ ثم رغب في سماع شيء من القرآن فقرأ معلم الأنجال سورة القيامة بطولها، ومع ذلك رآها جلالاته قصيرة لانسجامه مع سماع آيات الله واتعاضه بوحياها، فطلب الكثرة في قراءة أخرى تكون أطول من سابقتها وكان في المجلس رشيد عالي الكيلاني وجمال الحسيني ويوسف ياسين والأمير عبدالله بن عبدالرحمن، بعدها أضحى التردد على مجلس جلالاته الليلي عادة لصاحب اللمحات ليسمع جلالاته القرآن خاصة وقد أمر جلالاته بتخصيص سيارة لمعلم أنجاله كلما أراد الشخصوص إلى المربع.

التحدث بنعم الله:

التحدث بنعم الله واجب يحفز إليه الدين اعتراقاً بنعم المنعم العظيم جل جلالاته، وأمر الله به رسوله المصطفى ﷺ حيث يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾. والأمة معنية بهذا الأمر، وإن من باب التحدث بنعم الله توفيق الله سبحانه لهيئة تدريس الأمراء أنجال جلالة الملك، والخير الذي أجراه على يديها في إحراز فضيلة ختم القرآن لمن لم يكن قد سبق له ذلك، وهم على ترتيب ختمهم لا على كبر سنهم الأمراء (مشاري، عبدالرحمن، متعب، طلال، نايف، تركي، سلمان، نواف، ماجد، عبدالاله، أحمد، سظام، هذلول، عبدالمجيد، مقرن، وهو آخر من ختم القرآن هذا العام، وكلهم من أنجال جلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله، وقد ختم القرآن أيضًا غيرهم من

أبناء عمومته منهم عبدالله بن مساعد بن عبدالرحمن وغيره من أبناء إخوتهم وأبناء الشعب أيضًا.

ثم إلى جانب ختم القرآن كانت الحصيـلة العلمية التي تحـصّل عليها كل طالب من السابقين والحاضرين أي عندما كانت المدرسة قائمة، إنها حـصيـلة تفتح بها الوعي وكأن الطالب بحـصيـلته المتنوعة من العلوم والفنون من طلاب الجامعة، ولقد سبق أن قرر صاحب اللـمحات واقع مدرسة الأمراء، وأنها تسير على منهج خاص يستوعب أكثر المقررات في المنهج الثانوي، ويأخذ من المنهج العالي لُـمَعًا يترجم عنها الكتب الدراسية الكبيرة التي في العقيدة والحديث والفقه والتاريخ الإسلامي واللغة العربية واللغة الإنجليزية، وقد أشار إليها مفصلاً صاحب اللـمحات بما يغني عن إعادتها، وهي مما تتضح بدراستها حـصيـلة الطالب، ويغدو في مستوى رفيع يؤهله لتحمل مسؤوليات عظيمة، وذلك من فضل الله وكرمه، ومن نعمه التي يحبّ التحدث عنها قيامًا بواجب الشكر للمنعم العظيم.

الاختبار النهائي:

بمناسبة استمرار الدراسة منذ الشهر الثالث في هذا العام حتى الشهر الثامن منه وإقبال شهر رمضان المبارك أجرت المدرسة للطلاب الاختبار النهائي على ما جرت به العادة، ورفعت عنه التقرير لجلالة الملك.

طلب الإجازة:

لتوقع اختلال الدوام في رمضان بالنسبة للأمراء رفع مدير المدرسة خطابًا لجلالة الملك يطلب فيه إجازة لمدة شهر تقضيه الهيئة في الحجاز، وحدث أن المدير عاود غشيان مجلس جلـالته الليلي، وقرأ عليه حزبًا من القرآن تلبية لرغبته، فـلحق به رئيس الخاصة الملكية عند مغادرته للمجلس،

وأشعره بالموافقة الملكية على طلب الإجازة وقال: (كونوا على أهبة السفر).

وفي الصباح كتب المدير لرئيس الخاصة بمتطلبات السفر بما في ذلك ركوب أعضاء الهيئة في الطائرة وسيارة لحمل الأمتعة، وبدأت المراجعات كالمعتاد فانتهى أمر السيارة، وأخذت طريقها إلى الحجاز يوم ٢٩/٨/ ١٣٧١هـ، أما ركوب الطائرة فلم ينته إلا بعد أن أرسل رئيس الخاصة سكرتير مكتبه، وكان قد سبق له انتساب إلى المدرسة أرسله إلى ضابط المطار يبلغه بضرورة ترحيل الهيئة عاجلاً إنفاذاً لأمر جلالة الملك، وهي لفظة من معاليه تذكرها الهيئة فتدعو له بالرحمة والرضوان، وانتهت الرحلة هذا العام بالوصول إلى جدة، ثم الصعود إلى الطائف، فحمدت الهيئة لله متابعة نعمه عليها وتيسير أمرها.

التعليق على الرحلة:

أبرز ما فيها وكلها في الواقع بارز:

- (١) الطلب العاجل في العودة إلى الرياض.
- (٢) اعتذار مدير الأمن العام آنذاك لمدير المدرسة على تصرفه في التبليغ.
- (٣) البرقيات التعقيبية الملكية المتعددة للاستعجال في السفر.
- (٤) محاولة ضم مدرسة الأمراء أنجال جلالة الملك عبدالعزيز إلى معهد أنجال ولي العهد (الملك سعود) يرحمه الله.
- (٥) اللفتة الملكية الكريمة إلى معلم الأنجال.
- (٦) عرض سريع عن نشاط المدرسة في ختم القرآن لأنجال جلالة الملك وغيرهم مع استطراد خاطف عن منهج الدراسة وموازنته بالمنهج الثانوي والعالي.

مدرسة الأمراء عام ١٣٧٢هـ

صدور الأمر بترحيل المدير إلى الرياض جؤا:

القيام بالواجب لا مندوحة عنه غير أن الظروف تختلف باختلاف الواجب، فقد يكون الواجب عملاً روتينياً يؤديه المرء دائماً دون تغيير أو تعديل في الوضع الذي درج عليه ولا يحمل من أجله مسؤولية، وقد يكون عملاً له خطورته ومسؤوليته وظروفه وملابساته، ومن أمثلة ذلك قيام هيئة تدريس الأمراء كل عام بالرحلة إلى الرياض لأداء واجبها التعليمي الذي يترتب عليه مسؤولية عظمى، فلو قصّرت في أدائه لأضحت موضع النقد والمؤاخذه، ولكن القيام بهذا الواجب يتطلب أموراً خارجة عن إرادة الهيئة، منها تنفيذ الجهات المختصة للأوامر الملكية التي ترد إليها لترحيل الهيئة وإنجاز متطلبات السفر بطريقة عاجلة، ومع الأسف لم تقم الجهة المختصة بواجبها إلا بعد تكرار الأوامر وملاحقتها بالتعقيب، وذلك ما يُقعد الهيئة دائماً عن تلبية الرغبة في الإسراع بوصول الرياض، ولقد كانت الأوامر ترد عادة إلى وزارة المالية أو النيابة العامة أو مديرية المعارف آنذاك ثم يكون لقاء الأوامر ووزارة المالية، أما هذا العام (١٣٧٢هـ) فقد أبلغت الهيئة أمر الرحيل من قبّل مدير الأمن العام عن طريق جندي أرسله إلى دار مدير المدرسة وكان بالطائف فسارع هو والمدير المساعد إلى مكة ومن ثم كانت المراجعات إلى وزارة المالية تأخذ أمداً طويلاً على العادة، ولم تظفر الهيئة بطائل.

وفي ليلة ٢٢/١/١٣٧٢هـ طرق باب مدير المدرسة عمدة المحلة يصحبه جندي يحمل خطاباً من مدير الأمن العام فيه أن الأمير سعود ولي العهد أبلغه بضرورة نزول مدير المدرسة إلى جدة الليلة لركوب الطائرة إلى الرياض، وأن بقية طلبات الهيئة أُحيلت إلى إدارة شؤون الرياض، ونظراً لأن سفر المدير وحده دون تجهيز طلبات المدرسة لا قيمة له أجاب المدير

بأن السفر لا يتسنى إلا بعد تجهيز الطلبات، وأن المراجعات للمالية مستمرة ولم تظفر الهيئة بطائل، واتصل مدير الأمن العام هاتفياً بمدير المدرسة لإبلاغه أمر الأمير سعود بالتوجه إلى جدة فالرياض ليلاً لمقابلة جلالة الملك غداً، وأخيراً وفي الساعة الثامنة ليلاً عاد طارق الليل وهو جندي من الشرطة ليصطحب مدير المدرسة إلى جدة في خفارة الشرطة، وقد كان ذلك في الليل المظلم وفي وقت السحر، ولم يبق من الليل إلا أقله، إنها لمححة مؤلمة يكتبها صاحب اللمحات وعبرته متهاطلة، وصلى المدير الفجر منفرداً تحت الطائرة ولبت إلى أن ركبها وهو يفكر ماذا عسى أن يكون حظ الهيئة؟ لعلها سوف تعامل المعاملة نفسها، ولم يذهب حدس المدير بعيداً فلقد مثلت الشرطة الدور نفسه مع المدير المساعد وبقية الأساتذة، إذ أرسل الجميع في خفارة الشرطة حتى أوصلتهم إلى المطار، ولعل الباعث على اتخاذ هذه الإجراءات مقابلة مدير المدرسة لجلالة الملك وإشعاره بأنه قديم وحده وأن الهيئة والكتب ما برحت في مكة، فاستشاط غضباً وأبرق برقية عاجلة لولي العهد بضرورة وصول المعلمين إلى الرياض في أقرب فرصة.

استئناف الدراسة:

في يوم ٢٨/١/١٣٧٢هـ استؤنفت الدراسة وانتظم الدوام للأمرءاء، وبقيت مستمرة حتى النصف من شعبان ١٣٧٢هـ، وفي النصف الثاني منه أجرت المدرسة للطلاب الاختبار النهائي، ورفعت بذلك التقرير لجلالة الملك.

قصر الرياض:

قصر الرياض هو القصر الذي كان يسكن فيه جلالة الملك بعائلاته، وفيه دواوين الموظفين ومدرسة الأمرء أنجال جلالته، وقد مضى عليه روح من الزمن وهو على وضعه منذ أن شُيّد، وفي شهر ربيع الثاني ١٣٧٢هـ تقرر هدم هذا القصر وإعادة بنيانه على الطراز الحديث، وسوف تكون بناية

المدرسة ضمن ما تقرر هدمه.

مقابلة ولي العهد:

في ضحى يوم ٧/٤/١٣٧٢هـ بعث ولي العهد رسوًلاً إلى مدير المدرسة يستدعيه لمقابلته، ثم تحدث سموه مع المدير عن واقع المدرسة وأنها أضحت قديمة، وأنه استأذن والده في ضم إخوانه إلى مدرسته في الناصرية، وطلب من المدير الاجتماع بمدير مدرسة الناصرية لإجراء التنسيق وتحديد الغرف المطلوبة لضمان المصلحة، وتم ذلك وأبدى مدير الناصرية شعوراً كريماً وارتياحاً للوضع الجديد.

مقابلة جلالة الملك:

وفي يوم ٢١/٤/١٣٧٢هـ استدعى جلالة الملك معلم أنجالة إلى داخل قصر المربع، وبعد التشرف بالسلام على جلالته قال له: أسمعنا قبل كل شي حزباً من القرآن، ثم أخبرك بما استدعيتك له. وبعد الانتهاء من القراءة بدأ جلالته حديثه بقوله: (إن قصر الديرة يريدون يقضونه (يهدمونه)، وسعود يريد يدخل عيالي مع عياله في مدرسة الناصرية، وعيالي صغار وعيال سعود كبار؛ إيش ترى؟). فسقط في يد معلم الأنجال ولم يحر جواباً، وبقي صامتاً أمداً طويلاً إذ كان الموقف بالنسبة له من أخرج المواقف، ثم ألهمه الله الجواب وكان متأرجحاً بين السلب والإيجاب وهو بالنص:

يا طويل العمر لم يسبق لي أن رأيت مدرسة الناصرية ولا وقفت على وضعها وكيف تسير الدراسة فيها؟ أرجو أن يعطيني جلالتكم فرصة للكشف عن مدرسة الناصرية ثم أرجع لجلالتكم بالنتيجة، وهل يتسنى إدخال أنجالكم فيها دون أن يعرض لهم أحد في دخولهم وخروجهم أو لا تتسنى الدراسة فيها كما ترغبون؟!

فاستحسن جلالته الإجابة، ورغب في الإسراع بتقرير النتيجة، وعندما غادر معلم الأنجال مجلس جلالته لم يعد يرى طريقه، واستولت عليه

الأفكار وأخذ يضرب الأحماس في الأسداس، وبات ليلة ليلاء لم يغمض له جفن، وأخذ يضرع إلى الله في إلحاح ويسأله في حرارة أن يحسن له المخرج من هذه البلبلة ويحسن العاقبة، ولعل باعث ذلك أن معلم الأنجال تعارض في نظره أمران كلاهما له مرجح؛ الأمر الأول: انضمام الأنجال إلى مدرسة الناصرية لمصلحتهم التعليمية وسير الدراسة فيها بانتظام دون انتظار إلى نقله في أي موضع آخر، الأمر الثاني: عاطفة الأبوة الحانية التي ترجم عنها جلالته بقوله: (عيالي صغار وعيال سعود كبار)، ومعنى ذلك الحيلولة دون انضمامهم إلى مدرسة الناصرية خشية ما لعله أن يلحقهم محذور.

رئيس خاصة ولي العهد:

بذا بصيص أمل لمعلم الأنجال في حلّ يجمع المصلحة عندما رغب رئيس خاصة ولي العهد في مقابلته فسارع إلى اللقاء وأبلغه رئيس الخاصة بأن ولي العهد يقدر إخلاصه، ويرغب في إيجاد حل للموضوع يحول دون انضمام إخوانه إلى مدرسة الناصرية، فدهش معلم الأنجال لهذه المفاجأة التي لم تكن تقع في حسابه، وطلب الإيضاح من باعث هذا التحول فصارحه رئيس الخاصة بقوله: إن إرضاء جلالة الملك هو غاية ما يحرص عليه ولي العهد، ولقد فكر سموه في العواقب ووقع في نفسه أنه لو حدث من عياله ما يحدث عادة من الطلبة من شجار وتطاؤل وتكدر من أجله جلالة الملك لَمَا طاب لولي العهد العيش، ولضاقَت به الرياض، وذلك بُعدَ نظرٍ من ولي العهد.

عندئذ أدرك معلم الأنجال أن الله سبحانه لم يخيب رجاءه فيه، وقد استجاب دعاءه في إيجاد المخرج له من الأزمة، ولقد عوّده سبحانه الجميل فلم يتركه يوماً نهياً للأحداث تقض مضجعه، وهو مصداق قوله سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾.

إعلام جلالة الملك بالنتيجة:

لم يبق بعد أن وُضِّح الأمر بالنسبة لرغبة ولي العهد إلا أن يخبر معلّم الأنجال جلالة الملك بالنتيجة التي توصل إليها وكانت مقتضبة وهي بالنص الحرفي: (إن مدرسة الناصرية مدخلها ومخرجها واحد، ولا أضمن مع ذلك المحافظة على فصل الكبار عن الصغار من أنجالكم وأبناء ولي العهد).

وكان المفروض أن يتشرف معلّم الأنجال بالمقابلة الملكية لتقديم النتيجة بنفسه إلا أن هطول الأمطار الغزيرة وقطع السيول للطرق حال دون ذلك، فأمر جلالاته بتشديد مدرسة لأنجاله يُشرف على تخطيطها مدير المدرسة بالقرب من قصر المربع مع بناء سكن لهيئة التدريس، وبذلك انتهت الأزمة واستقر الوضع.

الاختبار النهائي:

في يوم ٤/٨/١٣٧٢هـ أجرت المدرسة للطلبة الاختبار النهائي كالعادة، ورفعت بذلك التقرير عن النتيجة لجلالة الملك، ومنحت الطلبة شهادات النقل.

طلب الإجازة

الاختبار النهائي للطلاب هو المدخل لطلب الإجازة إذ يشير إلى انتهاء السنة الدراسية، وجرياً على هذه العادة منذ سنوات فقد رفع مدير المدرسة إلى جلالة الملك طلباً يرغب فيه منح إجازة للهيئة تقضيها بين الأهل والولد فأحال جلالاته الطلب إلى وزير المالية وقد كان إذ ذاك في الرياض يتضمن موافقة جلالاته على الإجازة وإنجاز كل متطلبات سفر الهيئة، ولم تمض فترة طويلة إلا وكانت الأوامر بالسيارة وركوب الطائرة قد أنجزت وأخذت السيارة طريقها إلى الطائف، أما ركوب الطائرة فقد تعسر في أول الأمر ثم يسره الله، وكانت الهيئة ضمن ركاب طائرة يوم ٢٦/٨/١٣٧٢هـ، وبلغت

جدة ثم الطائف في اليوم نفسه وكان شكر الله لا يُحَدُّ بحصر على ما أولاه وتفضل به من الإبقاء على الهيئة على الرغم من الهزات التي تعرضت لها هذا العام منذ أن صدر الأمر بترحيلها إلى الرياض.

التعليق على الرحلة:

- (١) في الطليعة مما بلغت النظر في رحلة هذا العام أنها لم تكن على منوال الرحلات السابقة إذ كان الأمر يصدر إلى وزارة المالية بالترحيل أو إلى النيابة العامة أو إلى مديرية المعارف، أما هذا العام فقد صدر الأمر من جلالة الملك إلى ولي العهد وهو بدوره أبلغه إلى مدير الأمن العام آنذاك.
- (٢) الإجراءات المشددة من قبل مدير الأمن لترحيل الهيئة وإبلاغها أمر ولي العهد عن طريق الشرطة دون النظر للجوانب الأخرى التي يتم من قبلها الترحيل.
- (٣) إزعاج مدير المدرسة بإخراجه من داره في آخر ساعات الليل، وإركابه في سيارة الشرطة تحت خفارة جندها إلى جدة فالمطار.
- (٤) ترحيل هيئة التدريس وعائلاتهم في خفارة الشرطة أيضًا من مكة إلى جدة فالمطار.
- (٥) انزعاج جلالة الملك عندما علم بالواقع في ترحيل مدير المدرسة وهيئة التدريس.
- (٦) التفكير في نقل مدرسة الأمراء أنجال الملك إلى مدرسة الناصرية بمناسبة العزم على هدم قصر الرياض الذي تقوم فيه المدرسة.
- (٧) الأمر الملكي بتشييد مدرسة مستقلة لأنجاله بالقرب من قصر المربع مع بناء مساكن لهيئة التدريس.

عرض خاطف وماساة

العرض:

أما العرض الخاطف فعن جلالة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - لا عن تاريخ حياته الحافل بما يعجز الكاتب أن يسطره أو يحصره في نطاق محدود من بطولاته أو فتوحاته وإصلاحاته في مختلف دروب الإصلاح الديني والاجتماعي والعمراني والسياسي، فكتب التاريخ القديم منها والحديث لم تترك للكاتب أن يأتي بجديد أو يستدرك عليها ما لم تكن أوفته حقه والإفاضة فيه، ولكن هذا العرض عن الحقبة التي مضت يدور حول صلة صاحب اللمحات بجلالته حتى قبل أن يسعد بإسناد إدارة مدرسة الأمراء إليه. فلقد حظي بشرف المثل بين يدي جلالته إذ كان يحفظ القرآن الكريم في المدرسة الفخرية عام ١٣٤٣هـ وكان جلالته يقرم بزيارة مدارس مكة بعد حكم جلالته للحجاز، وفي أثناء إقامته فيها للتعرف عليها وتشجيعها مادياً وأدبياً.

وكان من بين المدارس التي حظيت بالزيارة الكريمة المدرسة التي ينتسب إليها صاحب اللمحات فقَدَّمته ليفتح الحفل بتلاوة أي من الذكر الحكيم، وبعد الانتهاء تعرف إليه جلالته فقَدَّمه مدير المدرسة بوصفه حافظاً للقرآن في سن مبكرة فأثنى عليه جلالته ووصله برفده.

وعندما تعين صاحب اللمحات إماماً في المسجد الحرام في المرة الأولى ائتم به جلالته في صلاة التراويح في إحدى السنوات التي صام فيها جلالته رمضان في مكة، فأعجب بقراءته واستدعاه فصعد إليه في مقام الحنفي حيث كان يصلي جلالته فأكرمه بعطفه وملاطفته.

ثم تعين صاحب اللمحات عضواً في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة فاشترك مع أعضاء الهيئة في الاحتفالات التي تقام لجلالته في بناية المؤتمر (وزارة المالية حالياً) وتقدم ضمن الأعضاء للسلام عليه. وإلى

جانب ذلك جلالته شارك في لقاء في قصره بالمعابدة مع أعضاء الهيئة لسماع توجيهات جلالته ورسم المخططات للهيئة في واجبها لتسير فيه على هدى وبصيرة، وحدث في أول اجتماع للهيئة أن لفت نظر جلالته صاحب اللمحات إذ لم يخط الشعر في عارضيه، ولعل جلالته عَجِبَ من عضو للأمر بالمعروف حَدِّثِ السَّنْ فالتفت إلى رئيس القضاة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ يرحمه الله، وسأله عن هذا العضو فأعطاه ترجمة وافية عن شخصية صاحب اللمحات، وأنه طالب علم متخرج في المعهد السعودي، وإمام في المسجد الحرام، أضف إلى ذلك أن صاحب اللمحات أمضى ستة عشر عامًا ونيفًا في معية جلالته وتحت رعايته مديرًا لمدرسة أنجاله منذ عام ١٣٥٦هـ حتى عام ١٣٧٣هـ. وقد كتبت تفاصيل ذلك في اللمحات السابقة.

المأساة:

أما المأساة التي يعينها صاحب اللمحات والتي جَلَّلَ الحزنُ من أجلها كلَّ فرد في المملكة بل كل مسلم في العالم الإسلامي أجمع فهي المأساة التي حدثت بوفاة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ١٣٧٣هـ بعد عمر مديد عامر بالباقيات الصالحات، حافل بجلائل الأعمال.

اعتلال صحة جلالته:

الشيخوخة في واقعها داء عَضَال يفقد المرء نشاطه أو يحد منه، وغالبًا ما تكون مصحوبة بأمراض عضوية تزيد من عناء الشيخوخة، وقد أصيب جلالته في آخر عمره بآلم المفاصل في ركبتيه، ثم أصيب بمرض في القلب استدعي له من أجله أمهر الأطباء من فرنسا، فأخذت صحته تتأرجح بين الشفاء والمرض، وكان - يرحمه الله - مضرب المثل في التجلد والصبر وقوة الإيمان واليقين في الله واحتساب الأجر عند الله.

انتقاله إلى الطائف:

غادر جلالتة الرياض إلى الطائف في صيف عام ١٣٧٣هـ، ولبت فيه حتى شهر ربيع الأول ١٣٧٣هـ وبالتحديد حتى اليوم الثاني منه حيث وافاه الأجل المحتوم الذي كتبه الله على كل من عاش على الغبراء ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾، وكان ولي العهد (الملك سعود) - يرحمه الله - يتردد بين جدة والطائف للاطمئنان على صحة والده، وكم أشار عليه بالعودة إلى الرياض لعل في جو الرياض الذي أُلِفَّه طوال حياته ما يخفف من علته غير أن جلالتة يرفض هذا العرض بشدة حتى بعد أن يحزم أمره ويحدد يوم الرحيل يرجع عن رأيه، ويفل عزييمته لأمر قدّره الله سبحانه ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

المفاجأة بوفاة جلالتة:

كان صاحب اللمحات يسير إلى داره يرافقه الأستاذ أحمد علي الكاظمي فسمعا الإذاعة السعودية تقطع برامجها وتخص جميع الفترات بقراءة القرآن الكريم وذلك يوم ١٣٧٢/٢/٢هـ، فوقع في نفسيهما أن حدثاً مفاجئاً قد حدث، ثم أعلنت الإذاعة خبر وفاة جلالة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - فذهل صاحب اللمحات لهول المفاجأة، واستعبر واسترجع وكفكف غرب دمه المتهاطل، واستذكر وعد الله للصابرين وأخذ يردد في حُزْنٍ مُمِضٍ ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخِرُونَ﴾ ويستعيد كل آية توحى بحتمية المصير إلى الله كقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ وقوله لرسوله وأكرم خلقه ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ وقوله ﴿كُلُّ مِّنْ عَلَيْنَا فَاَن﴾ ﴿وَسَقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ وغير ذلك من الآيات الكريمة التي كانت نفسه المهتاجة تجد فيها العزاء، وأن الموت ليس بدعاً في البشر، إنما هو قَدَرٌ يصير إليه كل من عاش على الغبراء مهما امتد به الأجل وابتسمت له الأيام.

المدير المساعد يصف المأساة:

توفي اليوم الثاني من ربيع الأول الملك عبدالعزيز في الطائف، وليست وفاته من الأمور الصغيرة التي أفيدها في يومياتي، فهي حدث عظيم يسجله تاريخ العالم في أبرز صفحاته، وسيبقى يوم وفاته يومًا معروفًا لدى الصغير والكبير، وأقيد وفاة جلالته بالنسبة لشعوري وبصفتي كنت أقوم بتعليم أنجاله الأمراء، فتحت المذيع على إذاعة مكة فإذا هي تعيد إذاعة النبأ بوفاة الملك عبدالعزيز اليوم الساعة الرابعة غروبًا، لقد مات ذلك الرجل الذي كان يحكم الجزيرة من شرقها إلى غربها، والذي منحه الله حظًا عظيمًا وبارك في عمره وأولاده وملكوته ودولته، وأخرج له من كنوز الأرض ما جعله سيد الجزيرة بحق، لقد صُلِّي عليه في الساعة السادسة غروبًا في مصلى العيد، ونقل جثمانه بالطائرة إلى الرياض ورافقه الأمير فيصل.

أما صاحب اللمحات فقد كان يتهاطل دمه كلما تذكر يومًا من أيام جلالته، بل لحظة من اللحظات التي كان فيها موضع الرعاية والعطف من جلالته، والتي كان كثيرًا ما يرفع من شأنه ويثني عليه، ويذكر له نصحه وإخلاصه وقيامه بالواجب نحو أنجاله، لقد بكى صاحب اللمحات في جلالته - يرحمه الله - الكرم المنقطع النظير والفضل والتواضع، وكل خلق كريم قل أن يجتمع إلا في الأفذاذ من الرجال كجلالته يرحمه الله.

جوانب خيرة في حياته:

وكم لجلالته من جوانب خيرة لا يستوعبها العدُّ والحصر، لقد عاصر صاحب اللمحات جلالته أمداً طويلاً، ووقف على الجوانب الخيرة في حياته، فهو إذ يذكر منها شيئاً على سبيل المثال إنما يتحدث عن واقع لمسه وعاشه لا عن رواية يرويها ولا عن كتاب تاريخ ينقل منه، فمن الجوانب الخيرة خشوعه - يرحمه الله - عند سماعه للقرآن وتأثره بوعده ووعده، وطول بكائه ونشيجه حتى يشفق عليه من حضره، وحتى يقف القارئ عن

القراءة ظناً منه أن ذلك يخفف من تأثيره، ولكنه - يرحمه الله - يأمر بمعاودة القراءة ويقول: (اقرأ وطول، ولا تبخل علينا).

قيام الليل:

كانت خيام المدرسة في القنص تقام بالقرب من مخيم جلالته، لذلك كان صاحب اللمحات يلحظ جلالته - يرحمه الله - إذا كان ثلث الليل الآخر تشعل له المصابيح الكهربائية، وينتهز هذه الفرصة الثمينة في قيام الليل الفرصة التي يتجلى الله فيها على عبادة، ويستمر في مناجاة ربه بآياته ويضرع إليه ويبكي بكاء الثكلى، ويستمر على هذا الوضع حتى قبيل الفجر فيوتر ثم يُصلي الصبح في جماعة، ثم يمكث في مجلسه يتلو ورداً من الأذكار النبوية كان من حسن الحظ أن كلّف جلالته مدير المدرسة المساعد بإعادة نسخه عندما بليت أوراقه من كثرة ملامساتها، ثم طبعه أخيراً الأمير متعب بن عبدالعزيز وأخذ يوزعه مجاناً في رمضان على الجميع قرّةً يتقرب بها إلى الله على روح والده يرحمه الله.

أمثلة من دعوته:

كان - يرحمه الله - من أبرز الدعاة إلى الله متمشياً مع نهج الآية الكريمة ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، وكثيراً ما كان يستمع إليه الناس في الحفلات التي تقام له في مناسبات مختلفة يشرح كلمة التوحيد وبيان مدلولها، ويذكر أركانها وما تثبت من حقيقة التوحيد، وما تنفيه من تأليه غير الله بأي لون من ألوان العبادة، ويصرح قائلاً: نحن دعاة إلى الله، وما نصّرنا الله إلا بهذه الدعوة وإخلاص الدين لله.

أمثلة من تواضعه وزهده:

لقد ارتفع - يرحمه الله - عن كل مظاهر أبهة الملك ومدارج العظمة والتعالي، يميل إلى البساطة في كل شي في مأكله وملبسه ومشربه ومركبه،

لا يزيد عن الرجل العادي في البيوت المتوسطة، كان غاية في التواضع ومضرب المثل في الزهد، شيد قصر الرياض الذي كان يسكنه هو وعائلته وأنجاله وفيه موظفو الدواوين الملكية شيده من الطين (اللبن) وفي أسفل هذا القصر مستودعات الأرزاق يقصدها الناس ممن له سهم أو لديه أمر في هذه الأرزاق.

ولعل قصر المربع الذي انتقل إليه أخيراً فيه شيء من التنظيم، وشيد بالأسمت المسلح، ومن أمثله تواضعه - يرحمه الله - أن البدوي في أعنف أدوار البداوة يدخل عليه في مجلس الحكم بزيه المتواضع زي البادية المبسط ويدعوه باسمه: يا عبدالعزيز. فلا يرى في ذلك هدمًا لمقامه أو هبوطًا بمنزلته، كان العدل شعاره فأسس على قواعده ملكه فأحبته الرعية حتى إنك إذا تصدقت بصدقة على سائل أخذ يلهج بقوله: الله يطوّل عمر الشيوخ. أي عمر عبدالعزيز الذي كان سببًا في إيصال هذا الخير إليه، وكان - يرحمه الله - يبادل الرعية حبًا بحب ويقول بملء فيه: (إنني أنظر إلى كبيركم كوالد، وإلى شابكم كأخ، وإلى صغيركم كابن).

وكم لجلالته - يرحمه الله - من جوانب خيرة في حياته يكتفي منها صاحب اللّمحات بهذه العجالة في هذه المتابعة، طيب الله ثراه، وأسبغ عليه الرحمة والغفران والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان بمنه وكرمه إلى جوار أولياء الله والمقربين من عباده.

في الرثاء بعض العزاء:

لقد طال صمت صاحب اللّمحات بعد وفاة جلالة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - لهول الفاجعة، فلم يكتب في المناسبة مع الكاتبين، ولم يتحدث في الإذاعة مع المتحدثين، وعندما أفاق من ذهوله رأى أن من الواجب عليه أن يقول شيئًا في رثاء جلالته - يرحمه الله - يعتمر فيه نفسه ويصور به أحاسيسه وشعوره، ويكون له فيه بعض العزاء عن مُرّ البلاء، فأذاع السطور الآتية آنذاك ويستعيدها اليوم لربطها بحياة جلالته في هذه اللّمحات.

استهلها بالعبارة الباكية الآتية: (رهبة الموت وفقد العزيز الغالي عقد لساني وحبس أنفاسي، وأقعداني عن معالجة الكتابة والضرب بسهم مع الكاتبين والتحدث مع المتحدثين إبان وقوع الفاجعة في اليوم الأول من أيام الصدمة، بيد أن الواجب لا يُترك ولجلالة الراحل العظيم - يرحمه الله - دُيِّنَ في عنقي يتقاضاني الكتابة والإسهام في هذا الواجب المفروض، والتحدث عن بعض مزايا جلالته، وبعض نواحي الصلاح الغامر الذي كان يتحلى به، والذي يرفعه إلى صفوف البررة من عباد الله المقربين، ولئن كتب الكتاب عن حلم جلالته وأذاعوا عن علمه وحنكته وبعد نظره في سياسته وتحدثوا عن شمائله وشجاعته ونبله، وعن مبراته وخيراته وعطفه، لئن كتب الكاتبون وأذاع المذيعون، وتحدث المتحدثون عن ذلك، وأكثروا منه مما يلحظ في سيرة جلالته، ومما هو جدير بالكتابة والتسجيل، فإنني وقد أصبح الفقيد في ذمة الله وتحت سحائب الرحمة والرضوان كما نرجو له ذلك أسمح لنفسي أن أتحدث وأسجل لجلالته ظاهرة من أروع الظواهر وخُلُقًا قَلَّ أن يلحظ إلا في البررة الأتقياء من صالح العباد، تلك الظاهرة وهذا الخلق هو الشعور الغامر بعظمة الله والاتجاه الراشد نحو ملكوت الله والإخلاص الصادق في معاملته، يتجلى كل ذلك ويبدو واضحًا عند ذكر الله وفي تذكير جلالته بالله ووعظه بآيات الله وطرق آذانه العبر وقصص السالفين، ممن أسرفوا على أنفسهم فكان لهم بذلك سوء المصير).

مجالسه - يرحمه الله - حافلة بالعلم:

كانت مجالسه - يرحمه الله - حافلة بالعلم وذكر الله، فكان لا يبدأ عمله اليومي كل صباح ولا ينظر في أمر من أمور الرعية إلا بعد أن يستمع إلى قسم من تفسير كلام الله وشيء من الحكم الإسلامية والمواعظ الدينية، ولا يمسي إلا بعد أن يستمع إلى شيء من أحاديث خير البرية تجمع إلى جانب التوجيه الحصيف عظام تلين القلوب وتنير البصائر، وتكبح جماح

النفس وتردع عن مزالق الإثم، وتدعو إلى الفضيلة، ولم يكتف بذلك بل لقد رغب إلى سماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم - يرحمه الله - أن ينتدب إلى مجلسه الليلي أحد العلماء الأزهريين ممن لهم باع طويل في العلم والمعرفة واطلاع واسع يقوم بمهمة عرض ألوان من البحوث الدينية والثقافة الإسلامية والعظات البالغة؛ ليفيد منها جلالته، ويعمل بما توحى به من العلم والفضائل، فانتدب المفتي - يرحمه الله - لهذه المهمة العالم السلفي البارز فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي أمد الله في عمره، وقام بالمهمة خير قيام.

وقد تقدم في لمحة من اللوحات السابقة خشوع جلالته عند سماعه للقرآن وطول بكائه ونشيجه، يذكر صاحب اللوحات من ذلك أن قارئاً بدأ تلاوته بقول الله تبارك وتعالى ﴿وَلَمَّا سَفَّ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانٌ﴾ فاستعبر وطال بكأؤه حتى أبكى من حوله وغدا الجو من حوله روحانيًا بعيداً عن الزهو والزخرف، وطفق بعد ذلك - يرحمه الله - يلهج بالاستغفار والدعاء حتى انتهى موعد الجلسة المعتادة، ولحظ القارئ في جلالته هذا التأثير فأخذ يحتاط ويتجوّز في القراءة، ويقتصر على تلاوة آيات معدودات يتحرى أن لا تكون من آيات الوعيد أو فيها ذكر للمجازاة والتعذيب، فاستدعاه وخاطبه بلهجته الصريحة المعهودة قائلاً: (إن البخل شين، وفي هذه المسائل أشين. إذا قرأت فطوّل ذكرنا بالله، وعظّمنا بآيات الله، القرآن كله بركة).

وكثيراً ما كان يعلق - يرحمه الله - على بعض الآيات بما يفتح الله به عليه فيكون لتعليقاته الأثر البالغ في النفوس، إذ كانت فيض شعوره ووحى ضميره، ومن طول ما أفاده - يرحمه الله - من مجالس العلم التي كانت تعقد بمحضره، فسلامٌ عليه في البررة الصالحين، وسلامٌ عليه في الذاكرين، وسلام عليه في الأئمة الهادين المهديين، طيب الله ثراه، ورفع منازلهم في عليين.

نموذج من منشوراته الهادفة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وسيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود إلى من يراه من إخواننا الحجازيين والنجديين واليمنيين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: بارك الله فيكم ووفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، وجعلنا وإياكم من صالحى العباد وأوليائه.

تعلمون أن الله سبحانه مَنْ علينا بنعمة الإسلام، وأكملها علينا كما قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

ومن أكبر نعمه علينا إنزال كتابه العزيز وإرسال نبيه الكريم، وخلاصة ذلك وعمدة ما نزل في كتاب الله وما أرسل به رسله الأولين والآخرين وخاتمهم سيد المرسلين هي الدعوة لعبادة الله وحده لا شريك له، وهي مضمون (لا إله إلا الله)، كما أن معنى (لا إله إلا الله) نفى، و (إلا الله) إثبات، وكل من قال (لا إله إلا الله) عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها موالياً لجميع ما أمر الله به معادياً لما نهى عنه من الأفعال والأقوال فهو من أهل (لا إله إلا الله)، ومن قالها ولم يعرف معناها ولم يعمل بمقتضاها وأحب ما احتوت عليه من الخير، وأبغض ونفى ما نهت عنه من الشرك من الأقوال والأفعال فليس هو من أهل (لا إله إلا الله) فهو كالأنعام، بل هو أضل سبيلاً. وتعرفون بارك الله فيكم لو أنني أريد أن أتمادى فيما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من الآيات المحكمة والأحاديث الصحيحة التي تثبت الأعمال الطيبة وتنكر الأعمال السيئة لطال الكلام، والمقصد من ذلك الفائدة والاتباع لما أمر الله وهو قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ الآية وقوله ﷺ: (الدين النصيحة. قالوا لمن يا رسول الله؟

قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم). وشرح ذلك مفهوم، وهو أن النصح لله أن نعبده الله وحده ونبرأ مما سواه، ونحب ما أمر الله به ونجتنب ما نهى عنه، وأن نصح لرسول الله ﷺ أن نجزم أنه أفضل الأولين والآخرين، وأنه الصادق المصدق لا ينطق عن الهوى، وأنه معصوم، ومن أنكر شفاعته ﷺ إذا أذن الله له وقال: نؤمن بكتاب الله ولا نؤمن بمحمد كَفَر، والذي حملني على هذه النصيحة هو ما رأيته في هذا الزمان وأهله من الفساد وما اقترفناه من الذنوب كبيرها وصغيرها، نستغفر الله وتوب إليه، فالناس في هذا الزمان قد انقسموا على أقسام شتى، منهم العارف بالله وبكتاب الله والذين يعتقدون عقيدة السلف الصالح إلا أنهم قصَّروا في العمل وتركوا النصيحة، ولم يقوموا بالواجب وآخرون اتخذوا أديانهم أهواءهم، واتبعوا كل ناعق، فمنهم الملحد والعياذ بالله، ومنهم المبتدع، ومنهم من لم يعرف طريق الحق والضلال، وتمسك بقوله: أنا مسلم ولم يفرق بين حق وباطل، ومنهم من أحدث له الشيطان من الخيالات والمفاسد، وادعى أنها الحياة الجديدة وأنها الحرية والمدنية، واجتهد في الدعوة إليها والإنكار على من خالفها؛ إذ يقول: ينبغي أن نتقدم وألا نرجع إلى الوراء. ومعناه في التقدم هو التمدن والحرية، والتأخر هو اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومذهب السلف الصالح فهذا الحال.

وقد أحببت النصيحة أولاً لكافة المسلمين، وثانياً لمن ولانا الله سبحانه أمرهم بأن نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونعتصم بحبل الله جميعاً ولا نتفرق فياخذنا الشيطان إلى طريق الضلال وأن نُحذِر من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (١١) وغير خاف أن دعوة التمدن هي رقصة من رقصات الشيطان، وذلك من قول مَنْ يقول: إني مسلم بلا عمل ولا اعتقاد مع اتباع أقوال الملحدين وأهل الفساد وارتكاب المحرمات في الأقوال والأفعال، فلا والله ليس هذا

التمدن في شرعنا ولا عُرْفنا، هذه طريق شائكة تدفع بالأمة إلى الدمار فالواجب على كل مسلم وعربي فخور بدينه معتز بعرويته أن لا يخالف مبادئ دينه وما أمره الله به والعمل على كل ما فيه الخير لبلاده ووطنه، فالرقي الحقيقي هو بصدق العزيمة والعلم الصحيح والسير على الأخلاق الكريمة والانصراف عن الرذيلة، وكل ما من شأنه أن يمسّ الدين والسمت العربي والمروءة، وأن يتبع طرائق آبائه وأجداده الذين أتوا الأمور باتباعهم الشريعة وأن يعرف حق المعرفة ربه ومعنى الإسلام وعظمته ومعنى ما جاء به نبينا ذلك البطل الكريم العظيم ﷺ من انتعالم القيمة التي تسعد الإنسان في الدارين، وتعلمه أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

إنني أرى من واجبي بصفتي مسلماً وبحسب عرويتي وإخلاصي لأبناء قومي أن أقوم بهذه النصائح... وإني بحول الله وقوته سائر على هذه الدعوة المباركة، وأرجو أن ينفع الله بها، فما كان فيها من الصواب فمن الله وما كان من الخطأ فمن نفسي ومن الشيطان، واستغفر الله من ذلك، كما أنني أعاهد الله بالزام من أطاعني بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأسأله على ذلك، وأسأل الله التوفيق والعناية والتيسير لي ولإخواني المسلمين عامتهم وخاصتهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

إشراق الدعوة الإسلامية في منشور جلالته:

هذه هي الدعوة الإسلامية في إشراقها وسماحتها، وهذه هي النصائح الهادية الهادفة السمحة المتواضعة من رجل عظيم وإمام راشد ومصلح جمع شتات الأمور، واضطلع بأعباء الزعامة في مجالاتها الواسعة، فكان فذاً بين الموهوبين، ومعجزة بين القادرين، وآية في الماضيين والسالكين، نسأل الله أن يُقَرَّ عينه بمنازل الأوابين والصالحين، ويرفع درجاته في عليين بين المقربين.

نموذج من خطب جلالته يرحمه الله:

في غصون عام ١٣٤٤هـ وجّه جلالته دعوة عامة لجميع الشعوب الإسلامية لعقد مؤتمر إسلامي بمكة، ولدى اكتمال الوفود قام خطيباً قائلاً:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أيها المؤتمرون الكرام: إن المسلمين قد أهلكهم التفرق في المذاهب والمشارب، فاثمروا على التآلف بينكم والتعاون على مصالحكم ومنافعكم العامة المشتركة: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَيَّكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وأسأل الله أن يوفقني وإياكم لإقامة دينه وخدمة حرمه وحرمة رسوله صلوات الله وسلامه عليه، والتأليف بين جماعة المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

التعيين مستشاراً للتعليم بمكة

لكل شيء إذا ما تم نقصان:

بلغت مدرسة الأمراء أنجال جلالة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - أوج عزها وغاية رفعتها ونهاية مراحلها إذ كانت تستظل بظل منشئها وتحت كنفه ورعاية الله ثم رعايته منذ أن أمر جلالته - يرحمه الله - بإعادة تشكيلها وإسناد إدارتها إلى صاحب اللمحات عام ١٣٥٦هـ حتى عام ١٣٧٣هـ، ثم قوضت خيامها بانتقال جلالته - يرحمه الله - إلى دار البقاء فالتحق بعض طلابها الصغار بمعهد أنجال الملك سعود يرحمه الله.

الأمر الملكي بالتعيين مستشارًا للتعليم:

بعد تولي جلالة الملك سعود - يرحمه الله - أعباء الحكم في المملكة رغب إلى شخصية كبيرة من آل سعود لها صلة بصاحب اللمحات أن تكشف لجلالته عن رغبة صاحب اللمحات في العمل الذي يحب أن يسند إليه بعد دمج مدرسة الأسراء بمعهد الأنجال، وقد حظي صاحب اللمحات بكتاب من هذه الشخصية تعلمه فيه بعواطف الملك سعود وحرصه على رعاية مقام صاحب اللمحات، وتقدير ماضيه وترحيب جلالته باستمرار عمله في معهد الأنجال بصفته رئيسًا لقسم أبناء الملك عبدالعزيز الذين انضموا إلى المعهد إذا رغب صاحب اللمحات في ذلك، وإلا فإن الملك سعود يريد معرفة ما يرغب فيه صاحب اللمحات.

إزاء هذا العرض الكريم والعطف البارز كتب صاحب اللمحات إلى جلالته عن طريق الشخصية الكبيرة آنفة الذكر بالرغبة التي استقر عليها رأيه ورأي هيئة التدريس.

ثم ورد الرد من الشخصية الكبيرة لصاحب اللمحات بموافقة جلالته على الرغبة، وصدر الأمر الملكي بذلك إلى سمو نائب رئيس مجلس الوزراء برقم ١٠٠١/٣/٢٠ في ١٣٧٣/٤/٧ هـ ومنه إلى سمو وزير الداخلية برقم ٣٥٤٤ في ١٣٧٣/٤/١٥ هـ، ومن وزير الداخلية إلى مدير المعارف العام برقم ٢١٠٤ في ١٣٧٣/٤/٢١ هـ.

وفي يوم ١٣٧٣/٤/٢٤ هـ تلقى صاحب اللمحات المذكرة الآتية من مدير المعارف العام:

فضيلة الأستاذ عبدالله خياط

الموقر

بعد التحية

تقديرًا لإخلاصكم وخدماتكم الطويلة المبدولة في سبيل التعليم فقد

تبلغنا من وزارة الداخلية برقم ٢١٠٤ في ٢١/٤/١٣٧٣هـ عن صدور الأمر الملكي الكريم بتعيينكم مستشاراً للتعليم في المعارف بمرتب (١١٠٠) ريال شهرياً. فنود اعتماد موجبہ الكريم ومباشرة عملكم بما نعرفه عنكم من نشاط وإخلاص.

والله يحفظكم.

مدير المعارف العام

ما بين غمضة عين وانتباهتها:

هذا شطر بيت لشاعر ألقى مقاليد الأمور لله كما يجب ذلك على كل مسلم، وسلّم الأمر إليه، وباعد بينه وبين اليأس والقنوط، وتفاءل خيراً بمستقبل مشرق يصوره شطر البيت الآخر وهو (يُغَيِّرُ الله من حالٍ إلى حال). ويستشهد صاحب اللمحات بهذا البيت لأنه أصاب المحزّ من نفسه إذ بينما كانت مبللة مضطربة الفكر تسبح في خضم من الهواجس لا ساحل لها ولا قرار، ويقوم فيها تساؤلات لا حصر لها عن المستقبل، وكيف يكون؟ وهل ترجع هيئة التدريس إلى الحجاز في مثل وظائفها؟ أم تحال إلى التقاعد أم تصنف في وظائف أخرى ربما لا تكون منسجمة مع وضعها؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي أفضّت مضجعها، ووضعت على عينها المنظار الأسود، بعد ذلك انفرجت الأزمة وخرجت منها دون أن يكون لها يد أو إسهام في حلها، ودون تطلع إلى المصير الذي صارت إليه، وفي ذلك توجيه الأنظار دائماً إلى صاحب الشأن من بيده ملكوت كل شيء سبحانه، ومن أمره بين الكاف والنون كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ألا ليت للناس عبرة بما يجري في الكون من رفع وخفض ووصل وقطع واتساع رزق وتقتيره، فان وراء ذلك كله يد الله التي تدبره، وحكمته التي لا يخلو منها قضاء قضاءه أو أمر أبرمه وصدق الله إذ يقول: ﴿فَسَبِّحْ لِلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

حفل معهد الأنجال:

معهد الأنجال - كما سبق أن عرض له صاحب اللمحات في إحدى حلقاته - هو المعهد الذي أقيم في الناصرية، وسبق في مستهل هذه اللوحة أن الأمراء الصغار من أنجال جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - قد التحقوا به بعد أن انتهى وضع مدرستهم ب وفاة والدهم طيب الله ثراه، وقد أقام هذا المعهد حفلاً بعد انضمام الأمراء إليه حضره الملك سعود رحمه الله، وقد وصفه الأستاذ أحمد علي الكاظمي بقوله:

(في يوم ٢٤ ربيع الثاني ١٣٧٣هـ سمعنا البارحة وصف احتفال أقامه معهد أنجال الملك سعود بالرياض بعد التحاق الأمراء أنجال جلالة الملك عبدالعزيز إليه، وقد اشتركوا في المحاورات والخطب وكنت أسمع، وأحمد الله على انضمام الأمراء طلبتنا إلى هذا المعهد).

ويعلق صاحب اللمحات على هذا الاحتفال واشتراك طلبة مدرسة الأمراء فيه بالاعتزاز بهذه الشجرة التي وضع غرسها هيئة تدريس مدرسة الأمراء أنجال الملك عبدالعزيز، ولم تكن الفترة التي قضاها الأمراء في المعهد كافية لإبراز نشاطهم العلمي واشتراكهم في المحاورات والخطب إذ لم يمض غير شهر واحد تقريباً على انضمامهم إلى المعهد، والشهر لا يكفي لإعطاء الواقع الصحيح لوصول الأمراء إلى ما وصلوا إليه لولا الركيزة التي كانوا قد اكتسبوها في ماضيهم الدراسي.

تشكيل وزارة المعارف:

منذ أن عرف الناس التعليم المنظم في المملكة كانت تهيمن عليه وتدير شؤونَه وتنظم مراحلَه مديرية المعارف، وقد تعاقب على وظيفة المدير فيها شخصيات علمية بارزة كان آخرها فضيلة الشيخ محمد بن مانع يرحمه الله، وقد قامت هذه المديرية بواجبها خلال الفترة من ١٣٤٤هـ إلى ١٣٧٣هـ، وتولت نشر التعليم الابتدائي والثانوي في أنحاء المملكة، أما التعليم

الجامعي فقد كان معدومًا إلى أن أنشئت كلية الشريعة بمكة عام ١٣٦٩هـ، كما تم ابتعاث عدد محدود من الطلاب للدراسة الجامعية في مصر.

ثم كانت الخطوة الثانية لدخول التعليم مرحلة أكثر إيجابية وأوسع اختصاصًا وأكثر شمولًا لجوانب اتسعت فيها أبعاد التعليم وتنوعت مجالاته، فازداد عدد المدارس بشكل كبير، وقطع فيها التعليم الجامعي خطوات واسعة، هذه هي الخطوة التي تشكلت فيها وزارة المعارف عام ١٣٧٣هـ وأسندت وزارتها لسمو الأمير فهد بن عبدالعزيز (جلالة الملك فهد المعظم) حفظه الله، ونشرت هذه البشرى صحيفة البلاد يوم ٢٢/ ربيع الثاني ٧٣هـ وعُلقت على الخبر التعليق الآتي:

(وعليه فسوف تصبح مديرية المعارف من اليوم وزارة لها مسؤولياتها الخاصة واعتماداتها وكل شأن من شؤونها على أنها وزارة مستقلة).

استقبال وزير المعارف بجدة:

في يوم ٢٨/٤/١٣٧٣هـ وصل إلى جدة وزير المعارف قادمًا من الرياض فهرع لاستقباله جميع موظفي المعارف، وفي مقدمتهم فضيلة مدير المعارف الشيخ محمد بن مانع - يرحمه الله - وكذا المستشارون والمفتشون وغيرهم، وكان الاستقبال في المطار دون إقامة احتفال، ثم أقيم له بعد ذلك مهرجان كبير في حدائق الزاهر بمكة، وقد تبارى الشعراء والخطباء على منبر الخطابة لإلقاء كلماتهم الترحيبية احتفاءً بمقدم سموه، وامتدت في الحدائق أكثر من مائدة للطعام إذ كان المستقبليون حشدًا هائلًا، ولا نطيل أيضًا في الاستقصاء والتعرض لأكثر من حفلات الاستقبال إلا فيما يتطلبه موضوع اللّمحات.

فضيلة نائب رئيس القضاة وكيلاً للوزارة:

أدرك سمو وزير المعارف بثاقب نظره وسديد رأيه أن الوزارة لا تقوم

إلا على سواعد رجال يجمعون بين العلم وسعة الأفق والمران في حقل التوظيف، وإلى جانب ذلك تكون لهم شخصية متميزة لها مكانتها واحترامها في المجموع، فوقع نظره على فضيلة الشيخ عبدالعزيز ابن الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ نائب رئيس القضاة في الحجاز لحمل العبء، وليتولى وكالة الوزارة؛ وليكون بحكم عمله الرجل الثاني في تصريف شؤون الوزارة والتخطيط لسير الأعمال فيها وتوزيع المسؤوليات بحسب اختصاصات كل فرع وكل مكتب في الوزارة.

وقبل أن تنتقل الوزارة إلى الرياض كان مقر الوكيل في الحجاز، وصدرت الموافقة السامية لفضيلته بالتعيين، وبدأ العمل في مكة يوم ١٦/٨/١٣٧٣ هـ.

وكان على رأس العمل فضيلة مدير المعارف الشيخ محمد بن مانع يرحمه الله. ولا يطيل صاحب اللمحات البسط فيما يتصل بالترتيبات التي اتخذت لتحديد الصلاحيات وسير العمل فليس ذلك مما يتصل بهذه اللمحات.

نماذج من الأعمال التي كانت تسند إلى المستشار:

(١) في ٢٥/٧/١٣٧٣ هـ وردت لمكتب المستشار مذكرة من وزير المعارف بصدد معرفة وجهة نظر الشرع في موضوع نقد بعض الناس لتدريس مادة الجغرافيا في المدارس، فرفع المستشار إلى سموه الإجابة الآتية: أكتب لسموكم بعد درسي لما جاء في كتاب الشيخ عمر السالك المشفوع بمذكرة رئيس الديوان العالي رقم ١/١٣/٢٦٥١ وتاريخ ١١/٧/١٣٧٣ هـ بصدد نقد الشيخ السالك بعض المناحي في تدريس الجغرافيا، وبناءً عليه أعدت النظر في منهج الجغرافيا الذي قرره المعارف فلم أجد فيه مما نقده المذكور غير مسألة شكل الأرض، مما لعله أن يجزّ الحديث عنه إلى كرويتها، على أن موضوع كروية الأرض

قد عرض لذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرسالة العرشية كما صرح به تلميذه ابن القيم في كتاب مفتاح دار السعادة، أما عدا ذلك مما عرض لنقده الشيخ السالك فعلاوة على أنه لم يكن مقررًا في البرنامج الدراسي فإن المعارف زيادة منها في الحرص لفتت نظر المدرسين إلى عدم التعرض للنظريات الحديثة القائلة بحركة الأرض وغيرها فيما لو وجد شيء من ذلك في الكتب المتداولة في أيدي الطلبة التي طبعت في مصر، مما يجعل ولاة الأمور على اطمئنان تام من عقائد النشء، وعلى ثقة من غرس الروح الدينية، والعمل على تحقيق التربية الإسلامية الصحيحة فيهم.

(٢) التعيين في عضوية مجلس المعارف ابتداء من غرة جمادى الأولى ١٣٧٣هـ، وكان يعقد هذا المجلس آنذاك في كل أسبوع مرة تحت رئاسة مدير المعارف فضيلة الشيخ محمد بن مانع - يرحمه الله - يعرض عليه ترشيحات المدرسين وتقرير الخطط للسير بالتعليم، وغير ذلك مما هو منصوص عليه في نظام المجلس.

(٣) الاختبار لتقرير صلاحية الأراضي التي تعتزم الوزارة شراءها لإقامة مدارس عليها.

(٤) الدورات التوجيهية على المدارس الابتدائية والثانوية، فقد عهد إليه سعادة الوكيل بالقيام بها أسبوعيًا (أولًا) ليأخذ فكرة عن العلوم الدينية وطرق تدريسها والكشف عن الأساتذة الذين عُهد إليهم القيام بتدريسها عما إذا كانوا في مستوى المسؤولية أم ينحدرون عنها؟ (ثانيًا) للقيام شخصيًا بتوجيه الطلاب وشرح ما أبهم عليهم من مسائل قد أغفلها المدرس، فكان صاحب اللوحات يقوم بهذا الواجب ثم يرفع إلى سعادة الوكيل بالنتائج شفهيًا.

(٥) دراسة المناهج والكتب الدراسية وكتابة تقارير عنها بغرض تنقيحها

وتطويرها، ومن أمثلة ذلك إعادة توزيع كتب التوحيد والفقه بحيث يدرس الطالب المسائل مرتبة حسب مستواه وعقليته وهضم المعلومات التي تلقى إليه.

ونوضح هذا الموضوع بضرب المثل بكتاب كشف الشبهات، فقد كان مقرراً على السنة السادسة الابتدائية، وهو فوق مستوى طلابها بدليل أن الرسوب في الاختبار كان كبيراً، فاستبدل بموافقة سعادة الوكيل بكتاب لُمة الاعتقاد، ورفع كتاب كشف الشبهات إلى المدارس الثانوية، وهكذا كانت النظرة في مقررات التوحيد والفقه في المدارس الثانوية شاملة إذ وُزِعَ كتاب التوحيد على السنوات الثلاث، ووضع في السنة الرابعة كتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وفي الفقه استبدل كتاب أخصر المختصرات بكتاب دليل الطالب في المدارس الابتدائية، كما قرر توزيع كتاب عمدة الفقه في المدارس الثانوية، وفي الحديث اقتصر على الأربعين النووية في المدارس الابتدائية، أما المدارس الثانوية فقرر فيها متن كتاب بلوغ المرام.

وفي القرآن كان من المقرر حفظ ما يقرب من ربع القرآن غيباً وختم القرآن نظراً في المدارس الابتدائية، وهو مجرد حبر على ورق إذ لم يكن في مقدور الطلبة أن يستوعبوا هذا المقرر إلى نهاية العام، فاقصر على حفظ ثلاثة أجزاء من آخر المصحف مع دراسة عشرة أجزاء نظراً، وكل ذلك تمشياً مع ملكات الطالب ومستواه العقلي وليخرج من دراسته بحصيلة، أما الدراسة التي تعتمد على الكم والتي ينجم عنها تكديس المقررات دون أن يهضمها الطالب أو يستوعبها فذلك ما رفعه فضيلة وكيل الوزارة عن كاهل الطلاب، وكانت النتائج مما يشجع على المضي قدماً في تنقيح المناهج وإعادة النظر فيها لا في العلوم الدينية فحسب بل في جميع العلوم والفنون.

(٦) إسناد رئاسة اللجان في الاختبارات النهائية بالنسبة للمعاهد العلمية تارة

وبالنسبة لكلية الشريعة أخرى، وكان لذلك أثره في سير الاختبارات بدقة والتنبيه على عدم إحراج الطلاب في تقدير الزمن المناسب الكافي للإجابة وعدم إزعاجهم بالإعلام بقرب انتهاء الوقت مما يقضي على تفكير الطالب ودفعه للسرعة أو تقديم ورقة الاختبار دون الإكمال مما ينتج عنه ضعف النتيجة وكثرة الرسوب.

(٧) تكليفه بإدارة كلية الشريعة بالإضافة إلى عمله مستشاراً، وسوف نتابع الحديث عن نشاط صاحب اللمحات في كلية الشريعة فيما بعد.

(٨) تعيينه مشرفاً على إدارة التعليم بمنطقة مكة التعليمية بالإضافة إلى عمله مستشاراً، وذلك بعد انتقال الوزارة إلى الرياض واستحداث إدارة للتعليم بمكة في أوائل عام ١٣٧٦هـ.

(٩) ندبه إلى الطائف لرئاسة لجنة اختبار دار التوحيد، وقد تكرر ذلك سنوات عدة.

(١٠) اختياره عضواً للجنة المنبثقة من مجلس التعليم الأعلى لوضع سياسة عليا للتعليم بموجب خطاب معالي وزير المعارف رقم ١/٥/٤/٣٦٤٦ في ١٨/٦/١٣٨٤هـ المعطوف على خطاب سمو رئيس مجلس الوزراء رقم ١٣١٤٣ في ٢٧/٥/١٣٨٤هـ.

(١١) اختياره مندوباً عن وزارة المعارف في اجتماعات الرابطة الإسلامية بمكة، وذلك بموجب خطاب معالي وزير المعارف رقم ٢/١/٣/٥١٥٠ في ١٣/١٠/١٣٨٤هـ.

إدارة كلية الشريعة بمكة

في اللوحة السابقة أشير إلى إسناد إدارة كلية الشريعة لصاحب اللمحات، وسبق الوعد فيها بالتحدث عن النشاط الذي بذله، والذي يترجم عنه ما يأتي:

- (١) إلزام المدرسين بالتقيد بالمنهج المرسوم وتجزئته على عموم شهور العام الدراسي، وتكليف أحد الموظفين بتسجيل الخطوات التي يقطعها المدرس في خلال كل فترة.
- (٢) إيجاد مجال للنشاط التعليمي والثقافي، وذلك بإيجاد قاعة للمحاضرات يتبارى الأساتذة والطلاب في إلقاء محاضرات أسبوعية، ثم جمع المحاضرات تمهيداً لطبعها، وقد دعمت الوزارة هذا النشاط بكل متطلباته حتى أتى ثماره.
- (٣) العناية بالمكتبة وتزويدها بكتب المراجع وتخصيص أمين لها من موظفي الكلية يكون طالب علم يُعنى بأمرها، ويضبط الكتب المستعارة منها استعارةً داخلية فقط، ويقوم بكل ما يفرضه عليه الواجب بصفته أمين مكتبة.
- (٤) غشيان فصول الدراسة أثناء التدريس للكشف عن موهبة كل مدرس ومدى نشاطه وطريقة تدريسه وانسجام الطلاب معه واستفادتهم منه، ولقد كانت هذه الأغراض هي الهدف من التطواف على الفصول، ولكنها أضحت وسيلة لوقوف المدير على اتجاهات سديدة في الشرح ومجالات هادفة في الثقيف لم يكن قد سبق له التعرف إليها، لقد استمع لأستاذ وهو يقرر درساً في سبل السلام وكأنه البحر، لم يتلثم أو يكرر العبارة شأن من يُبتلى بالعيّ أو يجلس على كرسي الفصل نتيجة للجهد الذي يبذله، واستمع إلى آخر وهو يقرر تفسير آيات الأحكام، ولا تسل عن البلاغة في أسلوبه والفصاحة في توضيحه بعدد الروايات في استنباطاته، ويقرر الراجح منها، ووقف على مدرس ثالث يُلقني درساً في اللغة العربية وفي ألفية ابن مالك يشرح الغامض ويستعرض الشواهد وكأنها من البدهيات التي لا تتطلب إعمال فكر أو تنسيق عبارة، وهكذا استمع إلى البقية من أساتذة الكلية فكانوا ممن لا يشق لهم غبار أو يلحظ عليهم غُوار، ومع ذلك ومن الغريب أن

شخصاً من الوزارة استقدم لتخطيط التعليم استمع إلى أستاذة الكلية في شرحهم للدروس وأخذ على أحدهم أنه يستشهد بالقرآن والسنة، وكان من المفروض أن يستشهد بالشعر، وقد قيل: لا يفتى ومالك في المدينة، ولا يؤخذ بقول أحد أو توجيهه مهما علا كعبه في الوظيفة ما دام أمثال هؤلاء العلماء الفطاحل ينتظم بهم العقد في الكلية، وتضرب إلى أمثالهم أكباد الإبل - كما يقولون - ولا تتحدث طويلاً عن حدود هذا النشاط نشاط المدير واتساع أبعاده لأن من واجبه وقد أضحي مسؤولاً في هذا الحقل أن يسعى جهده لدعم الكلية وسلوك كل سبيل للنهوض بها وإبراز سمعتها.

(٥) إن امتداد النشاط استمر حتى بعد أن انتقل المدير من الكلية، يقول صاحب كتاب تاريخ التعليم في مكة الدكتور عبدالرحمن صالح عبدالله: (دعت وزارة المعارف عام ١٣٨٤هـ نخبة من قادة ورجال التربية في العالم الإسلامي ليساعدوا في تنظيم مناهج الكلية حتى تصل إلى المستوى اللائق بها بوصفها كلية إسلامية تربوية، ومن العلماء الذين اشتركوا في تلك الحلقة الدراسية من خارج المملكة محمد المبارك، وأبو الحسن الندوي ومصطفى الزرقا، كما حضرها من داخل المملكة عدد من المربين نذكر منهم عبدالوهاب عبدالواسع وكيل وزارة المعارف لشؤون التعليم ومحسن باروم مدير عام التعليم العام، وعبدالله خياط مستشار وزارة المعارف بالمنطقة الغربية، وأحمد علي عميد كلية الشريعة، وخالد قرملي عميد كلية التربية، وعبدالرزاق حمزة سكرتير مجلس الكليات، وقد أسفرت تلك الحلقة الدراسية عن وضع سياسة تعليمية جديدة للكلية، وأضحت الكلية تعرف بعد ذلك باسم كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة...).

(٦) الإشراف على وضع أسئلة الاختبار النهائي لكلية الشريعة من قِبَل الأساتذة ومراعاة ما درسه الطالب من المنهج بحيث لا تزيد الأسئلة

على المدروس فقط مع ملاحظة أن تكون الأسئلة في مستوى الطالب المتوسط، ثم رفع الأسئلة مختومة بالشمع الأحمر إلى الوزارة؛ لتصدر منها إلى الكلية بصفة رسمية.

(٧) العضوية في المجلس الأعلى لإدارة كليتي الشريعة والتربية الذي يرأسه وزير المعارف، وذلك بموجب خطاب معاليه رقم ٤٠٩٥/٥/٣/١ في ٢٧/١١/١٣٨٢هـ.

الإمامة والخطابة في المسجد الحرام

في أواخر عام ١٣٧٥هـ رشح فضيلة نائب رئيس القضاة صاحب اللمحات وفضيلة الشيخ سعيد بن عبدالعزيز الجندول ليكونا خطيبين في المسجد الحرام بالتناوب، وصدرت الموافقة الكريمة على ذلك، إذ تلقى صاحب اللمحات المذكرة الآتية من فضيلة نائب رئيس القضاة:

العدد: ١٥٩٠ / ٧

التاريخ: ٢٥ / ٢ / ١٣٧٦هـ

حضرة المكرم الشيخ عبدالله خياط المحترم

عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فقد صدر إلينا أمر سمو رئيس مجلس الوزراء برقم ٨٣٦ / ١ في ٦/٢/٧٦هـ بالموافقة على تعيينكم في إمامة وخطابة المسجد الحرام فيقتضي الإحاطة بمقتضى الأمر الكريم واعتماده.

نائب رئيس القضاة

لكل قادم دهشة:

عندما قدم صاحب اللمحات إلى المسجد الحرام ليؤدي أول خطبة وأخذ في الصعود إلى المنبر أدركته الدهشة أولاً لرهبة المقام، فإن من

يتصور أنه يقف على أرفع منبر في بقاع الدنيا ليقوم بواجب الوعظ والتذكير لا بد أن تدركه الدهشة ويتوجس خيفة، فلعله لم يُصَبِ الهدف بخطبته، أو لتصوره أن كل من في المسجد الحرام من جموع المصلين يستمع أو ينظر إليه، أو لاعتبارات أخرى تجول في نفسه، ولقد واجهت صاحب اللمحات مشكلة زادت من بلباله ودهشته وهي موقف الخطيب من المنبر، فالمنبر رفيع ومكبر الصوت وُضع في موضع لم يستطع الخطيب تحديده، وهل يرتفع عنه أو ينخفض عنه؟ وأخيراً رأى النزول عنه فكان لا يرى غير رأسه لارتفاع جوانب المنبر، وعندما بدأ في إلقاء الخطبة ارتفع عن المكبر فاحتجب الصوت، وانتهت الخطبة، وعاد صاحب اللمحات إلى فضيلة الشيخ عبدالعزيز يقصُّ عليه خبره وموقفه في المنبر، فكان الحديث طُرْفَةً وأخذ الشيخ عبدالعزيز يُوجِّه صاحب اللمحات لموقفه في المنبر عند معاودة الخطابة.

وبهذه المناسبة أذكر أن شيخاً جليلاً ارتقى منبر المسجد الحرام قبل أن يوضع فيه المكبر وهو غير سماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ أول خطيب للمسجد الحرام في عهد هذه الدولة، ارتقى هذا الشيخ كل درجات المنبر حتى وقف وسط القبة فظهر لجميع المصلين من رأسه لأخمص قدميه، فلا غرابة إذن أن يجهل صاحب اللمحات موقف الخطيب في المنبر، وصدق القائل: (لكل قادم دهشة). وفي ذلك درس ماثل لكل صاحب محاولة في أي مجال قبل أن يُقدم على محاولته لا مندوحة له من أن يتعرف الأسلوب الذي يسلكه وأخذ النماذج، أو بتعبير آخر طلب النصيحة ممن سلك الطريق قبله، ونذكر أيضاً بقول القائل: مَنْ كان إمامه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه؛ ذلك لأنه اعتدَّ بما في الكتاب من علم دون أن يتخذ له معلماً يشرح له المقاصد، ويسطّر الأهداف والمصطلحات، ويوجهه الوجهة التي تفتح أمامه ما لعله أن يغلق عليه فهمه.

وثمة مثل نذكره بمناسبة الاعتداد بالفهم دون أن يكون للمرء دليل أو

مرشد أو موجه فقد اقتدى صاحب اللمحات بإمام في صلاة جهرية، وعندما قرأ الإمام قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ خرَّ ساجدًا، فنبهه صاحب اللمحات بأن هذه الآية ليس فيها سجدة، وإنما هي كآية الأخرى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ عَائَةَ الْبَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ الآية، وأن المراد منها ومن غيرها من أمثالها طاعة الله واستدامة عبادته، فقال: لم أكن أعلم بذلك قبل اليوم، وما برحت كلما قرأت هذه الآية أسجد. نعود فنقول: العلم بالتعلم ولا بد للمتعلم من معلم، وكل محاولة يُقدِّم عليها المرء في حياته دينية أو دنيوية لا مندوحة له من أن يسير فيها على نهج مدرّس أو سُنَّة متبعة.

رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة

بينما كان صاحب اللمحات يؤدي واجبه مستشارًا لوزارة المعارف إذا به يفاجأ بصدر الأمر الملكي باختياره رئيسًا للجامعة الإسلامية التي ستفتح بالمدينة المنورة، وكان الترشيح من قبل سماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد ابن إبراهيم يرحمه الله. وبناء عليه صدر أمر سمو رئيس مجلس الوزراء إلى سمو وزير المعارف برقم (٤٦٤٩) في ٣٠/٣/١٣٨٠هـ، ومن ثم أبرق سمو الوزير إلى سعادة وكيل الوزارة الذي أرسل بدوره المذكرة رقم (٢٣٦) في ٤/٤/١٣٨٠هـ إلى صاحب اللمحات يبلغه فيها الأمر الملكي، ويطلب الإشعار بتاريخ الانقطاع عن العمل في الوزارة. وقد رفع صاحب اللمحات المذكرة الآتية إلى سعادة وكيل الوزارة:

الرقم: ٥٠ التاريخ: ٧/٤/١٣٨٠هـ

سعادة وكيل وزارة المعارف المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد...

أكتب لسعادتكم إجابة على مذكرتكم رقم (٢٣٦) في ٤/٤/١٣٨٠هـ بصدد صورة البرقية الموجهة إليكم من سمو وزير المعارف المعطوفة على

برقية سمو رئيس مجلس الوزراء رقم (٤٦٤٩) في ٣٠/٣/١٣٨٠هـ عن اختياري لرئاسة الجامعة الإسلامية ورغبة سعادتك في الإشعار بتاريخ انقطاعي عن العمل بالوزارة، لإشعار الجهة المختصة باللائم. أكتب أنني غير راغب في العمل الجديد، وقد قدمت لجلالة الملك اعتذاري عنه، وسأوافيكم بما يجدر في الموضوع.

كان صاحب اللمحات قد رفع إلى جلالة الملك وسماحة المفتي الأكبر يرحمهما الله فور استلامه للأمر الاعتذار عن العمل، فأجاب سماحته بالجواب الآتي:

الرقم: ١٣٠٣ التاريخ ٩/٤/١٣٨٠هـ

من محمد بن إبراهيم إلى فضيلة الأخ الشيخ عبدالله خياط المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد بلغنا خطابكم بتاريخ ٥/٤/١٣٨٠هـ واطلعنا على ما شرحتم فيه من الأعدار التي تحقق بها عذركم ومسامحتكم عما طلبتم له، ونسأل الله لك الشفاء والعافية، والله يحفظكم بالصحة.

بقي قبول العذر من جلالة الملك للإجراء الرسمي الذي يكون به إلغاء الانتقال إلى الجامعة والبقاء في وظيفة المستشارية بمكة، وقد بالغ صاحب اللمحات في اتخاذ الوساطات واستغلال الشخصيات التي لها وزنها ومكانتها لإقناع صاحب الشأن حتى صدر التوجيه السامي بصرف النظر وقبول العذر، ولقد كان من رأي بعض الأصدقاء قبول العمل بالجامعة لارتفاع الراتب ثم الاستقالة على أساس الواقع، ولكن هذا الرأي أو النصيحة مرجوحة لدى صاحب اللمحات لأنه يعدها احتيالا للحصول على المغنم المادي، ولم تقع المادة في حساب صاحب اللمحات بقدر ما يقع انتظام العمل والسير فيه والحرص على سمعة الجامعة، وذلك متعذر بالنسبة لصاحب اللمحات لما يأتي:

أولاً: لظروفه الصحية التي من أجلها اقتنع سماحة المفتي رحمه الله بها وقَبِل العذر.

ثانياً: الجامعة الإسلامية منبر عام سوف يفد إليها من جميع الأقطار الإسلامية طلاب بالمنح أو غيرها للدراسة، ومن لازم ذلك أن تكون الشخصية التي تتولى إدارتها شخصية عالمية أو شخصية علمية لها قيمتها في العالم الإسلامي ومعروفة بنشاطها العلمي وخبرتها، والمجالات التي تجعل الثقة بها غير مزعزعة.

ثالثاً: الناحية المادية؛ لأن الانتقال إلى المدينة يتطلب استئجار سكن قريب من الجامعة ليتسنى المحافظة على الدوام، وصاحب اللمحات يسكن في مكة داراً لا يدفع لها أجره، وليس هو ممن يستغل الفرص فيطلب أو يشترط تهيئة سكن أو التبرع بأجرة سكن.

المدينة خير لهم:

بمناسبة اعتذار صاحب اللمحات عن قبول رئاسة الجامعة الإسلامية في المدينة همس في أذنه بعض الإخوة ممن لا يرتقي إليهم الشك في نصحتهم له وإخلاصهم لوداده قائلين: إن اعتذارك عن قبول وظيفة الجامعة سوف يفسره بعض الناس تفسيراً مغرضاً، وسوف يزعمون أن اعتذارك عن الإقامة في المدينة لأنك وهابي لا تحب الرسول ﷺ وسوف يوردون عليك الحديث الشريف في فضل المدينة. وجواب صاحب اللمحات يتلخص في أمرين:

(١) محبة الرسول ﷺ هل المعيار لها سكنى المدينة؟!

(٢) حقيقة كلمة وهابي، وعلى من تكون علماً يُعرف بها وتُطبَّق عليه.

وقبل الإجابة عن الأمرين نتقدم بمقدمة وهي أن الجوار الكريم لا يرفض، ولا نريد أن ندخل في تفاصيل عن تقديم المفضول على الفاضل أو فضل الصلاة في مكة على الصلاة في المدينة فذلك بحث قد عَرَضَ له

العلماء ولا تتوسع في تفاصيله، أما الاعتذار عن سكنى المدينة فإن لصاحب اللّمحات سلفاً من خيار الأمة الذين فارقوا المدينة بعد أن سكنوها لظروفهم الخاصة أو للجهاد أو للتجارة أو لغير ذلك، ولم تكن مفارقتهم للمدينة عن قلى أو كما يتأوله بعضهم بالحرمان، أما الصلاة والسلام عليه ﷺ فلا تقتصر على القريب دون البعيد بل تبلغه ﷺ من كل بقاع الدنيا كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ولفظه: (ما من مسلم يُسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ رuchi حتى أُرْدَ عليه). أي على البعد والقرب. وثمة حديث آخر عن أبي هريرة (رواه أبو داود وإسناده حسن ورواته ثقات ولفظه: (يقول رسول الله ﷺ: لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلّوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: يشير بذلك إلى أن ما يناله منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبره وبُعدكم فلا حاجة لكم لاتخاذها عيداً. أ.هـ.

وبالمناسبة يجدر بنا البسط إلى حد ما في العنوان الذي عقدناه لهذه اللّمحة والذي يقصد الإخوة أنه قد يُورَد عليّ لاعتذاري عن سكنى المدينة، العنوان قطعة من حديث نبوي شريف أخرجه البخاري في باب من رغب عن المدينة بالسند المتصل عن عبد الله بن الزبير عن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تُفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون). ولقد أفاض الشارح الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث نجتزئ من ذلك ببُنيْد منه للكشف عن المراد، نبدأ بكلمة (يبسون) بفتح أوله وضم الباء أو كسرهما معناه يسوقون دوابهم عند إرادة السرعة، وقيل: معناه يُزيّنون لأهلهم البلاد التي

تفتح ويدعونهم لسكنائها فيتحملون بذلك من المدينة راحلين عنها. وقال الإمام النووي - رحمه الله - في معنى الحديث. الصواب أن معناه الإخبار عمّن خرج من المدينة متحملاً بأهله بأساً في سيره مسرعاً إلى الرخاء والأمصار المفتحة، ويؤيده رواية ابن خزيمة عن عروة عن أبي هريرة في هذا الحديث بلفظ: تفتح الشام فيخرج الناس من المدينة إليها يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. ويوضح ذلك ما روى أحمد من حديث جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ليأتين على أهل المدينة زمان ينطلق الناس منها إلى الأرياف يلتمسون الرخاء فيجدون رخاء، ثم يأتون فيتحملون بأهلهم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون إلى آخر ما أفاض فيه رحمه الله. وقال في نهايته: والمراد به الخارجون من المدينة رغبة عنها كارهين لها، وأما من خرج لحاجة أو تجارة أو جهاد أو نحو ذلك فليس بداخل في معنى الحديث. أ.هـ

فتحصل من مجموع ذلك معنى الحديث وهو أن المراد من رغب عن المدينة وفارقها بعد الإقامة فيها؛ لغرض بسطة العيش ووفرة النعيم في غيرها، فهو ممن عناهم هذا الحديث، أما من كانت له ظروف خاصة، أو لم يكن قد سبق له سكنى المدينة فلا يشمل المعنى، وإذن فلا تثريب على صاحب اللمحات في الاعتذار عن قبول وظيفة الجامعة لظروفه المسبقة، ولأنه لم يقدر له سكنى المدينة ثم خرج عنها، ولقد كان يزور المدينة في عطلة الصيف أكثر الأعوام، بل حظي بمرافقة سماحة الشيخ عبدالله بن حسن في زيارة سماحته للمدينة وكان له فيها ذكريات لن ينساها، ذكريات عن اجتماع العلماء بسماحة الشيخ والإفاضة من علمه، وذكريات عن الصلاة في الروضة المشرفة والصلاة والسلام على الرسول ﷺ، وذكريات عن التطواف في بساتين المدينة ومزارعها وعن مسجد قباء وعن كل شي في المدينة، فكانت من أمتع أيام حياته. ومن ذكرياته أيضاً عن المدينة أنه في إحدى زيارته للمسجد وبعد صلاة ركعتي التحية وكان معه الأستاذ أحمد

علي الكاظمي وفضيلة الشيخ محمد نور الجماوي وعندما قصدوا السلام على رسول الله ﷺ عند القبر لم يطيلوا الوقوف عنده، بل اكتفوا بالسلام ثم استقبلوا القبلة للدعاء، فنظر إليهم بعض الناس شزراً وكأنهم أتوا أمراً إذا ومعذرة للقراء عن هذا الاستطراد نعود إلى موضوع الحديث، ونكتفي بهذا البسط عن مدلوله: ولعل فيه طمأنة للإخوة الناصحين وتصورهم لما لعله أن يحول في نفوس بعضهم أو يتحدثوا به عن الاعتذار لقبول وظيفة الجامعة، نبدأ بعد هذا بالإجابة عن الأمر الأول وهو محبة الرسول ﷺ، وهل المعيار لها سكنى المدينة؟ والجواب أن المحبة الصادقة مدراها على الاتباع لا مجرد الزعم والدعوى التي لا تركز على واقع كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ الآية قال ابن كثير رحمة الله في تفسيرها: هذه الآية حاكم على كل من ادعى محبة الرسول ﷺ وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي في جميع أقواله وأفعاله إلى آخر ما أفاض فيه في تفسير الآية. ويؤخذ من ذلك أن المعيار لمحبة الرسول ﷺ هو اتباع شرعه والأخذ بدينه، ثانياً حديث أنس عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين). أخرجه البخاري ومسلم. ومما تفرضه هذه المحبة المتابعة للمحبوب والاستجابة لأمره، وعدم الانصياع لأي أحد في قول أو فعل يخالف هذه المتابعة، قال بعض علماء التحقيق تعليقاً على هذا الحديث وما يفرضه من المتابعة: فمن ادعى محبته دون متابعتة وتقديم قوله على قول غيره فقد كذب كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ فنفي الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول ﷺ. أ.هـ فتلخص أن محبة الرسول معيارها المتابعة، ويتنفي الإيمان عن كل من تولى عن متابعة الرسول - كما سبق شرحه - ونكتفي في الجواب بالإشارة عن الإفاضة.

أما الأمر الثاني فهو كلمة وهابي ومن تنطبق عليه، ولقد أجاد الأستاذ أحمد علي الكاظمي وأفاد حيث بسط في مؤلفه آل سعود كل ما يتصل بهذه الكلمة في ملحق خاص برقم (٣) نجتزئ منه بما يأتي:

منشأ كلمة الوهابية:

مما لا شك فيه أن تسمية حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية (بالوهابية) تسمية جاءت من أعداء الشيخ ومن المناوئين لهذه الدعوة تحريفاً لحقيقتها وتشويهاً لمبادئها وتمويهاً على الناس بأنها حركة مخالفة للدين الإسلامي. وأنها دعوة إلى دين جديد، ولو قصد بهذه التسمية الناحية التاريخية أي نسبة الحركة إلى منشئها لكان الواجب أن تسمى دعوة الشيخ محمد بالدعوة المحمدية نسبة إليه، ولكن الأعداء لا يروقه اسم جميل كهذا فهو لا يساعد على توضيح الرأي العام وإثارتة ضد الشيخ، وقد تكلم في هذا الموضوع الأديب صالح بن دخيل بن جاد الله في رسالة أرسلها إلى مجلة المقتطف سنة ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م) ردًا على المحاضرة التي ألقاها الدكتور زيمر الداعية النصراني في جمعية فيكتوريا الفلسفية عن تاريخ الوهابية وأصلها وعقائدها فخلط فيها، ونشرت رسالة ابن دخيل في المجلد السابع والعشرين من مجلة المقتطف المصرية جاء فيها: (فأما أصل الوهابية فنسبتهم لوالد صاحب الدعوة لقَّبه بذلك بعض معاصريه بغيًا وحسدًا ليعمِّي على الجهال فتركوا نسبتهم لاسم الشيخ نفسه لئلا تكون (محمدية) فيحصل لهم نوع من التشريف لمشاركة اسم النبي ﷺ). وحاول الأستاذ مسعود الندوي رحمه الله تتبع المؤلفات العربية والإفريقية للوصول إلى معرفة الزمن الذي أُطلق فيه هذا الاسم لأول مرة فكانت النتيجة التي توصل إليها تتلخص فيما يأتي:

(١) أن الحزب المتأول للشيخ محمد بدأ في استعمال هذه التسمية منذ حياة الشيخ محمد كما جاء في قصيدة الملا عمران بن رضوان صاحب

لنجة في بيت الشعر وهو:

إن كان تابعُ أحمدٍ مُتوهِّبًا فأنا المقرُّ بأنني وهابي
يَبْدُ أن هذه التسمية لم تشتهر كثيرًا في عصر الشيخ، والدليل على ذلك
رحلة السائح الأوربي نيوبور الذي وصل إلى جزيرة العرب سنة
(١١٧٧هـ / ١٧٦٢ م) حيث لم يذكر هذا الاسم.

(٢) كثرة استعمال هذه الكلمة من قِبَل الأعداء منذ أن اشتبك معهم في
حروب، فاتخذوا هذه التسمية سلاحًا لتشويه سمعة دعوة الشيخ الإمام
محمد بن عبد الوهاب.

(٣) أما بعد وفاة الإمام الشيخ فقد أصبحت هذه التسمية علمًا على دعوته؛
ولذلك نجد الأوربيين الذي ساحوا في نجد مثل باديا وبرخادت،
وكانت رحلة الأول سنة ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م، والثاني في سنة ١٢٢٠هـ /
١٨١٤م، وقد أكثرا من ذكر الوهابية والوهابيين.

ونكتفي بهذا القدر في النقل من الملحق الثالث من كتاب الأستاذ أحمد
علي الكاظمي (آل سعود)، ومن كل ما تقدم تتضح الإجابة التي وعدنا بها
عن السؤال الثاني وهو (حقيقة كلمة وهابي) وعلى من تكون علمًا يعرف بها
وتنطبق عليه، وأنها أضحت علمًا على كل من يسير على نهج دعوة الشيخ
محمد بن عبد الوهاب - يرحمه الله - التي هي في الواقع دعوة السلف
رضوان الله عليهم أجمعين، فالشيخ محمد - رحمه الله - لم يأت بجديد
بل أخذ بنصيب من اندعوة المشاعة بين المسلمين يقوم فيها كل بحسبه كما
وجه رب العزة إلى ذلك رسوله والناس يسировون على نهجه فقال عزَّ مِنْ
قائل: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾.

حجب الإحالة إلى التقاعد

مطالب الحياة وتعدد جوانب المسؤوليات المالية التي يضطلع بها المرء
في حياته تفرض عليه وضعا معينًا بسبب ظروفه وامتنصاص المادة التي في

حوزته، وليس كل الناس في النفقة سواء، كما أنهم ليسوا في موارد الرزق مُتَّحِدِينَ فالتاجر والصانع والموظف لكل فريق من هؤلاء مورد رزق ينفق منه في حدود معينة، وفي الناس من قُدِّرَ عليه رزقه فهو يعيش في حياته عيشة الكفاف أو أقل من الكفاف، وقد يضطر إلى الاستدانة ليسد متطلبات معيشته خاصة إذا كان ذا عيال، وقد يبسط لبعض الناس في الرزق فينفق دون تقدير إلا أن يكون شحيحاً، هذه مقدمة تطرقنا إلى ذكرها لنكشف أن الموظف مورده محدود وليس كل مُرتَّب يسد خلته فإذا كان الموظف في حدود المراتب المتوسطة وكان ذا عيال زاده ضُغْثاً على إِبَّالة، وإذا أحيل إلى التقاعد لبلوغ السن القانونية وقع في حيرة من أمره خاصة إذا لم يكن في نشاط في مزاولة عمل آخر أو خبرة بمورد رزق يَجْبُر ما لعله أن ينقص براتب التقاعد، ولعل مما أنقذت به الدولة موقف العلماء عدم إحالتهم إلى التقاعد رافة بهم وعطفاً عليهم، ولعدم استطاعتهم مزاولة أي عمل يدر عليهم رزقاً، ومن ثم نجد المدخل للحديث عن إحالة صاحب اللمحات إلى التقاعد.

فعندما بلغ السن القانونية وبحكم التمشي على النظام أُجريت له معاملة الإحالة فيما رفع معالي وزير المعارف إلى مجلس الوزراء طلباً لتمديد خدمته مدة خمس سنوات. فوافق المجلس على ذلك، وسرعان ما انقضت المدة كما تنقضي الأعمار في هذه الدنيا، وبدأت إجراءات الإحالة إلى التقاعد تأخذ مجراها، ثم تقرر التعاقد معه لمدة سنتين وتبلغ ذلك فوقع في حيرة من أمره إذ إن التعاقد له أمد معين، وقد تتغير الظروف فيلغى التعاقد ولكنه سلم الأمر لله، ورضي بقسمة الله، وأمل في فرج الله.

الأمر الملكي بإلغاء التعاقد:

في يوم ١٨/٦/١٣٩١هـ صدر الأمر الملكي إلى وزير المعارف ونصه:
معالي وزير المعارف: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد

وصل إلى علمنا أن فضيلة الشيخ عبدالله خياط سيحال إلى التقاعد، والذي نعرفه أن المذكور يعمل مستشاراً دينياً بوزارة المعارف، وأن وظيفته من الوظائف التي لا تخضع للنظام لذا نرغب منكم عدم إحالته إلى التقاعد.

وانتهى الأمر بفضل الله سبحانه واستقر الوضع وألغي أمر التقاعد، وتلك بيّنة لا تنسى لجلالة الملك فيصل تغمد الله برحمته، وأسكنه فسيح جناته.

تأكيد أمر إلغاء التقاعد:

في ١/٧/١٣٩٢هـ صدر أمر جلالتة إلى وزير الدولة ورئيس ديوان الموظفين العام بصدد صرف العلاوة الدورية ونصه: نخبركم بأننا نحن مستثنون الشيخ عبدالله خياط من النظام، فلا يُحال إلى التقاعد، وبالتالي تصرف له العلاوات الدورية والبدلات من تاريخ إيقافها. وقد أعطي معالي وزير المعارف نسخة من هذا الاعتماد فتجددت بذلك المنة، ولا يزال يذكرها صاحب اللامحات فيضرع إلى الله أن ينزل على جدته سحاب الرحمة والرضوان، ويسكنه فسيح الجنان.

في هيئة كبار العلماء

هيئة كبار العلماء نخبة من أصحاب الفضيلة المختصين في الشريعة الإسلامية، وممن لهم ممارسات في القضاء أو مشاركات في التوجيه تأليفاً ووعظاً وما إليه مما يكون به العالم مجلياً في ميدانه متألقاً في مجتمعه، وقد رأى ولي الأمر أن المصلحة تقضي بتشكيل هذه الهيئة، ويكون من اختصاصاتها التوجيه في القضايا الدينية المتعلقة بتقرير أحكام عامة للاسترشاد ووضعها موضع التنفيذ.

إنما عرض صاحب اللامحات لتشكيل هذه الهيئة لأمرين:

الأول: صلته بها لأنه عضو من أعضائها منذ تشكيلها في عام ١٣٩١هـ.

الثاني: حرص الملك فيصل رحمه الله على توسعة نطاق البحث والاستنباط للأحكام الشرعية إذ قد طرأ على المجتمع الإسلامي أمور لم تكن في الماضي تستدعي الاجتهاد والاستنباط وقياس الأمور بنظائرها، ثم إصدار حكم شرعي مُدْعَم يَحُول دون الأخذ بالقوانين الوضعية.

وفي ٨/٧/١٣٩١ هـ صدر مرسوم ملكي بتشكيل هيئة كبار العلماء، وآخر بتعيين أعضائها بالإضافة إلى لائحة سير العمل.

فمن المرسوم الأول رقم ١٣٧/١ وتاريخ ٨/٧/١٣٩١ هـ نجتزىء بما يأتي:

- (١) تتكون الهيئة من عدد من كبار المختصين في الشريعة الإسلامية من السعوديين يجري اختيارهم بأمر ملكي، ويجوز عند الاقتضاء وبأمر ملكي إلحاق أعضاء بالهيئة من غير السعوديين ممن تتوافر فيهم صفات العلماء من السلفيين.
 - (٢) تتولى الهيئة إبداء الرأي فيما يحال إليها من ولي الأمر من أجل بحثه وتكوين الرأي المستند إلى الأدلة الشرعية فيه.
 - (٣) التوصية في القضايا الدينية المتعلقة بتقرير أحكام عامة ليسترشد بها ولي الأمر، وذلك بناء على بحوث يجري تهيئتها وإعدادها طبقاً لما نص عليه في هذا الأمر واللائحة المرافقة له.
 - (٤) تتفرع عن الهيئة لجنة دائمة متفرغة يُختار أعضاؤها من بين أعضاء الهيئة بأمر ملكي، وتكون مهمتها إعداد البحوث وتهيئتها للمناقشة من قبل الهيئة وإصدار الفتاوى في الشؤون الفردية، وذلك بالإجابة عن أسئلة المستفتين في شؤون العقائد والعبادات والمعاملات الشخصية، وتسمى: اللجنة الدائمة للبحوث والفتوى، ويلحق بها عدد من الباحثين المتعاونين.
- ويكتفي صاحب اللمحات بهذه المواد تاركاً غيرها مما نص عليها

المرسوم؛ لأنها تتصل بتعيين جهاز للأمانة العامة لهيئة كبار العلماء وتعيين رئيس إدارة البحوث واختصاصاته، ويتنقل إلى فقرات من لائحة سير العمل في الهيئة، والغرض من ذلك دحض ما يقوله بعض المُعرضين من أن الهيئة تسير في أعمالها بطريقة عنوية دون نظام يحكمها أو دورات تحددها، ودون جدول أعمال مرسوم بل للصدفة في ذلك أوفر نصيب.

نموذج من مواد لائحة سير العمل في هيئة كبار العلماء بحسب المرسوم رقم (١ - ١٣٧) وتاريخ ١٣٩١/٧/٨ هـ.

(١) تنعقد هيئة كبار العلماء في دورات انعقاد مرة كل ستة أشهر في مقر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في الرياض، ويمكن في الحالات الاستثنائية عقدها في مكان آخر، ويجوز انعقاد الهيئة في جلسات استثنائية لبحث أمور ضرورية لا تقبل التأخير، ويحدد رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بعد التشاور مع الأمين العام للهيئة وقت انعقاد الدورة، العادية والدورة الاستثنائية، وتقوم إدارة رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ضمن المعتمد عليها في ميزانيتها بتهيئة مكان انعقاد الدورة ومستلزماتها كما تُؤمن وسائل السفر والإقامة لمن يقيم من أعضاء الهيئة خارج مقر انعقادها.

(٢) تكون رئاسة الدورات بالتعاقب بين خمسة من أكبر أعضاء الهيئة سنًا، ويرأس أكبرهم سنًا أول دورة تنعقد، ويتولى الرئيس افتتاح الجلسات وإدارتها وتنظيم المناقشة فيها ورفعها.

(٣) يصح انعقاد الدورة بحضور ثلثي أعضائها، وتتخذ الهيئة قراراتها وتوصياتها بالأغلبية المطلقة للحاضرين، وإذا تساوت الأصوات يكون صوت الرئيس مُرجحًا، ومن المفيد أن يكتب الأعضاء المخالفون نوع مخالفاتهم وأسبابها وأدلتها مع ذكر البديل عن الرأي الذي خالفوه.

- ٤) تتكون إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالإضافة إلى الوظائف الإدارية والكتابية من اللجنة الدائمة المتفرعة عن الهيئة وتحرير الفتاوى عن أسئلة المستفتين في العقائد والعبادات والمعاملات الشخصية.
- ٥) يقوم الأمين العام للهيئة بإعداد جدول أعمال دورات الانعقاد، ولا يجوز مناقشة موضوع لم يتضمنه الجدول، وذلك حرصاً على أن تتوافر للهيئة فرصة الدراسة والمراجعة لما يراد مناقشته، ولهذا الغرض يرسل الأمين العام جدول الأعمال لكل عضو من أعضاء الهيئة قبل انعقاد الدورة بمدة لا تقل عن خمسة عشر يوماً مرفقاً به البحوث التي تمت تهيئتها من قبل اللجنة المتفرعة عن الهيئة، وأوصت اللجنة بإحالتها إلى الهيئة.
- ٦) مع الأخذ في الاعتبار ما يطلب ولي الأمر بحثه وإبداء الرأي فيه يتم اختبار البحوث التي يجري إعدادها للعرض على الهيئة، إما بناء على توصية منها أو من أمينها العام، أو من رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، أو من اللجنة الدائمة المتفرعة من الهيئة.
- ٧) لا تصدر الفتاوى عن اللجنة الدائمة إلا إذا وافقت عليها الأغلبية المطلقة من أعضائها على الأقل على أن لا يقل عدد الناظرين في الفتوى عن ثلاثة أعضاء، وإذا تساوت الأصوات يكون صوت الرئيس مُرجحاً.
- ٨) لدى بحث الهيئة مسائل تتعلق بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية والأنظمة العامة بما في ذلك القضايا البنكية والتجارية والعمالية فإن عليها أن تُشرك في البحث معها واحداً أو أكثر من المتخصصين في تلك العلوم من غير أن يكون لهم حق التصويت، ويجري اختبار المتخصصين واستدعائهم من قبل الأمين العام ورئيس إدارة البحوث.
- ٩) تتولى رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إنشاء

مجلة دورية تنشر البحوث العلمية التي توافق الهيئة على نشرها، وكذلك البحوث العلمية التي ترد من بعض الباحثين بعد موافقة الأمين العام للهيئة على نشرها.

١٠) لا يجوز لأحد من الأعضاء أن يُصدّر فتوى أو بحثاً أو رأياً باسم عضويته في الهيئة العلمية أو باسم منصبه الرسمي.

ولا تزال هيئة كبار العلماء منذ تأسيسها في ١٣٩١/٧/٨ هـ حتى الآن وهي تسير طبق المنهج المرسوم لها، وقد أصدرت الكثير من القرارات خلال دوراتها، نذكر - على سبيل المثال - شيئاً منها:

أ - النظر فيما استجد في الحاضر من معاملات مصرفية لم تكن تعرفها البلاد في الماضي، والتماس حلول لذلك تتفق والشريعة الإسلامية.

ب - أخذ الفائدة على المال المودع في البنوك أو غيرها.

ج - حكم التأمين على الحياة والأموال، وهل يجوز ذلك شرعاً؟

د - الشرط الجزائي في المقاولات.

هـ - النظر في القسامة.

و - النظر في إيقاع الطلاق بكلمة واحدة، والقضاء على اختلاف الفتوى في ذلك.

ز - تدوين أحكام الشريعة الإسلامية وصياغتها على ما ثبت من أدلة الكتاب والسنة، وعلى الراجح عند علماء الفقه الإسلامي.

ح - حكم بناء طابق على شارع الجمرات ورفع شاخص الجمرات من أعلى الطابق.

ط - حكم الأوراق النقدية.

ي - حكم تمثيل أحد من الصحابة رضوان الله عليهم في فيلم سينمائي

ك - الاعتماد على الحساب الفلكي في تحديد مواقيت العبادات.

ل - تحديد النسل .

م - طفل الأنايب .

ن - حكم نقل عضو أو جزء من إنسان إلى آخر .

هذه النماذج من بعض الموضوعات التي درستها الهيئة، واتخذت فيها قرارات ورفعت للمقام السامي مع ما سبق إيضاحه من لائحة سير العمل تدحض الزعم بأن هيئة كبار العلماء تسير في أعمالها دون نظام يحكمها أو دورات تحددها، ودون جدول أعمال مرسوم لكل دورة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الثالث

في بيان الحق ومسائره

عواطف ومنن لا تنسى

كم تمر بالمرء في أدوار حياته أحداث وعبر للزمان وظروف الليالي ومحن ونعم، وفي كل ذلك الحلو والمر، الحلو الذي تسعد به النفس وتبقى في ظلاله ناعمة ما قدر لها ذلك، والمر الذي يقض المضاجع ويحدث للنفس البلبال وتعكير صفو العيش، فليست الحياة كلها زهوًا ورياحين أو شهيدًا سائقًا للشاربين، وإنما هي إلى جانب ذلك الجنادل والصخور يرتطم بها المرء فتزعه إلى حد ما.

ولم يكن صاحب اللمحات يدعًا في الناس فلقد اعتراه ما اعتراهم، وكتب في مقدمة هذه اللمحات يحكي واقعه ويقول: (شرب من كأس الحياة حلوه ومره، فكان مع الحلو من الشاكرين، ومع المر من الصابرين تمشيًا مع توجيه الرسول الكريم ﷺ إذ يقول: (عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك إلا للمؤمن). وتوجيه القرآن الكريم وتقرير الواقع في هذه الحياة: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

بعد هذه المقدمة التي أوردناها لنستخلص منها عنوان هذه اللوحة (عواطف ومنن لا تنسى) أقول: وكيف تنسى وقد نقشت على صفحات قلب صاحب اللمحات وعاش بها قرير العين مرموقًا في مجتمعه؟ ولا ينسى المعروف إلا لئيم.

والعواطف والمنن التي يعينها هي لملوك آل سعود، وعلى وجه التحديد

كما سبق أن أعلن ذلك صاحب اللمحات في المقدمة حيث قال: (عاصر خمسة من ملوك آل سعود، أسود الشرى وحماة الحمى فحظي بتقديرهم جميعاً). فالمنن والتقدير الذي يعنيه صاحب اللمحات هي للملوك الخمسة: الملك عبدالعزيز، والملك سعود، والملك فيصل، والملك خالد رحمهم الله رحمة الأبرار وأسكنهم الجنة دار القرار، ثم منن وتقدير ناظم عقدهم، ومن حمل الأمانة بعدهم الملك فهد بن عبدالعزيز أمد الله في عمره، وخلد ملكه وحفظه للأمة عضداً، وأعز به الإسلام.

أقول هي لمجموع الملوك الخمسة، وهي مما لا يستطيع أن يقوم بواجبه صاحب اللمحات إلا بالدعاء، فالدعاء خير وسيلة لبلوغ مناه في مكافأة صاحب المعروف والإحسان تمثيلاً مع منطوق الحديث الشريف: (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه). وفي ذلك توجيه لكثرة الدعاء لصاحب المنة ليكون في ذلك آملاً برء بعض الجميل.

ولقد كتب صاحب اللمحات عن عواطف الملك عبدالعزيز ومننه يرحمه الله، وتقدير جلالته ورعايته له وعطفه عليه، وفي هذه اللوحة يواصل الكتابة عن عواطف باقي الملوك الكرام ومنهم وتقديرهم.

الملك سعود يرحمه الله

تعزية جلالته:

في الأيام الأولى من تولي جلالته عرش المملكة وفي فترة تعزيته بوفاء والده الملك عبدالعزيز كان صاحب اللمحات والمدير المساعد الأستاذ أحمد علي الكاظمي في عِدَاد مَنْ تقدم للتعزية والتهنئة، وعندما جاء دور صاحب اللمحات للسلام على جلالته شدَّ على يده، وأبدى له من اللطف والعطف الشيء الكثير مما جبر كسره في المصاب الجلل الذي اغبرت له

الدنيا وقال له في جملة حديثه: (أنت في منزلة أخي، لا تفكر في شيء أبداً، نحن نُقدّر لك إخلاصك، ونرعى ماضيك أنت وزملائك) جلالته بذلك يتمشى مع توجيه الحديث النبوي الشريف: (إن من أبرّ البرِّ برّ الولد أهلٌ وُدّ أبيه). ولعل جلالته - يرحمه الله - قرأ في قسّمات وجه صاحب اللّمحات ما يساوره من قلق نفسي بالنسبة للمستقبل المجهول والتساؤلات الكثيرة التي تعرض له عنه، فأحبّ أن يطمئنه ويسري عنه، رحمه الله فلقد كان حفيّاً بصاحب اللّمحات، على أن المستقبل بيد الله، وهو جار على ما قدره الله في الأزل: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾. وفي الحديث الشريف: (لو تولّكتم على الله حق التوكّل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً). غير أن الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم ديدنه محاولة الفصل بين العبد وربّه، فيلقّي في رُوعه البلبلة والتخويف من المستقبل المجهول، وأنه قد لا يحظى بِبُلْهَنِيَةِ العيش كما حظي بذلك في سابق أيامه، ولن تعود له ابتسامة الأيام وبلوغ الأمال وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾.

تقدير ملكي كريم:

لم تصرف جلالته أعباء الحكم ومشاغل الدولة وتصريف أمورها عن وضع صاحب اللّمحات وهيئة التدريس فرغب إلى شخصية كبيرة من آل سعود لها صلة بصاحب اللّمحات، ولها في عنقه الكثير من الأيادي يذكرها فيشكرها، ويدعو لمسديها كلما أشرق فجر وطلع بدر، رغب جلالته إلى الشخصية الكبيرة أن تكشف له عن رغبة صاحب اللّمحات في العمل الذي يحبّ أن يسند إليه، وفي يوم ١٣٧٣/٤/٩ هـ حظي صاحب اللّمحات بكتاب من هذه الشخصية تقول فيه بالنص: (إن الملك سعود يحرص على رعاية مقامكم وحفظ حقوقكم، وطلّب أن أبلغكم أنه يود أن يعلم رغبتكم هل ترغبون في ذلك؟ فهو يرحب، وإن كنتم لا ترغبون في ذلك لأي سبب فهو

يريد راحتكم، ويعرض عليكم التوظيف إما في المسجد الحرام أو في المعهد العلمي). وهو تقدير كريم من رجل يضع الأمور في نصابها، ويرعى للمخلصين ماضيهم وما بذلوا فيه من تضحيات.

تحقيق الرغبة:

إزاء هذا العرض الكريم والعطف البارز كتب صاحب اللمحات لجلالته عن طريق الشخصية الكبيرة آنفة الذكر بالرغبة التي استقر عليها رأيه ورأى هيئة التدريس.

ثم ورد الرد من الشخصية الكبيرة لصاحب اللمحات بموافقة جلالته على الرغبة، وصدر الأمر الملكي بذلك إلى نائب رئيس مجلس الوزراء، وبهذا انتهى الوضع بالنسبة لمعلمي الأمراء أنجال الملك عبدالعزيز يرحمه الله، وهو وضع كريم يتناسب مع مكانة معلمي الأمراء.

نص الأمر:

الرقم ٣٥٤٤ في ١٥/٤/١٣٧٣هـ

حضرة المكرم الابن عبدالله الفيصل وزير الداخلية

لقد صدر أمر جلالة الملك المعظم تحت رقم ١٠٠١/٣/٢٠ في ٧/٤/١٣٧٣هـ بما يأتي:

نظرًا لانضمام تلاميذ مدرسة الأمراء بالقصر الملكي بالرياض إلى المدرسة الناصرية، ونظرًا إلى رغبة مدير المدرسة الشيخ عبدالله خياط وزملائه في العمل بالمعارف فيعتمد ما يأتي:

أولاً: يُعين الشيخ عبدالله خياط مستشارًا للتعليم في المعارف بمرتب قدره ألف ومئة ريال شهريًا.

ثانيًا: يُعين معاونه الأستاذ أحمد علي مفتشًا بمرتب قدره سبع مئة وعشرون ريالًا.

ثالثًا: يُعين المدرس عبدالجليل حليبي في سلك التعليم بالمعارف بمرتب قدره ست مئة وخمسة ريالات.

رابعًا: يُحال المدرس عبدالحميد حامد نظرًا لمرضه إلى التقاعد بمرتب قدره أربع مئة وخمسة وخمسون ريالاً.

فيقتضي الإحاطة بالأمر الكريم، وإبلاغه مديرية المعارف العامة لإنفاذه.

نائب رئيس مجلس الوزراء

الملك فيصل يرحمه الله

أما صلته بالأمر فيصل، فترجع إلى عهد بعيد ترجع إلى عهد الدراسة والتحصيل، إذ كان صاحب اللمحات طالباً في المعهد العلمي السعودي وكان لسموه في كل عام زيارة تفقدية تشجيعية للمعهد يتبارى الخطباء على منير الخطابة بكلمات ترحيبية مناسبة للمقام، وكان من تخطيط المعهد للزيارة أن يبدأ سموه بالجولة على فصول الدراسة للوقوف على تقرير المدرس ثم لمناقشة بعض الطلاب فيما درسوه، وقبل ذلك يبدأ رئيس كل فصل بإلقاء كلمة الفصل. وحدث في إحدى الزيارات أن كان صاحب اللمحات هو رئيس الفصل فألقى كلمة الترحيب، ثم أخذ المدرس يُقرّر الدرس وكان موضوعه تاريخ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ثم طرح أسئلة على الطلبة فيما درسوه، وكانت الإجابات مسددة موفقة، وكان نصيب صاحب اللمحات السؤال الآتي: لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كلمة يصف بها واقع العرب وسلاسة قيادتهم، وما يجب على القائد أن يسلكه معهم فما تلك الكلمة؟ فأجابه صاحب اللمحات بالآتي وهي مسجلة في كراس الدرس حتى الآن:

أما الكلمة فقولته رضي الله عنه: (إنما مثّلُ العرب كمثل جَمَلٍ آنفٍ، فليُنظر قائده كيف يقوده). وهي مأخوذة من الحديث النبوي الشريف: (مثل

المؤمن كالجمل الآنف إن قُيدَ انقاد، وإن أُنيخ على صخرة استاخ) أي فهو ذلول منقاد لقائده، فعلى القائد إن يرتاد له المرتع الخصب ويقوده إليه والموطن المذل لثلا يُكرّثه ويشق عليه، وتلك هي السياسة الحكيمة التي يسلم بها قياد العرب، وتسكن إليها نفوسهم فتعطي السمع والطاعة دون إكراه، فأعجب سموه بهذه الإجابة وصفق لها استحساناً.

وفي زيارة أخرى كان صاحب اللمحات هو الخطيب الوحيد الذي قدمه المعهد نيابة عن الطلبة في صالة الاحتفال ليعبر عن شعورهم وفرحتهم بالزيارة الكريمة، وكان من خطبته قوله: لقد أنشئ المعهد ليُخرّج للمجتمع أعضاء عاملين يخوضون غمار الحياة بعقل ودين، والدين هو عقيدة السلف رضوان الله عليهم، والعقل تبع لها، وقُلَّ أن يجتمعا في مسلم إلا وظفر بسعادة الحياتين.

وتتجدد صلة صاحب اللمحات بسموه إذ كان عضواً في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة، وكانت الهيئة تحظى بزيارته في الفينة بعد الأخرى لعرض بعض المشكلات أو لأخذ التوجيهات، فكان صاحب اللمحات يحكم عمله ضمن الأعضاء، ثم توثقت الصلة عندما انضم الأمير عبدالله الفيصل إلى طلاب المدرسة الفيصلية وكان مديرها إذ ذاك صاحب اللمحات، وقد ضمّن اللوحة رقم (٦) شيئاً من ذلك حين أشار المدير إلى انتظام حفيد الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - وانخراطه في الفصل بصفته تلميذاً عادياً دون تأفف وتبرم أو كِبَرٍ وعجرفة أو اشمئزاز وإظهار فوارق، ودون إحراج للمدير والأساتذة بطلبات من المدرسة له دون غيره أو رغبة في مفارقات يُوجي بها ولو من طريق غير مباشر، يحضر الدوام كزملائه، وينصرف عند نهايته إلى غير ذلك مما سجله صاحب اللمحات. وقد قيل في المثل: ومن يشابه أبه فما ظلم.

نعود إلى صلة اللمحات بالملك فيصل رحمه الله وازديادها توثيقاً عندما كان الأمير عبدالله الفيصل يذهب إلى والده بنتائج الاختبار النهائي فرحاً،

ويكون يوم سرور للابن ووالده حيث حَظَّ الابن في التعليم خطوة قدرت له في شهادة تترجم عن نبوغه واستعداده الكبير للتعليم؛ وكان الابن ينمي إلى علم والده أولاً بأول جهود المدرسة وعنايتها في شغل أوقات فراغه في الدار ببعث المدرسين لمذاكرته في دروسه، وهذه الخطوة أثلجت صدر الوالد إذ طمأنته أن فرص ابنه لا تضيق سدى، ويقطعها في الدار مع الخدم والحشم دون فائدة له أو عائدة عليه، ويُبْلَغ الابن مدير المدرسة برضا والده عن هذا التخطيط وغيره مما عنيت المدرسة به لتذليل الصعاب في سبيل تحصيله.

فصل الصيف:

لم تكن للمدارس إذ ذاك عطلة في الصيف، فكانت مدرسة الطائف تستقبل أكثر الطلاب المصطفين، وتسير بهم طبق المنهج المرسوم، وحدث بين مدير مدرسة الطائف وحفيد الملك موقف سلبي كما أشار إلى ذلك صاحب اللمحات في لمحة سابقة، وكانت النتيجة موافقة سمو الأمير فيصل على قرار مدير المعارف بنقل صاحب اللمحات إلى إدارة مدرسة الاصطياف في فترة صيف عام ١٣٥٥هـ.

الانتقال إلى الرياض:

وكان ترشيح مدير المعارف لصاحب اللمحات مديراً لمدرسة الأمراء في الرياض على غير رغبة الأمير فيصل، ولكنه لم يقابله بالسلب بل اكتفى بقوله لمدير المعارف: كيف تنقل مدير المدرسة الفيصلية وعنده عبدالله لم يكمل دراسته؟! ثم اقتنع بالوعد الذي قطعه مدير المعارف: (نحن هنا في مكة كلنا يقوم بالواجب نحو الأمير عبدالله).

زيارة سموه للمدرسة:

كان سمو الأمير فيصل لما قدم الرياض وصادف إقامة حفل المدرسة بمناسبة ختم القرآن يصحبه ولي العهد؛ لحضور الحفل ومشاهدة نشاط المدرسة، وكان سموه يريد التعرف على أساتذة المدرسة، فاستدعى المدير

وطلب منه أن يُعرّف ولي العهد بأساتذة المدرسة في حين أن ولي العهد يعرف الأساتذة شخصيًا إذ يلتقون به في كل مناسبة، ولكن لباقة سمو الأمير فيصل أبت عليه إلا أن يكون في منتهى اللطف في تصرفه.

الاتصال به شخصيًا:

حدث أن شكت هيئة التدريس مرارة هضمها في رواتبها، إذ بقيت على وضعها منذ اليوم الذي تحملت فيه مسؤولية تدريس الأمراء في حين أن الرواتب في الحجاز تحسنت عن ذي قبل، فأحال جلالة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - المعاملة إلى سمو الأمير فيصل للسؤال عن الواقع، وفي هذه الفترة قدم سموه إلى الرياض فانتهز المدير والأساتذة هذه الفرصة للكشف عن واقعهم، واستقبلهم في داره أجمل استقبال، وعندما عرضوا عليه وضعهم رحب بإنجازه على خير ما يرجون ويأملون.

فلا يكتب صاحب اللمحات له كتابًا في مهمة أو في مناسبة أو خطابًا في حاجة إلا وأجاب - يرحمه الله - جوابًا رقيقًا يوحى باللطف والعطف الكبير للذين كان يمنحهما لصاحب اللمحات، وبالمناسبة ولأن الشيء بالشيء يذكر فقد فات صاحب اللمحات أن يُسَطر إلى جوانب عواطف سموه موقفه لتشجيعه على الخطابة في المسجد الحرام على النحو الذي استمع إليه سموه، يذكر صاحب اللمحات أنه خطب خطبة عن الأثر السلبي الذي كان قائمًا في فترة حكم عبدالناصر، وكان موضوعها (العدوان السافر) استمع إليها سموه وهو يصلي الجمعة في المدرسة التي يصلي فيها الملك عادة، وقرأ الخطيب في الصلاة آخر سورة الصف من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَىٰ تَعَزُّو لُنُجُكُمْ مِّنْ عَذَابِ الْكِيمِ ﴿١٠﴾ تَوَنُّونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتُحِبُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَامُورَكُمْ وَأَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ سَبْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وما كنتم سموه تأثره بالخطبة بل بعث من يُبلغ الخطيب رغبته في أن يستمر في إلقاء أمثال هذه الخطب الهادية الهادفة. يذكر ذلك صاحب اللمحات لا زهواً أو اعتداداً إذ إنه توفيق من الله ولكنه يصل حديثه عن العواطف التي كان ينعم بها من سمو الأمير فيصل يرحمه الله.

الملك خالد يرحمه الله

يبدأ صاحب اللمحات بذكر صلته بجلالته، وهي وإن لم تكن قوية إذ لم يكن له ابن يدرس في المدرسة أو زيارات خاصة إلا أن عواطفه كانت كريمة عظيمة يذكرها صاحب اللمحات فيلهج بالدعاء له بالرحمة والرضوان، كان صاحب اللمحات يلتقي بالأمير خالد في الرياض في مجلس جلالة والده يرحمه الله، أو عند الخروج أو الدخول إلى المجلس فيهشّ ويهشّ ويتلطف بالسؤال عن الحال، وعن نشاط الأمراء في الدراسة حرصاً على مصلحة إخوانه.

وتجلى عطفه - يرحمه الله - على صاحب اللمحات في مناسبات عدة أروعها وأعظمها في النفس أثراً قلّقه - رحمه الله - على إمام الحرم يوم حادثة جهيمان، فلم يشعر صاحب اللمحات في ضحوة اليوم إلا والهاتف يتصل به وإذا المتحدث الملك خالد نفسه يرحمه الله، وبمجرد ما سمع صوت صاحب اللمحات أشبعه بالأسئلة قائلاً: (إيش لونك - عسى ما خلاف؟ عساك طيب؟) يرددها أكثر من مرة، فأجابه صاحب اللمحات شاكراً حسن رعايته وكريم تلطفه وعظيم عواطفه، وقد كان في وسعه - يرحمه الله - أن يكل أمر السؤال والاستيضاح لمسؤول في الشرطة أو لرئيس الإشراف الديني أو لغيرهما، ولكن ما يحمله لصاحب اللمحات في نفسه من عواطف كريمة دفعه إلى أن يتولى السؤال بنفسه، وتلك منّة لا تنسى لجلالته، أنزله الله فسيح جنته إلى جانب البررة من عباده. وعطف آخر ومن لا تنسى يترجم عنها سؤاله - يرحمه الله - عن صاحب اللمحات في مجلسه العامر بالأمراء والوزراء وعليه القوم، ولست أدري ما الباعث لسؤاله؟! ولكن الذي نُقل إلى صاحب اللمحات قول جلالته: (هذا الرجل له فضل أنه لم يعلمني ولكنه علم إخواني، والكل منهم يدين له بالفضل). كان صاحب اللمحات قد سمع بهذه العواطف منذ أمد بعيد، وأعاد سمو الأمير ماجد خبرها لصاحب اللمحات.

وعواطف أخرى تحدث بها إلى صاحب اللمحات فضيلة الشيخ سليمان ابن عبيد الرئيس العام لشؤون الحرمين يقول فضيلته: لقد سأل عنك الملك وقال: (إيش لون حالته؟). ويعني الحالة المادية فأجابه فضيلته بقوله: إنه مستور ولكنه لا غناء له عن فضلكم. ونقل معالي وزير العدل الشيخ إبراهيم آل الشيخ لصاحب اللمحات أن جلالة - يرحمه الله - سأله عن صاحب اللمحات، واستوضح هل قَدِمَ الرياض لحضور جلسات هيئة كبار العلماء فأفاده معاليه بالحقيقة، ونقل أيضًا فضيلة الشيخ راشد بن خنين لصاحب اللمحات سؤال جلالة، واستوضح الشيخ راشد من صاحب اللمحات عن رغبته في أخذ موعد للسلام على جلالة الملك، فأجابه: يكفيني الدعاء له، فذلك دَيْنٌ في عنقي.

الملك فهد بن عبدالعزيز يحفظه الله

إن صلة صاحب اللمحات بالملك فهد - يحفظه الله - تمتد لفترة طويلة، فمنذ تشكيل وزارة المعارف عام ١٣٧٣هـ وتعيين سمو الأمير فهد وزيراً لها حظي صاحب اللمحات بتقدير سموه الكريم وثقته الغالية وحسن ظنه الكبير، وقد كان من أبرز ذلك ما يأتي:

- (١) تعيينه عضوًا في مجلس المعارف ابتداء من غرة جمادى الأولى ١٣٧٣هـ، وكان هذا المجلس يعقد في كل أسبوع مرة تحت رئاسة مدير المعارف فضيلة الشيخ محمد بن مانع - يرحمه الله - وتُعَرَضُ عليه ترشيحات المدرسين، وتقرير الخطط للسير بالتعليم، وغير ذلك مما هو منصوص عليه في نظام المجلس.
- (٢) اختياره لتقرير صلاحية الأراضي التي تعترزم الوزارة شراءها لإقامة مدارس عليها، وتعيين أحدٍ خاصّة سموه مساعدًا لصاحب اللمحات في هذه المهمة.
- (٣) تعيينه مستشارًا لوزارة المعارف بالجهة الغربية، حيث تلقى صاحب

اللمحات المذكورة الآتية من فضيلة وكيل الوزارة:

حضرة المكرم فضيلة الشيخ عبدالله خياط المحترم

بعد التحية: تمشيًا مع سياسة هذه الوزارة التي تهدف إلى تشجيع المخلصين وتقديرهم، وبناء على ما لمسه سمو وزير المعارف من جهود وتضحيات موفقة من فضيلتكم فقد صدر أمر سموه إلينا بخطابه المؤرخ ١٤/٣/١٣٧٨ هـ بتعيينكم مستشارًا لوزارة المعارف بالجهة الغربية.

وإلى جانب هذا التقدير الكريم حسن ظن كبير، يترجم عنه سموه بقوله في مجلس حافل وقد دخل عليه صاحب اللمحات لمهمة تتصل بعمله: (إنني كلما رأيت الشيخ عبدالله أتذكر الملك عبدالعزيز يرحمه الله). لعله تمر بذاكرته الحقة التي قضاها صاحب اللمحات في الرياض يتردد على والده بحكم عمله، فكانت هذه الانطباعات مصحوبة برؤية صاحب اللمحات في كل مناسبة.

ولقد تواصل هذا التقدير الكريم والرعاية الدائمة من الملك فهد حفظه الله لصاحب اللمحات منذ ذلك الوقت حتى وقتنا الحاضر. ولن ينسى صاحب اللمحات عواطف جلالته الحانية ودعاه المستمر ومِنَّته المترادفة في كل مناسبة وفي جميع الأوقات مما يعجز عن القيام بواجبه إلا بالدعاء أخذًا بالتوجيه النبوي الكريم ببذل الدعاء لصانع المعروف، فاللهم احفظه بحفظك، وأيده بنصرك، وأعزّه بالإسلام والمسلمين.

حب الاستطلاع

حب الاستطلاع غريزة تنشأ مع الطفل منذ نعومة أظفاره، وتُلح عليه فيطلب إرواءها، ويكثر الأسئلة عن كل شيء يقع تحت حسه أو نظره، وهي وسيلة لاتساع الإدراك، وتزداد هذه الغريزة لدى بعض الناس حتى بعد بلوغ دور النضوج، وهي في طلاب العلم تكاد تكون بارزة، إذ يضطر الطالب

للبحث عن المفاهيم في كل ما يلقي إليه من علم أو فن، والكشف عن كل ما استغلق عليه من المسائل، وقد ورد في التشريع الإسلامي ما يحجّذ من الرغبة في حب الاستطلاع عندما يكون الاستطلاع في غير مصلحة المستطلع، أو يجرّ إلى عَنَتٍ ومشقة وإحراج كما جاء في الحديث: (إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدودًا فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها) رواه الدارقطني وغيره. وفي حديث أبي هريرة (الذي رواه البخاري ومسلم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم). قال بعض العلماء تعليقًا على هذا الحديث: المراد أن يسأل المرء عن شيء لم يوجبه الله عليه ولا على غيره. وعلى هذا حصل الحديث لأنه قد يكون في السؤال ترتيب مشقة بسبب تكليف يحصل، ولهذا أشار ﷺ بقوله: (وسكت عن أشياء رحمة بكم فلا تسألوا عنها). وعن علي رضي الله عنه قال لما نزلت ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال: رجل أكل عام يا رسول الله. فاعرض عنه حتى أعاد مرتين أو ثلاثًا فقال رسول الله ﷺ: (وما يوشك أن أقول نعم، والله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت لما استطعتم، فتركوني وما تركتكم عليه). وأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدِّلَ لَكُمْ مَسْئُورٌ﴾ أي لم آمركم بالعمل بها. قال بعض العلماء: وهذا النهي خاص بزمانه، أما بعد أن تقررت الشريعة وأمن الناس من الزيادة فيها فقد زال النهي بزوال سببه أ. هـ. بعد هذا الاستطراد الذي أوردناه لنستشف منه أن حب الاستطلاع غريزة وأنه قد يكون محمودًا أو مذمومًا نعرض بهذه المناسبة لكثرة الأسئلة الاستطلاعية التي وردت لصاحب اللمحات وقد لا تغني المستطلع في شيء، فتكون فضولًا مردفًا، ومنها ما يركز على هدف وله صلة بالحقبة التي عاشها صاحب اللمحات وهيئة التدريس في الرياض، منها وهو من الاستطلاع الذي لا نقد فيه قول بعض الناس لقد عشتُم في

الرياض حقبة طويلة كان لكم انطباعات عن الناحية الدينية والعلمية والاجتماعية، فهل نطمع في الحديث عن ذلك؟ ولتحقيق هذه الرغبة نسجل فيما يأتي بعضاً من هذه الانطباعات:

الناحية الدينية

ويقصد بها صاحب اللمحات المظهر العام واندفاع الناس نحو أداء الفرائض في المساجد، والغيرة على إنكار المنكر لا من الهيئة المسؤولة عن ذلك بل من عامة الأفراد، فعلى الفرد أن يصلي في المسجد الذي احتسب فيه والذي يقرب من داره، ويتفقده مؤذن المسجد كل يوم في صلاة الفجر، فإن كثر منه التخلف بُحِثَ عنه لمعرفة عذره، وهو مَظْهَرٌ للتعاون على الخير. وبهذه المناسبة يذكر صاحب اللمحات أن وضع الدراسة وانشطارها بين قصر الرياض وقصر المربع قَرَضَ على الهيئة أن تصلي الظهر في مسجد القصر وهو يصلي مبكراً قبل المساجد الأخرى ثم تعود إلى الدار لتناول الغداء استعداداً لأداء واجبهم، فطرق عليهم باب الدار إمام مسجد الحي وأعلمهم أن من المفروض عليهم أن يؤدوا الصلوات في مسجد الحي، ولا يُقبل لهم في ذلك عذر.

أما إقامة عَلمٍ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيكاد يكون الطابع لا لسكان الرياض فحسب بل لسكان نجد عامة، فتجد الرجل إذا رأى متقاعساً عن الذهاب إلى المسجد في وقت الصلاة يحثه على الإسراع حتى إنك لتجد الصف الأول يتكامل قبل الأذان، وقلَّ أن تجد بعد الصلاة من يقضي ما فاتته، لأن أكثر المصلين بعد الصلاة يلحظونه بنظرة شَرَرٍ تجعله لا يعاود التأخير، ولم يكن في الأحياء مراكز للشرطة لملاحظة ما لعله أن يكون من سقطة من بعض الأفراد أو زلة، بل كان كل حي يحرص أن لا يسكنه إلا من عُرف بالاستقامة، ولو قُدِّرَ أن سَكَنَ في الحي غريب فإنه يبقى مراقباً من كل سكان الحي لكيلا يبدو منه عوار أو تبذر منه شطحة، وبهذه المناسبة

فقد سكن غريب في حي من الأحياء فطارت إليه العيون تستكشف مسلكه وتعلمه بالرقابة بل وتتوعده بالإخراج من الحي لو لم يتعاهد المسجد.

الناحية العلمية:

أما الناحية العلمية فقد كان أبرزها التدريس في المسجد لطلبة العلم بعد كل فريضة، ومن أبرز المساجد في ذلك المسجد الجامع في وسط البلدة، ومسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في حي دخنة، وبلغت الحركة العلمية على هذا المنوال مبلغًا كان له من الآثار الحميدة إخراج قضاة ووعاظ ومدرسين نفع الله بهم، أما التعليم الأولي فيمارس في الكتاتيب، وفي أماكن تُخصّصت له على حساب مطاوعة تفرغوا لذلك، وهو في نطاق محدود لا يكاد يعدو ختم القرآن الكريم وتعليم الخط العربي وتدريس الحساب والإملاء، ولم تكن المدارس النظامية التابعة لمديرية المعارف قد عُرِفَتْ آنذاك، ثم افتتحت مدرسة الأمراء للمرة الأولى وأسندت إدارتها للمربي القدير السيد أحمد العربي، ثم صدر الأمر الملكي بعد ذلك بإنشاء مدارس في عموم نجد والقصيم والأحساء، ولا يستقصي صاحب اللمحات كل ما تم في ذلك ويضع التواريخ بالتحديد، بل حسبَّه العرض والإشارة دون الإفاضة.

الناحية الاجتماعية:

انطباعات صاحب اللمحات عن هذه الناحية تصوّر الواقع الذي يعيشه أهل الرياض بل أهل نجد عامة، لقد كان مما درجوا عليه بحكم عروبتهم الكرم وإحسان الوفادة للضيف، والتحجب إليه بكل وسيلة ليأنس بجوارهم ويركن إليهم، وليُدْهِبوا عنه وحشة الغربة ولوعة فراق الوطن والأهل.

عندما قدم صاحب اللمحات إلى الرياض عام ١٣٥٦هـ لم يكن له سابق معرفة بأحد، ولكنه سرعان ما أضحي له أصدقاء ومحبون وراغبون للاتصال به، يتحبون إليه بالدعوة إلى تناول القهوة بين العشائين، بل وإلى أكثر من ذلك مما يبدو فيه الكرم بأبرز معانيه، ومن أمثال ذلك أن رجلًا تعرف إليه

والى زملائه فألح عليهم بتشريف داره - على حد تعبيره - لتناول طعام الغداء، فلبّوا الرغبة، وحيّاهم صاحب الدار بالقهوة ثم بالشاي ثم بالنعناع ثم يَلَوْن من الأشرطة اللذيذة حتى ظنَّ بعض أعضاء الهيئة أن ليس ثمة وليمة لأن المضيف ختم تقديم المشروبات بتقديم العود، وقد قيل: (ما بعد العود قعود). ثم لم تشعر الهيئة إلا بالمضيف يدعوها إلى قاعة الطعام وقد وضع فيها خواناً كبيراً عليه ثلاث جفان امتلأت بالأرز وعليه الخرفان إلى جانب ألوان من الفاكهة، ولم يدعُ المضيف سوى عدد من الأقارب والجيران، فبقيت الجفان وكأنها لم تمتد إليها يد، وهذا مثَلٌ واحد من أمثلة كثيرة عاشها صاحب اللمحات في الرياض، أما الدعوة إلى تناول القهوة فقلَّ أن تمضي ليلة دون أن تُدعى الهيئة إلى تناول قهوة. قد يتبادر إلى الذهن أن هذا الإكرام لغرض أو لمصلحة يرجوها المضيف، وما أكثر الاستغلايين والانتهازيين غير أن الهيئة وضح لها أن هذا الكرم جبلةٌ جُبِلَ عليها بعض الناس، وخلقوا تخلقوا به، ومنقبة للعرب في مختلف أصقاعهم وبقاعهم.

ظاهرة اجتماعية:

وثمة ظاهرة اجتماعية أخرى تكاد تكون معلومة لدى الخاص والعام ألا وهي غشيان الأسواق والتطلع إلى الكسب الحلال عن طريق البيع والشراء وادخار السلع، وفي الأسواق يجتمع القاصي بالداني يتطارحون الأحاديث في مختلف الشؤون، ويتعرفون إلى الأخبار، ويحدث التعارف والتآلف، وتلك وسيلة من أبرز وسائل الاجتماع مضى فيها أهل الرياض على الطبيعة، وقد يفقد المرء صديقه أو قريةً أمداً طويلاً، فيلتقيه في السوق، وبعد السلام والسؤال يقول له الكلمة التقليدية: (عسى ما شرُّ؟) يسأله عن الحابس له، ويتمنى له أن يكون خيراً لا شرّاً فيه، هذه بعض الانطباعات لصاحب اللمحات عن الحالة الدينية والعلمية والاجتماعية في الرياض منذ عام

الصلة ببعض الشخصيات في الرياض

نستهل هذه اللمحة بسؤال هو من الأهمية بمكان بالنسبة لصاحب اللمحات وإقامته في الرياض أمداً طويلاً، يقول السؤال أو صاحب السؤال: لقد أمضيتهم في الرياض فترة كافية لأن تكون لكم فيها علاقات مع شخصيات بارزة تركنون إليهم وتغشون مجالسهم، ولعله قد يكون لكم معهم أو بعضهم لفتات كريمات أثرت فيكم، فَهَلَّا ضَمَنْتُمْ اللمحات شيئاً من ذلك؟ ولعل الإجابة عن هذا السؤال تتطلب التحديد وذكر الأسماء، وقد يكون في ذلك إحراج إن لم يكن لصاحب اللمحات وللشخصيات التي يحددها ويذكر أسماءها، غير أن صانع الجميل لا يضيره أن يُعْلَم عنه.

أولاً: للاقتداء به ليكون إشعاعاً يضيء للناس الطريق القويم.

ثانياً: للاعتراف بجميله والإكبار لِفَقَاتِهِ والإعجاب بشخصيته.

وقبل أن نتحدث عن الشخصيات البارزة التي كان لصاحب اللمحات صفة عامرة بها، نتحدث عن الوضع الذي درج عليه صاحب اللمحات طيلة أيام أو سنوات إقامته بالرياض، لنكشف عن علامة الاستفهام التي قد تبرز في قالب نقد أو غرابة، فالوضع الذي درج عليه مُستوحى من تكييفه لنفسه وحملها على العزلة في كل دروبها والبعد عن الأضواء، ولقد تحدث عن ذلك في مقدمة اللمحات حيث قال: (... انتهى به الأمر إلى الانطواء والعزلة، وهل كان ذلك من عامل السن فقد انصرف عن المجاملات والمحاولات في الجري وراء الشهرة، والسهر على حب الظهور؟! أم كان الانزواء والانطواء قناعة بالماضي، ولترك الشوط لغيره؟! ولعله لا هذا ولا ذاك، بل نتيجة لكثرة ما قرأ عن العزلة ومكاسيها، ومن ذلك قول بعض أساطين الحكماء: من أراد اجتماع همه وإصلاح قلبه فليحذر من مخالطة الناس في هذا الزمان، وقد جربت على نفسي مراراً أن أحصرها في بيت العزلة فتجتمع ويضاف إلى ذلك النظر في سير السلف، فأرى العزلة حمية، والنظر في سيرة القوم دواء،

واستعمال الدواء مع الحماية عن التخطيط نافع. إن دوام العزلة كالبناء، والنظر في سير السلف يرفعه فإذا وقعت الخلطة انتقض في لحظة ما بُني في مدة، وصُعِبَ التلاقي، وضعف القلب. أ.هـ

لعل أمثال هذا التوجيه الحكيم والكثير من أمثاله هو الذي حَبَّب إلى صاحب اللمحات العزلة فأخذ بها نفسه، وإذا كانت العزلة التي رسم خيوطها وأخذ نفسه بها في بلده وبين إخوته وأصدقائه والمحبين له هي الخطة المحببة لديه فكيف به وقد انتقل إلى بلد أضحى فيه غريباً؟! لا غربة العقيدة فالعقيدة لا تتغير أو تتبدل بتغير الأوطان والضرب في الأرض، ولكن الغربة التي يعينها صاحب اللمحات غربة الجوار بمعناها الشامل، الجوار في الدار، والجوار الشامل في المجتمع. لقد رسم صاحب اللمحات له ولزملائه أعضاء هيئة التدريس خطة سلموا بالسير عليها من المآخذ والكشف عن العورات، فلكل الناس عورات كما قال الإمام الشافعي رحمه الله في قصيدته العامرة بالمُثل العليا:

لسانك لا تذكر به عورة أمرئ فكلك عورات وللناس ألسن
الشاهد فيها قوله: فكلك عورات، والمرء بحكم بشريته لا يسلم من
زلة أو هفوة، وعلاج ذلك العزلة إذ تكون زلته وهفوته مستورة وموارة لا
تمتد إليه الأعين ولا الألسن، ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها.

العزلة في المنزل:

يترجم عن هذه العزلة الحدُّ من الزيارات والسهرات والندوات حتى مع الرفاق، فإذا دخلوا الدار يذهب كل منهم إلى حجرتة لا يجتمع بالآخر إلا عند تناول الطعام أو عند الخروج إلى المسجد أو الخروج من الدار للعمل، وبالمناسبة فقد نزل بصاحب اللمحات ضيف له عليه حقُّ الأستاذية، ولحظ هذا الوضع الذي يصور العزلة بكل معانيها، فضايق صدره وهو الرجل الاجتماعي الذي لا تمر عليه ليلة إلا وله فيها سمر، ولا ينقضي يوم إلا

ولديه من يجتمع به ويأخذ معه في دروب الحديث، ضاق صدره ورغب إلى صاحب اللمحات في أن يكشف له الواقع، وأن يتحدث إليه عن الحافز على هذه العزلة فبدأه مضيغة بقوله: ألم يقل المثل (يا غريب كن أديباً). ونحن على هذا المبدأ نسير، وبه نأخذ أنفسنا، ولو خرجنا عنه لم نأمن العثار، ولم نسلم من النقد، وليت الناقد يواجهنا بنقده، ولكنه كما قال الشاعر:

يلقاك يحلفُ أنه بك واثقٌ وإذا تَوَارَى عنك فهو العقربُ

ونحن هنا ينظر إلينا الناس نظرهم إلى من يجب أن يكون في القمة، نحن معلمو الأمراء أنجال الملك، ويجب أن يكون من يقوم بتعليمهم في مستوى رفيع. فهاهنا الضيف ما سمع وقال بالنص: (لا، يا ولدي هذا شيء لا أقدر عليه، أنا رجل - كما تعلم - اجتماعي، واليوم الذي لا أجتمع فيه بأحد تضيق بي الدنيا على رحبها). ولم تطل إقامة الضيف أكثر من ثلاثة أيام قضاها على مضض، ومن أجل هذه الخطة خطة الانطواء والعزلة كان بعض الأساتذة لا يكمل العام الدراسي إلا ويُقدِّم استقالته طلباً لا متلاك زمام نفسه، وكان جلالة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - أصدر أمراً إلى مدير المعارف آنذاك باستبدال أي مدرس يرغب المدير استبداله بغيره دون استصدار موافقة جلالته؛ لأنه رأى ذلك من شؤون المدير وهو بها (أبخص) أي أعرف.

العزلة في المجتمع:

العزلة في المجتمع أو بعبارة أخرى الاندماج مع الناس وتكوين صلات خاصة والقيام بمجاملات هي شأن الرجل الاجتماعي وديدنه في كل مناسبة، وقد أسقط صاحب اللمحات ذلك من حسابه على الرغم من أن أهل الرياض كانوا كرماء في معاملته، أوفياء لشخصه يلمس ذلك من لقاءاتهم معه وأحاديثهم إليه كلما ضمه بهم أو بأحدهم مجلس، أو التقاهم في الطريق، أو اجتمع معهم في المسجد، على الرغم من ذلك فإن طابع

العزلة يتجسد فيه فلم يكن يلجأ إلى أحدهم لقضاء مصلحة خاصة أو يُعوّل عليه في شفاعته إن كان ممن له وزنه؛ لأن طابع العزلة يغلب عليه فلا يتمكن من مغالبتة والخروج عنه؛ إذ قد أضحي جِلَّةً وطبعاً له وقديماً قيل: الطبع يغلب التطبع. بعد هذه الإفاضة نتحدث عن الشخصيات المحبة لصاحب اللمحات والتي كان يغشى مجالسها في الرياض، ويجد في رحابها الأنس والسلوى والتقدير والرعاية، وكان بوده أن لا يذكر الأسماء وخاصة لمن هو على قيد الحياة، ولكنه منساق إلى ذلك لأن الإشادة بشخصية مجهولة لا تغني فتيلاً.

الأمير عبدالله بن عبدالرحمن:

بدأت صلة صاحب اللمحات بسموه في مكة إذ كانت داره ملتقى أفاضل الرجال يجذبهم إليه خلقه الكريم رحمه الله، وكانت مجالسه معهم لا تخلو من علم ومُدَارَسة وتجاذب للآراء، كانت له - يرحمه الله - مكتبة قيمة جمعت كتباً نادرة، ومن بين من كان يغشى مجلسه بمكة الشيخان الجليلان فضيلة الشيخ عبدالظاهر أبو السمع خطيب الحرم المكي، وفضيلة الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة نائب خطيب الحرم والمدرس في المسجد الحرام، وكانا يصطحبان معهما صاحب اللمحات حتى توثقت الصلة بسموه، فكان يتفقد صاحب اللمحات إذا تغيب عن المجلس أمداً، كان لسموه - يرحمه الله - على خطب الجمعة التي كان يلقيها صاحب اللمحات بعد عهد الشيخين وعهد الشيخ عبدالعزيز بن حسن ملحوظات كاشفت الخطيب بها، فكان لا يعجبه أن لا يخرج الخطيب من المواعظ الدينية والتحدث عن الوعيد وذكر الجنة والنار، ويرغب في أن ينحو الخطيب المنحى الذي نجاه الشيخ محمد بن عبدالوهاب يرحمه الله، أما الموضوعات الاجتماعية وغيرها مما يتصل بحياة الجمهور فيفضل أن تكون لها ندوات أو محاضرات تستوعب الشيء الكثير منها.

وتلك وجهة نظر له يرحمه الله، بل ولعلها وجهة نظر لغيره أيضًا ممن لا يروقه أن يسمع في خطبة الجمعة غير الوعظ الديني والتذكير بالآخرة وما أعدّه الله فيها من النعيم المقيم، وهذا الموضوع للبحث فيه مجال آخر ليس هذا موضعه، بل لعله يتطلب استفتاء الجمهور الواعي لترجيح أي المسلكين. نعود بعد هذا الاستطراد إلى الحديث عن صلة صاحب اللمحات بسموه وأنها كانت من مكة وازدادت وثوقًا في الرياض عندما أُسندت إلى صاحب اللمحات إدارة مدرسة الأمراء فانضم إلى طلابها أنجاله: يزيد، وعبدالرحمن، ومحمد، وتجددت الزيارات لسموه في داره فكان صاحب اللمحات ومساعدته الأستاذ أحمد علي الكاظمي كثيرًا ما يغشون مجلس سموه فيجدون منه كل عطف ورعاية وتقدير واستعداد لشد أزهرهم وبذل المساعدة فيما لو بدر ما يدعوا إلى مساعدة، وبعد أن أضحت مدرسة الأمراء متقلبة فُكر سموه في إنشاء مدرسة خاصة بأنجاله، وما برحت الصلة بسموه عامرة والعطف قائمًا، ومن أمثلة ذلك أن صاحب اللمحات عرض على سموه قسوة ما يلقاه من فراق الأهل والأطفال والجهد في السفر المضني كل عام، ورغب من سموه أن ينهي إلى جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله الرغبة في تخصيص الراتب الذي يتقاضاه كقاعدة مستمرة، ثم البقاء في مكة إمامًا في المسجد الحرام، فرحب سموه وأبدى استعدادًا كبيرًا، غير أن الرياح جرت بما لا تشتهي السفن، وبقي الوضع دون تغيير إلى أن قوضت مدرسة الأمراء خيامها كما سبقت الإشارة إلى ذلك في لمحة سابقة، والخير في الواقع.

الأمير مساعد بن عبدالرحمن

كانت الصلة بسموه بادئ ذي بدء في مكة إذ كان يسكن دارًا بالقرب من المسجد الحرام يلتقي فيها بسموه أهل العلم والفضل، ومن بينهم فضيلة الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة يرحمه الله، وللشيخ مع الأمير مساعد صلة

علمية كان سموه يُنمّيها بالاتصالات بالشيخ في دار الأمير، وتعددت مرافقة صاحب اللمحات لفضيلة الشيخ محمد إلى سموه فوجد من الإكرام والتقدير ما ملك عليه مشاعره ودفعه إلى تكرار الزيارة حتى ولو لم يكن في رفقة الشيخ، ثم انضم إلى صاحب اللمحات في زيارة الأمير الأستاذ أحمد علي الكاظمي فوسع سموه الجميع بخلقه الكريم ولطفه، وأشربت القلوب محبته، وازدادت بمرور الأيام هذه الصلة وثوقاً طيلة الأيام التي كان يلبث فيها سموه بالحجاز، وفي فترة الاصطيف في الطائف كان التردد على دار سموه ديدن صاحب اللمحات منذ أن يقدم إلى الطائف حتى مغادرته، وكم كانت لسموه من لفتات كريمات يوسع بها دائرة الصلة ويجعلها أطول أمداً إذ يدعو صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبدالرزاق وصهره صاحب اللمحات والأستاذ الكاظمي إلى نزهة خلوية على البساطة المعهودة في سموه، ويمتد المجلس إلى ساعات في أحاديث علمية يكون سموه المُجَلّي في ميدانها، فهو أشبه بدائرة معارف، له في كل علم مشاركة وفهم دقيق حتى في النظريات الحديثة تجده يتصورها وكأنه ظليع فيها. وتتكرر هذه النزهة الخلوية طوال أيام الصيف، وعلى غرارها كان التكريم أيام الرياض في المعذر شمال الرياض وفيه مزرعة عظيمة لسموه يدعو إليها صاحب اللمحات وهيئة التدريس، ولم تكن قاصرة على سويعات بل تجمع بين طرفي النهار وسمر الليل، فيفيض على محبيه من ألوان الكرم ما يفوق الوصف، ويدعو بعض المُعَمَّرين من أهل نجد ليضيفوا بأحاديثهم الطريفة على المجلس المتعة والترويح عن النفس، وإلى جانب ذلك يحضر المجلس بعض من لهم شطحات في الماضي عندما كان الأمن مهزوزاً في نجد وقد حمل في نفسه ذكريات للسلب والنهب، ومن طريف ما كان يُحدّث نفسه به عندما رأى هيئة التدريس في بزتهم وعباءاتهم الجديدة أنه تمنى لو أن الأمير خلى بينه وبينهم فسلب عباءاتهم وهرب بها، اكتشف ذلك سموه عندما سمعه يُهمِّمُ بكلام غير مسموع فسأله وأقسم عليه أن يبوح له بما يُحدّث به

نفسه، فأخبر بالواقع الذي دار في نفسه، وكانت هذه الطرفة مشوبة بالعبرة، إذ كيف يغدو هذا الطراز من الناس في زمن الأمن والهدوء يجول في نفسه أمثال هذا السطو والنهب؟! وكان يدخل البهجة على النفوس طوافه بضيوفه على المزارع التي جمع فيها بين فواكه الخارج وثمار الداخل، الأمر الذي يدخل به السرور عليه ويروح بها عن نفسياتهم، ويستشعرون به عظم المنة، وثمة موضع آخر شمال الرياض أيضًا يدعى بالعمارية فيه إلى جانب المزارع الفينانة آلات لتقطيع حجر الرياض بصورة فنية وتصديره، وحجر الرياض هو الحجر الأبيض الذي تجعله العمارات الحديثة في واجهاتها.

نكران الذات:

مما جُبلَ عليه سموه أن جليسه لا يشعر بأنه يجلس مع شخصية لها مميزاتها كالحسب والنسب والمكانة بوصفه فردًا من أسرة آل سعود، وما ذاك إلا لما جبل عليه من نكران الذات والتمشي مع الواقع الإسلامي الذي يصوره الحديث الشريف: (الناس من آدم وآدم من تراب)، و(الناس سواسية كأسنان المشط). أي في الحقوق والاعتبارات، لا فضل لأحد على غيره إلا بعمله الصالح، وإلا بالتقوى كما جاء في الحديث (لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى)، وإلا بحسن الخلق كما جاء في الحديث (يا عائشة ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة) أو كما قال ﷺ.

آراؤه في الإصلاح الاجتماعي:

من أبرز ما يتسم به سموه نزعته في دروب الإصلاح الاجتماعي، ولعل من بعض ما نجم عنها تفكيره في تعليم البنات وإصداره بذلك رسائل بقلمه تفتح له الوعي، فأخذ بمخططاتها، وكان تعليم البنات في الظرف الذي أصدر رسائله يعد خروجًا على العرف والتقاليد.

عواطفه نحو الحسبة:

كان يرفع إقامة الأمر بالمعروف ورفع علم الفضيلة حتى لقد نصّب به

الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - قيماً على هذا المرفق بالنسبة للعائلة المالكة، ومن حقه بذل النصح وتعقب الخلل، ومعالجة ما يتمكن معالجته لاستقامة المعوج حتى تسير السفينة إلى ساحل الأمان.

مكتبته الشهيرة:

تضم مكتبته الشهيرة في الرياض العديد من نواذر الكتب، ولبعد نظره ورغبته في إشاعة العلم والمعرفة وسَّع دائرة الانتفاع بها فخصص لها قاعة في قصره بالرياض، وأقام لها قيماً يُعنى بأمرها ويسجل أسماء المنتفعين منها من عامة الناس، وحدد زمناً لمراجعتها، وكان يهدف من تسجيل أسماء المنتفعين إلى أمرين:

- (١) معرفة اتجاه المنتفعين وميولهم في المطالعة من وراء الكتب التي يدرسونها، لتكوين فكرة عن المجتمع وميوله، والرغبة في الحصول على الرصيد العلمي من أي كتاب وفي أي علم أو فن.
- (٢) إشاعة المعرفة وتثقيف أفراد الشعب ونشر الوعي فيه، والأخذ به إلى الكمال لا من حيث الثقافة الدينية فحسب، بل من حيث الشمول وتعدد ألوان المعرفة، وكلا الهدفين اللذين يهدف إليهما سموه عظيم وجليل.

لفتات كريمات:

ثمة لفتات كريمات لسموه نحو صاحب اللمحات ووقفات عظيمة لا ينساها، بل يلهج بالدعاء لمسيديها، منها:

- (١) عندما قوضت مدرسة الأمراء خيامها ب وفاة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - رغب الملك سعود - يرحمه الله - من سموه في الكشف عن رغبة صاحب اللمحات وهيئة التدريس في الوظائف التي يحبون مزاولتها، فقام سموه بأجل ما يمكن أن يصنعه صاحب معروف،

واتصل بصاحب اللمحات كتابياً، وأبلغه مضمون الأمر، ثم رفع الرغبة إلى جلالة الملك سعود، وصدر الأمر بالموافقة، وكان الفضل في ذلك لله ثم لسموه.

(٢) وقبل ذلك لا ينسى صاحب اللمحات موقفه معه عندما صدر أمر ترحيل الهيئة إلى الرياض وكانت مراجعات متعددة لجهات الاختصاص منها، أو أن بعض الجهات نقلت إني ولي العهد (الملك سعود) أن مدير المدرسة يقول، إنه عاص للأمر، فأحدث ذلك رد فعل سيء لدى الأمير سعود، وكان للأمير مساعد -بعد الله- اليد الطولى في تصفية الجو وتوضيح الحقيقة للأمير سعود وإزالة ما في نفسه.

(٣) عندما صدر الأمر الملكي بإسناد رئاسة الجامعة الإسلامية إلى صاحب اللمحات حاول الاعتذار بكل الوسائل فلم يفلح فعُول - بعد الله - على مساعي سموه في حل الموضوع وقبول الاعتذار، وقد كان ذلك، وعاد صاحب اللمحات إلى وظيفته مستشاراً بعد أن طوي قيده منها أو كاد يطوى.

(٤) وعندما صدر الأمر الملكي بتعيين صاحب اللمحات عضواً في هيئة كبار العلماء أعاد الكرة في الاعتذار، ورغب النصيحة أولاً من سموه فأشار عليه ومحضه النصيح قائلاً: سوف تؤخذ عنك فكرة سيئة لأنك كلما رشحوك لأمر تتعجل في الاعتذار، والذي أشير به عليك أن لا تحاول الاعتذار، وأن تكون غريباً في الرياض إذا دعيت لحضور الجلسات، وليكن نزولك في داري، ثم ليكن مجلسك في الاجتماع حيث ينتهي بك المجلس، فإذا جاء دور التصويت أدليت برأيك، وبما يتضح لك من وجهة نظرك.

وكان لتوجيه سموه ونصيحته الأثر الطيب في نفس صاحب اللمحات حيث عدل عن الاعتذار، ولما حان موعد جلسات هيئة كبار العلماء

اتصل صاحب اللمحات بسموه، وحدد له موعد السفر فبعث له من يستقبله في المطار، ونزل ضيفاً معزراً مكرماً في رحاب سموه، وفي الجلسات سار على المخطط الذي رسمه له سموه فحظي بتقدير أصحاب الفضيلة ورعايتهم.

٥) ثمة يد ماثلة أمام صاحب اللمحات لا ينساها أبداً ما بقي فيه عرق ينبض، وما برح يضرع إلى الله في أوقات السحر وفرص الإجابة أن يجزيه الله عليها خير ما يجزي به المحسنين من عباده، ولولا أن سموه يؤذيه ذكرها بين الخاصة فضلاً عن نشرها على الملأ لأعلنها اعتزازاً بها، وليضرب المثل في بذل المعروف وإغاثة الملهوف، ولكن حسبه الدعاء أخذاً بالتوجيه النبوي الكريم: (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه).

الصلة بطلاب المدرسة من الأمراء

ما برح الحديث موصولاً عن حب الاستطلاع، وقد أفضنا فيه كثيراً نظراً لما وُجّه لصاحب اللمحات من الأسئلة من قِبَل الإخوة الذين يتابعون قراءة لمحاته، والسؤال الذي يجيب عنه صاحب اللمحات في هذه اللمحة صلاته بالأمراء من طلاب المدرسة، وهل كانت له صلة بهم وانفتاحات في اجتماعات خاصة ترتفع فيها الكلفة؟ وهو سؤال يكاد يكون مألوفاً؛ إذ من غير المسلم به أن تكون صحبة سبعة عشر عاماً مع طبقة من الناس له في عنقهم حق الرعاية والتقدير معلماً ورائداً ثم لا يكون له معهم جلسات تكميمية خارج المدرسة، وفي هذه الجلسات تسقط الكلفة، وعلى حد تعبير القائل (إذا خلونا صبونا). والجواب قد سبق منه جزء في لمحة سابقة عندما تحدث صاحب اللمحات عن الخطة التي رسمها طوال إقامته في الرياض، وعن العزلة التي فضّل السير عليها، فلا داعي إذن لإعادة ما سبق الحديث عنه؛ لذا نقصر الإجابة عن بقية السؤال، ولعل سمو الأمير نايف وزير الداخلية قد كفانا الإجابة عنه بالكلمة الطيبة الرائعة، والشهادة الحقّة التي

تحدث بها عندما استضافته الإذاعة وسئل عن ماضيه في التعليم فذكر مدرسة الأمراء، وعرض لمديرها وقال بالنص: (ذاك رجل نجه ونهابه). والهيئة لم يكن دافعها الشدة في المعاملة، وإنما الهيئة من احترام الشخصية وعدم الخروج عن المهمة التي وُكل إليه أمرها، والتراخي في أداء الأمانة التي حمَّله إياها والدهم الملك عبدالعزيز يرحمه الله، على أنه لم تكن ثمة اجتماعات خاصة بين طلاب المدرسة وهيئة التدريس خارج المدرسة قد تسقط فيها الكلفة، فعلى الرغم من حرص الأمراء على إقامة ولائم تكريمية خاصة بعد أن أقام المدير وهيئة التدريس بالرياض فإنهم لم يجدوا من المدير غير الامتناع عن كل اللوائيم التي يحرص فيها الأمراء على تكريمه فيها، وهدفه من ذلك التمكن من أداء الواجب دون أن يكون ثمة تأثير فيه، أو شائبة تفرض عليه المجاملة أو التسامح في القيام بحق الأمانة التي في عنقه والتي كانت في الطليعة في نظره، فإذا أخفق فيها لأي عامل فقد خان، وخيانة الأمانة نكسة في الضمير، فإن الضمير اليقظ لا يفتأ يؤنب الخائن فتصبح حياته جحيمًا تحت تأثير ذلك. لقد قنع المدير بالتخطيط الذي رسمه بالانعزالية والابتعاد عن كل الشوائب، فكان لذلك الأثر الطيب، وخطت المدرسة خطوات حثيثة إلى الأمام في كل أدوارها ومراحلها الدراسية وكل السنوات التي قُدِّر لها أن تحياها، وثمة كلمة طيبة أخرى وشهادة افترَّت عنها شفتا الأمير أحمد بن عبدالعزيز عندما زار صاحب اللمحات في الجناح الذي خصصه له الأمير مساعد في داره بالرياض عند حضور جلسات هيئة كبار العلماء، وتطرق الحديث مع الأمير أحمد عن الماضي وعهد الدراسة وثقة والده - يرحمه الله - بالمدير. فقال الأمير أحمد في جُملة حديثه: (لقد سلَّمنا والدنا رحمه الله ليد أمانة فلم يعقب عليها). وحسبنا هذه الشهادة الصادقة البعيدة عن كل مجاملة من رجل واع له وزنه، هذا ولأن الشيء بالشيء يُذكر يعرض صاحب اللمحات للانتهازيين الذين كانوا يُوجِّهون إليه اللوم لعودته من الرياض بعد حقه من الزمان، وكان في رحاب ملك يعطي الناس (بالزفة) على حد تعبيرهم، ثم لا يكون معه

حصيلة تذكر، يقولون في جملة ما يقولون مما يصورون به الطرق الانتهازية: كان في إمكانك إذا جلست إلى جلالته وكان مسروراً وأمرك بقراءة شيء من القرآن أن تردف ذلك بطلب تسميعه إياه مرة من أذنه اليمنى قائلاً: يا طويل العمر أريد بيتاً أسكن فيه وأتملكه في مكة، ثم في فترة أخرى ولمناسبة يكون فيها منشراحاً وقرأت عليه القرآن تسمعه من الأذن اليسرى طلباً تقول فيه: يا طويل العمر أريد خادماً. ثم في فرصة ثالثة تطلب منه مخصصاً لعيالك وهكذا في كل فترة تغنم كسباً تدخره ليوم عودتك إلى الحجاز، وكان صاحب اللمحات يرد على هؤلاء الانتهازيين بقوله: (إن الرزق قد قسمه الله سبحانه والمرء في بطن أمه، يأمر ملكاً بكتابة رزقه وأجله وشقي أم سعيد)، وفي الحديث: (إن روح القدس ألقي في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب). ولقد عدنا من الرياض وعلى رؤوسنا تاجان نفاخر بهما ونعتز: ديننا وخلقنا لم يستطع أحد طوال إقامتنا في الرياض أن يطعن فيهما فيقول مثلاً: (كانوا متساهلين في الصلاة أو كانت لهم دروب سيئة). بل كنا عند عموم الطبقات موضع الرعاية والتقدير، وحسبنا الدين والخلق رصيذاً نعتد به في دنيانا وأخرانا، وذلك من فضل الله وتوفيقه، وفي تقدير صاحب اللمحات أنه لو جنح إلى رأي الانتهازيين لما حصل إلا على ما كتبه الله له كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف). بالإضافة إلى أننا قد نهبط عن المستوى الذي كانت لنا فيه الحظوة من جلالة الملك يرحمه الله. بقيت كلمة أخيرة يبرهن بها صاحب اللمحات بأن المدرسة لم يكن نفعها والإفادة منها مقصوراً على الأمراء فحسب، بل لقد انتظم في سلك طلابها الكثيرون من أبناء الشعب - كما سبقت الإشارة إلى ذلك في غضون سلسلة هذه اللمحات - كلهم قد أفاد فائدة علمية كان لها أثرها في حياته العملية،

ولبعد العهد لا يذكر مدير المدرسة أسماء من كانت له الحظوة بالانضمام إلى مدرسة الأمراء من غير الأمراء، وعلى سبيل المثل يذكر من بينهم ابنًا لسعادة مدير الديوان الملكي الشيخ عبدالله بن عثمان وآخر لرئيس ديوان البرقيات الشيخ محمد بن دغيشر، وابنًا لرئيس ديوان قسم البادية الشيخ إبراهيم بن عبدان، والطالب صالح بن عسكر سكرتير مكتب رئيس الملكية الشيخ عبدالرحمن الطبيشي.

ومن بين طلاب المدرسة أيضًا من لمع نجمه، وتحمل في الدولة مسؤوليات أبدى فيها جدارة ولباقة، منهم معالي الشيخ عبدالرحمن بن حسن العمران سفير المملكة في تونس، فقد درس جنبًا إلى جنب مع الأمراء وعلى منهجهم، وكان له من الاستعداد الكبير في التحصيل ما جعله بارزًا في مجموعة فصله كما هو الشأن الآن في الحياة العملية وخدمة الدولة، وما قيل عنه يقال أيضًا عن معالي الشيخ محمد بن عبدالعزيز الدربي وقد كان مثالًا للطلاب المجدّ الفاهم الواعي المتميز بولعه في التحصيل ومثابرتة على الدرس، وقد لمع نجمه في الحياة العملية حيث تقلب في مجموعة من وظائف الدولة حتى أصبح وكيلًا لوزارة الداخلية للشؤون الأمنية، وقد يكون للشخصيتين المذكورتين دراسات أخرى أو مشاركات في دروب المعرفة غير أن البذرة الأولى التي بذرتها مدرسة الأمراء هي الركيزة العلمية التي كان لها الأثر الطيب فيما وصلا إليه من الترقّي في ميدان العمل والحظوة بتقدير الدولة، وكان لمدرسة الأمراء الفخر حيث أخرجت إلى المجتمع أمثال الرجلين العاملين اللذين أفادا من دراستهما فائدة ملحوظة، وشقًا الطريق إلى مدرج الوظيفة في خطوات راشدة مسددة إلى جانب الأمراء الذين تخرجوا منها، وأضحت بأيديهم المسؤوليات العظيمة.

ونستخلص من كل ما تقدم أن مدرسة الأمراء أنجال جلاله الملك عبدالعزيز آل سعود - يرحمه الله - هي الرائدة والقائدة لطلاب العلم على طريقة المناهج النظامية.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الرابع

رجالتي ومساكنات



رحلة إلى الشفا

وكم في لمحات الماضي لو استعرضها المرء كم فيها من ذكريات في النفس تضيء عليها البهجة ويُستعاد بها ماضٍ كان له فيه المتعة والأحلام المعسولة والأقاصيص المستملحة، وعلى سبيل المثال أُورد في هذه اللوحة قصة رحلة قمت بها مع خاصة الأصدقاء إلى الفرع في أعالي منطقة الشفا قبل أكثر من ثلاثين عامًا، وقد بدأنا الرحلة من الطائف على الوسيلة الوحيدة للنقل آنذاك الحمير، وكم تعثرت بنا في الطريق، وكم شارفنا على الهلاك عندما كنا نجتاز منطقة المنخفضات الهائلة، ولكن الله سلم، وبلغنا الفرع، ونَعِمْنَا فيه بيوم كان كما يقولون لروعته وكثرة متعته (لم يكن من العمر). نعمنا بالمناظر الخلابة والهواء العليل والماء النмир، والفرع أرفع هضبات منطقة الشفا يرتفع عن سطح البحر (٦٣٤٠) قدمًا، والمقال الذي كتبته كان في تلك الفترة أي قبل ثلاثين عامًا أيضًا ومطلعه: التفتُّ إلى صاحبي وقلت له: هات آمنياتك وأنت على هذا الارتفاع الشاهق تملأ رثيتك من الهواء الصحي المنعش، وتمتع ناظريك بأجمل مناظر بلادك. قال: تمنيت والله أن تُعنى وزارة الصحة بإنشاء مَصْحٍ عظيم للأمراض الصدرية يستروح المرضى فيه عبير الروائح العطرية تنبعث من هذه الأشجار وسط هذه الهضبة ويملأون رئاتهم بهذا الهواء الجاف النقي، إذن والله نعاودتهم الصحة، وبارح أجسادهم الداء دون تجرع لدواء. قلت: إي والله إنها فكرة ما أجملها، ثم ماذا؟ قال: وليت وزارة المعارف تُشيد لأبناء هذه الهضبة مدرسة تتدرج من ابتدائية إلى أن تأخذ سُلَّم الرقي وتضارع أعظم

كليات العالم المتحضر، فإن أبناء البادية وخاصة من كان في مثل هذا الجو الشعري يتمتع بذكاء فطري. قلت: إي والله ليته يكون ذلك، ثم ماذا؟ قال: وليت وزارة المواصلات تُعنى بتعبيد الطريق وزفلته، وتوسعة منعطفاته وإدخال تعديلات عليه ليكون أكثر روادًا وأعظم فائدة وعائدة تعود على أهل الشفا إلى جانب إنشاء مركز للبريد وآخر للأسلكي. قلت: والله إنها فكرة جميلة أشبهه بخيال مُجنَّح وحلم معسول، ثم ماذا؟ ولا تسبح بعيدًا في خيالاتك بل اقصرْ أمنياتك على واقعنا ومجال رحلتنا فذلك أكثر إمتاعًا بالنسبة لنا وأكثر مؤانسة. قال: نعم واعتدل في جلسته وقال: ليت معنا شاعرًا يصف لنا تناجي النبات وخرير المياه في الجداول وانسيابها في المزارع وتغريد البابل وصدح الحمام على الأيك، ويسجل انطباعاته في باقات من الشعر العذب السهل الممتنع فتكون خير سجلٍ لرحلتنا وخير إمتاع يأنس به السمار، ويلتذ بترديده عشاق الأدب ويطرب له هواة الشعر: إي قلت: أي والله ليته كان ذلك، ثم ماذا يا صاح؟ قال: وليت معنا جيولوجيًا يحدثنا عن طبقات الأرض والجبال وتمايزها، وعن توهج الذرات الذهبية في بعضها عندما ترسل الشمس عليها أشعتها. قلت: ثم ماذا؟ وأوجز. قال: وليت معنا من العلماء المختصين بالنبات إذن لحدثونا عن كل نبتة وزهرة تعبق بالعبير الفواح، وتكسو هذه الروضة بالألوان الزمردية. قلت: إي والله ليت، ثم ماذا؟ قال: لا شيء إلا آلة تصوير تسجل كل مشاهداتنا، وهي أسهل تناولًا بالنسبة لنا فقد كان أمرها ميسورًا لو تذكرناها إبَّان قيامنا من الطائف، وما أن وصلنا إلى الحديث إلا وأشعة الشمس قد أصلتنا بحرهما فعدنا أدراجنا يتقدمنا الأدلاء الخريتون، وعلى الرغم من أن الطريق أضحى لدينا مألوفًا إلا أن الحاجة كانت ماسة إلى الأدلاء لتخليصنا من الأحرار وهدايتنا إلى أقرب المسالك وأسهل المنافذ لنصل إلى الموضع الذي أقمنا فيه، وكان من أدب الأدلاء أنهم يسيرون خلفنا، ويتركون لنا الحرية في اختيار الطريق، وعندما يلاحظون أننا سوف نتورط في مزلق أو

نحيد عن الجادة المطروقة يوجهنا أحدهم بقولهم في بساطة وسماحة: (من هنا يا با). بساطة وسماحة لا يعرفها أو يتعشقها إلا من سكن هذه الأجواء الفطرية الطليقة، وعاشر أهلها وتذوق بذوقهم، ولقد نسينا يومها أو تناسينا الألقاب إذ لم يطرق سمعنا طوال اليوم غير كلمة (يا با) فلا فضيلتكم، ولا سعادتكم ولا سيادتكم ولا حضرتكم، ولا شيء من تلك النعوت التي أصبحت من مستلزمات الحضارة، فذكرني ذلك بقول معالي الأستاذ محمد عمر توفيق في إحدى كلماته التي كان يكتبها في جريدة البلاد تحت عنوان (ذكرى) حين تحدث عن الألقاب ووصفها بأنها: «طرايطر توضع على رؤوسنا في بادئ الأمر، ثم لا تلبث أن تغدو هذه الطرايطر من ملتزمات حياتنا بحيث لو نزعنا لشعرنا بالنقص، فما أسعدنا لو نزعنا هذه الطرايطر من تلقاء أنفسنا، وعدنا إلى عهود الفطرة وعشنا مع البساطة والسماحة، فما أجمل أن يدعى المرء باسمه مجرداً، وأن أوغلنا في التعريف أضفنا اسم الأب إلى الاسم أو الكنية، ولن نحتاج بعد ذلك إلى إضافة طرايطر جديدة». وعدنا إلى موضع مقامنا تحت الدوحة العظيمة وبين مزرعة الخضار وإذ بنا نفاجاً بقدوم الأمير مشعل بن عبدالعزيز إلى الشفا للترويج عن النفس والاستمتاع بسناظر الشفا، وليقوم بمحاولة جديدة لتذليل ما يمكن تذليله من العقبات في الطريق لتيسير الوصول إلى هضبة الشفا. ولصاحب اللمحات مع الأمير مشعل وإخوانه من أبناء الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - ذكريات جميلة؛ إنها ذكريات أستاذية وتلمذة، ما أجملها من ذكريات في نفس كل من الطالب والأستاذ! وكان مسك الختام جلسة هادئة مع الأمير استعرضنا فيها معاً ذلك الماضي المجيد ماضي العلم والتعليم والصلة الروحية النزيهة من كل غرض، البعيدة عن كل شائبة، وبعد تناول الغداء مع الرفاق عدنا أدرأجنا على الطريق نفسه وكانت الشمس ترسل أشعتها الذهبية على جداول المياه، والرياح تداعب غصون الأشجار فينطلق حفيفها في الفضاء وكأنه يُردّد أنشودة البهجة والحياة الناضرة، فتذكرت بيتاً من الشعر كثيراً ما كنت أرددّه منذ عهد الطلب يصور هذا المنظر الأثخاد:

والريح تعبثُ بالغصونِ وقد جرى ذهبُ الأصيل على لجين الماء
وانتهت الرحلة بسلام، وشدَّ كل منا على يد صاحبه مهنئًا بنجاح
الرحلة، وأبدى التمنيات الطيبة والتوفيق إلى رحلة أخرى أكثر إمتاعًا
وإيناسًا، فما أحلى عودة أيام السرور وأعصار السعادة فحقق يارب الآمال
إنك أكرم مسؤول.

رحلة إلى المدينة المنورة

للحديث عن رحلات صاحب اللمحات مجال واسع على الرغم من
أنها كانت محدودة في نطاق ضيق غير أنها من الماضي الذي يعتد المرء به،
إذ كان جزءًا من حياته وحقة عاشها كان لها في نفسه الكثير من الذكريات
والتجارب، والكثير من العبر والعظات، ورحلة الفرع بالشفا أعقبتها رحلات
أخرى وإن لم تكن على غرارها في المتعة والسلوى، بل كانت لأغراض
أخرى تتفق مع ما تحمل صاحب اللمحات من مسؤوليات مباشرة أو غير
مباشرة، ورحلة المسؤول مهما تنوعت المسؤولية لها قيمتها ووزنها، إذ
أضحت المسؤولية في أعقاب الزمن هي المعيار للشخصيات، وعليها
المعول في رفعة المنزلة والنظرة التقديرية لصاحبها، خاصة إذا كان المسؤول
في وضع مرموق، لكلمته وزنها وفعاليتها، أضف إلى ذلك المادة، فقد
أصبحت أيضًا معيارًا لمكانة الرجل يُحترم من أجلها، ويتقدم الصفوف وإن
كان وراءه أفاضل الرجال لحوزته للمادة، وأضحت النظرة لطالب العلم أو
لكل صاحب موهبة ثانوية، بل قد يُبخس حقه ويُرمى بعدم اللباقة لا لشيء
سوى أنه لم يتسهم مركز الوظيفة ليصبح مسؤولاً، أو يكون من أصحاب
الثراء الذين يصلون ويجولون في حدود ما اكتنزوا من مادة.

بعد هذا الاستطراد نعود إلى موضوعنا في الحديث عن الرحلات التي
قام بها صاحب اللمحات، حيث ندون في هذه اللوحة قصة رحلة قام بها
إلى المدينة المنورة، وحسب التقدير كانت في الأربعينيات الهجرية، وفي
معية صاحب السماحة والفضيلة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس

القضاة في الحجاز رفع الله منازلهم في عليين. أما كيف كانت الحظوة لصاحب اللمحات في أن يكون في معية سماحته فسوف نتحدث عن ذلك عند عرض صلته بسماحته، ولأن صاحب اللمحات كان موضع رعاية وتقدير سماحته وعطفه جعله على الدوام موضع تكريمه، ومن التكريم استصحابه في رحلته الخاصة الرسمية إلى المدينة.

وسيلة النقل:

لم يتطلع سماحته بدافع من تواضعه وكريم خلقه للمركب الفاره والسيارة الفخمة الضخمة التي يتطلع إليها بعض الناس اليوم، أي من نوع (الكذلك) أو (المرسيدس) أو غيرهما من الأنواع التي يشعر فيها بعض الناس برفعة المقام أو امتداد السلطان، ولقد كانت الدولة لعظم مكانة سماحته ورفعة مقامه، ولأنه يلي أرفع منصب في القضاء كانت الدولة لا تبخل عليه بأي وسيلة تؤمن راحته وتوصله إلى نهاية رحلته في مأمن من التعطيل والعرقلة، ولكنه - يرحمه الله - كان يعتز برفعة الله له إذ هو ممن عناهم الله بقوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْوِلَاةَ دَرَجَاتٍ﴾ فلا ضير عليه بعد هذه الرفعة أن يختار الوسيلة المتواضعة التي تُبلغه القصد دون فخفخة أو أبهة، إنها سيارة من نوع (فورد أربع سلندر) سيارة واحدة صغيرة فقط، اشترك معه في ركوبها صاحب اللمحات وخادم، وكانت رفقة سماحته خير رفقة لم تخل من توجيهات للخير وتذكير بآلاء الله، يتخلل ذلك فترات مرح تخفف من وعثاء السفر، والمرح بالنسبة لسماحته - يرحمه الله - كان بالطبع في حدود الأدب، فتارة يقص قصة مستطرفة أو يروي خبراً فيه الطرافة والمتعة، أو يستعرض ماضياً كان له فيه العظة والعبرة.

الاحتفاء بسماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ طوال الطريق:

لم تخط سيارته قرية أو بلدة إلا وتعالَم أهلها به فقدموا للسلام عليه ودعوته لوليمة، فكان يقتصر على تناول القهوة ثم يستأنف السير شاكراً كلَّ

من احتفى به في مقابلة أو عرض كريم، وعند الوصول إلى آبار علي استقبل سماحته وفد من علماء المدينة وقضاتها، ولبت معهم مدة ثم استأنف مسيرته إلى المسجد النبوي حيث صلى تحية المسجد ثم توجه للسلام على الرسول ﷺ وصاحبيه.

هذه الزيارة بالنسبة لصاحب اللمحات أول زيارة كان مأخوذاً بروعتها ومكاسيها، ينظر إلى كل شيء في المدينة نظر إعجاب وبخاصة المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد أن أدى سماحته تحية المسجد وسلم على الرسول ﷺ وصاحبيه يمم المنزل المعد لنزوله، ولم يكن يبعد كثيراً عن المسجد النبوي ليتسنى لسماحته أن يؤدي الفرائض في المسجد، ولقد زار سماحته بعد ذلك في المدة التي قضاها بالمدينة البقيع، وأمر بإزالة بعض ما كان موضع فتنة للعامة وذريعة إلى الشرك، كما زار قباء ولبت فيه ضحى يوم أقام فيه درساً للوعظ أوضح مكانة المسجد، وعرض لما جاء عنه في القرآن وقصة من تاريخه، فكان كل من زار قباء في ذلك اليوم عاد بحصيلة علمية قل أن يحصل عليها في لمحة عاجلة.

مجالس العلم:

كانت داره طوال إقامته بالمدينة - يرحمه الله - ملتقى طلاب العلم والقضاة والمدرسين ورجال الحسبة، وفي كل يوم ينشر سماحته على الجميع من علمه، وخاصة ما يتصل بالعقيدة وما اكتنفها من محن إبان دعوة المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثم ما آلت إليه من النصر ودحر الباطل، كان سماحته - كما يعبرون - المُجَلِّي في الميدان والفارس الذي لا يشق له غبار، حسبك أنه - يرحمه الله - من أئمة الدعوة وسليل المجدد الذي فتح الأنظار على حقيقة دعوة السلف وإحياء ما اندرس من معالمها، وكان لصاحب اللمحات شرف الاستماع إلى كل ما يدور في مجالس سماحته من العلم، مما أفاده حصيلة علمية عاد بها من المدينة، بالإضافة إلى ما كان يتلقاه من سماحته في مجالسه بمكة كما سيأتي بيانه.

شخصية سماحته:

قد يتبادر إلى ذهن بعض الناس أن شخصية سماحته لا تعدو أن تشغل مركز الرئاسة للقضاء فقط، ولكنه على العكس، لقد كان له من النفوذ والسلطان واتساع الصلاحيات ما أضحى به العلم البارز، مرهوب الجانب، نافذ الأمر، وكم خطط - يرحمه الله - في مدة إقامته بالمدينة لإصلاح القضاء والتعليم، إذ كان له الإشراف على مديرية المعارف، وكم كانت له اليد الطولى في دعم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشحذ همم المدرسين بالمسجد النبوي وأئمة المساجد الأخرى لنشر الدعوة السلفية، والكشف عن كل ما يناهضها من مزاعم باطلة متداعية جاء الإسلام بهدم أوكارها.

الإمامة في المسجد النبوي:

كان يؤم المصلين آنذاك صاحب الفضيلة الشيخ صالح الزغبني مع قيامه بخطبة الجمعة، وهو رجل متقدم في السن، فرغب الشيخ عبدالله بن حسن أن يكون للإمام مساعد يشد أزره ويعينه في القيام بأداء بعض الفروض فعين فضيلة الشيخ عبدالله التنبكتي لهذا الغرض، والشيخ التنبكتي من أهل المدينة أو المجاورين فيها، له قدم سابقة في العلم وولع بعقيدة السلف.

إنهاء الرحلة:

لم تطل فترة إقامة سماحته بالمدينة أكثر من عشرة أيام ولكنها في حصيلتها تكاد تربو على الشهر لكثرة ما عالج فيها سماحته من دروب الإصلاح الديني وشؤون القضاء والمدرسين.

عاد سماحته إلى مكة يواصل نشاطه الديني، ويقوم بمسؤوليات متعددة الجوانب، إذ لم يكن رئيساً للقضاة فحسب بل كان رئيساً للمدرسين ورئيساً لرجال الحسبة، وله في كل دائرة حكومية مندوب لمراقبة الموظفين لأداء

الصلوات جماعة، أسبغ الله على جدته شأبيب الرحمة والرضوان، وأنزله منازل المقربين من عباده في جنان الخلد؛ إنه أكرم مسؤول.

صلة صاحب اللمحات بسماحته:

يقولون: إن التاريخ يعيد نفسه، والحديث عن الرحلة إلى المدينة في معية سماحته تعيد تاريخ اتصاله به والخطوة بلقائه، ولقد أشرت إلى شيء من الصلات التي كان يتمتع بها صاحب اللمحات في رحاب سماحته، ونعرض في هذه اللوحة لبعض مما عرضنا ليجزم القارئ أن كتابة صاحب اللمحات عن سماحته كانت واقعًا عاشه معه، وصلة وثيقة بسماحته.

لقد أفاض سماحته على صاحب اللمحات من علمه وفضله، أما العلم فقد سمح له بمجالسة طلبة العلم الدارسين عليه في داره بالداودية على طريقة الإمرار في المطولات والتعليق عليها من قبل سماحته، وكان الإمرار في كتب التفسير والحديث وغيرهما بعد عصر كل يوم وبين العشاءين أيضًا.

أما الفضل الذي أكرم به صاحب اللمحات والذي لا ينساه أبدًا ما بقي في الزمان أو لو فضل يبذلون الفضل فإنزاله بجواره وإكرامه بعطفه ورعايته وتقديره، ولقد أتاح القرب من سماحته أن يخصص لصاحب اللمحات وقت ما بعد العشاء عندما يعاود سماحته الرجوع إلى داره، أتاح فرصة القراءة عليه في متون العقيدة، بالإضافة إلى أن سماحته كان يقضي فترة ما بين العشاءين في زمن الصيف على سطح المسجد الحرام يجتمع إليه بعض المشايخ للإمرار عليه في بعض شروح الحديث والتفسير والعقيدة وغيرها، وصاحب اللمحات يغشى هذا المجلس المبارك ليكتنز من العلم، ويفيد من مناقشات العلماء التي تدور بينهم وبين سماحته.

فكانت الصلة بسماحته تزداد يومًا بعد يوم، إذ هي صلة علم وإفادة ودرس، وعندما فتح المعهد العلمي السعودي أبوابه رغب صاحب اللمحات في الالتحاق به لتنظيم دراسته، وليضم إلى دراسته في المسجد الحرام وعلى

مشايخه وما يفيده من مجالس سماحة الشيخ دراسةً يحصل من ورائها على شهادة يكون بها تقويمه العلمي، غير أنه اعترضته عقبة كأداء لم يستطع تذليلها إذ عيّنه سماحة الشيخ عضوًا في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة، فعرض فكرة الانتظام في سلك طلبة المعهد على سماحته ليستشف رأيه فلم يلتو - يرحمه الله - في الإجابة، ولم يُسوّف كصنيع بعض الرؤساء عندما يريد التهرب والتنصل، بل كانت إجابته واضحة صريحة فتحت باب الأمل أمام صاحب اللمحات إذ قال له يرحمه الله: (ما يخالف، اطلب العلم بقدر استطاعتك فذلك ما نريده). وفي اليوم الثاني أمر سماحته بنقل صاحب اللمحات من وظيفة عضوية الأمر بالمعروف إلى وظيفة مراقب الأمر بالمعروف بدائرة البرق والبريد بمكة؛ لثلا يتعارض الدوام في الهيئة مع زمن الدراسة، وليجمع له بين اكتساب العلم ومصدر للنفقة، فكان لهذه المساعدة الفعالة أثرها في نفس صاحب اللمحات، وعندما تخرج في المعهد أصدر سماحته أمره إلى مديرية المعارف بتعيينه مديرًا لمدرسة حارة الباب المدرسة الفيصلية حاليًا، واستمر في إدارتها إلى حين تعيينه مديرًا لمدرسة الأمراء بالرياض.

الإمامة في المسجد الحرام:

واستمرت هذه الصلة العلمية بصاحب السماحة وتوثقت، وأحسن الظن به كثيرًا إلى درجة أنه استصدر أمرًا ملكيًا بتعيينه إمامًا لصلاة العشاء في المسجد الحرام، مضافًا إلى ذلك الاشتراك مع إمام الحرم الشيخ عبدالظاهر أبو السمح - يرحمه الله - في التسليمات الخمس الأخيرة لصلاة التراويح، مع تفرده إمامًا لصلاة القيام آخر الليل، وهذه هي المرة الأولى التي يتعين فيها صاحب اللمحات إمامًا في المسجد الحرام، أما المرة الثانية فكانت في عهد فضيلة الشيخ عبدالعزيز ابن الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ وبعد عودة صاحب اللمحات من الرياض.

لقد كان لسماحة الشيخ عبدالله بن حسن وجهة نظر فيمن يتولى الإمامة في المسجد الحرام، وهي وجهة نظر تتفق مع غرض الشرع يقول رحمه الله: (لا نريد أن يتولى الإمامة في هذا الحرم إلا طالب العلم الذي يحسن التجويد ويحسن الأداء). وحدث أن جلالة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - صام عامًا في مكة وصلى التراويح فكان صاحب اللمحات هو الإمام في التسليمات الخمس الثانية، وبعد الصلاة استدعاه جلالته وكان بجواره سماحة الشيخ فأنثى جلالته على القراءة وحسن الأداء وقال الشيخ كلمته: (إننا اخترناه لهذا المقام؛ لأنه حسن العقيدة، حسن الأداء للقرآن). فسُرَّ الملك - يرحمه الله - لهذه الملاحظة، وبقيت كلمة سماحة الشيخ عالقة بذهن جلالته إلى حين ترشيح صاحب اللمحات مديرًا لمدرسة أنجاله، وفي أول مقابلة لجلالته قال لصاحب اللمحات: (ألسنت الذي صليت بنا التراويح عام كذا؟ فأجاب بالإيجاب فقال جلالته: فأنت معلم عيالي، ولقد أحسنوا الاختيار).

توجيهات سماحته:

كان من حق هذه الصلة الروحية بسماحته أن لا يترك صاحب اللمحات من توجيهات لها الأثر العظيم في سلوكه، خاصة فيما يتصل بالإمامة فتارة يوجهه بعدم سرعة القيام من المحراب بعد الصلاة إلا بعد فترة طويلة.

وتارة يوجهه لترك الالتفات يمناً ويسرة عندما يقدم ليؤم المصلين، يقول يرحمه الله: لا تكثّر الالتفات عند قدومك للصلاة. بل ضع عينيك تحت قدمك، وذلك طلباً لحسن السمّت والرزانة. وفي صلاة القيام يذكر صاحب اللمحات توجيه سماحته عندما بلغ قراءة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ إِنَّمَا فَتَنَّهٗ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ثم سجد فنقده سماحته قائلاً: إنها ليست بسجدة، نصّ الفقهاء على ذلك، يجب أن لا تسجد سجدة التلاوة إلا بعد التأكد.

وكان سماحته يحب إطالة القراءة والركوع والسجود في القيام، خاصة

في ليلة سبع وعشرين من رمضان، فأمر صاحب اللمحات أن يُعنى بذلك طلباً للمزيد من الخير في ليلة تُرجى أن تكون ليلة القدر. كان لا يكرهه - يرحمه الله - الترسل في القراءة وطول القيام على الرغم من شيخوخته، فقد أعطاه الله جَلَدًا وصبرًا منقطع النظير خاصة في دروب الخير ومجالات الصمت، كان صاحب اللمحات يقرأ في صلاة التهجد في كل ركعة ما يقرب من نصف جزء في الركعة الواحدة، ومع ذلك كان سماحته يرغب في المزيد ليلة سبع وعشرين تعرضًا لنفحات الرب وبلوغ رضاه.

وكم كان بعد الله لسماحته على صاحب اللمحات من فضل سابغ ومن ممن يذكرها فيدعو له عليها آناء الليل وأطراف النهار، سائلًا الله أن يستجيب فيه دعاءه. هذه هي الصلة بسماحة الشيخ عبدالله بن حسن التي أراد صاحب اللمحات أن يكتب عنها إشهارًا لفضل سماحته وإبرازًا لمنتته، ولقد درج على سنته مع صاحب اللمحات أنجاله الشيخ محمد - يرحمه الله تعالى - والشيخ عبدالعزيز أمد الله في عمره، ومعالي الشيخ حسن رفع الله من شأنه، ونفع به في مجاله داعيًا إلى الفضيلة، إنهم ثمرة الدوحة المباركة، وحسبهم بذلك شرفًا ومجدًا.

رحلة إلى ماليزيا

لم أضع في حسابي أن أخطط في هذه اللوحة لجغرافية ماليزيا من حيث الموقع والسكان والتربة وما إلى ذلك مما يُعنى به الجغرافيون، كما أنني لن أعرض لماليزيا من الناحية التاريخية والسياسية أو غيرها مما يعده بعض الناس قاعدة لكل رحلة، ولكنني سوف أقصر الحديث على الغرض من هذه الرحلة وملايساتها، وما كان فيها من تجوال أو دعوات إلى ندوات أو احتفالات.

غرض الرحلة:

شيدت حكومة ماليزيا مسجدًا فخماً وضع تصميمه أحد المهندسين

المواطنين في كوالالمبور، ويذكر المهندس أنه اقتبس التصميم من بناية المسجد الحرام تيمناً وتعلقاً بالمسجد الحرام وتذكيراً به، فكان آية في الإبداع وحسن التنسيق، ورغبت حكومة ماليزيا من عموم الدول الإسلامية في بعث مندوبين لحضور الاحتفال بافتتاح المسجد، وكان في طليعة المندوبين أو الوفود وفد المملكة العربية السعودية المكوّن من:

أولاً: خطيب المسجد الحرام.

ثانياً: الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.

ثالثاً: المدير العام لمديرية الأوقاف.

رابعاً: عضو من مجلس الشورى.

وقد بُلِّغ الجميع بالأمر الملكي بالتوجه إلى ماليزيا للغرض المذكور، ونصّ الأمر بأن يتولى خطيب المسجد الحرام خطبة أول جمعة ويؤم المصلين.

اجتماع أعضاء الوفد:

لقد كان من بُعِدَ نظر الشيخ محمد سرور الصبان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي أن يجتمع أعضاء وفد المملكة لتكوين رأي موحد فيما لعله أن يبحث في الاجتماعات بماليزيا أو الندوات، وفيما يجب أن يقال في الاحتفالات ليسير الوفد على تخطيط مدروس يمثل الجانب السعودي حتى خطبة الجمعة التي سوف يفتح بها المسجد تعرض ليكون عليها الإجماع.

محاولات:

لقد شق على صاحب اللمحات السفر والانتقال إلى خارج المملكة، وهو الذي لم يغادر مكة إلا إلى المدينة أو الطائف، غير أن لمحاولات الأمين العام للرابطة في إقناع الخطيب وتقوية عزيمته والمبالغة في ذلك وإشعاره بأن هذه الخطوة لها ما بعدها، وأن خطيب المسجد الحرام يُدعى

إلى أمثال هذه الاحتفالات بوصفه يمثل البلد المقدس الذي يتجه إليه عموم المسلمين في أقطار الدنيا، وبعد محاولات وافق واقتنع شريطة أن لا يحول بينه وبين الأمين العام تقاليد رسمية ومقابلات شخصية؛ لأنه يشعر بوحشة الغربة، ويرغب بمن يأنس إليه فيها، وقد وقى الأمين العام رحمه الله تعالى بكل ما وعد به.

بدء الرحلة:

من هنا يستوحي صاحب اللمحات وقائع الرحلة من مفكراته التي كان يسجل فيها يومياته، أفلعت الطائرة من الطائف إلى بيروت وكان ذلك في شهر ربيع الآخر سنة ١٣٨٥هـ، وأمسكت بالمصحف وبدأت أتلو القرآن للأمور الآتية:

أولاً: لأدخل الطمأنينة على قلبي إذ لم أكن قد ركبت الطائرة إلا نادراً، وكنت أتوقع الشر من ركوب الطائرات.

ثانياً: لأبعد نظري عن رؤية المضيفات السافرات ورفاعتهن.

ووصلنا بيروت في الساعة الواحدة والثلث بالتوقيت الغربي، وغادرنا المطار إلى دار الشيخ محمد سرور الصبان - يرحمه الله - في الحازمية، والحازمية منطقة حديثة تبعد عن وسط البلد بمقدار ربع ساعة، وبتنا ليلتنا في دار الشيخ إذ لا توجد طائرة مسافرة إلا مساء الغد تقصد سيلان ثم سنغافورة ومنها إلى كوالالمبور.

الوصول إلى سنغافورة:

وصلنا في يوم ٢٩/٤/١٣٨٥هـ إلى سنغافورة بعد رحلة ثلاث عشرة ساعة قضيناها في الجو بين بيروت وسنغافورة، هبطت بنا الطائرة خلال هذه الفترة ثلاث مرات الأولى في بومباي، والثانية في كولمبو سيلان، والثالثة في سنغافورة، ولا مندوحة لنا عن استبدال الطائرة بأخرى، إذ إن

الطائرة الإنجليزية التي كنا نركب متنها لا تهبط في كوالالمبور، فكان لزاماً استبدالها بأخرى إنجليزية أيضاً، وهذه الطائرة غاصّة ببعض الوفود كوفد السنغال وليبيا والأردن يمثلها الشيخ الشنقيطي، بالإضافة إلى الركاب الإنجليزيين الذين لا يعرفون اللغة العربية، ونحن أيضاً لا نعرف، الإنجليزية، وكانت مشكلة التخاطب على الدوام قائمة، والإشارة منا ومنهم غير مفهومة، واستمرت مسيرتنا طوال الليل، وبلغنا بومباي بعد الإشراق فصلينا الصبح قضاءً، واستغفرنا الله سبحانه عن التقصير الذي لم يكن متعمداً، ثم استأنفنا السير ووصلنا سنغافورة قبل أن يدخل وقت الظهر، ولم نجد في المطار موضعاً يصلح للصلاة حتى إذا ما بلغنا الفندق المعد لنزلنا صلينا الظهر والعصر، ثم صلينا المغرب والعشاء وحمدنا الله أن كان في الدين فسحة ورخصة، وكان الفندق في سنغافورة من أفخم الفنادق، كل شيء فيه على الطريقة الإفرنجية إلا الطعام فكان على الطريقة الجاوية أرز من غير ملح ولا سمن، ومرق مشحون بالفلفل. ثم ذهب كل عضو إلى غرفته المعدة له، وليت أمداً طويلاً لم يغمض لي جفن، فأشغلت الوقت بإعادة النظر في الخطبة التي كنت أعددتها ليوم افتتاح المسجد، إذ علمت أن الاحتفال سوف يكون حافلاً بالشخصيات البارزة.

جولة في سنغافورة:

لقد ضرب لنا القنصل السعودي في سنغافورة السيد إبراهيم السقاف - يرحمه الله - موعداً في الساعة الثالثة غروبياً؛ ليصحبنا في جولة على معالم البلدة، ثم نقصد بعدها المطار للذهاب إلى كوالالمبور.

وفعلًا كان ذلك غير أنه جدّت لدينا مشكلة خراب الطائرة المعدة لركوبنا إلى كوالالمبور، ومضى الوقت سريعاً الأمر الذي حملنا على ركوب طائرة من طراز (داكوتا) أخذت ما يزيد عن حملتها، ولذلك كثيراً ما كانت

تضطرب في سيرها وكنا نخشى هبوطها على غير نظام، وقطعنا المسافة من سنغافورة إلى كوالالمبور في ساعة ونصف الساعة.

الاستقبال في كوالالمبور:

على الرغم من أن وفد المملكة من الوفود الرسمية المدعوة من قبل حكومة ماليزيا إلا أنه لم يلق مندوبًا من الحكومة الماليزية لاستقباله، فاستقبلنا القائم بأعمال السفارة السعودية وغيره من آل رفيع، ومن موظفي السفارة، وأنزلونا في الفندق.

تعديل في برنامج الاحتفال،

لقد واجهتنا مشكلة تعديل برنامج الاحتفال وتغيير وضع وفد المملكة حيث كان متقررًا وحسب رغبة الحكومة الماليزية أن يقوم خطيب المسجد الحرام بأداء خطبة الجمعة، ولكن رئيس وزراء ماليزيا - لسبب أو لغير سبب - قال: إننا لا نرغب أن يتولى خطبة الجمعة إلا أحد المواطنين. لعل العصبية أوحت إليه بهذه الفكرة، وعمل فعلاً بتنفيذها حيث استقدم أحد القضاة من إحدى البلدان المجاورة للقيام بهذه المهمة، وعندما علم معالي أمين الرابطة بالخبر احتج وبالغ في الاحتجاج قائلاً: علام اشترطتم أن يكون مع الوفد خطيب المسجد الحرام إذا كان لن يؤدي الخطبة؟! غير أنه لم يجد لاحتجاجه إذناً صاغية وقلوباً واعية، وعالج الموقف - يرحمه الله - بما أمكن معالجته، وأوجد حلاً وافق عليه الماليزيون، وهو أن يتولى الخطابة القاضي لأنه يخطب باللغتين العربية والماليزية، وأتولى إمامة المصلين، وقد تقرر أن يكون الذهاب إلى المسجد مبكراً لأن الاحتفال سوف يبدأ قبل الصلاة بفترة طويلة يشغلها المقرئ الشيخ عبدالباسط عبدالصمد بتلاوة حزب من القرآن، ثم يتبارى الخطباء في أداء خطبهم يبدأ بها الملك ورئيس الوزراء.

مشاهدة معالم البلدة:

وبعد العصر قمنا بجولة بصحبة القائم بالأعمال السعودي إلى خارج البلدة لمشاهدة معالمها برفقة الشيخ محمد سرور يرحمه الله، ومررنا بدار البرلمان وكليات الدراسة وأحياء الملايو المتواضعة وبعض العمارات الشاهقة والمساجد العجيبة في التصميم، وكنا لا نسير إلا على أرض مخضرة، ومزارعها كثيرة، وشوارعها منسقة وممراتها مزفتة، وهكذا انتهى اليوم منذ أن ذرَّ قرن الشمس إلى أن تضيقت للمغيب.

الشيخ منصور عارف:

كان إلى جواري أو على الأصح جوارنا أعني الوفد الأديب الأستاذ منصور عارف رئيس تحرير صحيفة عكاظ، وقد قام معنا في الجولة واشترك في الحفلات، ولعله كان يكتب ويبعث لعكاظ عن أخبار الرحلة أولاً فإولاً، فلو عني الأبناء بجمع جريدة عكاظ هذه الأيام فسوف يقفون على الرحلة من ألفها إلى يائها، حبذا لو كان ذلك؛ إذن لوقفوا على كل شاردة وواردة، واجتمع عندهم الشيء الكثير مما لعلني لم أعنَّ به.

الحفاوة العظيمة:

لقد بلغ من عظيم حفاوة الشيخ محمد سرور بأعضاء الرحلة أن استنصحب معه ابنه عبدالباري، وهو شاب مؤدب خبير بأوضاع السفر، وما يتطلبه من إجراءات رسمية، وكان خير عون سخره الله للوفد من أول الرحلة إلى ختامها، حاز إعجاب الجميع لنشاطه وحسن كياسته وإنجازاته وتذليل كل ما يعترض الأعضاء من مشكلات لا تخلو منها رحلة.

المرافقون:

في طليعة ما عنيت به حكومة ماليزيا لتوفير الراحة للضيوف أن خصصت لكل ضيف مرافقاً خاصاً يصحبه أينما حل وحيثما ارتحل ليوفقه

على معالم البلاد، ويتحدث له عن نهضتها في كل دروب النهضة، ويكون وسيلة ناجحة للدعاية لها، ولثلاث تقع عين الضيف على عُوار، ومن حسن حظي أن كان مرافقي ممن عاش في مكة وتلقى علومه في مدرسة الفلاح، فكان يستعيد معي ذكرياته في مدرسة الفلاح، ويذكر جملة من أساتذة وجُلَّتهم قد لحق بربه يرحمهم الله، ويحمل لجميعهم شعورًا فياضًا بالإجلال والإكبار، ويضعهم في القمة بالنسبة لغيرهم من رواد التعليم. وبالمناسبة أذكر أن هذا الشعور قليل من الطلبة من يستشعره ويولي أساتذته من الإجلال والإكرام ما هم به جديرون، إذ بهم شقَّ الطريق إلى مجالات العلم والمعرفة، بل وإلى الحياة العملية أيضًا، فكثير ممن يشغل مناصب مرموقة في الدولة أو غيرها كان الفضل لله ثم لأساتذتهم الذين ضحَّوا من أجلهم بكل غال ورخيص ليبلغوا بهم الغاية المرتقبة في العلم أولاً، ثم في مجال الحياة العملية. نعود بعد هذه الجملة المعترضة إلى حديث مرافقي فكثيرًا ما كان يتحدث عن شعاب مكة وهضابها، ويذكر كيف عاش فيها أمداً، شبَّ وترعرع، وعاد منها بحصيلة علمية يبثها في بلاده ويخدم بها وطنه، ولن أستوعب كل ما كان يدور بيني وبين مرافقي فذلك يفوق الحصر، وقد عفى على الكثير منه النسيان، ولست أنسى لمرافقي اليد الطولى في إناسي ومحاولة التسرية عني إذ كان يشفق علي من مرارة الغربة، والبعد عن بلد الله الحرام مسقط رأسي ومهبط الوحي، فكثيرًا ما كان يقتحم علي غرفتي فيجندني أبكي بكاء مرًا عندما أذكر مكة وهي لا تغيب عن بالي أبدًا، وأذكر المسجد الحرام والبيت العتيق والطائفين والمصلين تقدمهم إمامًا للصلاة.

افتتاح المسجد:

يوم الاحتفال بافتتاح المسجد كان يومًا مشهودًا في تاريخ ماليزيا، ذهبنا إلى مقر الاحتفال مع الوفود الإسلامية صباح يوم ٢/٥/١٣٨٥هـ، ولبثنا في الموضوع المعد للاحتفال حتى جاء الملك والسلطين ورئيس الوزراء، ثم

ابتدأ الحفل الشيخ عبدالباسط عبدالصمد بقراءة أول سورة الفتح، وخطب بعد ذلك رئيس الوزراء ونائبه ثم الملك، وطوال نبثنا في الموضع المعد لنا والناس يهرعون للسلام علينا على اعتبار أننا قدمنا من مهبط الوحي، وقد أعدت موائد الشاي منسقة أجمل تنسيق، ووجدنا الفرصة سانحة للسلام على الملك فسلمنا عليه، أما رئيس الوزراء فقد تقدم له معالي أمين الرابطة بتقديم هدية الحكومة له فسرَّ بها أيما سرور، وأشاد بإسهام المملكة في هذا الاحتفال بتقديم هديتها الغالية.

وقت الصلاة:

حان وقت الصلاة بعد الانتهاء من الاحتفال، وحسب التخطيط المتفق عليه أدى الخطبة قاضي من قضاة ماليزيا، ثم تقدمت إلى المحراب وقرأت في الركعة الأولى والثانية بآخر سورة البقرة لما فيها من الابتهال إلى الله بعدم المؤاخذه على القصور وطلب العفو والغفران، ولقد كان من عادة بعض الناس بمن فيهم الماليزيون وغيرهم أن يدعو الإمام بعد الصلاة جهراً والمصلون يؤمنون، فتركت هذه المهمة للقاضي الذي أدى الخطبة لما فيها من البدعة، إذ لم يؤثر عن الرسول ﷺ وصحابته والتابعين لهم بإحسان أن يدعو الإمام بعد الصلاة وهو في المحراب والمصلون يؤمنون على دعائه، وفيهم وبهم انقذوه، ثم انصرف الملك والوزراء فأخذت أصلي السنة، وما فرغت منها إلا وجموع المصلين تنهال عليّ للسلام حتى ألجؤوني إلى المحراب، وهناك وقعت المأساة إذ ازدحموا وتدافعوا وضيقوا عليّ الخناق وضاق نفسي، وكادت أضلاعي أن تختلف لشدة الضغط عليّ، وكادت يدي وأصابعي تتكسر لشدة الضغط عليها، وما تخلصت من هذا المأزق إلا باستدعاء الأمن وفك الحصار عني، وتنفست الصعداء، وما برح الناس حولي من كل جانب ينتهزون الفرصة للسلام، فأشار عليّ خطيبهم بالصعود إلى المنبر تطييباً لنفسيات الجموع ففعلت وقلت كلمة قصيرة.

وأذكر أنني في جملة ما عرضت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾

فَأَتَشَرُّوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ. وعلقت عليها بقولي: إن المسلم من واجبه حتماً أن يستجيب لأمر الله؛ ليبرهن على إسلامه، ولقد أمرنا الله سبحانه إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة أن نسعى إليها، كما أمرنا إذا قضيت الصلاة أن نتشر في الأرض لقضاء مصالحنا، فعلياً أن نستجيب لأمر الله، ونحن سوف ندعو لكم عند بيت الله ومسجد رسول الله ﷺ بأن يتقبل الله منكم صالح الأعمال، ويكتب لكم الحج إلى بيته الحرام. وترجم هذه الكلمة إلى اللغة الماليزية الشيخ حسين رفيع، ونزلت من المنبر بين الجنود وقد شبكوا أيديهم وأحاطوا بي كالدائرة لثلاثي الأيدي للسلام أو غيره، وما بلغت الفندق إلا وقد بلغ مني الجهد مدى لم أستطع معه سوى الاستسلام للنوم.

التفكير في العودة:

لم تمض ساعة منذ أن وطئت قدماي أرض ماليزيا إلا والفكر مشغول بالعودة ومتى تكون؟ وهل تيسر لنا طائرة عندما نعتزم السفر؟ إلى غير ذلك من الأفكار التي كثيراً ما كانت تشغل بالي بل وتقلق مضجعي وتُسَلِّمُنِي إلى الشهاد على الرغم من أن الرحلة كانت قصيرة وغرضها ينتهي بين عشية وضحاها إلا أن ذيلها أو الاحتفالات التي كانت تقيمها حكومة ماليزيا على شرف الوفود أطالت أمد الرحلة فلم نستطع تحديد يوم للعودة، وزاد من قلقي أنني سمعت من معالي الشيخ محمد سرور أن الطائرة مزدحمة هنا بالوفود التي قدمت للاشتراك في الاحتفال بافتتاح المسجد، وأن الاحتفالات الأخرى التي سوف تقيمها حكومة ماليزيا سوف تستمر إلى يوم الأربعاء ١٣٨٥/٥/٦ هـ، ومن المتوقع أن يكون سفرنا من كوالالمبور يوم الخميس ٥/٧ إلى سنغافورة.

الإصلاح الريفي:

فروع، وقد دُعي الوفد

الإصلاح الريفي

لزيارة أحد فروعها، واستمع إلى محاضرة طويلة من المدير المختص لهذا الفرع باللغة الإنجليزية كان يترجمها أحد المرافقين، وكلها دعاية عن أعمال الحكومة والوسائل التي تتخذها لإصلاح وضع الفلاح والعناية به من حيث السكن والعمل، وتنظيم حياته وإنعاشه والعناية به صحياً وثقافياً، كي تدفع بذلك الغزو الشيوعي الذي كاد يبتلع البلاد ويمتد إليها من الصين محاولاً التأثير في السكان باحتضانهم المبدأ الشيوعي الهدام، وقد عُرض علينا فيلم سينمائي يوضح كل الخطوات التي اتخذتها الحكومة في محاربة الشيوعية بصورة عملية، غير أن هذه المحاولة تتطلب مورداً ضخماً في حدوده تنجح المحاولة، وأوضح المحاضر أن الحكومة تنفق على هذه المحاولة من القروض التي تقترضها بالإضافة إلى مواردها الثابتة التي تستوفيها من صادرات البلاد ومواردها، فهي غنية بالمطاط والقصدير لدرجة أنها تستطيع أن تسد ما لعله أن يدرکہا من عجز من هذه الثروة، وتستوفي الحكومة كل ما أنفقته في هذا السبيل على التعليم والرعاية الصحية وما إليه، تستوفي ذلك في خلال خمسة عشر عاماً بمعدل خمسة في المئة.

زيارة الوفد للسفارة السعودية:

حسب البرنامج الموضوع كان من المقرر زيارة السفارة السعودية، ونعمننا فيها بجلسة ممتعة مع السفير السعودي الأديب الشيخ حسن فطاني، وقد قطع رحلته التي كان معترفاً القيام بها عندما علم بزيارة الوفد للسفارة، وكان في ذلك لفتة كريمة وتقدير أدبي من رجل فاضل أديب عالم.

احتفاء رئيس الوزراء:

وفي اليوم نفسه أقام رئيس الوزراء الماليزي تنكو عبدالرحمن وليمة على شرف الوفد السعودي خاصة، كانت على الطريقة الإفريقية المائدة وطريقة تقديم الطعام أولاً فأولاً، ودام عرض المائدة أكثر من ساعتين، الطعام في واقعه عادي لا يلفت النظر أو يقدم لضيوف، والمائدة في تنظيمها وكثرة

ألوانها لا تعد شيئاً بالنسبة لما تعود به بعضنا، ومع ذلك لم يُبدِ الرئيس أنه قَصُر عن الواجب وأنه لم يذبح الذبائح العديدة، ويعدد الأصناف أكثر مما حوته المائدة، وكان الشيخ محمد سرور إلى جانب الرئيس، أما الأعضاء فكل عضو جلس على المقعد المعد له الذي كتب عليه اسمه، ولذلك ابتعد كل عضو عن الآخر مسافة متر تقريباً، وكانت اللغة الإنجليزية هي محور التخاطب بين الحاضرين، وبقي من لا يعرفها ضائعاً ينظر إلى الوجوه فيضحك من غير أن يعلم سبب الضحك، ويصمت طوال جلسته، ولعل الشيخ عبدالباسط عبدالصمد وقد حضر الوليمة كان ضائعاً بين المجموعة مثلي، ولقد كان ينظر يميناً وشمالاً، وجلس إليّ قبل الغداء برهة أظهر فيها مأساته وقال: إنه قطع الطريق في خمس عشرة ساعة، ونزل في محطات لم ينزل فيها، والجماعة في اجتماعهم هذا لا يسأل أحد منهم عن أحد، ولا عن شعور من دَعَوْهم.

ومما زاد الطين بلة أن كل اثنين أو ثلاثة على المائدة أخذوا يتحدثون، وترتفع ضحكاتهم وهم وقوف على المائدة، وكأنه ليس بجوارهم أحد يحسبون لشعوره حساباً، لقد ضقت ذرعاً بالتنقلات إلى الحفلات والاجتماعات الرسمية، وبودي أن أتخلص، غير أن الأمر كله بيد الله إذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه، يقول معالي الشيخ محمد سرور عندما لحظ قلقي ورغبتني في السفر العاجل مقررًا للحقيقة: (إننا مادمت ضيوفاً فلا يمكن بحال أن نرفض أي دعوى توجه إلينا، خاصة وأن كل ما نُدعى إليه من حفلات أو اجتماعات ليس فيها محظور شرعي). فاستسلمت لقضاء الله، وصبرت على مضض، ودعوت الله تيسير الأمور وتسهيل السفر.

لقاء الأصدقاء:

سيادة الأخ عبدالعزيز الرفاعي، إنه صديق قديم وجار من خيرة الجيران في عهد من العهود، ولست في حاجة إلى أن أترجم لسيادته فهو قمة

الأدباء، ومن عداد الشخصيات المرموقة، كنت - كما سبق أن ذكرت - متضامناً من الحفلات والاجتماعات الرسمية، وكنت على أحرّ من الجمر لترقب العودة وإذ بالأخ الصديق يتصل بي هاتفياً يوم ١٣٨٥/٥/٢ هـ وكأنه نزل عليّ من السماء، وكانت مكالمته مفاجأة سارة، وقد وصل إلى كوالالمبور لظروف طرأت، وقد ضربنا موعداً للقاء وتجاذب أطراف الحديث والاستماع منه إلى أخبار مكة ومَن في مكة.

حديث النفس؛

كثيراً ما كنت أسبح مع حديث النفس عندما أخلو في غرفتي، وأجد في ذلك خير عزاء، إذ يقطع عليّ التفكير في أي شيء آخر قد يكون لي من وراء التفكير فيه الإزعاج واهتياج النفس، وكان من حديث النفس في خلوتي أن صَغُرْتُ نفسي عندما لحظت في ماليزيا وبالتحديد كوالالمبور طبقة المتعلمين الذين خطوا في ثقافتهم مراحل بعيدة المدى حتى أوصلتهم إلى مناصب مرموقة في الدولة، الكثير منهم متخرج في الأزهر، وللأزهر وزنه وقيمتها العلمية، أو من دار العلوم يقف بعضهم يخطب باللغة الإنجليزية، ويترجم ما يخطبه باللغة العربية وبعبارة راقية وأسلوب مشرق، ونسمع أن هذا يدير المجمع اللغوي، وأن فلاناً يدير المعارف، وأن فلاناً من عمداء الكليات، وهكذا لا يطرق سمعنا أو نشاهد غير العلماء والمتعلمين.

وكنت أدعو الله أن يمنح بلادنا قفزات متوالية لنصل إلى ما وصل إليه غيرنا في العلم والمعرفة، وكأن الله سبحانه لم يخيب أمني، فلم تمض فترة طويلة إلا وكان في بلدي وتحت رعاية حكومتي الجامعيون الذين لا يشق لهم غبار في مجالاتهم العلمية، والمبتعثون إلى كثير من التخصصات التي لم يكن يحلم بها مثقف في سالف الزمن، وهكذا تسير القافلة يقودها الملك، ويأخذ بزمامها المبرزون في مجالات العلم والمعرفة ولم يمضِ زمن طويل.

فسحة إلى حديقة الحيوان:

في كل يوم من أيام إقامتنا في كوالالمبور تضع الحكومة الماليزية برنامجاً لضيوفها للتسرية عنهم وإبعاد شبح الغربة عن ذاكرتهم، وليشعروا أنهم بين أهليهم ومواطنيهم، ومن البرامج الترفيهية التي أعدتها حكومة ماليزيا الفسحة في حديقة الحيوان، ومن الصباح الباكر زارني مرافقي وأوضح أن البرنامج هو الذهاب إلى حديقة الحيوان، وفي الحال مضينا إلى الحديقة، وبلغ من حفاوة الشيخ محمد سرور رحمه الله بصاحب اللمحات أنه يستصحبه دائماً في سيارته، وكان يرافقنا في السيارة سفير المملكة الشيخ حسن فطاني، وعندما بلغنا الحديقة ترجلنا ومضينا طويلاً بين الأشجار الباسقة، والطريق لاتقع عينك فيه إلا على خضرة ناضرة، وأخذنا نشاهد خلق الله مما لم يكن وقع عليه نظري من قبل، وكان معنا في هذه الجولة الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي وزميله الأستاذ علي حسن فدق، وبعد أن أخذ منا التعب كلٌّ مأخذ لطول الجولة يَمُنّا ما يسمونه (بالبوفيه) وتناولنا فيه شراب البرتقال، ثم عدنا إلى الفندق واستغرقت في النوم ساعتين، ولا تسلم بعد ذلك عن أخذ حبوب الإسبرين للتخفيف من التعب وآلام المفاصل لطول المشي.

في طريق فلفلان:

كان البرنامج الموضوع في هذا اليوم ١٣٨٥/٥/٣ هـ السفر إلى مشاهدة جبل في طريق فلفلان، وكان من عزاء للنفس في هذه الرحلة أنها لم تكن طويلة فسرعان ما عدنا منها إلى الفندق لنرتاح، ثم نُعدُّ العدة ليوم غد لحضور الاحتفال بافتتاح المطار الجديد في كوالالمبور، وهكذا لم يمض يوم أو ليلة منذ أن وطئت أقدامنا أرض كوالالمبور ونحن من رحلة إلى أخرى، ومن احتفال إلى غيره، الأمر الذي أضجرني؛ فلم أعد أطيعق الذهاب إلى أي احتفال أو وليمة، إذ لم يكن لي جَلَدٌ على التجوال وذَرع

الأرض، وما أن وصلنا الفندق بعد حفلة المطار حتى فاجأنا الدعوة من السفير السعودي في رحلة أخرى على ساحل البحر مسافة مئة كيلو فقطعناها في ساعتين تقريباً، وشاهدنا في طريقنا قرى ومساكن شعبية يبدو عليها أثر البؤس، ومساكن أخرى نموذجية وملاعب، والكثير من الأشجار الباسقة كأشجار المطاط وغيرها، ثم عدنا أدراجنا إلى الفندق بعد الرحلة التي كانت - بحق - نموذجية بالنسبة لغيرها من الرحلات.

دعوة من علماء سنغافورة:

قبل أن نعتزم العودة وردت دعوة من العلماء وأفاضل أهل سنغافورة للوفد السعودي تنص على أن سنغافورة ترغب في أن تكون لها الحظوة بالوفد خاصة ليؤدي خطيب المسجد الحرام خطبة الجمعة، لذلك وعندما عُدتُ من وليمة السفير السعودي أخذت أعد خطبة الجمعة التي سوف ألقاها في سنغافورة.

السفر إلى سنغافورة والعودة إلى المملكة:

لم يطل انتظارنا في كوالالمبور، بل تهيأت لنا طائرة نقلتنا إلى سنغافورة لحضور الجمعة يوم ٨/٥/١٣٨٥هـ، ولدى وصولنا استقبلنا القنصل السعودي، ونزلنا في الفندق المعد لنزلنا، وقبل أن يجيء موعد الجمعة يَمُنّا المسجد ولبثنا نستمع لقراءة الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، وعندما أذن المؤذن صعدت المنبر وأديت الخطبة، وكان موضوعها الدين الإسلامي وأهدافه في الأخوة الإسلامية وجمع الكلمة، ثم أديت الصلاة أيضاً، وكان من المتوقع أن تفد جموع المصلين للسلام على الخطيب إلا أن رجال الأمن اتخذوا الاحتياطات للحيلولة بين الخطيب ومَن يريد السلام، وعدنا إلى الفندق والحمد لله. ولا أطيل في وصف الاحتفالات التي أقيمت على شرف الوفد ولا الموائد، بل أقصر على خبر الوعد الذي كان متوقعاً، والذي كنا نرقبه بفارغ الصبر لدرجة أنني استأذنت من الشيخ

محمد سرور في السفر وحدي، وقد كان ذلك، ولم توجد طائرة إلا في الليل، ومع عدم رغبتني في سفر الليل رضيت بالواقع، وبعث الشيخ محمد سرور ابنه لتوديعي في مطار سنغافورة وأبرق لابنه في الحازمية لاستقبالني، وانتهت الرحلة، وقد كان ذلك بالإضافة إلى أن ابن الشيخ محمد سرور حجز لي إلى جدة حسب رغبتني التي أوحيتُ بها إلى والده، فما لبثت في الحازمية وفي ضيافة الشيخ محمد سرور - يرحمه الله - غير يوم أو بعض يوم، ثم عدت إلى جدة فمكة فالطائف حامداً الله سبحانه على ما أولاه من نعم سابعة، منها عودتي إلى بلدي واجتماعي بالأهل والولد وخير الصحب، وكان وصولنا إلى كوالالمبور في أواخر الشهر الرابع تقريباً، وكانت عودتنا في ٩/٥/١٣٨٥هـ، وأحمد الله على حسن الرعاية.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الخامس

شخصيات لها أثرها في نفسي



كل من عاش على الغبراء منذ أن عرف الحياة، ودخل من أبوابها، وعاصر أهلها وامتزج بهم في مختلف نشاطاتها تكون له انطباعات لها أثرها في نفسه مع بعض من عاصرهم أو أفاد منهم في أي مجال، وقد لا تنمحي تلك الانطباعات على مرور الزمن بل تغدو ذكريات هي أعلى ما يضمه بين جنبيه، أسوق هذه المقدمة بمناسبة رغبة بعض المحبين في كتابة شيء عن الشخصيات التي أثرت في نفسي، والتي عاصرتها في مجالات الحياة.

يقولون في عرضهم: لقد قرأنا في لمحاتك صفحة ضافية عن حياتك، جمعت الكثير من أخبارك ومشاهداتك ومشاعرك ورحلاتك، وبقي جانب من الأهمية بمكان لو كتبت عنه ليكون تكملة لتاريخك؛ إنه جانب الشخصيات التي تعتز بها، والتي كان لها الأثر البارز في نفسك، ولا نريد الإطالة ولا الاستيعاب، بل نرغب في كتابة موجزة عن بعض تلك الشخصيات سواء كانت في محيط التعليم أم في مجال الوظيفة أم في أي جانب. والواقع أنها رغبة جديرة بالتقدير والاستجابة لها، والأخذ بها بعين الاعتبار.

ولقد كان الواجب أن أبدأ الكتابة بشخصية علمية بارزة لها أعظم الأثر في نفسي، إذ قد عاصرتها، وعشت في رحابها، وكانت الفترة التي قضيتها معها أعلى فترة وأجلّ فرصة، إنها شخصية صاحب السماحة الشيخ

عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة في الحجاز، بل رئيس كل المجالات العلمية والوظائف الدينية، ولكنني وقد كنت كتبت عن سماحته في غضون اللمحات الماضية فرأيت أن أختتم هذه الحلقات بالكتابة عنه من زاوية تأثير شخصيته في نفسي.

فضيلة الشيخ محمد إسحاق القاري

لقد كنت كتبت عنه نبذة في اللمحات عند دراستي في المدرسة الفخرية، أما اليوم فأكتب عن الجانب الذي كان له أطيّب الأثر في نفسي، والذي ما برحت أذكره على الرغم من مضي حقبة من الزمن طويلة، كان فضيلته مديرًا للمدرسة الفخرية، وهو كما يقولون: الكل في الكل في المدرسة، لا يجد ثغرة إلا سدها ولا خللاً إلا سارع في إيجاد الحلول له، حازمًا متطورًا عطوفًا على طلابه، يحاول أن يصعد بهم سلم المجد في حدود إمكاناته واتساع دائرة مدرسته، وذلك ما حبه إلى نفسي، بالإضافة إلى أن له عناية خاصة ببعض من يتوسم فيه النجابة والرغبة في التحصيل والتضحية؛ فيخصص لهم من وقته المزدحم بالأعمال فترة إضافية يخصهم فيها بعلوم مضافة إلى الجدول الدراسي ليرتفع بمستواهم العلمي، لقد كنت ضمن من اختارهم لذلك، فدرست عليه في جملة ما درست عليه القراءات السبع، فكان آية في بسط رموزها وشرح اصطلاحاتها، وناحية أخرى كانت - ولا تزال - آثارها في نفسي إنها العطف المادي على الطلبة الذين يشعر بضيق أرزاقهم عن القيام بنفقاتهم، فيخصص لهم مكافآت مالية شهرية تكون خير معوان لهم على الطلب والتحصيل. لقد كان - يرحمه الله - يريد أن يجعل مني طالبًا مثاليًا في ترتيل القرآن وحفظه، ثم إبرازي للناس بوصفي أثرًا للمدرسة، فكم أثنى عليّ أمام المدارس، وكم قدمني للزائرين بوصفي عنوانًا بارزًا في ترتيل القرآن والترنم به، ولقد تركت في نفسي هذه المحاولات الكريمة والعطف البارز والتقدير العظيم أثرًا دفعني إلى تسجيل

فضائله، وأن أكتب عنه في طليعة من أكتب عنه من الشخصيات البارزة التي كان لها أثرها في نفسي.

فضيلة الشيخ أبو بكر خوقير

إنه من علماء المسجد الحرام، صلتني به صلة العلم الذي أخذ على عاتقه نشره وإشاعته، فكانت له مجالس في المسجد الحرام في صباح كل يوم قبل شروق الشمس يؤدي فيها الأمانة العلمية، يجتمع إليه الكثير من المستمعين عدا الطلبة الدارسين، قرأت عليه سنن الترمذي ضمن طلابه، وكم كان يبهر المستمعين ومن يحضر درسه بشرحه واستنباطه للأحكام وفصاحته وبراعة أسلوبه، أُوذِيَ في الله وسجن أمداً طويلاً على عهد الحكومة السابقة، لا شيء سوى التعاطف مع من يُلمَزون بالوهابية، ثم أطلق سراحه بعد انقضاء العهد السابق فخرج من السجن مضطرب القوى، فاطر العزيمة، ومع ذلك لم يقعد عن أداء الواجب في نشر العلم، وعاد التدريس في المسجد الحرام. أعجبت بهذه الشخصية التي لم ينهه الطغيان من صبرها على المحنة وألم المصيبة، توفي ابنه وهو شاب في مقتبل حياته، توفي إمامه في السجن فصبر واحتسب، وبقي بعد ولده في السجن ضارعاً إلى الله شاكياً له بلواه؛ فهو الحسب، ونعم الوكيل حتى استجاب الله ضراعه، وأطلق سراحه، أعجبت بهذه الشخصية التي جمعت من الفضائل ما لم يظفر به غيرها إلا القليل، وبقي لها في نفسي الأثر الذي لا أنساه أبداً، وغدوت من المترحمين عليه، أدعو الله أن يرفع درجاته في الجنة لقاء جهاده في الله أولاً في نشر العلم في أقدس بقاع الدنيا في حرم الله، ثم لقاء صبره واحتسابه أجر المصائب عند الله، وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

فضيلة الشيخ المُحدِّث مظهر حسين

من علماء الحديث المشهورين المعدودين في مكة في الماضي، والد

الشيخ عبدالرحمن مظهر شيخ مُطوّفي الهند، وَجَدُ كُلٌّ مِنَ الدكتورين عبدالوهاب مظهر وعبدالعزيز مظهر، أنشأ مدرسة وأخرج للمجموع جيلاً يُعنى بعلوم الحديث، ويأخذ بسنة خير الورى، لا يُقَدِّم عليها قول أحد مهما علا كعبه وارتفع مقامه في العلم، لقد فتح باب داره ليغشاه الطلبة، فليس العلم متصوراً على الجامعات، بل الأجر على إشاعته في أي بقعة من بقاع الدنيا، وأي مركز من مراكز التثقيف، يغشى الطلبة داره أفراداً وجماعات ليفيدوا من علمه وفضله وزهده وورعه وتواضعه، وكنت أحد الطلبة الذين كانت لهم الحظوة بالتلقي عليه، درست عليه كتاب بلوغ المرام، وشرحه سبل السلام، فكان يشبع الطالب شرحاً وبسطاً لمدلول الحديث، ويذكر أقوال العلماء، ويجمع بين المتعارض فيخرج الطالب إلى المجتمع بحصيلة علمية وركيزة تجعله في طليعة من يؤخذ بقوله، ويعتد ببسطة لمسائل العلم وذلك بفضل الله ثم ببركة إخلاص شيخنا مظهر حسين تغمده الله برحمته. ولا أطيل في تقرير شخصيته أو أسهب في مجموع خلال الخير التي تحلّى بها، فشخصيته من طراز نادر، ومن أجل ذلك ترك في نفسي الأثر البارز الذي يدفعني على الدوام لذكره والترحم عليه، والإشادة بعمله وفضله.

لفتة:

في متابعتي الكتابة عن الشخصيات التي كان لها الأثر في نفسي قد أُهْمِلَ بعض الجوانب التي من حقها أن تذكر ضمن ما تتحلّى به الشخصية المعنية، إما لتقادم العهد والنسيان، أو لأنني أكتب من الذاكرة التي لا تسعف أمثالي، فليس الإطناب في الحديث عن شخصية أو الاختصار في الأخرى هو المعيار، فالشخصيات التي أكتب عنها كلها في معيار واحد من حيث الهدف، فلا تمايز بين الشخصيات إلا في تنوع الأثر الذي تركته كل شخصية في نفسي، واعتبار مدى التأثير، فقد يمضي زمن قصير لا تلبث الذكريات عن بعض الشخصيات أن تنمحي ويزول أثرها، وعلى العكس قد

يطول الزمن وتحدث أحداث تمحو من النفس كل شيء، ومع ذلك يبقى لبعضنا ذكريات لا تنسى بعامل طول الزمن أو تجدد الأحداث.

فضيلة الشيخ عبدالظاهر محمد أبو السمح

خطيب المسجد الحرام وإمامه والمُدرّس فيه، ومدير دار الحديث المكية، وهو كما يقولون: أشهر من نار على علم، تشرفت بمعرفته وحظيت بالتلمذ عليه أمداً طويلاً في المسجد الحرام، قرأت عليه كتاب مشكاة المصابيح، كما كنت أدرس عليه في داره كتب العقيدة ككتاب التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب الجواب الكافي، وكتاب الواسطية، وجملة من كتب العقيدة، فكان يثلج صدري ويروي ظمأ نفسي المتعطشة للمزيد من التعرف على العقيدة السلفية، كنت أذهب إليه ضحوة كل يوم فأجد من فضيلته إلى جانب الإفادة من علمه وخلقه التجارب العظيمة التي مرت عليه، والمتاعب التي لقيها في سبيل الدعوة إلى الله في بلده، والتي تترجم عنها قصيدته الثونية في مؤلفه (حياة القلوب بدعاء علام الغيوب) إذ يقول فيها شكراً لله على ما أنعم به عليه من الخلاص من أعدائه:

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| وكننت على شفا النيران | حمداً لربي إذ هداني |
| في جنب شكرك صاحب الإحسان | ما كنت إلا عاجزاً ومقصراً |
| من كل ذي حقد وذئ شنان | أيدتني ونصرتني وحفظتني |
| يمضون في الإيذاء والعدوان | وخذلت أعدائي ولم تتركهم |
| وأقمتني في أشرف الأوطان | ورفعت ذكري إذ أرادوا خفضه |
| للمتقين أوهمهم بمشان | وأقمتني بين الحطيم وزمزم |
| عبدالعزيز على ذوي الأوثان | وانصر أخا التوحيد سيد يعرب |
| أنصار إسلام مدى الأزمان | واحفظ لنا آل السعود جميعهم |

وأدم صلاتك والسلام على الذي أرسلته بشرائع الإيمان والآل والأصحاب مانجماً بدا والتابعين لهم على الإحسان وكتابه (حياة القلوب) من أروع ما ألف في العقيدة وبيان حقيقة التوحيد، لقد أعطي رحمه الله موهبة لا في الخطابة والإلقاء البارع المؤثر، ولا في تلاوة القرآن بل لصونه الجمهوري الذي كان يبلغ بناية وزارة المالية في مكة بأجياد، بل إلى أبعد من ذلك دون أن يكون ثمة مكبرات للصوت، إن هي إلا منحة من الله وفضل وهبه إياه، وفاتني أن أذكر ضمن ما ذكرته مما درسته عليه اللغة العربية في ألفية ابن مالك، وكان يحفظها عن ظهر قلب، يقرأ المنظومة ثم الشرح لابن عقيل، ويكثر من الأمثلة لتطبيق القواعد، وهذا ما جعلني أبتعد عن اللحن في القراءة؛ لحفظي الكثير من الإعراب مما أفدته منه، وبالإضافة إلى ذلك كله كان كثيرًا ما يوجهني إلى الطريق السليم في الحياة ومعاملة الناس، وكنت إذ ذاك عضوًا في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة، وهذا المرفق يتطلب الكثير من الحكمة لشد ما كان سروري كبيرًا عندما يبسط لي القول في الدعوة الحكيمة، وعدم أخذ الناس بالغلظة والشدة تمشيًا مع التوجيه النبوي الكريم: (سدّدوا وقاربوا) وأخذًا بالتخطيط القرآني ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَلَاءَ هِيَ أَحْسَنُ﴾ ومن وافر حظي في الفترة التي كنت فيها عضوًا في الهيئة أن صدر مرسوم ملكي بإسناد رئاسة الهيئة لفضيلته، فسار في الدرب الذي كان يوجهني إليه، ولم تطل فترة رئاسته لأنه كان يُفضّل السير على سياسة أقرب إلى استجلاب قلوب الناس وتوعيتهم بالتي هي أحسن، وكان غيره ممن يشترك معه في الهيئة يرى غير ذلك، وكانت النتيجة أن استقال فاستراح وأراح، وكم لفضيلته عليّ من أياذ لا تقتصر على الناحية العلمية فحسب بل تأخذ توجيهاته - كما سبق أن أشرت إلى ذلك - إلى أبعاد نواح فيها المصلحة لمن انتهجها، ويتوقف عليها بروز الشخصية، ومن أجل ذلك كله ترجمت له في طليعة الشخصيات البارزة التي تركت في

نفسى أثرًا حميدًا لا أنساه أبدًا، أسأل الله له رفع المنازل في جوار البررة الصالحين من عباد الله.

ونختم هذا المقال بأبيات من قصيدته - - يرحمه الله - - التي تصور واقع حياة القلوب:

حياة القلوب بذكر الإله وتسبيحه باسمه كل حين
أُست ترى الأرض تحيا بماء وتأتي بما يعجب الناظرين
فإن لم تصبها سماء بماء تموت وفي ذا البلاء المبين

فضيلة الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة

لعل من أبرز الشخصيات التي كان لها الأثر في نفسي شخصية فضيلة الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة إمام المسجد النبوي وخطيبه، ثم مساعد خطيب المسجد الحرام والمُدرّس بالحرم المكي والمعهد العلمي السعودي، ومدير دار الحديث بالنيابة، بدأت صلتى بفضيلته منذ أن قدم مكة وأقام في الحرم الشريف مدة يُعلّم الناس الخير ويلقي دروسا في الحديث، ثم ارتحل إلى المدينة ليزاول عمله فيها خطيبًا للمسجد النبوي، وبعد عودته من المدينة للإقامة بمكة مُدرّسًا في المسجد الحرام ومساعدًا لخطيبه قرأت عليه في جملة من قرأ جزءًا من كتاب مشكاة المصابيح، ثم في مختصر سنن الترمذي، وصحيح البخاري، وكتب السنن، بالإضافة إلى استماعي لتفسير القرآن الكريم الذي كان تفسيرًا مُيسرًا ومن المصحف دون كتاب أشبه بوعظ عام، كما درست عليه في المعهد العلمي كتاب التوحيد وشرحه فتح المجيد، وكتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام الذي كان مقرّرًا في المعهد آنذاك، والجدير بالذكر أن فضيلته على الرغم من تخصصه في علوم الدين والعربية كان يضم إلى ذلك العلوم الرياضية والاجتماعية، وكان شرح فضيلته على السبورة لمسائل الجبر والحساب كأفضل مدرس متخصص في هذه المادة، وكثيرًا ما كانت تبدو على طلابه علامة الاستفهام والدهشة

لمزاويلته تدريس الرياضيات فيسألونه عن اختصاصه، وكيف جمع بين علوم الدين والرياضيات في مهارة وحسن أداء فيفترُّ ثغره عن بسمة سرور وغبطة، ثم يقص عليهم قصته، وأنه في ماضيه كان مؤلِّعاً بدراسة الرياضيات، ثم أضاف إلى ذلك تخصصه في علوم الدين، وأغرب من ذلك أن فضيلته كان مولعاً أيضاً بعلم الفلك وله فيه نشاط ملحوظ ودراسات واسعة. الأمر الذي حمله على جلب جهاز خاص كان يطمع في أن يوضع على جبل أبي قبيس أو غيره من الجبال الشاهقة لإثبات رؤية الهلال.

ومن كرمه كان يخصني - يرحمه الله - بدروس في الخلوة التي كانت تعرف بقبة الساعات في المسجد الحرام، وكان ينزلها للقرب من أداء التدريس والإمامة، ويقضي فيها أكثر أوقات فراغه.

درست عليه فيها في اللغة العربية ألفية ابن مالك وشرحها، كما كنت أستعرض له في الكتب المطولة أبحاثاً في العقيدة والحديث والتفسير، وإن شئت فقل: والرياضات خاصة دروس الجبر إذ كنت ضعيفاً في هذا الفن.

مثاليته:

لست أكتب عن تاريخ حياته فأستقصي فيه كل شيء، ولكنني أكتب من زاوية عقدت لها هذه الحلقات عن شخصيته، وكيف كان لها الأثر في نفسي، وفي طليعة ما يجب أن أعنى به مثاليته في المنزع، وأخلاقه الكريمة العظيمة التي تلحقه إن شاء الله بالصالحين، نبدأ منها بذكر تواضعه إذ كان خلقه الذي لا ينك عنه، كان مع غزارة علمه وسعة أفقه يظهر للملأ وكأنه طالب علم لا من العلماء المتبحرين لم يَبْدُ في مظهر من مظاهره أنه ارتفع بشخصيته عن غيره أو اعتدَّ بعلمه وقَاضَلَ به، مع أنه - يرحمه الله - كان آية في الاستنباط، وحبَّة في سرد أقوال العلماء قديماً وحديثاً، إلى جانب عرض النظريات الحديثة في علوم الحضارة مما لا يتنافى مع الدين.

أما عزوفه عن المادة فيترجم عنه عدم التكثر منها، بل يقنع منها برزق

الكفاف وما يسد الخلة، لم يؤخذ عليه أنه تدلى في طلبها، أو استجدى للاستحواذ عليها، أصدق ما يصور ذلك أن تقاعده لم يبلغ ثلاث مئة ريال، وحسبك بالقناعة كنزًا لا يظفر به إلا خيار الأفاذ من الرجال.

المصاهرة:

لقد رغبت في مصاهرته فَرَحَّبَ ويسَّر مطالب الزواج في كل دروبها، فاتصلت صلة العلم بصلة المصاهرة، وكان ذلك أعظم كسب لي إذ كنت أجد من فضيلته على الدوام لقرب الصلة التوجيه السديد الرشيد لرفع المنظار الأسود، ولأنظر إلى الحياة نظرة التفاؤل، ولئن غاب عن ذهني الكثير من توجيهاته لبعده العهد وضعف الذاكرة فلست أنسى توجيهه وتشجيعه، بل وحفزه لي بكل وسيلة لقبول ترشيحي لإدارة مدرسة الأمراء بالرياض، أذكر الآن من قوله ونصحه ما يأتي:

إن في الحركة بركة، وإن الماء الراكد لا يبرح أن يتعفن، وإن بقاءك في الحجاز مدير مدرسة لا يرفع من شأنك بل لا تزال في نظر الناس إنسانًا عاديًا ولا تزداد إلا بلاء وعناء مع طلاب لا يُقدِّرون مصلحتهم، ومع أساتذة قد يكون من الصعب سياستهم وأخذهم بالمنهج التربوي في تدريس المواد، والذي أفدته من المعهد؛ فاحزم أمرك وتوكل على الله، ولن يخيبك الله أبدًا. قلت له مرة: إن السفر ومتاعبه والحيرة في استصحاب العائلة إلى الرياض أم تركها في مكة ذلك ما يشغل تفكيري، ويجعلني لا أتشجع لقبول الإدارة في الرياض. فأجابني رحمه الله جواب الخبير المعجب الذي عرّكه الزمان، ومضى بين ظروفه مبتسمًا لصعوبته وأحداثه أجابني بقوله: أما السفر فسوف يوقفك على معالم بلادك، والأرض التي لم تطأها قدمك، واستكشاف أمور لم تقع في حساباتك كالتعرف على القبائل في الطريق، ودراسة حياتهم مما يوقع في نفسك شكر نعم الله عليك؛ فإن النعم لا يدركها المرء إلا بالنظر إلى من هو دونه فيها، ثم هذه المعلومات التي

تفيدها من سفرك عن طريق البر سوف تفيد منها كثيراً، وسوف تعتد بها في مهمتك ومزاولتك للتدريس، أما استصحاب العائلة من عدمه فليس في ذلك حيرة أو لبال، إن قدر لك أن تستصحبهم معك فذلك هو المطلوب وإلا فاستبقهم في رعاية الله بين أهليهم وذويهم إلى أن تعود، أو تتاح لهم فرصة للحاق بك. لقد أوصد أمامي - يرحمه الله - كل باب للاعتذار عن قبول الترشيح، وغادرت مجلسه منشرح الصدر لتوجيهه ونصحه، قويَّ الثقة بالله وبأنه سبحانه سوف يجعل في مسيرتي الخير، فحزمت أمري وقبلت الترشيح، وأمضيت في رحاب ملك لم أر قبله ولا بعده من يقدرني كتقديره يرحمه الله، لذلك ما برحت أبكي حتى الآن كل لحظة عشتها برحابه، وكل مدة فُدر لي أن أنعم بها في ظلاله، لم يكن تقديرًا في السُرُّ بل كان علناً وفي مجلسه الحافل بأفاضل الرجال، شهد ذلك كل أنجاله، وعجب منه الكثير من ذوي المكانة ممن يعيش في الرياض، والفضل من أصوله لا يستغرب، رحم الله الملك عبدالعزيز رحمة واسعة في منازل البررة من عباده والمقربين إليه.

لقد أمضيت في الرياض سبعة عشر عاماً بفضل الله ثم ببركة توجيه فضيلة الشيخ محمد عبدالرزاق ونصحه ثم عدت إلى الحجاز في أرفع مكانة، وذلك بفضل الله سبحانه ثم ببركة قبول النصح والتوجيه الصادق الخالص من شيخنا يرحمه الله، وذلك ما جعله في طليعة الشخصيات التي كان - ولا يزال - لها الأثر البارز في نفسي، أدعو له وأترحم عليه، وأسأل الله أن يستجيب فيه دعائي.

فضيلة الشيخ محمد بن عثمان الشاوي

أحد أقطاب علماء نجد الأعلام، فقيه لا يشق له غبار خاصة في علوم الشريعة وفي الفقه الحنبلي، ناب عن رئيس القضاة سماحة الشيخ عبدالله بن حسن في فترة تغيب فيها، ونُصّب مدرّساً بالمسجد الحرام فكنت أحد طلبته

في الحرم، كما كنت كذلك في المعهد إذ عُيِّن فيه مدرِّسًا، ولا تسَل عن براعته في توضيح ما استغلق فهمه واستعصى على النابهين من الطلاب إدراكه، يقرر الفرائض بأسلوب ميسر، ويعرض للأنصبة في الميراث وتوزيع التركات بحسب الاستحقاق شرعًا، إلى جانب كتب العقيدة والحديث، ويتناول المسائل الفقهية العويصة بالشرح في كتاب زاد المستقنع في عبارات جزلة وأسلوب محبب إلى الطلاب، إنه كفيف ولكنه قوي الشخصية يهابه الطلاب، لو سمع حراكًا في أي مقعد من مقاعد الطلبة في الفصل لدعا الطالب باسمه، وعابه على تشويشه بحرمانه من الدرس وإخراجه من الفصل. ولئن تحدثت عن فضيلته من هذه الزاوية التي تركت له في نفسي أثرًا فإن لفضيلته جوانب أخرى في مجاله العلمي جديرة بالتسجيل، فكم هدى الله بتوجيهاته وإخلاصه في دعوته، كم هدى الله في ربوع نجد وباديتها الكثيرين ممن كانوا صعبى المراس لا ينقادون إلا لمن آتاه الله حكمة وبصيرة في الدعوة وأسلوبًا في الخطاب يستجلب النافر، ويعيد الجامح إلى الجادة، عرفت الكثير ممن قدم إلى الحجاز من أبناء البادية فأكبرت سلوكه، وأعجبت بمنهجه في الحياة، كان ديدنه الإقبال على حفظ القرآن والإكثار من مجالسه العلماء في المسجد الحرام للإفادة من علمهم، والإصغاء إلى الموجهين فسألته عن هذا التحول من بدويٍّ جافٍ غليظ الكبد إلى متحضر ترك الدنيا إلا مما ليس منه بُدُّ لقيام الأود، وأقبل على ما فيه عمارة آخرته، فقال: (أطال الله عمر الشيوخ، ويعني الملك عبدالعزيز يرحمه الله، فقد أرسل لنا الشيخ الشاوي معلِّمًا في هجرنا أي الأماكن التي أسسها الملك عبدالعزيز - يرحمه الله لاستيطان البادية - وإمامًا لنا ودالًّا على الخير في كل دروب الخير، فالتفت حوله الإخوان يدرسون ويستفتون، وأقبلوا على الملك الديان، وكان ما تراه الآن من إقبالنا على الله وعلى ما فيه صلاحنا). أي أن الشيخ الشاوي كان داعيًا إلى الله على هدى وبصيرة كما أمر الله إذ يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ ﴿١﴾ وراغباً فيما أعده الله للدعاة إليه كما جاء في الحديث: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيء) أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

ولمجموعة المزايا التي امتاز بها فضيلته وأخلاق العلم التي كان يتحلى بها والتي يترجم عنها تواضعه وحلو معشره ترك في نفسي ذلك أثراً حبيب إليّ شخصيته، ولقد مضى على وفاته - يرحمه الله - رَدَّخٌ من الزمان ولا أزال أراه كأنه أمامي وفي حلقة الدرس يفيض عليّ من واسع علمه يرحمه الله.

إيضاح:

في هذه المجموعة من الشخصيات التي كان لها أثرها في نفسي لم أراع في كتابتها ترتيباً معيناً؛ نظراً لعدم إسعاف الذاكرة، فقد مضى على هذه الشخصيات أمد طويل، وقد يتقدم في الكتابة المتأخر أو العكس، وقد يلحظ فيها خلط بين الشخصيات العلمية والإدارية، فالغرض هو التحدث عن الشخصيات لا عن ترتيب وضعها أو مكانتها، والمقصود منها أيضاً المدة التي عاصرت فيها هذه الشخصيات، أو العمل الذي زاملتها فيه أو عشت في رحابها، فليضع القارئ الكريم ذلك في حسابه.

فضيلة الشيخ محمد بن علي البيز

لعل بعض الناس يرى أن في الكتابة عن الشخصيات التي كتبت عنها مجاملة أكثر من اللازم أو محاباة أو تقريظاً لكل أساتذتي، والواقع أنه لم يكن شيء من ذلك، فليس ثمة ما يدعو إلى المجاملة أو المحاباة، فأكثر من كتبت عنه قد سار إلى دار البقاء، وقد تقيدت بمداول العنوان؛ فلا أكتب إلا عن الشخصيات التي لها أثرها في نفسي، فثمة شخصيات أخرى لم أعرض للكتابة عنها إما لأن فترة معاصرتي لها قصيرة أو أن الصلات التي

كانت تربطني بها لم تترك في نفسي أثرًا للكتابة عنها أو على العكس تركت أثرًا لا يصح أن يسجل ويعلن عنه، ومن أجل ذلك لم أتوسع في الكتابة أو أقصد الشمول.

بعد هذه المقدمة التي أعتقد أنها تنير الأذهان أبدأ الكتابة عن شخصية علمية تركت في نفسي الأثر الطيب، ألا وهي شخصية فضيلة الشيخ محمد بن علي البيز، درست عليه الفرائض في شرح الرحبية والفقه على مذهب الإمام أحمد يرحمه الله، فكان حجة في بيانه وتقديره وإيضاح الأنصبة في المواريث، كنت أعجب عندما يطرح على الطلبة مسألة في الفرائض يطلب حلها ثم لا يلبث أن يجيب هو نفسه عن المسألة فيقول مثلاً: المسألة من كذا، يأخذ فلان كذا وفلان كذا، وما بقي للعصبة، وهذا ديدنه دائماً في كل حصص الدراسة لا تنتهي حصّة إلا وتتبعها أخرى يسير فيها على هذا المنوال فبعد شرح أبيات المنظومة وقراءة شرحها يأخذ في عرض المسائل في المواريث، فأكسب الطلبة بذلك مِرَآة وخبرة، والغريب أنه لا يكتب المسألة على السبورة ثم يستعين بحلها عن طريق الحساب، بل يجيب عنها من ذاكراته، وتلك موهبة ليست خاصة بفضيلته بل لقد رأيت غيره من علماء نجد ينهج في حل المسائل الفَرَاضِيَةِ نهجه معتمداً على استعداده والمران الذي اكتسبه في عهد الدراسة، لقد كان فضيلته حجة في الفرائض كما كان حجة في الفقه على مذهب الإمام أحمد، كان يشرح كتاب مختصر زاد المستنقع لا يتلعثم أو يرتج عليه في استقراء مسائله، ولا الوقوف على غامضها، ولا إهمال شيء من فصول الكتاب بدعوى المراجعة، وذلك شأن العالم القدير طويل الباع الناجح في مهمته، وإلى جانب ذلك كان يتحلى - يرحمه الله - بالوداعة ولين الجانب، فأضحى ذلك علماً عليه فلا تراه إلا هاشاً باشاً مكرماً لمخاطبة لا يضيق صدره بما يبدر من طلابه من كثرة الأسئلة وإن كانت في غير إطار الدرس لضياح الفرصة بل يقابلهم بالابتسامة، لم يكن من خلقه أن يغضب على طالب، أو يضيق به ذرعاً

فيخرجه من الفصل ويحرمه من الفائدة، بل كان يقابل تطاول الطلاب بقوله: (يا فلان الله يهديك). أذكر بالمناسبة قصة تكشف عن سعة صدره واتساع حلمه، وذلك أن طالباً ليبيّاً انضم إلى المعهد وحظي فيه بنجاح متواصل حتى بلغ السنة النهائية، ولست أدري كيف كان ذلك؟ وكيف حظي بهذا النجاح على الرغم من أنه كان يعتد بعدم المبالاة حتى في مذاكرة دروسه؟ وكان من خلقه التهريج يقف على منصة الأستاذ أيّ أستاذ قبل دخوله الفصل، ويأخذ في محاكاته في سكناته وحركاته، وفي مؤاخذته للطلاب، وفي تقريره للدرس حتى إذا ما أقبل عليه الأستاذ نزل عن المنصة معتذراً بأنه كان يشغل فراغ الطلاب ريشما يحضر الأستاذ.

وحدث في حصة شيخنا البير عندما كان فضيلته مشغلاً بالنظر في الكتاب لتقرير مدلول عباراته، حد أن اجتاز المعهد بائع بليلة يرفع صوته بالتبويه عن بضاعته ونوافذ المعهد ، ترتفع عن الأرض إلا قليلاً، فاستدعى الطالب بائع البليلة واشترى منه عطاء الثمن، وأخذ يلتهم البليلة بشراً فتعالت ضحكات الطلاب، مما لفت نظر فضيلته، فقام من منصة الأستاذ إلى حيث يقعد الطالب فانتصب له الطالب وحيّاه بتحية عسكرية كما يحيي الجندي رئيسه معتذراً بقوله: عفواً فإنني لم أشرب اليوم مذقة لبن، أو أطلعتم تمر. واختار الطالب اللبن والتمر دون سائر القوت لأنهما طعام الأستاذ أيدور بخلدك أن فضيلته اشتد على الطالب في المؤاخذة أولاً لضياح الفائدة، وثانياً لاختلال نظام الفضل واشتغال الطلاب بالضحك وخروجهم عن اللياقة أمام الشيخ؟! لا لم يكن شيء من ذلك، ولكنه كعادته وجرياً على خلقه أخذ يردد على مسامع الطالب: الله يهديك، الله يهديك. قد يفسر بعض الناس ذلك بضعف المعلم وعدم قدرته على التأثير في الطلبة بشخصيته أو بحزمه ومؤاخذته لهم ولو بإخراج المبطل غير المؤدب من الفصل، لا إنه لم يكن شيء من ذلك، فشخصية فضيلته قوية، وتأثيره في الطلاب يبدو من اتجاههم إليه واشتغالهم معه عند بسط المعلومات وشرحه

للعبارات المغلقة، أما عدم مؤاخذته لهم على هفواتهم والشطحات التي قد تبدر من بعضهم فَمَرَدُّ ذلك - كما أسلفنا القول - لسعة صدره واتساع حلمه وكرم نفسه، وليكون القدوة الصالحة لهم في الخلق الكريم، كل ذلك ترك في نفسي أثرًا لشخصيته والنفسية الوديدة التي كانت علمًا عليه يرحمه الله.

فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن حسن آل الشيخ

فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن حسن آل الشيخ من الشخصيات العلمية اللامعة التي خدمت المملكة في مجالات عدة، وكان له الأثر البارز في تنظيم المؤسسات القضائية والتعليمية وتطويرها. فقد عمل بعد تخرجه من جامعة الأزهر عضوًا في رئاسة القضاة، ثم نائبًا أولًا لرئيس القضاة، ووكيلًا لوزارة المعارف ثم وزيرًا لها. ولست هنا بصدد الكتابة عن ترجمة لحياته الحافلة بجلال الأعمال، ولكنني وقد خصصت هذا الباب للكتابة عن الشخصيات التي لها أثرها في نفسي فإنني أكتب عن صلتني بفضيلته، ونوع العلاقة التي تربطني به مما ترك في نفسي أبلغ الأثر وأجمله.

والواقع أن لهذه الصلة جوانب يجب عدم الخلط بينها:

الجانب الأول: الصلة الروحية التي كانت تربط بين فضيلته وصاحب اللمحات، وهذه الصلة من أوثق الصلات، وسوف نتحدث عنها فيما بعد إن شاء الله، وإن كان الواجب أن تكون في طليعة من نتحدث عنه؛ إذ تلك الصلة من الصلات الدائمة التي لا تُغيّرُها الظروف، ولا تبلى بتقادم العهد.

الجانب الثاني: التعاطف مع صاحب اللمحات وإبراز شخصيته رجلًا له مقوماته واستعداده، وإزالة الركام الذي كان قد ران عليه لرغبته في الانطواء وعدم التعرض للأضواء.

الجانب الثالث: صلة العمل التي كانت تربط بين وكيل الوزارة (الشيخ عبدالعزيز) ومستشار الوزارة (صاحب اللمحات)، وثقة سعادة الوكيل فيه وفي إخلاصه وتعاونه في كل ما يسند إليه من مسؤوليات، لا في حدود

اختصاصه مستشارًا فحسب بل وفي مجالات أخرى، كان حسن الظن به يدفع سعادة الوكيل إلى أن يندبه إليها. وعلى سبيل المثال يذكر صاحب اللمحات بعض المجالات التي كان يشارك فيها بتكليف من سعادة الوكيل:

- ١ - الجولات التوجيهية على المدارس الابتدائية والثانوية.
 - ٢ - دراسة المناهج والكتب الدراسية وكتابة تقارير عنها.
 - ٣ - اقتراح التنسيق بين كتب التوحيد والفقه بحيث يدرس الطالب المسائل مرتبة حسب مستواه وعقليته.
 - ٤ - تكليفه برئاسة اللجان في الاختبارات النهائية للمعاهد العلمية تارة ولكلية الشريعة أخرى.
 - ٥ - ندبه إلى الطائف لرئاسة لجنة اختبار دار التوحيد لعدة سنوات.
 - ٦ - إسناد إدارة كلية الشريعة إلى عهده، بالإضافة إلى عمله مستشارًا.
 - ٧ - تعيينه بموافقة الوزير مشرفًا على إدارة التعليم بمنطقة مكة بالإضافة إلى عمله.
 - ٨ - الثقة التامة التي وضعت في صاحب اللمحات حيث عهد إليه بالإشراف على وضع أسئلة الاختبار النهائي لكلية الشريعة من قبل الأساتذة.
- وغير ذلك مما لا يمكن سرده من المسؤوليات التي قلّدها فضيلة الوكيل صاحب اللمحات والتي تدل علىها بالأمثلة بوصفها واقعًا ملموسًا.
- بعد هذا يتحدث صاحب اللمحات عن الجانب الثاني وهو إبراز شخصيته، وهذا الجانب له صلة بالجانب الثالث من حيث إن المسؤوليات التي عهد بها إليه فضيلة الوكيل هي في واقعها كافية للترجمة عن إبراز الشخصية، إلا أن أكبر مثال في هذا الجانب ترشيح فضيلة الوكيل لصاحب اللمحات خطيبًا في المسجد الحرام.

نعود بعد هذا الاستطراد الذي دعت إليه المناسبة نعود للحديث عن

الجانب الأول في صلة صاحب اللمحات بفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن حسن آل الشيخ، وقد أرجأنا التحدث عنده لنقدم الجانب الذي ربط بينهما بالعمل وإبراز الشخصية.

والجانب الأول في واقعه صلة روحية سداها ولُحمتها الحب في الله، وكان مؤسساً من حياة سماحة الشيخ عبدالله بن حسن يرحمه الله، فقد قرأ عليه صاحب اللمحات أصول العقيدة، وبدأ التعاطف فيها والحب عليها مع فضيلة الشيخ عبدالعزيز منذ ذلك الحين، وكان يرى عطف والده وبره وصلته لصاحب اللمحات فسار على الدرب متمشياً مع نهج الحديث الشريف: (إن من أبر البرِّ برُّ الولد أهلَ وُدِّ أبيه). وكان يصرح بقوله: إنني لا أعتبرك إلا شقيقاً لنا. وذلك منتهى التعاطف والحب في الله والنظرة الكريمة والتقدير، لذا كانت هذه الصلة بالشيخ عبدالعزيز راسخة لم يتطرق إليها الوهن على البعد والقرب، ومع الاشتراك في العمل وقبلة وبعده حتى بعد أن أصبح الشيخ عبدالعزيز وزيراً للمعارف؛ لأنها صلة روحية لله، وما كان لله دام واتصل، ومما يجدر ذكره أن بعض الناس ممن يزعم أنه يحب في الله عندما تتكشف الأمور يتضح أن دعواه ما هي إلا من الزعم الذي لا يقوم عليه برهان.

لقد تركت هذه الصلة أثرها البالغ في نفسي الذي لا أنساه أبداً، وأدعو الله مخلصاً أن يجزي فضيلته بأحسن ما يجزي به عباده الصالحين.

فضيلة الشيخ سليمان الحمدان

من علماء نجد الذين انتقلوا إلى الحجاز، وشغلوا وظائف في الدولة في حقل القضاء والإمامة والتدريس، فضيلة الشيخ سليمان الحمدان كان قاضياً في الطائف للمحكمة المستعجلة وخطيباً لمسجد ابن عباس، ثم عضواً في هيئة رئاسة القضاء بمكة، وقاضياً وإماماً للمسجد النبوي الشريف، وفي فترة إقامته بمكة كانت له حلقة للتدريس في علوم الدين

بالمسجد الحرام، وكنت أحد الطلبة الذين درسوا عليه كتاب عمدة الأحكام. له طريقتة في تدريس الحديث وهي قراءة الحديث أولاً من أوله إلى آخره ثم التعليق عليه ثم قراءة شرحه وذكر أقوال العلماء فيه ببسط القول حتى لا يدع مجالاً لباحث أن يدلي فيه بدلوه أو يقرر زيادة على ما قرره، أبرز صفاته صلابته في الحق ونقده بصراحة ودون مجاملة كل ما يعتقد أن فيه مأخذاً ولم يُدعم بدليل من كتاب أو سنة أو قول الأئمة المتبوعين، حدث لي معه موقف نقدني فيه بشدة عندما كنت أؤم المصلين في صلاة الجمعة حيث انتصب لي بعد الصلاة وصارحني بقوله: أيش فيك، كثرت لنا من قول سيدنا في الخطبة، ألم يبلغك حديث أنس أن ناساً قالوا: يا رسول الله ياخيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال: (يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله إياها). وقوله ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله ﷺ). قلت له: جزاك الله خيراً. وفضيلته يقصد بذلك أن المَوَاطن التي ورد فيها الصلاة لم تكن منها زيادة كلمة سيدنا، كما في الخطبة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وإلا فهو (سيد ولد آدم كما صح عنه أنه قال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)).

وبمناسبة الكتابة عن فضيلته ولأن الشيء بالشيء يذكر، وللإفاضة في الحديث عنه أتناول بعض الجوانب في حياته إذ قد امتزجت به كثيراً، فأكتب:

أولاً عن إقامته بالحجاز بين مكة والمدينة والطائف أمداً طويلاً، وفي مناصب تتطلب الامتزاج بالناس والتعرف إلى الكثيرين منهم، فكان من أثر ذلك أن تزوج بزوجة من أهل الطائف، وعاش في كل بلد

أقام بها في الحجاز للعمل أو حتى بعد أن أحيل إلى التقاعد، عاش
قرير العين بصحبة خيار الناس والاجتماع بهم؛ أي أنه كان اجتماعيًا
إلى حد ما.

ثانيًا لم يُقدَّر له أن ينجب، وأن يكون له من الولد وصحته ورعايته
وتربيته كي تقر به العين ويبتهج به بوصفه زينة في الحياة كما قال
تعالى: ﴿الْعَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولكنه خلف من أبناء
المجموعة وخاصة من يذكره بخير ويدعو له لقاء تعليمه الخير
ونصحه، وعدله في أقضيته وغيروته الدينية، ومحافظته على السمات
الإسلامي.

ثالثًا كثيرًا ما كانت تُطرح عليه الشُّبه في الدين فلم يعبأ بها، بل كان
يدحضها ببيانه وقوة حجته المستمدة من الوحيين كتاب الله وسنة
رسوله ﷺ.

رابعًا: عندما انتقل من المدينة إلى مكة أخذ بعضهم عليه بأنه كان شديدًا
وغير لبق، وكلها مزاعم لا تركز على واقع صحيح، تُرى ماذا يعنون
باللباقة؟! إن اللباقة لا تكون إلا في الحق وطريقة إيصاله، والتعاون
على إقراره، والدعوة إليه بكل وسيلة.

ألا ليت فينا الكثير من أمثال شيخنا الحمدان؛ إذن لرجحت كفة الحق،
وانخفض معيار الباطل.

هذا وقد بقي لشخصيته في نفسي أثر لا أنساه لخلقه في الصدوق بالحق
والشجاعة الأدبية في مقاومة ما يعتقد أن فيه مأخذًا، وأنه لا ينهض عليه
دليل، بالإضافة إلى ما أفدته منه في فترة تلمذتي عليه، وما برحت أذكر
شخصيته المديدة، فأدعو له وأترحم عليه، وأسأل الله أن يستجيب دعائي
له؛ إنه أكرم مسؤول.

فضيلة الشيخ بهجت البيطار

فضيلة الشيخ بهجت البيطار من علماء سوريا القدامى سلفي العقيدة، بل من أبرز الدعاة إلى عقيدة السلف رضوان الله عليهم، إذ كان متميزاً في دعوته، سمحاً في مقارعة الحجة بالحجة تمثيلاً مع مدلول الآية الكريمة التي تخطط للدعوة الناجحة: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ تتلمذت عليه في المعهد العلمي السعودي إذ كان مديراً له منذ أن فتح المعهد أبوابه في المرة الأولى، تتلمذت عليه في دروس المطالعة والإنشاء، وكان أسلوبه في تمرين طلابه في هذه المادة أسلوب المحاضر، لا يفرض عليهم الكتابة في موضوع ما إلا بعد أن يشبعه بحثاً، وذلك بعرض الموضوع أولاً ثم ندب أحد الطلبة للتحدث عنه على منصة الأستاذ في الفصل، فيتعود بذلك الارتجال، وترسخ في ذهنه بعض توجيهات فضيلته، ثم تكون الكتابة بعد ذلك سهلة ميسرة على الطالب، ومجال الارتجال صعب عسير، وإدراكه بالمران الطويل مع الاستعداد، فكم من العلماء الفطاحل من لم يسعفهم الحظ، أو قل: لم يرتقوا إلى مرتبة الارتجال في حين أنهم بلغاء مشرقو الأسلوب، ومن أجل ذلك عُنِيَ فضيلته بأن تكون لدى الطلبة هذه الملكة حتى مرنوا عليها لكثرة مزاولتها تحت إشراف فضيلته، فلم يعد من العسير عليهم أن يرتقوا منابر الوعظ والخطابة دون تهيب أو خشية من نقد، لقد كان من زملائي في المعهد وممن تتلمذ على فضيلته فريق من الإندونيسيين أضحووا في انطلاقتهم للوعظ وتعبيرهم بالفصحى وعدم تلكئهم أضحووا طلائع في المجموعة يشار إليهم ويعتد بإنتاجهم، وذلك بفضل الله ثم ببركة الجهد الذي بذله فضيلة الشيخ بهجت البيطار في تمرينهم على الارتجال. عرفت في فضيلته إلى جانب علمه الغزير وسعة أفقه دماثة خلقه وانبساطه مع مُحَدِّثِهِ ولباقته في أسلوب يجتذب المستمع إليه ويود لو طال أمد الحديث مع فضيلته.

ولا يفوتني والحديث موصول عن فضيلة شيخنا بهجت البيطار أن أذكر اليد الطولى لفضيلته التي تضاف إلى أياديه على طلاب المعهد، وذلك أولاً بيث روح الشجاعة فيهم لنشر الموضوعات التي يكلفهم بكتابتها في صحيفة أم القرى وقد كانوا يحجمون عن ذلك لضعف ملكاتهم في الكتابة، ولأن موضوعاتهم لا تستحق النشر، ففضيلته يأخذ الموضوعات ويوصلها بشخصه إلى رئيس تحرير أم القرى الشيخ يوسف ياسين يرحمه الله، وذلك ما حفز الطلبة على الكتابة والتمرس، ولا أزال أذكر موضوعاً كتبه الأستاذ أحمد علي الكاظمي تحت عنوان (الأمومة) أعجب به القراء، وكان حديث المجالس، والباعث على إثبات تفوق المعهد ونجاة طلابه.

وعندما تخرج أول فوج من المعهد استأذن فضيلته جلالة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - في أن يصحب المتخرجين للسلام على جلالته وإلقاء كلمات مناسبة، وقد كان ذلك، وتشرف الطلبة بالزيارة الملكية، وألقى بعضهم خطاباً مناسبة حازت على إعجاب جلالته فأثنى على جهود فضيلة الشيخ البيطار، وأمر بتوظيف المتخرجين كل حسب رغبته وفي الجهة التي يرتاح إليها، ومن المضحك أن أحد الطلبة عندما سئل عن الجهة التي يريد أن ينضم إليها أجاب قائلاً: (في الحميدية)، وكانت الحميدية آنذاك مقراً للحكومة ومجمعاً لأكثر دوائرها بما في ذلك وزارة المالية، لم تشكل آنذاك وزارات، ولم يبلغ عدد الموظفين في كل دائرة غير المستوى الذي يقوم بالعمل مع الضغط في كثرة المعاملات، وعلى الرغم من ذلك نُفذت رغبة المتخرج وتوظف بالحميدية من رغب فيها، ولست أدري في أي دائرة من الدوائر فقد نسيت أو أنسيت ذلك. هذه نبذة إلحاقية لما سبق أن سطرته عن شيخنا بهجت البيطار، ومما ترك في نفسي الأثر الحميد، كيف لا؟! وقد كانت له اليد الطولى - يرحمه الله - في الرفع من شأن المعهد وحاز ثقة جلالة الملك فعوض جلالته - يرحمه الله - المتخرجين من الطلاب عن المكافآت السخية التي كانت تدفعها لهم الدولة في فترة الدراسة عوضهم

بالمرتبات التي يتفاضونها في وظائفهم رحم الله جلالته وجزى الله شيخنا البيطار خير الجزاء وغفر له .

هذا وإن الشيء بالشيء يذكر أقول: لقد طالعنا المجلة العربية بمقال ضاف في العدد (٨٧) كتبه فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، جمع فيه تاريخ حياة الشيخ بهجت يرحمه الله، فمن أراد المزيد عن تاريخ حياته فليرجع غير مأمور إلى المقال المذكور، وقد استفدنا منه تاريخ وفاة فضيلته وأنها كانت في دمشق في شهر جمادى الثانية سنة ١٣٦٩هـ.

فضيلة الشيخ تقي الدين الهلالي

المخبر الذي يكشف الأفاذ من الرجال، وترجم عن مواهبهم ومدى استعدادهم للإسهام في كل ما يعود على المجتمع بالخير، ويأخذ به قُدماً نحو الكمال والتمام، قوة الشخصية واتزانها وسلامة تصورهما للأمور وتقديرهما بحيث تكون مسيرتها في اتجاه بعيد عن النَّزَق ومهابط الأمور، فمن ذا الذي يرتقي إلى هذه الفضائل ويأخذ بزمام القافلة ليوصلها إلى المستوى الرفيع؟! قد يكونون كثيرين في الأمة فالخَيْرُونَ لن تقفر منهم الأرض، غير أن من بينهم المغمور الذي لم يحط نفسه بهالة من الدعاية يوجه بها الأنظار إليه، فهو في مجتمعه أشبه بكنز مجهول لا ينتفع به على الرغم من أنه جمع بين العلم وسعة الأفق واتساع أبعاد المعرفة، وغير ذلك من المحامد والفضائل. هذه مقدمة أعتقد أنها واقع بعض الناس ممن يعيش - كما يقال - على هامش الحياة خاصة في أعقاب الزمن عندما أصبح للمادة بريق خادع يصدر بعضهم عن وحيها فلا يعبأ إلا بمن له رصيد منها يصل في حدودها، ويحول ويندمج في إطار الماديين، ويأخذ في مناهجهم، رأيت العالم التحرير والكاتب اللامع والمحاضر اللبق والخطيب المفوه كل أولئك وغيرهم من أرباب المواهب إذا لم يكن لديهم رصيد من المادة

أضحوا مثلاً لا للاقتداء بهم والسير على نهجهم والأخذ بمسيرتهم؛ بل ليحاطوا بسياج منيع يحول دون الانتفاع من مواهبهم لتتاح الفرصة لمن لم يدركوا سبقتهم أن يقفوا على ظهورهم، وأضرب المثل في هذا المقال بالعلماء الذين لا يشق لهم غبار، فالعلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، وكل فرد في الأمة من حقه أن يأخذ بقسطه من هذا الميراث سواء كان توزيعه في مسجد أم جامعة أم مجمع في أية زاوية من الأرض، غير أنه مع الأسف أضحى المغمور من العلماء وكأنه في قوقعة، ولقد كتبت في عدد من المقالات تحت هذا العنوان شخصيات لها أثرها في نفسي، وكان من بينها من مُني بالبحود ونكران الجميل والإدبار عنه، وقطع الصلة به لا لشيء سوى أنه لا يحسن أن يلبس لكل زمن لبوساً، ولا يعتمد إلى الاستجداء ومد اليد لغيره ليكون له رصيد من المادة مرموق، قناعةً برزقه وتجاوياً على إذلال النفس وترفعاً بمكانة علمه أن يهبط به عن المستوى الذي رفعه إليه كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ فهذه الرُفعة التي شَرَفَ الله بها العلماء هي في الواقع أفضل من أي رصيد ماديٍّ مهما بلغ من فخامته وضخامته ونظر الناس إليه بعين الاعتبار، ولعل بعض القراء يتساءل عن الباعث لكتابة هذه المقدمة؟ والجواب أنها نفثة مصدور نظر إلى بعض من لهم حق الصدارة بالعلم والمواهب وإذ به مهملاً كما يقولون، وعلى سبيل المثل أذكر من بين من مُني بالتجاهل فضيلة شيخنا الشيخ تقي الدين الهلالي إنه عالم ضليع في علم الحديث بل وفي علوم الدين واللغة العربية، وهو من علماء المغرب، قدم إلى مكة للإسهام بقسط في إشاعة العلم والتوجيه، ولكنه كان من المغمورين؛ لأنه خطط لمسيرته بأن لا يخرج بها عن مسلك العلماء في الحفاظ على علمه من الهبوط به، تتلمذت عليه في المسجد الحرام فقرأت عليه صحيح البخاري ومسلم وعديداً من كتب السنة فكان ممن لا يشق له غبار في ميدانه، ودرست عليه أيضاً في علوم اللغة العربية

كتاب مُلحة الإعراب أول دراستي للغة، فكان يشرح المنظومة بيتاً بيتاً ثم يقرأ عليها الشرح بما لا يترك أمام الطالب غموضاً أو لبساً، كما درست عليه في المعهد الكثير من علوم الدين كلها في إطار السنة، ثم انتقل إلى المدينة المنورة ليقوم بواجبه فيها مدرساً في المسجد النبوي فنفذ الله به في مجاله، وعندما افتتحت الجامعة الإسلامية عُيِّن فيها مدرساً فكان فذاً في المدرسين ينظم الشعر ويتمثل بالكثير منه، كما كان يمد المجلات الإسلامية بكتاباته الهادية الهادفة دفاعاً عن الإسلام ودحضاً لمفتريات خصومه، وإيضاحاً للعقيدة السلفية، كان حُرَّ الضمير، لا يقبل الضيم ولا يستنيم لمن ينال منه. له مؤلفات لا أذكر شيئاً منها الآن لُبعد العهد وضعف الذاكرة، يمتاز بالشجاعة الأدبية التي كانت خُلُقاً له وسجية لا تنفك عنه، وحسبك بها منقبة، لا يتهيب لسلطان من يفرض عليه سلطانه خاصة فيما يجب من تقرير الحق.

انقطعت صلتني بفضيلته منذ أن ارتحل إلى المدينة، غير أن شخصيته بمجموع ما حوته من الفضائل أثرت في نفسي، ولعلي أوفق للسير على دربه وإن غدوت مغموراً مثله.

فضيلة الشيخ عبدالرحمن أبو حجر

يكاد لا يختلف فضيلة الشيخ عبدالرحمن أبو حجر عن غيره من علماء الأزهر الذين قدموا الحجاز بطلب من الدولة السعودية للإسهام في دفع عجلة التعليم والثقافة، خاصة فيما يتصل بالعقيدة السلفية، تعرفت على فضيلته منذ قدومه مع أصحاب الفضيلة الشيخ عبدالظاهر أبو السمح والشيخ محمد عبدالرزاق، وتتلذذت عليه في المسجد الحرام وكانت حلقة درسه متواضعة لا تضم أكثر من عشرين طالباً يجلس إليهم ضحوة كل يوم، قرأت عليه سنن أبي داود، وأعجبني في تقريره وشرحه أنه يُعول على ما وقف عليه من شرح العلماء وأقوالهم ويذكر مفاهيمهم ويعتمد على اجتهاداتهم في

الحديث، ويتقيد بها؛ لذلك لم يؤخذ عليه مأخذ، ولم يحاسب على قول اعتمده أو قرره لطلابه، كنت إذا وقفت على درسه وجّه نظرك إليه بلهجته المغربية التي كثيرًا ما تسبق إلى لسانه على الرغم من محاولته النطق بالعربية الفصحى، فيه مرح لا يفارقه حتى وهو يلقي الدرس يضرب الأمثال بالنكتة المستملحة، ويحرك الشعور بالهباب الحماس في طلابه والإخلاص يدو واضحًا على محياه، فيجمع لهم بين العلم والمرح، فينتهي الدرس دون أن يشعر الطالب بملل أو ضغط فكري أو تعب نفسي، ومع الأسف لا أعرف الكثير من أخبار شيخنا أبي حجر لأنني لم أتعلم في صحبتته واتصالاتي به كاتصالاتي بالشيخين الكريمين الشيخ عبدالظاهر أبي السمح، والشيخ محمد عبدالرزاق، حتى هذه الكنية (أبو حجر) لست أدري من أين أتته؟! هل كانت عائلته تدعى بعائلة أبي حجر فاتصلت الكنية به؟ وكما كان يدور بخلدي أن أسأل فضيلته عنها في أية ساعة من ساعات انشراح صدره في الدرس أو بعد الدرس، ولكنني خشيت من ثورته، ومن أن يُسمِعني ما يشقُّ عليّ سماعه كما قيل: (من سأل عما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه)، فأحجمت، واكتفيت بالإفادة من حضور درسه والاتصال به في بعض الفترات في المسجد أيضًا.

فقد كان فضيلته انعزاليًا لأبعد الحدود؛ لذلك لم أحظ بزيارته في داره، كان انعزاليًا تمشيًا مع قول القائل: (ياغريب كن أديبًا)، أو تطبيقًا لبعض الآثار التي تُرجَّح العزلة، ثم انتقل بعد مضي فترة إلى جدة مدرسًا، ولست أدري عن سبب انتقاله ولا عن المسجد الذي انتقل إليه في جدة، وانقطعت صلاتي بفضيلته، ولست أعلم بعد انتقاله شيئًا من أخباره إلا ما كان يبلغني عن الوجيه الأفندي محمد حسين نصيف - يرحمه الله - فقد كان فضيلته على صلة عامرة به.

وإن شخصية كشخصية شيخنا فضيلة الشيخ عبدالرحمن أبي حجر ليس غريبًا أن تترك في نفسي أثرًا يتجدد كلما عرضت في الذهن هذه الشخصية،

أو تحدث عنها المعاصر لها طالبًا أو زميلًا أو غيرهما يرحمه الله

فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي

الصلة العلمية في كل دروبها ومختلف اتجاهاتها سواء كانت درسًا يلقي أم إرشادًا يملئ، أم نصيحة تبذل أم توجيهًا في كتاب أو مدرسة أو مسجد، هذه الصلة يبقى أثرها في النفس على الرغم من تقادم العهد أو طي الزمان لا يعنى عليها النسيان.

هذه مقدمة أكتبها في كل من كتبت عنهم من الشخصيات التي كان لها الأثر في نفسي، وفي حديثي اليوم عن فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي - يرحمه الله - رئيس جماعة أنصار السنة في القاهرة، ثم الواعظ في المسجد الحرام ومدير مجلة الإصلاح التي كانت تصدر بمكة في إشرافه العهد السعودي، ولعله كان مدرسًا في المعهد أيضًا، توثقت صلتى بفضيلته عندما كنت أجلس إليه في المسجد الحرام بين العشاءين في دروس الوعظ العام فألفيته بارعًا في تشخيص الداء ووصف الدواء كالطبيب الحاذق يؤثر بوعظه فتتجه النفوس إليه لأنه يأتيها من الناحية التي تجد فيها الراحة لبلواها والبلسم الشافي لطول عنائها، وليس في البشر معصوم إلا الأنبياء صلوات الله عليهم، فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، وتجد أيضًا النفوس الحل لشكواها، فمثلاً عندما يتحدث عن الآخرة ويقارن بينها وبين نعيم الدنيا الداوي يستعرض ما أعدده الله لعباده المتقين من النعيم الدائم، ويضرب له الأمثال من الوحيين ثم يقارن بينه وبين الدنيا، ويورد ما جاء في وصفها كقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَكِبَارٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ آجَبٍ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَسِيحُ فَرْدُهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَلًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ (٢١) سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ

اللَّهُ يُؤَيِّنُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١﴾ وهكذا يأخذ في وعظه في صوت جهوري وإلقاء بارع فصيح دون تلعثم أو إقحام جمل معترضة يرتكز عليها كما يصنع من يُخَصَّر من الخطباء والوعاظ، كان سريع البديهة قوي الحافظة، كأنك إذا جلست إليه جلست إلى عالم مُلهم لا تُعَوِّزُه الحجة ولا نقصه الإجابة إنها موهبة وهبه الله إياها يغبط عليها، وكان فضيلة الشيخ عبدالظاهر أبو السمع ينيبه أحياناً في الإمامة بالمسجد الحرام بعد انتقال الشيخ محمد عبدالرزاق إلى المدينة، وتوثقت صلاتي بفضيلة الشيخ حامد إذ كانت تتكرر معه الاجتماعات في مقر هيئة الأمر بالمعروف بمكة، أو في دور أحد المشايخ فلا يخليني من توجيهاته فيما يتصل بحياتي العلمية والدراسية المركزة المنظمة، وهو أول من شجعني على الدراسة في المعهد العلمي وحسّن لي الانضمام إلى طلابه ليكون تقويمي بحسب ما أحمله من المؤهل في زمن لا تبرز فيه الشخصيات إلا بمعيار الشهادات.

وكان - يرحمه الله - مرحاً لا تفارق الابتسامة شفتيه، كان ينتهج في ذلك المنهج النبوي يمزح ولا يقول إلا حقاً، وقد كان النبي في ذلك قدوته، ألم يقل ﷺ للمرأة العجوز: الجنة لا يدخلها إلا الشباب أو كلمة نحوها؟ وقال لمن طلب إليه ﷺ أن يحمله: (سوف أحملك على ولد الناقة) وهكذا كان الشيخ حامد - يرحمه الله - مع مرحة ينهى عن المنكر بأسلوب ساخر تنفيراً من الرذيلة، فجمع بين الشخصية العلمية والشخصية الاجتماعية، وكان بذلك علماً في المجموع.

برز نشاطه العلمي في مجلة الإصلاح أيضاً إذ كان رئيس تحريرها، جابه أذعبياء الإسلام والرد عليهم وتفنيدهم مزاعمهم، والمجلة في عهده أنموذج للمجلات الدينية المرموقة في مكة وغيرها. ولا أطيل في وصف واقع شيخنا الفقي، وإنما أكتفي بالكتابة عنه إلماعة - كما كتبت عن غيره - تصور شخصيته التي كان لها الأثر البارز الطيب في نفسي يرحمه الله.

فضيلة الشيخ سليمان أباظة الأزهرى

الشخصيات اللامعة والرجال الأفذاذ، وكل من يضطلع بمسؤولية في أي مجال للمسؤولية لا تكشفهم إلا مواهبهم، وما جبلوا عليه من خلال ومزايا لا تكون لغيرهم، وفي حقل العلم والمعرفة من المفروض في المعلم أن يرتفع بعلمه عن أن يهبط به إلى مستوى يزري به فيُحمله مسؤولية هبوطه، ويجعل المعلم في وضع النقد والمؤاخذه، ولذلك يقول الشاعر عن من يهبط بعلمه: (ولو أن أهل العلم صانوه صانهم) أي هبطوا بمستوى علمهم فهبط الناس بمكانتهم، ومن هذه المقدمة أخلص إلى الحديث عن فضيلة أستاذنا الشيخ سليمان أباظة الأزهرى يرحمه الله، إنه من أساتذتي في المسجد الحرام وفي المعهد السعودي، درست عليه في المسجد الحرام كتاب قواعد اللغة العربية، فكان - يرحمه الله - معتدًا بمكانته العلمية، معتزًا بأنه في عداد معلمي الخير في أقدس بقعة من بقاع الدنيا يقوم فيها مقام النبوة يقول بالنص دون زيادة أو تحريف، وما برحت أحفظ هذا النص لست أدري هل لأنه غريب؟ أو لأن من يزاوُل تدريس اللغة العربية ربما لا يصل بعلمه إلى طرق أبواب العلوم الأخرى الشرعية، يقول يرحمه الله: (إنني أجلس هنا مجلس ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وأسير على دربه في نشر هدي النبوة، وهو شرف عظيم ما كنت أحلم به). صحيح أنه شرف عظيم يجب تقديره، وحبذا لو كان مع دروس النحو دروس أخرى في العقيدة مثلاً أو غيرها من أصول الدين، فالأزهريون فطاحل لا يشق لهم غبار في هذا المجال، وإلى جانب اعتداده بعلمه واعترازه بمكانته كان حريصاً على نفع طلابه، ومن ثم كان شديداً عليهم لثلاث تفلت منهم فرصة الانتفاع بأي وسيلة، فإذا سمع مثلاً في الفصل صوتاً غريباً كفتح درج مقعد من مقاعد الطلبة خلع نظارته من عينيه وترك النظر في الكتاب، والتفت إلى الجهة التي كانت مبعث الصوت، وخاطب الطلبة بقوله: (الحركة دي من النحيا دي، فمن الذي قام بها؟ ومن هو باعثها؟). وعندما يصمت الطلبة

يبدأ بإخراجهم من الفصل واحدًا إثر الآخر، وقد يُخرج أكثر الفصل إذا لم يعلم بمصدر الحركة أو الذي قام به، ولقد أخرج ذات مرة عشرة من الطلاب وبقي معه في الفصل خمسة، ومرَّ بهم مدير المعهد فلم يستطع أن يحل الأزمة، ومضى في طريقه خشية من غضب الأستاذ إذ يرى ذلك تدخلًا في غير صلاحيته، وبالمناسبة أذكر أن طالبًا أمره الأستاذ بالخروج من الفصل فامتنع فترك الأستاذ المنصة وأقبل على الطالب ليخرجه بالقوة، فهرب الطالب إلى ناحية أخرى في الفصل فلحق به الأستاذ حتى أمسك به، ودفعه من الفصل دفعة شديدة ثم قال الأستاذ كلمته المأثورة: (الدهن في العنقاقي) بالهمزة لا بالقاف، وحتى الآن لم أعرف لهذه الكلمة مدلولًا؛ لأنها كلمة مصرية، ومع هذه المعركة بين الأستاذ والطالب كنت لا تسمع للطلبة همسة، بل ولا ابتسامة خشية أن ينبري لهم الأستاذ فيسمعهم قارص القول أو يشبعهم لومًا. وقد يتساءل بعض القراء الآن عني وعن سياسة الأستاذ معي، وهل بدر مني ما يوجب إخراجه لي من الفصل، فأقول: نعم حدث أن فتحت درج المقعد لأبحث عن ورقة تتعلق بالدرس وكنت في المقعد الأول أمام الأستاذ فخلع نظارته ونظر إليَّ شزرًا وقال: وأنت أيضًا يا شيخ عبد الله؟ لقد كان يحترمني - يرحمه الله - لأنني كنت أكبر الطلاب في الفصل فخفضت رأسي خشية من الحرمان من الحصة الدراسية، ولم أعد بعدها إلى مثل فعلتي، وهذه الشدة كان يسلكها مع طلابه في المسجد الحرام، ففي المعهد كان يخرج الطالب من الدرس أما في الحرم فماذا يصنع؟! لاحظ ذات مرة على طالب في الحرم ما يوجب المؤاخذه فانتهره فقال له الطالب: هل تأمرني بالخروج من الحرم؟ فقال له الأستاذ: لا، ولكنني أمرك بأن تخرج من درسي. وكم له - يرحمه الله - من أمثال هذه الشدة التي قد يراها بعض الناس في مصلحة الطلاب حرصًا على نفعهم، ومع ذلك كله وكيفما فسرت به شدته إلا أنه ترك في نفسي أثر العالم الذي يحترم علمه، لم يستجد به أحدٌ أو يتوسل لبلوغ غاية أو حظوة، أو يتدلى

للمنافقة لرئيس أو المجاملة لصاحب شأن، رحمه الله وأنزله منازل
الرضوان.

فضيلة الشيخ عبيدالله السندي الديوبندي

التواضع ونكران الذات لأبعد مدى هو سمة في بعض الناس لا تنفك
عنه يحاول أن لا يصدر منه إلا الكمال، والكمال لله وحده، غير أن من
حاول التحلي به كان علماً بارزاً في المجموع خاصة في الأوساط التي
يغلب عليها حب التعالي والظهور، عرفت فضيلة شيخنا عبيدالله السندي
منطوياً على نفسه، متواضعاً في كل شيء في خلقه وبزته، وفي معاملته
للناس ومخاطبتهم، وفي مجامعهم أيضاً مع أن له من علمه وفضله
وشخصيته وكرم نفسه من المحامد والفضائل ما يجعله في الطليعة، كان له
مجلس في المسجد الحرام بجوار باب الداودية في العهد القديم تراه وهو
ممسك بعباءته المتواضعة وعليه قميص وفوق رأسه عمامة مكورة وكأنه من
الفقراء الزاهدين، وعندما تقترب منه أو تتحدث إليه أو تكون لك به صلة
علميه تجد البحر زاخراً يبرز الأقران ويأخذ بمجامع القلوب، وتود لو أن
في المجموعة الكثير من أمثاله، قرأت عليه في المسجد الحرام وفي
حصباء باب الداودية صباحاً كتاب تنوير الحوالك شرح موطأ مالك فكان
تدريسه هذا المرجع العظيم وكأنه من البديهات لسعة علمه واتساع أبعاد
بحثه وشرح المصطلحات فيه، لا تعوزه فيه مشكلة يعجز عن بسطها أو
يقعد عن المقارنة والجمع بين الأحاديث والاستنباط في أوسع دروبه
وإيراد أقوال العلماء وشروحهم؛ إنه - بحق - عالم لا يشق له غبار أو
يدرك له سبق على الرغم من أن في لسانه لُكْنَةٌ ولكنها لم تؤثر في بسطه
القول أو تقعد به عن البيان باللغة العربية الفصحى، كما أفدت كثيراً من
تعليقاته على كتاب المسوى شرح الموطأ أيضاً للإمام ولي الله الدهلوي
إخراج الشيخ عبدالوهاب الدهلوي يرحمهما الله، وأورد على سبيل المثال

بعض تعليقاته - يرحمه الله - لأبرهن عن سعة علمه وقوة إدراكه، على
 على قول المؤلف في فرضية القعود في آخر الصلاة فقال: فرضية القعود
 في آخر الصلاة ليس مما اتفق عليه المحققون، بل خالفهم الطحاوي
 فأثبت وجوبه في باب مخصوص من معاني الآثار، وصاحب الهداية
 صحح قول الطحاوي في كتاب سجود السهو والله أعلم. وكتبه عبيدالله
 السندي الديوبندي. هذا مثال واحد من تعليقاته الكثيرة على كتاب
 المصوى وفيها المنقول على الشاه ولي الله وغيره مما يبدو منه جهد
 فضيلة شيخنا في البحث، كان - يرحمه الله - كما قلت في صدر المقال
 منطويًا على نفسه مما جعله يقاطع المجتمعات والندوات، ولم تكن له
 صلة إلا صلة العلم أو بمن يشاركه في أحاسيسه وشعوره فيحرص على
 لقائه بل وزيارته، لم يعرف عنه أنه أعلن عن شخصيته بأية وسيلة على
 الرغم من أن له في وطنه شهرة وجهادًا ملحوظًا مع المستعمر وحملات
 مكثفة ضده حتى أوى إلى البلد الأمين مستظلًا بظله ناعمًا بواقر الأمن فيه
 مُطلقًا للسياسة مكتفيًا بالاشتغال بالعلم ونشره وبذل كل جهوده في التعليم
 والبحث، كانت له مع الشيخ عبدالظاهر أبو السمع والشيخ محمد
 عبدالرزاق حمزة مجالس مذاكرة أشبه بمناظرة ترجح فيها كفته وتغلب
 حجته يرتفع فيها صوته وكأنه يجادل أو يبارز خصمًا، وكان من تلاميذه
 السعوديين الذي لازموه ملازمة الظل في المسجد والدار وأخذ عنه حتى
 من أخلاقه الأخ الأستاذ محمد نور المرشد، إنه صورة من شيخنا، وكم
 كان يفيض علينا مما أفاده من الشيخ حتى كأننا نواجه الشيخ نفسه،
 وهكذا كما تأثر الأخ محمد نور تأثرت أنا أيضًا بشخصية فضيلة الشيخ
 عبيدالله السندي، وكنت أتمنى أن أسير على دربه وأقتبس من أخلاقه،
 وأبتعد عن الأضواء كبعده، ولكنني لم أستطع مجاراته للفارق أولًا في
 البيئة والنشأة وماضي حياته، ثانيًا في انعزاليته والاكتفاء بإشاعة العلم بقدر
 المستطاع، ولله في خلقه شؤون، أسأل الله أن يتغمده برحمته.

فضيلة السيد أحمد العربي

لقد اطلعت في العدد (٦٤٨٥) من صحيفة المدينة على مقال ضافٍ عن السيد أحمد العربي وأنه من رواد العلم والثقافة في الوطن العزيز، والمقال يحيي صورة من تاريخ حياته منذ أول نشأته وكنت في حاجة إليه لاعتزامي الكتابة عن فضيلته في إطار الشخصيات المرموقة التي كان لها الأثر في نفسي، ولن أكتب عنه إلا من هذه الرواية التي عقدت لها العنوان (شخصيات لها أثرها في نفسي) على اعتبار أن له حق الأستاذية، والواقع أنه لم يكن أستاذًا لي وحدي عندما كان يزاول مهنة التدريس، بل كان - كما سطر في المقال آنف الذكر - أستاذًا لشخصيات لها وزنها بين أمراء ووزراء وغيرهم ممن لهم شأن وأي شأن، غير أن كلاً من طلابه كان في فترة معينة وفي معهد دراسة لا يجتمع فيه مع الآخر فالأمراء مثلاً في الرياض، وغيرهم في الحجاز في المعهد العلمي أو تحضير البعثات، أما تلمذتي على فضيلته فكانت في المعهد العلمي السعودي بمكة في دورة من أدواره عندما كان يزاول فضيلته التدريس دون الإدارة، تتلمذت عليه في تاريخ الأدب العربي، وما في إطاره من فصول في أزمنة مختلفة، درست مثلاً العصر الجاهلي وشخصيات من خطبائه وشعرائه وبعضاً من الشعر والنثر في هذا العصر، ومن الشخصيات التي درستها على سبيل المثال شخصية قس بن ساعدة وخطبته المشهورة في سوق عكاظ والتي كانت عامرة بالمواعظ منها قوله: أيها الناس اسمعوا وعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات. ومن عيون شعره قوله:

في الزاهبين الأولين ين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر

إلى آخرها، وهي مما لا يزال عائقًا بذهني حتى الآن، لست أدري ألاني كنت أزاو الوعظ في فترة فيعجبني كل ما قيل في الوعظ؟! أم

لبلاغتها وسمو معانيها؟ ومن دراسة نماذج من الأمثال الجاهلية والخطب والوصايا كما درست المعلقات وغيرها، ومن دراسة العصر الجاهلي إلى عصر صدر الإسلام فالدولة الأموية، وفي هذا العصر مصادر الأدب الإسلامي وألوان منه، وفي طليعته الشعر عند الرسول (ونماذج من الشعر الأموي، ثم درست العصر العباسي ونماذج من الشعر والنثر فيه، وعرض سيادته للكثير من الشخصيات وبسط القول عن حياتها وآثارها ومدى الانتفاع من إنتاجها، ولا أطيل العرض واستقصاء كل ما كان يدور في الدراسة من مناقشات مع سيادته طلباً للمزيد من المعرفة والكثير مما وهب الله أستاذنا من البيان وسهولة الأسلوب وجمال العرض، كان يقف على منصة الأستاذ في الفصل ويتناول أي موضوع أو شخصية أو قصيدة فيأخذ بلبّ الطالب فلا ينصرف عنه إلا وقد أخذ بكل شعوره، وإنك لتعجب من أستاذ هو خريج دار العلوم العليا في القاهرة تكون لديه هذه الملكة في التصوير واتساع أبعاد الثقافة لدرجة أنه إذا حدثك عن شخصية إسلامية أو جاهلية في أي عصر من العصور كأنه وقف على كل صغيرة أو كبيرة من حياتها، إنها موهبة يهبها الله لبعض خلقه فيكون المبرز في المجموعة، ومن ذلك الاستعداد وصفاء الذهن.

كان سيادته إلى جانب التدريس يشتغل بنظم القريض بوصفه شاعراً له اليد الطولى في هذا المجال أوله مقطوعات وقصائد عامرة بالمعاني والأهداف الرفيعة، سألته أحد الطلبة في حصص الدراسة عن شِعْره وعن عدم فرض استظهاره على الطلاب بوصفه جزءاً من المقرر فأجاب سيادته في تواضع ونكران للذات: إن شعري ما برح يتدرج في النمو، أما الاستظهار فللشعر الذي يفيد منه الطالب الكثير من الألفاظ والمعاني الرفيعة المشتملة على رصيد ضخم من اللغة العربية. وثمة شيء آخر يجب تسجيله لسيادته من الفضائل إلى جانب التواضع ونكران الذات شيء أدين له فيه بالفضل ألا وهو التمهيد لتمكّني من إدارة مدرسة الأمراء خلقاً له، فلقد كان

المؤسس لها فوطد دعائمها، وعوّد طلابها على الأخذ بالتعليم الحديث المنظم، فعندما خلفته وجدت طريقًا مفروشًا ممهدًا درجت عليه دون عناء ومتاعب، كل ذلك وغيره كثير ترك في نفسي الأثر الطيب الذي لا يمحوه تقادم العهد وظروف الحياة، أمدّ الله في عمره، وجعله على الدوام أنموذجاً للرجال الأفذاذ والرواد لكل ما فيه الصالح العام.

فضيلة الشيخ إبراهيم الشورى

إن كان لي نحو كل من كتبت عنه من أساتذتي انطباعات جعلت له الأثر العظيم في نفسي فإن لأستاذنا الشيخ إبراهيم الشورى - يرحمه الله - في نفسي انطباعات تكاد تكون من أروع الانطباعات لطول صحبتي له في مجالات كثيرة، أولها تلمذتي عليه في المعهد العلمي السعودي، فقد كان إلى جانب قيامه بإدارة المعهد يزاوّل التدريس، تلمذت على فضيلته في علم أصول التربية والتعليم، فكان علمًا بارزًا في الشرح والإيضاح وتذليل كل النظريات التربوية الحديثة، وتلمذت عليه في اللغة العربية فكان محاضرًا من الطراز المرموق تراه عندما يقف على منصة الأستاذ يقرر الدرس كأنه حفظه على صدره، لا ينظر إلى كتاب، ولا يرجع إلى فلسفة النحويين، بل يمضي على سجيته معتدًا بسعة أفقه، معتزًا ببراعته في الإلقاء والتصوير، ولقد نجح المعهد في عهد إدارته لأنه - يرحمه الله - كان ذا شخصية قوية لها وزنها وقيمتها، يضع الأمور في نصابها، ويسوس الطلبة وهم كبار السن صعبو المراس ولكنهم في الأخذ بالواجب لا تسمع من أحدهم نامة، ولا ترى سوى الاستجابة والتعاون معه على إبراز المعهد في طليعة الأوساط العلمية حتى ذاع صيته. وعملت مع أستاذنا مرؤوسًا عندما أسندت إليّ إدارة المدرسة الفيصلية وكان فضيلته وكيلاً للمعارف عام ١٣٥٢هـ، فكان من خير من سار بالمعارف خطوات ملحوظة في المجال العلمي، وأذكر من مديري المدارس نخبة عُيّنت بتغيير المنهج تحت رئاسته، ثم مرت الأيام وتغيرت

الأوضاع فكان لي شرف مزاملة شيخنا عضوًا في اللجنة الثقافية العاملة برابطة العالم الإسلامي وذلك في عام ١٣٨٠هـ، وضمت اللجنة أعضاء علماء لهم وزنهم، فشمّل فضيلة شيخنا الجميع بلباقته وتواضعه وكرم خلقه فغدوا يعترفون بفضله ويجلون رئاسته، ولرغبة فضيلته في إشاعة الخير كان يمد الإذاعة بأحاديث هادئة هادفة تجمع بين إصلاح العقيدة وحس المعاشرة وتفسير القرآن الكريم.

ولمزيد من الإيضاح عن شخصيته نشير إلى شيء من الوظائف التي زاولها، وأثبت فيها جدارة ومهارة، وعن مبدأ نشأته.

حفظ القرآن في سن التاسعة والنصف، ثم تدرج في حقل التعليم ف قضى في الأزهر أربع سنوات، وانتظم في سلك طلاب مدرسة القضاء الشرعي، ثم في سلك طلاب دار العلوم وذلك سنة ١٩١٦م، ثم غادر مصر إلى المملكة العربية السعودية مفتشًا في المعارف فمديرًا للمعهد وذلك عام ١٣٥٢هـ وبقي حتى عام ١٣٥٥هـ، وكانت ثمار فضيلته قد برزت بإخراج أفواج من طلاب المعهد تحمّلوا مسؤوليات في الدولة، ثم عمل مديرًا للدعاية والحج، ثم نُقِلَ مستشارًا لإمارة الظهران، وعاد بعد ذلك إلى المنطقة الغربية حيث تعين مديرًا للإذاعة إلى عام ١٣٦٩هـ، ثم عين وكيلًا للإذاعة من عام ١٣٧٥هـ حتى عام ١٣٨٩هـ، ثم التحق برابطة العالم الإسلامي - كما تقدم آنفاً - مديرًا للجنة الثقافية العاملة، وما برح يشغل هذه الوظيفة حتى وافاه الأجل المحتوم في القاهرة يوم الأربعاء ١٠/٦/١٤٠٤هـ، أسأل الله أن ينزل عليه شأبيب الرحمة والرضوان، ولقد كان لكل الانطباعات نحو فضيلته الأثر البارز لشخصيته في نفسي، كيف وقد عشت معه دهرًا، ونعمت بصحبته في مختلف المجالات أمداً طويلاً، رحمه الله.

سيادة الأستاذ محمد صادق الكردي

لقد كان من الواجب أن تكون الكتابة عن سيادة الأستاذ محمد صادق

الكردي في طليعة من كتبت عنهم من الشخصيات التي لها الأثر في نفسي لمزيتين أو باعشرين؛ الأول الجوار، فقد كان لي شرف الجوار في الدار عندما كنت أسكن مع أسرتي في حي القرارة، وكان والد الأستاذ يغمرنني - كغيري من الجيران - بلطفه وعطفه كلما مررت ذهاباً وإياباً، وكنت أغشى مكتبته العظيمة التي حوت من كنوز الكتب النادرة في مختلف العلوم والفنون فأجبل الطرف في بعض ما يعنُّ لي قراءته أو دراسته، وكانت دار فضيلة الشيخ ماجد الكردي مضيئة ودار مطالعة يؤمها الزوار من أعظم البلاد الإسلامية! إما ضيوفاً على فضيلته أو للمطالعة في مكتبته، فيجدون منه الترحيب وكرم الضيافة وحسن الوفادة، ولا يؤم المكتبة طالب علم إلا ووجدها مفتحة الأبواب تستقبله بأحسن ما يستقبل به زائر كريم، فيغادر الدار يشني على صاحبها ويلهج بالدعاء له، وفي هذا الوسط الذي جمع الفضائل والمكارم تربي سيادة الأستاذ محمد صادق الكردي أستاذنا الجليل - رحمه الله -، ومن هنا أبدأ الخطوة الثانية في الكتابة عنه: لقد أنهى دراسته - على ما أذكر - في مدرسة الفلاح المكية، ومدرسة الفلاح كانت كجامعة في أم القرى، وخريجها كخريج الجامعات، ومن أراد التدقيق والتحقيق عن ذلك فلينظر منهجها وأقسامها، ونخص من بين الأقسام القسم العالي الذي تخرج منه سيادة الأستاذ صادق، وإنني إذ أكتب عنه لا أحكي أمراً سمعته عنه ولكنني أقرُّ واقعاً عشته معه حتى تخرجت من المعهد، تتلمذت عليه في قراءة القرآن الكريم، وكنت - بفضل الله - من حفاظه فاستغل سيادته ذلك واكتفى بتوجيه الطلاب إلى قراءتي وسماع الترتيل والتجويد ومعرفة الأحكام، وتمضي حصة القرآن دون أن يبدى أي ملاحظة، بل يشجع الطلبة على احتذائهم حذوي، ومحاكاة قراءتي، ولو ترى سكونهم واستماعهم للقراءة لعجبت أي عجب كأن على رؤوسهم الطير، إذ يرون أستاذهم الشيخ صادق قد ذهب في الخشوع أبعد مذهب. وشيء آخر من حقي أن أسجله لسيادة أستاذنا وهو التهييب من درس الرياضة، وقد قيل: إيه

من أوتي موهبة الحفظ فَقَدْ موهبة الفهم ولست أدري عن مدى صحة هذا القول لدى المربين، ولكنني بالتجربة العملية كنت أعاني من دروس الحساب والجبر والهندسة ما يعاينيه أضعف الطلبة فيها إدراكًا، فحاول سيادة أستاذنا أن يبعد عني شبح الخوف والتهيب وتقدير الفشل في دروس الرياضات، وأن أضع في حسابي أن كل شيء مع بذل الجهد وتكرار المحاولة لا بد أن يبلغ فيه المرء ما يريد، كان ويرحمه الله يبسط شرح المسائل الحسابية والجبرية ثم يأخذ في حل نظائرها على السبورة، ولم يكتف بحل مسألة واحدة بل يعيد ويكرر في حل مسائل أخرى حتى يوقن بأن أكثرية الطلبة قد وَعَوَا وأدركوا طريقة حل المسائل، وأن المعول على الصبر، وألقى في رُوعهم أن ما تعذر فهمه اليوم وتعسر حله سوف يتيسر في الغد، وعلى هذا التشجيع سار بطلابه نحو التضحية وبذل الجهد، ويردد لهم قول الشاعر:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
ثم يكلفهم بواجبات حسابية ليشغلوا بها أوقات فراغهم ونشاطهم في الدار، كل ذلك في إطار الواجب الدراسي، وثمة ما يجب أن يكون في طليعة ما يسجل لسيادته ألا وهو الحلم والتواضع، فكم يبدر من بعض الطلبة هِنَاتٌ ليست بالهينات ولكنه يقابلها بالحلم والصفح وعدم المؤاخذه، فلا أذكر أنه أخرج طالبًا من الفصل لسوء أدبه، كان يجلس الطلبة ويحترم مكانتهم؛ لأنهم طلاب علم، فلا يدعو أحدًا باسمه بل يضيف إلى اسمه يا أستاذ فلان، أو يا شيخ فلان، أو يا أخ فلان. وكل هذه الخصال الحميدة والمزايا الفاضلة قل أن تجتمع في شخصية إلا تركت لها أثرًا طيبًا في النفوس، فكيف بالنسبة لي وقد حظيت بكرم جواره وعطف والدته ورعايته، ثم بالتلمذة عليه، لا ريب أن تكون شخصيته في مقدمة الشخصيات التي تركت في نفسي أعظم الأثر رحمه الله، فقد كان أنموذجًا رقيقًا للاقتداء به، ألا ما أفضل القدوة بالعاملين الصالحين.

سيادة الأستاذ محمد حلمي

كم في الدنيا من شخصيات لها الأثر البارز في المجتمع للخدمات التي قدموها والثمار الطيبة التي أنتجوها، فَتَعَمَّ الكثير باجتناثها سواء كانت تلك الشخصيات في الماضي أم الحاضر والمستقبل، فالخير في هذه الأمة إلى قيام الساعة، والخيرون ما برحوا نجوًا تتألق فتبدد الظلام وتهدي إلى الجادة، والشخصيات التي نعنيتها والثمار الطيبة التي سعد المجتمع باجتناثها لا تنحصر أو تكون ثمارها في إطار واحد، فمنهم العلماء والأدباء، ومنهم من طرق أبواب المعرفة في مختلف دروبها، وكان منهم متابعون وطلاب متميزون، ومن ثم نجد المدخل للحديث عن سيادة الأستاذ محمد حلمي الخطاط، وأضيف لفظه الخطاط لأنه شُهرَ بتعليم الخط. فقد كان يمارس تعليمه لطلاب يتزايد عددهم يومًا عن آخر في حلقة بالمسجد الحرام عندما كان للخط وزنه، وكانت عناية الناس به ملحوظة، أو عندما كان التعليم النظامي محدودًا في مدارس معدودة أهلية وحكومية، وتركز في ذهن بعضهم أن لا حاجة إليه لأن يتشعب ذهن ابنه في الأخذ بدروس قد لا يستثمرها أو تفيده في الحياة العملية، وثمة فكرة أخرى لست أدري كيف كان لها الرواج لدى بعض أولياء أمور الطلبة وهي أن من يُدخل ابنه المدرسة فقد عرَّضه للتجنيد، من أجل ذلك كله كان تعليم الخط والحساب على أيدي أساتذة مختصين غاية الأمل ومنتهى الرغبة، وكان الأستاذ محمد حلمي المُجَلِّي في هذا الميدان، وله حلقة كبيرة في المسجد الحرام يقبل طلابها على تعليم الخط والحساب بمكة، غير أنه ما لبث أن تغير الوضع، وأدرك الناس أن قيمة الإنسان ما يحسنه، ومهما أخذ بأطراف العلم فهو في حاجة إلى المزيد كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَوْتِنْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فبدأت فكرة تعليم الخط وحده تنقلص من الأذهان عندما أخذت المدارس الحكومية والأهلية يتزايد عددها وتمتد إلى أكثر الأحياء، ولعل فكرة التجنيد أيضًا قد تبخرت، وعندئذ التحق معلمو الخط بالمدارس، وأخذ نشاطهم يتكثف، ومجموعات

طلابهم تكثر فبدلاً من أن يكون نشاطهم محدوداً على عدد معين من الطلاب أصبح نشاطهم في المدارس على عدد طلابها، وأصبحوا أساتذة في مجموعة الأساتذة. لقد بدأت صلتني بسيادة الأستاذ محمد حلمي الخطاط إذ كنت طالباً في المدرسة الفخرية بمكة، وحانت فترة الاختبار النهائي، ودعت المدرسة الأستاذ محمد حلمي الخطاط لهذا الغرض، فكلف الطلبة بمحاكاة كتابة سطر من الكراسة لوضع الدرجات المستحقة عليه بالنسبة لكل طالب، وجاء دور المقارنة بين خطي وخط أحد الطلاب الزملاء فأكرمني سيادته بوضع درجات أكثر من الدرجات التي وضعها لزميلي، وسنده في ذلك أن خطي كان مطابقاً للقاعدة، وأن خط زميلي أروع من حيث المظهر، ولعل هذه المجاملة لي وتقدير الدرجات لاعتبارات في نفس الأستاذ إما لكبر سني أو لأنني كنت في كتابتي موافقاً للقاعدة، وكنت إزاء هذه المجاملة أجزلُ الأستاذ وأقدره، ثم دارت الأيام دورتها فحظيت بلقاء أستاذه حلمي مدرساً للخط والإملاء في المعهد العلمي السعودي فتوثقت الصلة بيني وبينه. ولا أطيل الحديث في شرح طريقته في تعليم هذين الفنين، بل أقفز إلى موضوع آخر وذلك بعد تخرجي من المعهد أسندت إليَّ إدارة المدرسة الفيصلية، وأضحت الصلة بيني وبينه صلة صداقة ينميها دائماً باتصالاته الخاصة، وانتقلت بعد ذلك إلى إدارة مدرسة الأمراء أنجال جلالة الملك عبدالعزيز بالرياض، وبعد عودتي إلى وظيفة مستشار للتعليم بمكة تجددت الاتصالات بأستاذه وكانت عامرة فريدة في الصداقات، وعندما انتقلت الوزارة إلى الرياض وأسندت إليَّ وظيفة المشرف على إدارة التعليم بمكة كان الأستاذ حلمي من أقرب الناس إلى نفسي، ثم كانت خطوة أخرى حين انتقلت إلى مستشارية أنشأتها وزارة المعارف، وبعد إسناد وظيفة مدير التعليم لسيادة الأستاذ عبدالله بغدادي وربطت الوزارة بهذه المستشارية سيادة الأستاذ طاهر الكردي والأستاذ محمد حلمي الخطاط وكان ذلك من غرائب الأمور بالنسبة لوضعي، فصاحب اللمحات تلميذ يصبح رئيساً لأستاذه، ألا

ترى في ذلك عجباً؟! غير أن في الدنيا الكثير من الأعاجيب، ولكن شخصية أستاذه المتواضع كانت تُدْغِرني بالماضي وتزيد من رعايتي له وتقديري وبعد فإن شخصية الأستاذ محمد حلمي الخطاط لا تزال من الشخصيات البارزة التي تركت في نفسي أثراً طيباً لا يمحوه تباعد الأشباح بظروفي الحياة، ولا يعفي عليه تقادم العهد وتصرم السنين، أسأل الله له المزيد من العمر والإحسان من العمل؛ إنه أكرم مسؤول.

فضيلة السيد طاهر الدباغ

يقولون: إن المسؤولية تكليف لا تشريف، أو قد يكون المرء ذا شخصية لامعة بين المجموعة، أو قد يكون مرموقاً معظمًا لعلمه أو خلقه أو شرف نسبه وحسبه، أو لأي منقبة فيه تجعله في الطليعة، غير أنه إذا تحمل مسؤولية في أي مجال من المجالات فقد تحمل عبئاً وكُلِّفَ وضْعاً من حقه عليه أن يخلص في الاضطلاع به، ويضحى بالكثير من نشاطه وصحته وجاهه، وإن شئت فقل: وماله أيضاً لنجاح ما كُلفَ به من مسؤولية، وإلا كشف عواره وتضاءلت شخصيته وانمحت آثاره، والمسؤوليات متعددة الجوانب، تكثر فيها التكاليف وتتنوع الاتجاهات، يترجم عن ذلك الحديث النبوي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته؛ الإمام راع ومسؤول عن رعيته) متفق عليه. إذن فكل مسؤول في المجتمع من المفروض عليه أن يقوم بمسؤوليته دون تمييع وعدم مبالاة أو استهتار بها، ولعلنا نجد من هذه المقدمة المنطلق للحديث عن سيادة السيد طاهر الدباغ وصلتي به مرؤوساً إذ كان مديراً للمعارف العام وكنت مديراً للمدرسة الفيصلية بمكة، فبدأ مسؤوليته ونشاطه بزيارة المدارس، وحفز همم المديرين والمدرسين للأخذ بالحزم في واجبه، وتوعد من يتخلف أو يقصر في أداء الواجب بوعيد يترجم عنه قوله يرحمه الله: (نحن نعرف كيف نقلم الأظافر). وتقليم الأظافر في الواقع لا

يعني غير المجرم، وإنما توعد به سعادته من يقعد عن واجبه إمعاناً في الترهيب، وكان في المدرسة الفيصلية بحمد الله عدد من الأساتذة من خريجي المعهد العلمي الذي درسوا فيه أصول التربية والتعليم، فلم يكن لمفتش أو غيره أن يقدح في مقدرتهم لأداء مهمتهم وبذل نشاطهم الملحوظ فأمضيت مع سيادته بضع سنين كانت نهايتها عام ١٣٥٥هـ وكلها تقدير من سيادته لمكانتي وإخلاصي في واجبي. حتى لقد أعجب سيادته بهذا السلوك معه والتعاون في إدارته، فعندما وُشِيَ إليه واشٍ بما لعله أن يُشكَّك في إخلاصي وتعاوني لم يطب نفساً حتى حدَّثني بما وُشِيَ به إليه الواشي وقال: قيل لي: إنك محسوب على الشورى، أي أستاذي الشورى سلفه في الإدارة، ومعنى ذلك أن مظهر إخلاصي مدخول لأن عواطفني مع الأستاذ الشورى، ولكنني لم أر منك طوال هذه السنوات الأخيرة إلا تعاوناً مع الإدارة، فأجبت بكلمة مقتضبة اقتنع بها وقدَّرني بعدها تقديراً لا مزيد عليه أجبت قائلاً: الأستاذ الشورى هو أستاذي، وتلمذت عليه، ومن حقه عليّ أن أفي بعهده، وأن أخلص لشخصه، أما سيادتكم فرئيسي، ومن واجبك عليّ أن أتعاون معك، ولا أخرج عن أمر فيه مصلحة للمدرسة رأيتها فأمرت به. وبلغ من ثقة سيادته بي أن رشحتني مديراً لمدرسة الأمراء أنجال الملك عبدالعزيز في الرياض، وأبدى من الاستعداد الكبير لمساعدتي لو قبلت العمل الجديد، ومن ذلك أنه ترك لي اختيار هيئة التدريس التي تزامنني في العمل، وتلك خطوة مهمة في سبيل النجاح في المهمة، وتم التعيين وسار العمل في مدرسة الأمراء على خير ما نرجو بفضل الله وكرمه، غير أن بعض الأساتذة ممن شق عليه فراق الأهل والولد كان لا يرغب في الاستمرار في الوظيفة فيُستبدل بغيره بعد انتهاء السنة الدراسية، ولثقة جلاله الملك - رحمه الله - بكاتب هذه السطور أعطى سيادة مدير المعارف أمراً مفتوحاً في كل ما يتصل بوضع المدرسة، فكان سعادته يُنفَّذ كل ما أقترحه وأشير به دون العرض على جلالته أو انتظار أخذ موافقة، وتلك ثقة غالية

من ملك عظيم رفع الله درجاته في عليين، ومع هذه الصلاحية التي منحها جلالته لمدير المعارف كانت له نظرة في الشخصيات التي اختار مزاملتها فيبدي فكرته من باب النصيحة، ومن ذلك أنني اخترت شخصية سعودية بالتجنس فأبدي لي فضيلته وجهة نظره وقال: إن هذه الشخصية قد تكون غير مرغوب فيها. فوجهني فضيلته إلى أمر لم يقع في حسابي فعدلت عن الترشيح وتجنب مشكلة لعلها من أهم المشكلات، وانتقلت إلى شخصية أخرى لا تحوم حولها أية شكوك. وكان فضيلته عندما يصدر أمر جلالة الملك - يرحمه الله - بترحيلنا كل عام من مكة يُعنى كل العناية بالأمر ليتم الترحيل سريعاً ويذلل كل عقبة تكون باعثاً على إرجاء السفر، أو تتطلب مراجعة لمسؤول آخر في إدارة أخرى، فيتابع - يرحمه الله - الموضوع بنشاط، ولا يعرف الكلل والملل على الرغم من أن لديه مسؤوليات عمله المتعددة الجوانب، وانتهت الفترة التي كان فيها سعادته يتسنى مديرة المعارف وكنت خلالها موضع التكريم من سيادته والتقدير الشخصي ورعايته لمكانتي الأمر الذي جعل لشخصيته - رحمه الله - الأثر العظيم في نفسي.

فضيلة الشيخ محمد بن مانع

العلماء نجوم تتألق في المجتمع تنير السبيل وتهدي إلى الجادة؛ ليستقيم المجموع على نهج الهدى، ولذلك رفع الله من شأنهم ووجه الأنظار إليهم فقال عز من قائل: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ وقال تعالى في المقارنة بينهم وبين سواهم من الدهماء: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَكْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَكْمُونَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي يُشهد الله فيها بالعلماء ويرفع من شأنهم. هذه مقدمة وإن كانت تعني العلماء جميعاً إلا أننا نكتبها لنخلص منها إلى الحديث عن فضيلة الشيخ محمد بن مانع - يرحمه الله - الذي أسندت إليه مديرية المعارف خلقاً للسيد طاهر الدباغ، وكانت صلتني به صلة موظف برئيسه يسير طبق ما يرسمه من تخطيطات لو كان ثمة تخطيطات

للإصلاح، كنت في الفترة التي شغل فيها فضيلته مديرية المعارف مديراً لمدرسة الأمراء بالرياض، وتقتصر صلتني به على الأمر بتجهيز الكتب الدراسية والإشعار بالرحيل إلى الرياض كل عام وما إلى ذلك مما هو مناط بمدير المعارف بوصفه مسؤولاً في الدرجة الأولى، وعندما قوضت مدرسة الأمراء خيامها لوفاة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - عدت إلى الحجاز مستشاراً للتعليم إلى جوار فضيلته، وفي الغرفة الخاصة به وقفت على الكثير من مواهبه العلمية، والسيرة التي كان يسلكها في عمله، وعلى سبيل المثال لا أنسى أن فضيلته كان يقابل كل مراجع من المدرسين أو مديري المدارس بسؤال علمي لعله يكشف عن قدرته العلمية، كان إذا غشي مجلسه مدرس أو مدير يواجهه بمجموعة من الأسئلة في حدود اختصاصه، فإن كان اختصاصه في اللغة العربية قال له: (أعرب هذا المثل، أو اقرأ هل هذه العبارة صحيحة). وهكذا فإن كان مسدداً في إجابته وقليل أولئك الذين يصادفهم التوفيق لأن لكل قادم دهشة؛ إذ لم يدر بخلده أن مدير المعارف سوف يضعه موضع التلميذ يختبره في حصيلته، إن كانت الإجابة مسددة أثني عليه ونظر في مطلبه، وإن كانت على العكس ردد على مسامعه: لا، الفِكر خَوَّان. ثم أوضح الإجابة ويغادر المسؤول المعارف وهو يعرض بنان الندم لإخفاقه في الإجابة، وإذا كان السؤال يتصل بعلوم الدين كالتوحيد أو التفسير أو الحديث أو غيرها وأخفق المسؤول فإن فضيلته ييسط درساً واسعاً في المسألة وكأنه أمام حلقة تدريس في المسجد، وكنت في الواقع أجد المتعة في أسئلة فضيلته ﴿وَمَا أُوتِئْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ فكم سمعت من فضيلته الكثير من منظومة ابن القيم الثنوية، وكم أفدت من أبيات في الفقه الحنبلي كان يحفظها فضيلته، ولو لم يكن لي من مجالسته في العمل غير هذه الفوائد العلمية التي اقتنصتها لكفاني ذلك عن كل عمل. ومن الطريف أن مراجعاً قدم عليه في مطلب عاجل فواجهه بسؤال في النحو وآخر في الفقه وكان المدرس حاداً المزاج فجابّه الشيخ بقوله: (يا مولانا هل تحسبني

عالمًا مثلك، إنني مدرس، في حدود اختصاصي ناجح، ولديكم تقارير المفتشين عني إن كنتم في شك من قدرتي، ولم تسند إليَّ هذه الوظيفة إلا باجتيازي الاختبار، فهل الاختبار ما برح يلاحقني وأمام مدير المعارف أيضًا؟). وطال الحوار بينهما فقامت بوساطة خيرٍ أنهت الأمر وخرج المدرس وهو يردد: حسبي الله ونعم الوكيل، إنا لله وإنا إليه راجعون).
أتحسب أن فضيلته حقق عليه؟ لا، بل استدعاه في اليوم الثاني وقضي حاجته، وذلك لسلامة قلب فضيلته وطهارة نفسه وعلو مكانته، لقد كان آخر عهدي بفضيلته عندما غادر مكة إلى الرياض حسب أمر وزير المعارف ليكون كل المستشارين بجوار سموه، ولست أدري كم أقام في الرياض مستشارًا؟ ومتى ارتحل إلى قطر بعد ذلك؟ غير أنني ما برحت أذكر مجالسه العلمية التي كانت خير كسب لي، وخير سبيل للمزيد من المعرفة، وأذكر تقديره لشخصي مما ترك في نفسي أثرًا عظيمًا يدفعني دومًا إلى الترحم عليه، وسؤال الله أن يدخله في عداد الصالحين.

سماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ

لقد كان الباعث لتأخير الكتابة عن سماحته في إطار هذا العنوان أمرين: الأول لتكون هذه اللمحة مسك الختام؛ ثانيًا لأنني كنت قد كتبت عن سماحته فيما مضى، وفي كل لمحة جانب تحدثت فيه من زاوية خاصة، ولم تكن هذه اللمحة تكرارًا، وإنما هي من قبيل الإيضاح والإفصاح عما لعلي أكون قد أجملته في اللمحات السابقة، وترك لسماحته في نفسي الأثر الذي يربو على كل أثر لأية شخصية كتبت عنها. لقد ذكرت سابقًا أن صلتني بسماحته كانت علمية، فكم حظيت بمجالس علمه المتعددة تارة بالاستماع إلى قراءة المطولات من الكتب، وأخرى في دروس خاصة هيأ لي سماحته فرصها، وعلى سبيل المثال للدروس الخاصة التي حظيت بدراستها عليه دراسة كتاب شرح التوحيد وكتاب أربع القواعد لشيخ الإسلام محمد بن

عبد الوهاب، وكتاب الواسطية والتوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرها مما عليه قوام العقيدة السلفية، بالإضافة إلى ما كان يضربه لي سماحته من أدب المتعلم واحترام العلماء، وما كان يقصه من أخبار أخذه العلم على مشايخه، والوسيلة التي كانوا ينتهجونها هذه الصلة العلمية مقرونة بالسير العطرة لأخلاق العلماء وطلابهم وهي أنموذج لم أفده إلا من سماحته، ولم أقف عليه إلا من سرد القصص فيه، ويؤسفني لطول العهد أني لا أذكر الآن أية قصة من تلك القصص، غير أن سماحته - يرحمه الله - كان خير أسوة وقدوة إذ كان يمثل العالم الذي يرسم للملأ أفضل ما يجب أن يُحتذى في سبيل طلب العلم والتلقي الناجح، انتقل بعد هذه المقدمة إلى إيضاح بعض ما أفدته منه في العقيدة، فأذكر كتاب التوسل والوسيلة والعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية فكان سماحته يمعن في إيضاح توحيد الأسماء والصفات، وأن الواجب إثباتها كما وردت دون تعطيل أو تمثيل أو تكيف، وبهذه المناسبة أذكر دراستي في المدرسة الراقية في أول طربي للعلم، إذ درسنا في العقيدة كتاباً للشيخ الباجوري على طريقة الخلف في تعطيل الصفات بدعوى تنزيه الخالق من مشابهة المخلوقين، فأوضح لي سماحته أن الحق الواجب اتباعه طريقة السلف في إثبات الصفات واتباع طريقتهم، وأورد لي قول الإمام مالك في تفسير الاستواء وهو (أن الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة). وغير ذلك من أقوال السلف، وكم كانت سعادتني عندما ظفرت بهذه الحصيلة وتصحيح الخطأ الذي درجت عليه منذ بداية دراستي في علم العقائد، كم كانت سعادتني بالأخذ عن سليل الدعاة إلى الله على هدى وبصيرة، يرحم الله سماحته. وإلى جانب دروس العقيدة وكتبها كانت هناك دروس في الفقه الحنبلي والحديث النبوي كنت أحضر فيها مجالسه فكان لي من هذا الاستماع حظ وافر في تنمية الحصيلة العلمية.

إبراز الشخصية:

من الواجب المفروض الاعتراف بالجميل وتقدير صاحبه والمتفضل به، ومن حقي أن أسجل في هذه اللوحة الختامية أن سماحته قد أبرزني إلى الملأ منذ تخرجي من المعهد العلمي فأمر بتعييني مديراً للمدرسة الفيصلية وعضواً في هيئة الأمر بالمعروف بمكة وإماماً في المسجد الحرام، وكل ذلك من عوامل إبراز الشخصية والتوجيه إليها ولفت الأنظار لنشاطها، ثم هناك عواطف كريمة كثيراً ما كان يبدئها سماحته نحوي، أذكر موضوع تعييني إماماً في المسجد الحرام، وحدث أن حضر صلاة التراويح جلالة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - فاستدعاني بعد الصلاة، وقام بالتعريف بي سماحة الشيخ وقال كلمته التي لا أزال أذكرها لأنها عبّرت عن الثقة والتقدير قال - يرحمه الله -: (هذا فلان وضعناه إماماً لحسن عقيدته وجودة قراءته). فسُرَّ الملك لهذا التعريف، وكانت خطوة في ترحيب جلالته بترشيحي في إدارة مدرسة أنجاله، وثمة رعاية أخرى لسماحته وكم كان له - يرحمه الله - عليّ من أياد طوال مدة صلتني به وحظوتي بلقائه إلى أن لقي ربه لقد أكرمني سماحته في إنزالي بداره والإغداق عليّ من فيض كرمه مما يعجزني القيام بمقابلة رد بعض جميله اللهم إلا بالدعاء الدائم تمشيًا مع مدلول الحديث الشريف: (من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) أو كما قال ﷺ وكل ما أسلفت الحديث عنه من أياديه ورعايته وتكريمه لشخصي ترك في نفسي أحسن الأثر وأطيبه؛ لقد كان فريداً، له الصدارة بالنسبة لأي جميل وإحسان لصاحب فضل متطول، ولا أزال أذكر سماحته - يرحمه الله - فادعوا له كلما ذرَّ قرن الشمس أو ظهر الضياء، وكلما لاح في المجتمع جواد يعتد بجوده ويفاخر الناس ببره وصلته، أسأل الله أن يلحقني به في الصالحين من عباده.

كلمة ختامية:

هذه الكلمة كان من الواجب أن أُصدّر بها هذه اللمحة وهي تتصل بكرم خلقه وتواضعه الجرم وعدم الاعتداد ببيته والشجاعة في دعمه للحق ونصره ودحض الباطل وكبت دعائه.

أما التواضع فحدث عنه بكل ما أُوتيت من بيان وانطلاقة، فقد كان - رحمه الله - موطاً الأكناف، لم يكن من الطراز الذي يفاخر بعلمه ويزهو به أو بنسبه فقد كان سليل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أو بمنصبه بوصفه رئيساً للقضاء والمدرسين بل كان لين الجانب هاشماً باشاً حلو الحديث لا تسأم من مجالسته، إنه يتمثل بأخلاق العلماء الذين رفع الله من شأنهم، وإني أكتب هذا واقعاً عشته مع سماحته لا حديثاً مرويّاً، أما دعمه للحق ونصره فكان - يرحمه الله - ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، لقد حضرت لسماحته غير مرة عندما يقدم إليه من يتهم في عقيدته من غير السعوديين وبعد التحري والتأكد يخاطب مدير الأمن العام في سجنه حتى يستصدر أمراً بمغادرته البلاد، وإذا كان من المملكة وجحد ما نسب إليه، يبعث معه أحد أتباعه ليوقفه في الملتزم يقسم ببراءته، وكم حضرت أمثال هذا المشهد ثم يتوعد بعدم العودة لمثل ما نسب إليه، وفي المسجد الحرام كان خير رقيب على المدرسين يغشى حلقاتهم ويستمع لتقريراتهم خاصة في العقيدة وعلوم الدين مع أن كل مدرس لم يسمح له بالتدريس في المسجد الحرام إلا بعد الإذن من سماحته، والتأكد من صدق عقيدته وإحاطة الشيخ به. هذه كلمة صريحة وواقع عشته مع سماحته، ورغبت في تسجيله بوصف ذلك صورة لشخصيته في جانب لم أكن قد تحدثت عنه إلا في نبذ خلال اللمحات السابقة، أسأل الله أن ينزل على سماحته شأبيت الرحمة والرضوان في جنات الخلد ومنازل الإحسان؛ إنه أكرم مسؤول.

سيادة الأستاذ حسن عرب

عندما أعلنت بمقالتي الأسبق اختتامي للمحات ذُكرني بعضهم بأستاذ لي في عهد خطوري الخطوات الأولى في التعليم، وبالتحديد في حفظ القرآن أقول ذكرني بالأستاذ حسن عرب لا الأديب حسين عرب، وقد كان - يرحمه الله - له الفضل بعد الله في توجيهي لحفظ القرآن الكريم قبل أن يَصْخَّ مني العزم لذلك، ولصليتي بسيادته قصة لا بد من ذكرها للربط بيني وبينه.

كنت أسير في المسجد الحرام استمع لكل قارئ في رمضان يصلي بجماعته التراويح، وكانت صلاة التراويح آنذاك يصليها كل حافظ للقرآن بمن تربطه به صلة، وكان الشيخ حسن عرب - يرحمه الله - يتقدم جماعة من هذه الجماعات يصلي بها بين الركنتين في استدارة المطاف، وله صوت رخيم يستوقف كل من اجتازه طائفاً أو ماراً، وتمنيت محاكاة سيادته في قراءته، ودارت الأيام دورتها وانتظمت في سلك حفاظ القرآن في المدرسة الفخرية وإذ بالأستاذ حسن عرب هو مدرس الحفاظ فيها، وذلك من حسن المصادفة، وحفظت القرآن بفضل الله في تسعة أشهر، وراعتني في أول الأمر الشدة التي كان يعمد إليها الأستاذ مع طلابه، ومن أمثلتها أنه يلزم كل الطلبة حال الحفاظ بالاهتزاز يميناً وشمالاً وإلى الأمام والخلف على اعتبار أن الاهتزاز يساعد على الحفظ، وعدم تحدث الطالب إلى زميله مع أننا كنا لا نترك الحديث مع الزملاء في حالة الاهتزاز، وبعد كل فترة ينتصب الأستاذ قائماً ويطوف على الطلاب، والويل لمن يلحظه كفّ عن القراءة أو يخفف من الاهتزاز، عندئذ يلهب ظهره بالعصا تأديباً وردعاً، ثم يعود سيادته للجلوس على سجاده المنبسطة فوق الحصير وعينه لا تفتأ تراقب الطلبة، وكانت له بعد المغرب من كل يوم جلسة مع طلابه أمام باب أجساد على الحصا يجعلهم أمامه ويراقب حركات كل طالب ومدى اهتزازة ونشاطه، ولكنه لا يستطيع وهو في المسجد أن ينزل بأحدهم العقاب

البدني، بل يكتفي بالزجر والوعيد، وبعد انتهائي من حفظ القرآن صليت بجماعة المسجد التراويح، وكنت - ولا أزكي نفسي - بارزًا من بين حفاظ المدرسة في الأداء وحسن الصوت. لقد كان لأستاذي الشيخ حسن عرب الأثر العظيم في نفسي، بل كان ذلك متبادلًا بيني وبينه، وبقي جبل الود موصولًا، كان - رحمه الله - يزورني عندما أُسندت إليَّ إدارة مدرسة حارة الباب (الفيصلية) ويرى مظاهر الإدارة ومركز المدير ومجلسه على مكتبه ومراجعة الأساتذة والطلاب وغيرهم له فيغتنب لمركز تلميذه ويصارحه بقوله: هذا ببركة القرآن يا عبدالله. فأؤمن على قوله، ومن عظيم ثقته بي أنه عهد إليَّ في تعليم بعض الإخوة الإندونيسيين القرآن الكريم في مجلس كان يعقده بحي الشامية بصفته مساعدًا له، إذ كثر عليه تعدادها، ولا مندوحة من أن يتخذ تلميذه الذي أخرجه على يده وضجَّ أنه من خير من يتخذ مساعدًا له في فترة ما بين العشاءين، بل قد يمتد الوقت إلى ما بعد صلاة العشاء بأمد طويل ويبدأ من بعد العصر، ولا أزال أذكر شخصيته - يرحمه الله - وأنه على الرغم من شدته التي عانيت منها الأمرين في فترة حفظي للقرآن إلا أنه كان يخضني بعنايته وتقديره، وهناك أمنية لي أرجو أن تتحقق وهي وجود أمثال شيخنا الأستاذ حسن عرب في حزمه وإخلاصه للواجب وشدته أيضًا للقضاء على الرخاوة من بعض الطلاب لعدم الحزم معهم، وأمنية أخرى أرجو تحقيقها أيضًا وهي أن لا يزاحم حفظ القرآن بدروس أخرى؛ فإن القرآن لا يزاحم بأي شاغل من علم أو غيره فقد حفظت القرآن ولم أشتغل مع حفظه إلا بدرس الحساب والخط والإملاء في فترة بعد الظهر، وكان الحظ الأوفر للقرآن من بكور اليوم إلى الظهر، هذه تجربتي الخاصة ولعل غيري يرى غير رأيي.

العقاب البدني؛

أسلفت فيما تقدم من السطور أن شيخنا - رحمه الله - كان يسرف في

اتخاذ الضرب وسيلة للتقدم في الحفظ وصرف الوقت تحت الرقابة وضرب السياط، وكنت أنقد هذه النظرية غير أنني عندما واجهت الواقع بعد أن نزلت الميدان ومارست التدريس والإدارة أدركت - عن تجربة - أن بعض الطلاب لا يصلح له غير العقاب البدني، وبتوضيح أوسع: إن للعصا أثرها في استقامة أمر حفظ القرآن والعناية به، فغدوت من أنصار شيخي والمشجعين لطريقته في استعمال الشدة، وأذكر أن جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله في أول مقابلة لجلالته بعد ترشيحي مديراً لمدرسة أنجاله قال لي بالنص: (يقولون إنك تطق البزران، ولكن أشير عليك أنك - ويعني أنجاله - لا تطق العيال من أول مرة، فإذا أخملوا - أي أتوا ما يوجب ضربهم - فما يخالف). هذه فكرة أو توجيه وجهني إليه جلالته اتخذت منه سنداً لدعم ما أذهب إليه من ضرورة اللجوء إلى العقاب البدني في بعض الظروف ومع بعض الطلاب. أعود فأترحم على أستاذي الشيخ حسن عرب فإن لشخصيته في نفسي الأثر البالغ لما أفدته منه أولاً: من بذله الجهد معي في ختم القرآن في أقصر فترة، ثانياً: في ثقته بي وحظوتي بأن جعلني مساعداً له في حين أن غيري من زملائي قد يكون أفضل مني، ثالثاً: في الإفادة من تجربته في اتخاذ العقاب البدني وسيلة ناجحة لتوعية الطالب بالقيام بواجبه دون رخاوة وهوادة، رحم الله الأستاذ حسن عرب وجزاه خيراً كما يجزي عاملاً أخلص في عمله رجاء مثوبة الله وحسن رضاه.

الأساتذة الأزهريون

اللمحة السابقة لفتت نظر بعض أصحاب الفضيلة من الأساتذة الأزهريين الذين عاصرتهم إذ كنت مديراً لكلية الشريعة بمكة يقول فضيلته عاتباً: (لقد امتدت لمحاتك للقريب والبعيد ممن كان له الأثر في نفسك، فهلا كان للأساتذة الأزهريين أو بعضهم على الرغم من طول صحبتهم لك هلا كان لها أثر في نفسك). ومعدرة لفضيلته بل ولأصحاب الفضيلة

الأساتذة الأزهريين الذين تفاعلوا معي في النهضة بالكلية، وكان لهم فيها الأثر الملحوظ، ولصحبتهم لي بالذكري التي لا تنسى، وإنني عندما أتحدث عن الأساتذة الأزهريين لا أعني شخصاً بعينه، وإنما أقصد الأساتذة الأزهريين جميعاً، كنت مديراً للكلية لعله منذ عام ١٣٧٥هـ وبعده أعواماً لا أذكرها، فحمل الأساتذة الأزهريون معي العبء، وساندوني في النهوض بها والسير على التخطيط المرسوم؛ لرفع مستواها العلمي وبرزها بين الكليات المرموقة في الخارج. أسست كلية الشريعة أول تأسيسها في عهد فضيلة الشيخ محمد بن مانع يرحمه الله، وكان قوامها الأساتذة الأزهريون، والعلوم فيها لا تعدو علوم الشريعة واللغة العربية.

إذا أعطيت القوس باريها:

إذا أعطيت القوس باريها فلا تسأل عن إصابة الهدف، والأساتذة الأزهريون في طليعة مَنْ أوتي القوس في المجال العلمي، يسرون بالقافلة إلى مشارف المعرفة على الرغم من أنني عاصرت الكثيرين منهم، ولطول العهد لا أذكر إلا الشيخ محمد متولي الشعراوي، والأستاذ إبراهيم شعوط، وبعد انتقال وزارة المعارف إلى الرياض عام ١٣٧٥هـ أسندت إلي إدارة الكلية، كنت أسعد بشخصيات علمية أشبه ببحر غزير لا يعرف عمقه، وطفقت أتجول في حصص الدراسة على الفصول بدعوى الإشراف وإنتاج كل مدرس ومدى نشاطه وانسجامه مع الطلاب، وقدرته على توعية الطلبة وكسب المعلومات، وفي الواقع إنني أريد الاستزادة من الحصيلة العلمية، والتطلع إلى مستوى علمي أرفع مما حزنه بمؤهل المعهد، إنني في واقعي تلميذ في صورة مفتش أو مشرف أو مدير، استمعت إلى مدرس أزهرى وهو يقرر درساً في كتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام لم أقف له على عوار وكأنه البحر في تلاطمه وعمق أبعاده، يقرر الشرح وكأنه يحفظه على صدره

لم يتلعثم أو يكرر العبارة شأن من يُبتلى بالعي والحصَر، أو يجلس على منصة الأستاذ نتيجة للجهد الذي بذله بل لا يبرح قائماً طوال الحصة.

وسمعت أستاذاً أزهرياً آخر وهو يشرح آيات الأحكام ولا تسل عن الاسترسال في البسط، والإفاضة في الشرح، والجمع بين الروايات، وتقرير الراجح منها، وإيراد كل ما يجب إيراده في الموضوع بأسلوب يتفجر بلاغة وفصاحة، ووقفت على أستاذ أزهري ثالث يلقي درساً في ألفية ابن مالك يقرأ المنظومة وقد حفظها على صدره، ويستعرض الشواهد وكأنها من البديهيّات التي لا تتطلب إعمال فكر، وكانت ثمار هذا المجهود الموفق للأستاذة الأزهريين أن تخرّج على أيديهم مجموعة من الطلبة ملأت فراغاً كبيراً في حقل التعليم والإدارة في الدولة، لقد عرضت في الحديث عن نشاط الأستاذة الأزهريين في مجالها العلمي، وأردف ذلك بالحديث عن نشاطها الثقافي العام حيث سعوا لإفساح المجال كل أسبوع لندوات، وإلقاء محاضرات في قاعة الكلية، كانت في أول الأمر يتقدم إليها الأستاذة بوصفها خطوة لتمرّس الطلاب عليها، ثم اتسع فيها المجال للطلاب، فكنت أرى الطالب المتفتح الوعي يرتقي منبر الخطابة ليلقي محاضراته إما ارتجالاً أو كتابة يسمّعها الزملاء والأستاذة، وكان أول المشجعين على إبراز هذه الفكرة إلى حيّز العمل فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي، ولست أنسى أبداً ما حييت إسهام الأستاذة الأزهريين في النهضة بالكلية، والعمل على إبرازها بالنشر عنها والثناء عليها.

نكران الجميل:

ومع الأسف أن هذا الجميل للأستاذة الأزهريين وهذه التضحيات منهم في سبيل العلم يجعلها بعض الناس لا في الكلية فحسب، بل وفي بعض المواطنين يقولون: (إنهم أجنب). وليس في المسلمين بعضهم من بعض أجنب، الإسلام قد سوّى بين الجميع، ووحد بين الجميع فقال تعالى ﴿إِنَّمَا

الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿١﴾ الأجانب كلمة هابطة يجب أن لا تقال لمن تربطه بالمسلمين أخوة دين أو هدى إلى الله - خاصة في هذا البلد الأمين الذي قال الله عن واقعه: ﴿وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَاءُ﴾ - يقال مثلاً للتفرقة بين السعودي وغيره من الأجناس (سعودي أو غير سعودي) للتمايز بين السعودي وغيره في الأنظمة مثلاً والمسؤوليات أما كلمة أجنبي فكلمة غير مؤدبة لا يقرها شرع، ولا يهضمها عُرف، إنها باعث للتفرقة لا نجني من ورائها غير التفكك والانفصال، وإن شئت فقل: العصبية الجاهلية التي قام الإسلام على إنكارها ونفّر منها رسول الهدى بقوله: (ليس منا من دعا إلى عصبية). وقال: (دعوها فإنها منتنة). وبعد فهذا استطراد دعا إليه الواقع المؤلم ألا وهو التكرار للإخوة في الله وجحود فضلهم علينا بعد الله.

أعود إلى عنوان المقال فأقول: إن الأساتذة الأزهريين الذين عشت معهم دهرًا ونعمت بوصلهم أمدًا، وسعدت بتعاونهم معي في حقل من أرفع حقول الحياة، أولئك قد تركوا في نفسي أثرًا لن أنساه أبدًا، وهل ينسى الجميل إلا من تخلف عن الإنسانية وارتدغ في أحوال العصبية الذميمة؟ ألا ما أحلى أيامًا سعدت بصحبتهم.. أسأل الله الرحمة لمن لقي ربه، والحياة الطيبة لمن أمدَّ الله في أجله، والعاقبة للمتقين.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الخاصة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن
والآله، وبعد:

كان أول ما تلقيته من دروس الحديث النبوي الشريف حديث عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما، ومطلعه قال، أي ابن عباس: (كنت خلف
النبي ﷺ يوماً فقال لي: يا غلام إني أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك)
الحديث، وختامه في رواية غير الترمذي (واعلم أن ما أخطأك لم يكن
ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن
الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً).

وما برحت هذه الفقرات الأخيرة من الحديث الشريف عالقة بذهني
واتخذت منها قاعدة لاتجاهاتي في الحياة؛ لأن من شأن من عاش على
الغبراء أن لا يسلم من ضراء قد تكون مؤلمة غير أن من واجبه الشكر على
السراء، والصبر على الضراء تمشياً مع هدي الرسول ﷺ: (عجباً لأمر
المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته
ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن).

وكنت أستعيد عند كل سراء تدركني أو ضراء تكتنفني هذه الفقرة (ما
أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك) فترتاح لذلك
نفسي، وكنت كلما نازعتني نفسي إلى إدراك ما يتمتع به غيري من مال أو
جاه أو نفوذ وما إليه مما تكون به الخطوة في دنيا الناس آستعرض قول رب

العزة في توجيهه لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

فأفدت العزوف عن كل ما يكون به الزهو من منصب أو جاه أو نفوذ وقنعت بما قسمه الله لي في الأزل، فلم أجد في نفسي ما يجده بعضهم من الولع بالتزاحم على العمل، وإني إذ أسجل اليوم ذلك إنما أسجله لأدعو الأجيال الصاعدة وهم في مستقبل حياتهم العملية أن لا يحفلوا بحفظ غيرهم، وأن لا يسبحوا في بحر من الأمانى ليس له ساحل، ليكون لهم مثل ما أوتي غيرهم من الثروة أو النفوذ والمراكز المرموقة أو الجاه أو غيره مما يعول عليه الناس في دنياهم كمظهر للسعادة، وأن لا يجهدوا أنفسهم في اتخاذ الوسائط أو سلوك السبل الملتوية بغية الوصول إلى السعادة التي يصورها في نظر البعض رغد العيش والظهور في ثياب العظمة ومظاهر الأبهة، فالطريق السديد الرشيد طريق السعادة وهو أن يقنعوا بقسمة الله، فالقناعة خير عادة للعزوف عن حظوظ الغير وقطع حبل الأمانى كما قال الشاعر:

أفادتني القناعة كلَّ عِرٍ وهل عِرٌّ أعزُّ من القناعة
وأن ينظروا إلى من هو دونهم في الفضل والنعمة والمواهب وغير ذلك كما جاء في الحديث: (انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فمن أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) وأن يضعوا نصب أعينهم أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وأن الله سبحانه أعلم بمصالح عباده، فيضع الأمور في موضعها، وفعل الحكيم لا يخلو من حكمة، فمن فاته شيء من حظوظ الدنيا في أي مجال من المجالات فليؤمِّن أن الله سبحانه سوف يعوضه عنه خيرًا، ولا ييأس أو يبتئس أو ينظر إلى الحياة بمنظار أسود، فلن يطول أمد الشدائد، وليكن متفائلًا يبتسم للأزمات، وعليه مع ذلك أن يدأب على العمل، ولن يضيع

الله عمل عامل إذا علم منه حسن القصد وصدق العزيمة والنية الصالحة والاعتماد عليه وحده.

وإنني إذ أدعو الأجيال الصاعدة إلى هذا المنهج فلأن الآمال لديهم مفتوحة والمستقبل أمامهم ممدود، وإلا فالحديث عام لكل من ألقى السمع وطلب السداد في مذهبه واتجه إلى الله في كل مطلب يرومه.

وأحمد الله وأشكره على ما أنعم به من إتمام كتابة هذه اللمحات، وأسأله تعالى أن ينفع بها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يتقبل منا صالح الأعمال ويتوفانا مع الأبرار، إنه أكرم مسؤول، وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

المحتويات

| | |
|-----|--|
| ٧ | تقديم |
| ٩ | الكاتب والكتاب |
| ١٣ | نبذة عن الشيخ عبدالله خياط |
| ١٩ | مقدمة المؤلف |
| ٢٣ | الفصل الأول: النشأة والتعليم |
| ٢٥ | - النشأة |
| ٢٦ | - الدراسة في مدرسة الخياط |
| ٢٩ | - الدراسة في المدرسة الراقية |
| ٣٠ | - الدراسة على علماء المسجد الحرام وحفظ القرآن الكريم |
| ٣٥ | - الدراسة في المعهد العلمي السعودي |
| ٤١ | الفصل الثاني: في إطار الحياة العملية |
| ٤٣ | - أوائل الوظائف والأعمال |
| ٥٠ | - المدرسة الفيصلية |
| ٦١ | - مدرسة الإصطيفاف |
| ٦٦ | - التعيين مديراً لمدرسة الأمراء بالرياض |
| ٧٣ | مدرسة الأمراء عام ١٣٥٦هـ |
| ٧٦ | حركة الإصلاح الديني في نجد |
| ١١٨ | مدرسة الأمراء عام ١٣٥٧هـ |

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ١٢٧ | مدرسة الأمراء عام ١٣٥٨ هـ |
| ١٣٨ | مدرسة الأمراء عام ١٣٥٩ هـ |
| ١٤٣ | مدرسة الأمراء عام ١٣٦٠ هـ |
| ١٤٩ | مدرسة الأمراء عام ١٣٦١ هـ |
| ١٥٥ | مدرسة الأمراء عام ١٣٦٢ هـ |
| ١٦٠ | مدرسة الأمراء عام ١٣٦٣ هـ |
| ١٦٤ | مدرسة الأمراء عام ١٣٦٤ هـ |
| ١٦٧ | مدرسة الأمراء عام ١٣٦٥ هـ |
| ١٧١ | مدرسة الأمراء عام ١٣٦٦ هـ |
| ١٧٧ | مدرسة الأمراء عام ١٣٦٧ هـ |
| ١٨٢ | مدرسة الأمراء عام ١٣٦٨ هـ |
| ١٨٨ | مدرسة الأمراء عام ١٣٦٩ هـ |
| ١٩٤ | مدرسة الأمراء عام ١٣٧٠ هـ |
| ٢٠٠ | مدرسة الأمراء عام ١٣٧١ هـ |
| ٢٠٦ | مدرسة الأمراء عام ١٣٧٢ هـ |
| ٢١٢ | عرض خاطف ومأساة |
| ٢٢٣ | التعيين مستشارًا للتعليم بمكة |
| ٢٣١ | إدارة كلية الشريعة بمكة |
| ٢٣٣ | الإمامة والخطابة في المسجد الحرام |
| ٢٣٦ | رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة |
| ٢٤٣ | حجب الإحالة إلى التقاعد |
| ٢٤٥ | في هيئة كبار العلماء |
| ٢٥١ | الفصل الثالث: إنطباعات ومشاعر |
| ٢٥٣ | عواطف ومنن لا تنسى |

| | |
|-----------|--|
| ٢٥٤ | الملك سعود يرحمه الله |
| ٢٥٧ | الملك فيصل يرحمه الله |
| ٢٦١ | الملك خالد يرحمه الله |
| ٢٦٢ | الملك فهد بن عبدالعزيز يحفظه الله |
| ٢٦٣ | حب الاستطلاع |
| ٢٦٨ | الصلة ببعض الشخصيات في الرياض |
| ٢٧٧ | الصلة بطلاب المدرسة من الأمراء |
| ٢٨٢ | الفصل الرابع: رحلات ومشاهدات |
| ٢٨٤ | رحلة إلى الشفا |
| ٢٨٧ | رحلة إلى المدينة المنورة |
| ٢٩٤ | رحلة إلى ماليزيا |
| ٣٠٩ | الفصل الخامس: شخصيات لها أثرها في نفسي |
| ٣١٢ | فضيلة الشيخ محمد إسحاق القاري |
| ٣١٣ | فضيلة الشيخ أبو بكر خوقير |
| ٣١٣ | فضيلة الشيخ المُحدِّث مظهر حسين |
| ٣١٥ | فضيلة الشيخ عبدالظاهر محمد أبو السمح |
| ٣١٧ | فضيلة الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة |
| ٣٢٠ | فضيلة الشيخ محمد بن عثمان الشاوي |
| ٣٢٢ | فضيلة الشيخ محمد بن علي البيز |
| ٣٢٥ | فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن حسن آل الشيخ |
| ٣٢٧ | فضيلة الشيخ سليمان الحمدان |
| ٣٣٠ | فضيلة الشيخ بهجت البيطار |
| ٣٣٢ | فضيلة الشيخ تقي الدين الهلالي |
| ٣٣٤ | فضيلة الشيخ عبدالرحمن أبو حجر |

| | |
|-----------|--|
| ٣٣٦ | فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي |
| ٣٣٨ | فضيلة الشيخ سليمان أباظة الأزهرى |
| ٣٤٠ | فضيلة الشيخ عبيد الله السندي الديوبندي |
| ٣٤٢ | فضيلة السيد أحمد العربي |
| ٣٤٤ | فضيلة الشيخ إبراهيم الشورى |
| ٣٤٥ | سيادة الأستاذ محمد صادق الكردي |
| ٣٤٨ | سيادة الأستاذ محمد حلمي |
| ٣٥٠ | فضيلة السيد طاهر الدباغ |
| ٣٥٢ | فضيلة الشيخ محمد بن مانع |
| ٣٥٤ | سماحة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ |
| ٣٥٨ | سيادة الأستاذ حسن عرب |
| ٣٦٠ | الأساتذة الأزهريون |
| ٣٦٥ | الخاتمة |

فهرست اسما

٤٧ - ٤٨ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٨٠ - ٨١ ، ٨٤ ،
٨٦ ، ٨٩ - ٩١ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٨ ،
١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ،
١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٢ -
١٨٤ ، ١٨٧ - ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢١٣ ، ٢٢٥ ،
٢٣٢ ، ٢٣٩ - ٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٧٢ -
٢٧٣ ، ٣٣١ .

آرمسترونج : ٧٨ .

إسحاق القاري (الشيخ) : ٣٢ ، ٤٤ .

الأصفهاني : ١٨٣ .

أمرئ القيس : ٧٦ .

أنس بن مالك : ٢٤٠ ، ٣٢٨ .

أوس بن حجر (رواي) : ٧٦ .

(ب)

الباجوري (الشيخ) : ٣٥٥ .

باديا : (رحالة أوروبي) : ٢٤٢ .

البارودي : ٦٧ .

البخاري : ٦١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٦٤ ، ٣١٧ ،

٣٣٣ .

بدر : ٦٦ .

بدر بن عبد العزيز (الأمير) : ١٨٤ .

برخادات (رحالة أوروبي) : ٢٤٢ .

(١)

إبراهيم (آل الشيخ) : ٢٦٢ .

إبراهيم باشا : ١١١ .

إبراهيم السفاف : ٢٩٦ .

إبراهيم شعوط : ٣٦١ .

إبراهيم الشوري (الشيخ) : ٣٧ - ٣٨ ، ٤٥ ،

٤٧ - ٤٨ ، ٥٠ ، ٣٤٤ ، ٣٥١ .

إبراهيم بن عبدان (الشيخ) : ١١٢ ، ١٩١ ،

٢٨٠ .

أحمد بن حنبل (الإمام) : ٢٣٨ - ٢٣٩ ،

٣٢٣ .

أحمد أمين : ٧٨ .

أحمد خليفة (الشيخ) : ١٧٨ - ١٧٩ .

أحمد شطا : ٦٢ .

أحمد شوقي (أمير الشعراء) : ٤٥ ، ٥٨ ،

٦١ .

أحمد بن عبد الرحمن (الأمير) : ١٢٢ ،

١٥٦ .

أحمد بن عبد العزيز (الأمير) : ١٧٢ ، ١٨٤ ،

٢٠٢ ، ٢٧٨ .

أحمد العربي : ٢٦٦ ، ٣٤٢ .

أحمد علي أسد الله الكاظمي : ٣٥ - ٣٦ ،

بشير السعداوي (الشيخ): ١٤١.

أبو بكر خوقير (الشيخ): ٣٠، ٣١٣.

بندر بن عبد العزيز (الأمير): ١٨٥.

بهجت البيطار (الشيخ): ٤٣، ٣٣٠ - ٣٣٢.

(ت)

تركي بن عبد العزيز (الأمير): ١٨٤، ٢٠٢.

الترمذي: ٣٠، ٣١٣، ٣١٧، ٣٦٧.

تقي الدين الهلالي (الشيخ): ٣٣٢ - ٣٣٣.

تنكو عبد الرحمن: ٣٠٢.

ابن تيمية (شيخ الإسلام): ٢٢٨ - ٢٢٩،

٢٣٨، ٣١٥.

(ج)

جابر (رضي الله عنه): ٢٣٩.

جرير (الشاعر): ٧٦.

جمال الحسيني: ٢٠٢.

جمال عبد الناصر (الرئيس): ٢٦٠.

جهيمان العتيبي: ٢٦١.

(ح)

الحارث بن حلزة (الشاعر): ٧٦.

حامد: ٣٣٧.

ابن حجر العسقلاني: ٢٣٨.

حسن شطا: ٦٢.

حسن صيرفي: ٦٣.

حسن عرب (الشيخ): ٣١، ٣٥٨ - ٣٦٠.

حسن فطاني (الشيخ): ٣٠٢، ٣٠٥.

أبو الحسن الندوي: ٦٥، ٢٣٢.

حسين رفيع (الشيخ): ٣٠١.

حسين بن علي (الشريف): ٢٩.

الحمدان: ٣٢٩.

حمد الجاسر: ١٩٧.

حمد آل خليفة (الحاكم): ١٣٠ - ١٣١.

حمد السليمان (الشيخ): ١٤٨.

(خ)

خالد بن عبد العزيز (الملك): ١١٨، ١٦٥،

١٧٤ - ١٧٥، ٢٥٤، ٢٦١.

خالد القرني: ١٢٢.

خالد قرملي: ٢٣٢.

خالد أبو الوليد (الشيخ): ١٤١.

ابن خزيمة (الراوي): ٢٣٩.

(د)

الدارقطني (الراوي): ٢٦٤.

أبو داود (الإمام): ٢٣٨، ٣٣٤.

ديسكن (الكولونيل): ٩٨.

(ر)

راشد بن خنين (الشيخ): ٢٦٢.

رشدي العظمة: ٥٥.

رشدي ملحس (الشيخ): ٩٢ - ٩٤، ١٠٣،

١٢١، ١٣٢، ١٤١، ١٦٨.

رشيد علي الكيلاني: ١٧١ - ١٧٢، ١٩٦،

٢٠٢.

(ز)

زهير بن كعب (الشاعر): ٧٦.

زيمر (الداعية النصراني): ٢٤١.

(س)

سظام بن عبد العزيز (الأمير): ١٧٢، ١٨٤،

٢٠٢.

- سعيد الدباغ: ٦٣.
- سعيد بن عبد العزيز الجندول (الشيخ):
- ٢٣٣.
- سعود بن عبد العزيز (الملك): ٩٢، ١٠٦، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٢ - ١٣٣، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٤، ١٥٢ - ١٥٧، ١٦٥ - ١٦٦، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٤ - ١٧٥، ١٧٨ - ١٧٩، ١٨٥ - ١٨٦، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٤ - ٢١٠، ٢١٣، ٢٢٢ - ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٥٤ - ٢٥٥، ٢٥٩ - ٢٦٠، ٢٧٥ - ٢٧٦.
- سفيان بن أبي زهير (رضي الله عنه): ٢٣٨.
- سلطان بن عبد العزيز (الأمير): ١٧٨ - ١٧٩.
- سلمان بن عبد العزيز (الأمير): ١٦٥، ١٨٤، ٢٠٢.
- سليمان أباطة الأزهري (الشيخ): ٣٤، ٣٣٨.
- سليمان الحمدان (الشيخ): ٣٠، ٣٢٧.
- سليمان بن عبيد (الشيخ): ٢٦٢.
- السناري (محمد): ١٣٥، ١٤٨.
- (ش)
- الشاطبي: ٣٣.
- الشافعي: ٧٩، ٢٦٩.
- الشاوي: ٣٢١.
- الشنقيطي: ٢٩٦.
- (ص)
- صادق ماجد الكردي: ٣٨.
- صالح إبراهيم الخزامي: ١١٦، ١١٩ - ١٢٠، ١٤٠، ١٤٧ - ١٤٨، ١٥٩.
- صالح الدباغ: ١٢١.
- صالح دخیل بن جاد الله (الأديب): ٢٤١.
- صالح الزغبی (الشيخ): ٢٨٩.
- صالح بن عسكر: ٢٨٠.
- صالح تصیف (الشيخ): ١٢١.
- (ط)
- طاهر الدباغ: ٦٦، ٧٣، ١٠٣، ٣٥٠، ٣٥٢.
- طاهر الكردي: ٣٤٩.
- الطحاوي (الإمام): ٣٤١.
- طرفة بن العبد (الشاعر): ٧٦.
- طلال بن عبد العزيز (الأمير): ٢٠٢.
- طه حسين (الدكتور): ٧٨.
- (ع)
- عائشة (رضي الله عنها): ٢٧٤.
- عبد الإله بن عبد العزيز (الأمير): ١٧٢، ١٨٤، ٢٠٢.
- عبد الباري محمد سرور: ٢٩٨.
- عبد الباسط عبد الصمد (الشيخ): ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٠٦.
- عبد الجليل حلي (مدرس): ٢٥٧.
- عبد الجليل العقاد: ١٧١، ١٧٨.
- عبد الحميد حامد: ٣٥، ٤٨، ١٥٩، ٢٥٧.
- عبد الحميد عقاد: ١٧٩.
- عبد الرزاق حمزة: ٢٣٢.
- عبد الرزاق عفيفي (الشيخ): ٢١٨.
- عبد الرحمن باحنشل: ٥٥، ١٤٨، ١٥٩، ١٧١.
- عبد الرحمن أبو حجر (الشيخ): ٣٣٤ - ٣٣٥.
- عبد الرحمن حسن العمران (الشيخ): ١٠٠، ٢٨٠.

- عبد الرحمن صالح عبد الله (الدكتور): ٢٣٢.
- عبد الرحمن الطيبيشي (الشيخ): ٩٢، ١١٢، ١٢٨، ١٦٩، ٢٨٠.
- عبد الرحمن بن عبد العزيز (الأمير): ١٥٧، ٢٠٢.
- عبد الرحمن بن عبد اللطيف (آل الشيخ): ٣٣٢.
- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن (الأمير): ٢٧٢.
- عبد الرحمن مظهر (الشيخ): ٣٠، ٣١٤.
- عبد الظاهر محمد أبو السمح (الشيخ): ٣٣، ٤٣، ٦٩، ٢٧١، ٢٩١، ٣١٥، ٣٣٤ - ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤١.
- عبد العزيز حسن (آل الشيخ): ٢٧١، ٣٢٥، ٣٢٧.
- عبد العزيز الرفاعي: ٣٠٣، ٣٠٥.
- عبد العزيز بن عبد الرحمن (الملك): ٣٠، ٣٣، ٥٦، ٦٧، ٧١ - ٧٤، ٨٠، ٩٠ - ١٠٣، ١٠٦، ١١٦، ١١٨، ١٢٠، ١٧٨، ١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٩١ - ١٩٣، ١٩٦، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣٦، ٢٥٤ - ٢٦٣، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٨ - ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٩٢، ٣١٥، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٣١ - ٣٣٢، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٦٠.
- عبد العزيز بن عبد الله بن حسن (آل الشيخ): ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٩١، ٢٩٣.
- عبد العزيز بن محمد بن سعود (الإمام): ١١١.
- عبد العزيز مظهر (الدكتور): ٣١٤.
- عبد القادر جزار: ١٧٨.
- عبد الله يرعاف (الشيخ): ١٤٧.
- عبد الله بغدادى: ٣٤٩.
- عبد الله بلخير (الشيخ): ١٧٨ - ١٧٩.
- عبد الله التبتكي (الشيخ): ٢٨٩.
- عبد الله بن حسن (آل الشيخ): ٣٤، ٤٣، ٥٠، ٦٩، ٢١٢، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٨٦ - ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٢ - ٢٩٣، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٢٧، ٣٥٤.
- عبد الله بن خميس: ٧٤ - ٧٥.
- عبد الله خياط (المؤلف): ٣٥، ٤٤، ٤٩، ١١٩، ١٥٧، ١٦٩، ١٧٦، ٢٢٣، ٢٣٢ - ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٣، ٣٣٩، ٣٥٩.
- عبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما): ٢٣٨.
- عبد الله بن عبد الرحمن (الأمير): ١٢٢، ١٨٥، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٧١.
- عبد الله بن عثمان (الشيخ): ١٣٤، ١٤١، ٢٨٠.
- عبد الله الفيصل (الأمير): ١٨٩، ٢٥٦، ٢٥٨.
- عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما): ٤٦، ٦٦، ٢٧٩، ٣٢٧، ٣٣٨، ٣٦٧.
- عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما): ٣٥٠.
- عبد الله بن مساعد بن عبد الرحمن (الأمير): ٢٠٣.
- عبد الله المطلق (الشيخ): ٥٤.
- عبد المجيد بن عبد العزيز (الأمير): ١٨٤، ٢٠٢.
- عبد المنعم الدشروطي: ٣٩.

- عبد الوهاب الدهلوي (الشيخ): ٣٤٠.
 عبد الوهاب عبد الواسع: ٢٣٢.
 عبد الوهاب عزام (الدكتور): ٧٥.
 عبد الوهاب مظهر (الدكتور): ٣١٤.
 عبيد الله السندي الديوبندي (الشيخ): ٣٠، ٣٤٠ - ٣٤١.
 عثمان الصالح (المربي): ٢٠١.
 عروة (الراوي): ٢٣٩.
 ابن عقيل: ٣١٦.
 علي جميل (اللواء): ١٩٩.
 علي حسن فدهق: ٣٠٥.
 علي حمام: ٨٠، ١١٧، ١٥٩.
 علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): ٦١، ٢٦٤.
 عمران بن رضوان (الملا): ٢٤١.
 عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): ٢٥٧.
 عمر السالك (الشيخ): ٢٢٧ - ٢٢٨.
 عترة العبسي (الشاعر): ٧٦.
 فاروق (الملك المصري): ١٦٣.
 الفرزدق (الشاعر): ٧٦.
 الفقي: ٣٣٧.
 فليبي (الرحالة الأوربي): ٨٩.
 فهد بن عبد العزيز (الملك): ١٤٥، ١٧٤، ٢٢٦، ٢٥٤، ٢٦٢ - ٢٦٣.
 فزاد حمزة: ٨٩، ١٠٧، ١١٢، ١٣٣، ١٦٨ - ١٦٩.
 فواز بن عبد العزيز (الأمير): ١٦٩.
 فيصل بن عبد العزيز (الملك): ٩٨، ١٦٢، ١٧٤، ٢١٤، ٢٤٤ - ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٥٧ - ٢٦٠.
 (ق)
 ابن القاصح: ٣٢.
 القدوري: ٣٠.
 قس بن ساعدة الإيادي: ٣٤٢.
 ابن القيم: ٢٢٨، ٣٥٣.
 (ك)
 كامل الدباغ: ٦٣.
 كامل القصاب: ١٠٣ - ١٠٤.
 ابن كثير: ٩٤، ١١٢، ١٧٣، ٢٤٠.
 (ل)
 لقمان (عليه السلام): ٥٧.
 لوثر استودار: ٧٨.
 ليمز: ٧٨.
 (م)
 ماجد بن عبد العزيز (الأمير): ١٨٤، ٢٠٢، ٢٦١.
 ماجد الكردي (الشيخ): ٣٤٦.
 مالك (الإمام): ٣٠، ٢٣٢، ٣٤٠، ٣٥٥.
 ابن مالك (صاحب الألفية): ٢٣١، ٣١٦، ٣١٨، ٣٦٢.
 متعب بن عبد العزيز (الأمير): ٢٠٢، ٢١٥.
 محسن باروم: ٢٣٢.
 محمد إبراهيم (الشيخ): ١٩٧، ٢١٨، ٢٣٥ - ٢٣٦، ٢٦٦.
 محمد اسحاق القاري (الشيخ): ٣١٢.
 محمد إعزاز: ٣٠.
 عبد الوهاب الدهلوي (الشيخ): ٣٤٠.
 عبد الوهاب عبد الواسع: ٢٣٢.
 عبد الوهاب عزام (الدكتور): ٧٥.
 عبد الوهاب مظهر (الدكتور): ٣١٤.
 عبيد الله السندي الديوبندي (الشيخ): ٣٠، ٣٤٠ - ٣٤١.
 عثمان الصالح (المربي): ٢٠١.
 عروة (الراوي): ٢٣٩.
 ابن عقيل: ٣١٦.
 علي جميل (اللواء): ١٩٩.
 علي حسن فدهق: ٣٠٥.
 علي حمام: ٨٠، ١١٧، ١٥٩.
 علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): ٦١، ٢٦٤.
 عمران بن رضوان (الملا): ٢٤١.
 عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): ٢٥٧.
 عمر السالك (الشيخ): ٢٢٧ - ٢٢٨.
 عترة العبسي (الشاعر): ٧٦.
 (ف)
 فاروق (الملك المصري): ١٦٣.
 الفرزدق (الشاعر): ٧٦.
 الفقي: ٣٣٧.
 فليبي (الرحالة الأوربي): ٨٩.
 فهد بن عبد العزيز (الملك): ١٤٥، ١٧٤، ٢٢٦، ٢٥٤، ٢٦٢ - ٢٦٣.
 فزاد حمزة: ٨٩، ١٠٧، ١١٢، ١٣٣، ١٦٨ - ١٦٩.
 فواز بن عبد العزيز (الأمير): ١٦٩.
 فيصل بن عبد العزيز (الملك): ٩٨، ١٦٢، ١٧٤، ٢١٤، ٢٤٤ - ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٥٧ - ٢٦٠.

- محمد بناني: ١٢٧، ١٥٩.
 محمد تقي الدين الهلالي: ٣٨.
 محمد بن علي البيز (الشيخ): ٣٨، ٣٢٢.
 محمد بن علي الشالي: ٥٤ - ٥٥.
 محمد عمر توفيق: ٢٨٥.
 محمد بن مانع (الشيخ): ٢٢٥ - ٢٢٨،
 ٢٦٢، ٣٥٢، ٣٦١.
 محمد المبارك: ٢٣٢.
 محمد متولي الشعراوي: ٣٦١ - ٣٦٢.
 محمد نور الجمالي (الشيخ): ٢٤٠.
 محمد نور فطاني: ١٠٤.
 محمد نور الكتيبي (الشيخ): ٤٣.
 محمد نور المرشد: ١١٧، ١٢٧، ١٥٩،
 ٣٤١.
 محمد يوسف السنوسي: ٣٠.
 محمود صالح شطا: ٦٢.
 مدحت شيخ الأرض (الطبيب): ١٣٣.
 مريم (عليها السلام): ٣٢٨.
 مساعد بن عبد الرحمن (الأمير): ١٢٢،
 ٢٧٢، ٢٧٥ - ٢٧٨.
 مسعود الندوي: ٢٤١.
 مسلم (الإمام): ٦١، ٩٦، ٢٤٠، ٢٦٤،
 ٣٢٢، ٣٣٣.
 مشاري بن عبد العزيز (الأمير): ٩٧، ٢٠٢.
 مشعل بن عبد العزيز (الأمير): ٢٨٥.
 مصطفى الزرقا: ٢٣٢.
 مظفر حسين (الشيخ): ٣١٣ - ٣١٤.
 مقرر بن عبد العزيز (الأمير): ١٨٤، ٢٠٢.
 محمد بن دغيش (الشيخ): ٢٨٠.
 محمد سرور الصبان: ١٢١، ٢٩٤ - ٢٩٥،
 ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٧.
 محمد بن سعود (الإمام): ٧٧، ١١٠.
 محمد بن سعود الكبير (الأمير): ١٥٧.
 محمد صادق الكردي: ٣٤٥ - ٣٤٦.
 محمد صالح الخزامي: ٧٠، ١٠١.
 محمد بن عبد الرحمن (الأمير): ١٠٨،
 ١٢٢.
 محمد بن عبد الرزاق حمزة (الشيخ): ٣٣،
 ٣٨، ٦٨، ٢٧٢ - ٢٧٣، ٣١٧، ٣٢٠،
 ٣٣٤ - ٣٣٧، ٣٤١.
 محمد بن عبد العزيز الدريبي (الشيخ):
 ٢٨٠.
 محمد بن عبد الله بن حسن (الشيخ): ٢٩٣.
 محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن (الأمير):
 ٢٧٢.
 محمد بن عبد الوهاب (الشيخ): ٧٤، ٧٦ -
 ٧٩، ١١٠ - ١١١، ٢٤١ - ٢٤٢، ٢٧١،
 ٢٨٨، ٣٥٤ - ٣٥٥، ٣٥٧.

- منصور عارف: ٢٩٨.
- أبو هريرة (رضي الله عنه): ٩٦، ٢٣٨ - ٢٣٩، ٢٦٤، ٣٢٢.
- منصور بن عبد العزيز (الأمير): ١٥٣، ١٧٥.
- ابن هشام: ١٧٣.
- (ن)
- ناصر بن عبد العزيز (الأمير): ١٥٦.
- نايف بن عبد العزيز (الأمير): ١٥٧، ٢٠٢، ٢٧٧.
- نواف بن عبد العزيز (الأمير): ١٦٢، ١٨٤، ٢٠٢.
- النووي (الإمام): ٢٣٩.
- نيبور (الرحالة الأوربي): ٢٤٢.
- (و)
- ولي الله الدهلوي (الإمام): ٣٤٠.
- ولي الله (الشاه): ٣٤١.
- (ي)
- ياسين فطاني (الشيخ): ٤٨.
- يزيد بن عبد الله بن عبد الرحمن (الأمير): ٢٧٢.
- يوسف ياسين (الشيخ): ٧٢، ١٠٣، ١١١، ١١٨، ١٢٢ - ١٢٣، ١٢٥، ١٣٣ - ١٣٤، ١٣٦، ١٧٣، ٢٠٢، ٣٣١.
- (هـ)
- هذلول بن عبد العزيز (الأمير): ١٧٢، ١٨٤، ٢٠٢.

فهرست کتب اسلامی

(أ)

- أبارعلي: ٢٨٨.
آبان: ٧٦.
أجا: ٧٦.
أجياد: ٣١٦، ٣٥٨.
الأحساء: ١٢٨، ١٧٥، ٢٦٦.
إذاعة مكة: ٢١٤.
الأردن: ٢٩٦.
الأزهر: ٣٠٤، ٣٢٥، ٣٣٤، ٣٤٥.
إمارة الظهران: ٣٤٥.
أم القرى: ١٢٦، ١٥٤، ١٥٨، ١٦٢، ١٧٠، ١٧٥، ٣٣١، ٣٤٦.

(ت)

- تهامة: ٧٥، ٨٢.
تونس: ٢٨٠.

(ب)

(ج)

- باب أجياد: ٣٥٨.
باب الثميري: ٩٢، ١٠٦.
باب الحرم: ١٩٥.
باب الداودية: ٣٤٠.
باب الربع: ٦٢.
البحرين: ١٢٧، ١٣٠ - ١٣١، ١٤٢.
البدية: ٩٣ - ٩٥، ٩٩ - ١٠٠، ١١٥.
١٢٣، ١٨٧.
البطحاء: ٢٩.
جامعة الأزهر: ٣٢٥.
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ٢٣٥ - ٢٣٥.
٢٣٧، ٢٧٦، ٣٣٤.
جامعة أم القرى: ٥٦.
جامعة المعلّاء: ٥٦.
جبال السروات: ٧٥.
جبل رضوى: ١٦٣.

- جبل الظهران: ١٢٩، ١٣١.
 جبل أبي قبيس: ٣١٨.
 جبل الهندي: ٢٩.
 الجبيل: ١٢٩، ١٣١.
 الجبيلة: ٨٧ - ٩٠، ١٢٠، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٩، ١٦٠، ١٦٦ - ١٦٧، ١٧٧، ١٩٦.
 جدة: ٨٥، ١٦٣، ١٧١، ١٧٥، ١٨٠ - ١٨٢، ١٨٩، ١٩١، ٢٠٠، ٢٠٤ - ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٣، ٢٢٦، ٣٠٧، ٣٣٥.
 جريدة البلاد: ٢٢٦، ٢٨٥.
 الجزيرة العربية: ٧٤، ٧٦، ٧٨ - ٧٩، ٨٩، ١٥٩، ٢١٤، ٢٤٢.
 جمعية فيكتوريا: ٢٤١.
 (ح)
 حارة الباب: ٤٩ - ٥٠.
 الحازمية: ٣٩٥، ٣٠٧.
 الحجاز: ٣٠، ٣٤، ٤٣، ٧٤ - ٧٦، ٧٩، ٨٢، ٨٩، ١٤١ - ١٤٢، ١٤٦، ١٥٣ - ١٥٤، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٥ - ١٦٦، ١٧٥، ١٧٨، ١٨١ - ١٨٢، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠٣ - ٢٠٤، ٢١١، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٦٠، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٨٧، ٣١٢، ٣١٩ - ٣٢١، ٣٢٧ - ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٤٢، ٣٥٣.
 الحجون: ١٩٤.
 حقائق الزاهر: ٢٢٦.
 حقائق الناصرية: ٢٠١.
 أبو حدرية: ١٢٩.
 حديقة الحيوان: ٣٠٥.
- الحرم المكي: ٤٩، ١١٤، ٢٧١، ٣١٧، ٣٢١.
 الحرمين الشريفين: ٣٣، ٢٦٢.
 الحطيم: ٣١٥.
 الحميدية: ٦٦، ٣٣١.
 حي دخنة: ٩٢.
 الحيسية: ٩٠.
 حي الشامية: ٣٥٩.
 حي القرارة: ٣٤٦.
 حي المعابدة: ٧٣.
 حي اليمانية: ٦٢.
 (خ)
 خال الدفينة: ٨٦.
 الخبر: ١٢٩ - ١٣١.
 الخروج: ١٤٤ - ١٤٥، ١٥١، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٧.
 خف: ٨٧، ١١٩، ١٤٣، ١٤٩، ١٦٠، ١٦٦، ١٧٧، ١٩١.
 الخليج العربي: ٩٨.
 خير: ٦١.
 (د)
 دار التوحيد: ٢٣٠، ٣٢٦.
 دار الحديث المكية: ٣١٥، ٣١٧.
 دار العلوم العليا: ٣٠٤، ٣٤٣، ٣٤٥.
 الداودية: ٣٤، ٢٩٠، ٣٤٠.
 دخنة: ٢٦٦.
 الدرعية: ٧٧، ١١٠ - ١١١.
 الدفينة: ٨٤ - ٨٦، ١١٨، ١٤٣، ١٤٩.

- ١٦٠، ١٦٦، ١٧٧، ١٩٠، ١٩٥ - ١٩٦. ربيع الحيسية: ٩٠.
- الدمام: ١٢٩، ١٣١.
- دمشق: ٣٣٢.
- الدوامي: ٨٧، ٨٩، ١١٨ - ١١٩، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٧ - ١٤٨، ١٦٠، ١٦٦، ١٧٧، ١٩١.
- الدهلوية: ٤٥.
- الديرة: ٩٣، ٩٧، ٢٠٧.
- (ز)
- زرم: ٣١٥.
- (س)
- سبع الملقات: ١٦٧، ١٤٩.
- السفارة السعودية: ٢٩٧، ٣٠٢.
- سلمي: ٧٦.
- سنغافورة: ٢٩٥ - ٢٩٦، ٣٠١، ٣٠٦ - ٣٠٧.
- السنغال: ٢٩٦.
- السياء: ١٤٤ - ١٤٥.
- سهل الدفينة: ٨٥.
- سهل ركبة: ٨٣، ١٤٣.
- سوريا: ٣٣٠.
- سوق عكاظ: ٣٤٢.
- سيلان: ٢٩٥.
- السيل الكبير: ١١٦، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٥، ١٦٠، ١٦٦، ١٧٧، ١٨٩.
- (ش)
- الشام: ٢٣٨ - ٢٣٩.
- الشرايع: ١٣٧، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٥، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٦، ١٨٩، ١٩٥.
- شرطة الرياض: ١٩٢.
- شعاب مكة: ٢٩٩.
- الشفاء: ٢٨٣ - ٢٨٦.
- (ص)
- صحيفة البلاد: ٢٢٦، ٢٨٥.
- الصمان: ٧٦.
- رابطة العالم الإسلامي: ٢٣٠، ٣٤٥.
- الرفاع: ١٣١.
- رماح: ١٠٦ - ١٠٨، ١١٠، ١٣٨.
- روضة التنتها: ١٣٨ - ١٣٩.
- روضة خريم: ١٤٩، ١٥٥ - ١٥٦، ١٦٤ - ١٦٥.
- روضة الخففس: ١٣٩ - ١٤٠، ١٤٣ - ١٤٤.
- الروضة المشرقة: ٢٣٩.
- الرياض: ٤٣، ٦٦ - ٦٧، ٦٩، ٧٤ - ٧٥، ٧٧، ٧٩ - ٨١، ٨٥، ٨٧، ٩٠ - ٩٣، ٩٥ - ١٠١، ١٠٦ - ١٠٨، ١١٠، ١١٤ - ١١٥، ١١٧ - ١١٨، ١٢٠ - ١٢١، ١٢٣ - ١٢٤، ١٢٦ - ١٢٨، ١٣٢، ١٣٧ - ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢ - ١٤٣، ١٤٥ - ١٤٧، ١٧٥ - ١٨٢، ١٨٤ - ١٩٤، ١٩٦، ١٩٨ - ٢٠٠، ٢٠٤ - ٢١٠، ٢١٣ - ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٥ - ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٤٦، ٢٥٦، ٢٥٩ - ٢٧٩، ٢٩١ - ٣١٩، ٣٢٠، ٣٤٢، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٣ - ٣٥٤، ٣٦١.

الصين: ٣٠٢.

فلان: ٣٠٥.

فيكتوريا: ٢٤١.

(ط)

الطائف: ٣٨، ٦١ - ٦٤، ٦٧، ٧٩، ١٤٨
 - ١٤٩، ١٨٥ - ١٨٦، ١٩٢، ١٩٨
 ٢٠٤ - ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٣ - ٢١٤، ٢٣٠
 ٢٥٩، ٢٧٣ - ٢٨٣، ٢٨٤ - ٢٩٤ - ٢٩٥
 ٣٠٧، ٣٢٦ - ٣٢٨.

(ظ)

الظهران: ١٢٧، ١٢٩ - ١٣٢، ١٤٢
 ١٧٥، ٣٤٥.

(ع)

العراق: ٧٦، ٢٣٨.
 عشيرة: ٨٢ - ٨٣، ١١٤ - ١١٥، ١٢٦
 ١٣٧، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٥، ١٦٠، ١٦٤
 ١٦٦، ١٧٧، ١٨٩، ١٩٥.
 عفيف: ٨٧، ١٢٦، ١٤٣، ١٤٩، ١٦٠
 ١٦٦، ١٧٧، ١٩٠، ١٩٦.
 عكاظ: ٢٩٨، ٣٤٢.
 العمارة: ٢٧٤.
 العويند: ٨٧، ٨٩ - ٩٠، ١٢٠، ١٤٣
 ١٤٧، ١٤٩، ١٦٠، ١٦٧، ١٩٦.
 العيينة: ٧٦، ٨٧، ٩٠، ١٤٣، ١٦٠
 ١٦٧، ١٧٧، ١٩٦.

(غ)

غار المعذر: ٩٨.

(ف)

الفرع: ٢٨٣، ٢٨٦.
 فرنسا: ٢١٢.
 قلعة المويه (قصر المويه): ٨٤ - ٨٥.

(ق)

القارات الخمس: ٣٠.
 القاعية: ٨٧، ١٤٣، ١٤٩، ١٦٠، ١٦٦.
 ١٧٧، ١٩٠ - ١٩١.
 القاهرة: ٣٣٦، ٣٤٣، ٣٤٥.
 قباء: ٢٣٩، ٢٨٨.
 قبة الساعات: ٣١٨.
 قرية: ١٢٩.
 قصر البديعة: ٩٤.

قصر البلدة (قصر الرياض): ٩٥، ١٥١ -
 ١٥٢، ١٦٧ - ١٦٨، ١٧٠، ١٧٢، ١٨٥
 ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٦، ٢٦٥.
 قصر الحكم: ٩٣، ٩٨، ١٢٤.
 قصر الدوامي: ٨٧.
 قصر الديرة: ٢٠٧.
 قصر الرفاع: ١٣٠.
 قصر الشيخ حمد آل خليفة: ١٣٠.
 قصر الصخير: ١٣١.
 قصر المريع: ٩٥، ١١٤، ١٢١، ١٢٥
 ١٣٢، ١٣٧، ١٤٢، ١٥٢، ١٦٧، ١٦٩
 ١٩١، ١٩٦، ٢٠١ - ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٩ -
 ٢١٠، ٢١٦، ٢٦٥.

القصر الملكي: ٧١، ٩٧.

القصيم: ٧٦، ١٤٦، ٢٦٦.

قطر: ٣٥٤.

(ك)

- كلية التربية: ٢٣٣.
كلية الشريعة بمكة: ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣٢ - ٢٣٣، ٢٢٦، ٢٢٦ - ٢٢٦.
كوالالمبور: ٢٩٤ - ٢٩٧، ٣٠١، ٣٠٤ - ٣٠٧.
كولمبو سيلان: ٢٩٥.

(ل)

ليبيا: ٢٩٦.

(م)

- ماليزيا: ٢٩٣ - ٢٩٤، ٢٩٧ - ٣٠١، ٣٠٤ - ٣٠٥.
مجلة الإصلاح: ٣٣٦ - ٣٣٧.
المحدث: ١١٥ - ١١٦.
مخر بنبان: ١٤٤.
مدارس نجد: ١٥٩.
مدرسة أبناء الحي: ٧٣.
مدرسة الأمراء: ٦٧، ٦٩ - ٧٠، ٧٣، ٨٠، ٩٦ - ٩٧، ١٠١، ١٠٩، ١١٢ - ١١٤، ١١٦، ١٢٠ - ١٢٥، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٩ - ١٤٥، ١٤٨ - ١٧٦، ١٧٩، ١٨١، ١٨٤ - ١٨٧، ١٩١، ١٩٣، ١٩٧ - ١٩٩، ٢٠١ - ٢٠٦، ٢٠٩ - ٢١١، ٢١٥، ٢٢٢ - ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٦، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٧ - ٢٨٠، ٢٩١، ٣١٩، ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٦٠.
مدرسة حارة الباب: ٤٦، ٤٨، ٥٠ - ٥٢، ٥٥ - ٥٦، ٢٩١، ٣٥٩.
مرتقى بويب: ١٢٨.
مركز الحجون: ١٩٤.
مركز المعابدة: ١٩٤.

المغرب: ٣٣٣.

مقام الحنفي: ٢١١.

مكة المكرمة: ٢٥، ٣٣، ٤٣، ٦٢، ٦٤ -
٦٥، ٦٧، ٧٢ - ٧٤، ٧٩ - ٨٠، ٨٤،
٩١ - ٩٣، ١٠٣، ١١١ - ١١٣، ١١٦ -
١١٧، ١٢٥ - ١٢٧، ١٣٤، ١٣٦ - ١٣٨،
١٣٨ - ١٣٩، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٨ - ١٦٣، ١٦٦،
١٧٠، ١٧٥، ١٧٩ - ١٨١، ١٨٩، ١٩٤،
١٩٦، ٢٠٥ - ٢٠٦، ٢١٠ - ٢١١، ٢١٤،
٢٢٢، ٢٢٦ - ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٦ -
٢٣٧، ٢٥٨ - ٢٥٩، ٢٧١ - ٢٧٢، ٢٧٩،
٢٨٨ - ٢٨٩، ٢٩١ - ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٩،
٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٣، ٣١٦ - ٣١٧، ٣١٩،
٣٢٦ - ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٢،
٣٤٨ - ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٦٠.

الملايو: ٢٩٨.

المملكة العربية السعودية: ٢١٢، ٢٢٣،
٢٢٥، ٢٣٢، ٢٥٤، ٢٨٠، ٢٩٤، ٢٩٧،
٣٠٠، ٣٠٦، ٣٢٥، ٣٤٥، ٣٥٧.

المنطقة الغربية: ٣٤٥.

المويه: ٨٣ - ٨٤، ١١٤، ١١٧، ١٤٣،
١٤٩، ١٥٥، ١٦٠ - ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦،
١٧٥، ١٧٧، ١٨٩ - ١٩٠، ١٩٣، ١٩٥.

(ن)

الناصرية: ١٨٥، ٢٠١، ٢٠٧ - ٢١٠.

٢٢٥، ٢٥٦.

نجد: ٧٤ - ٧٦، ٧٨ - ٧٩، ٨٢، ٩٩،
١١٠، ١٥٩، ١٩٠، ١٩٨، ٢٤٢، ٢٦٥ -
٢٦٦، ٢٧٣، ٣٢٠ - ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٧.

نفوذ قتيبة: ٨٧ - ٨٨.

مسجد البديعة: ٩٤، ٩٦، ٩٩، ١١٥،

١٨٧.

مسجد المربع: ٩٥، ١٥٢، ١٨٧.

المسجد الحرام: ٢٥، ٣١، ٣٥، ٣٨،
٤٣، ٤٥ - ٤٦، ٦٩، ١٤٢، ١٩٥،
٢١١ - ٢١٢، ٢٣٣ - ٢٣٤، ٢٥٦، ٢٦٠،
٢٧١ - ٢٧٢، ٢٩٠ - ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٧،
٢٩٩، ٣٠٦، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٧ - ٣١٨،
٣٢٠ - ٣٢١، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٣ - ٣٣٤،
٣٣٦ - ٣٣٧، ٣٤٨، ٣٥٦ - ٣٥٨.

مسجد اللندراوي: ٤٣.

مسجد الصولتية: ٣٢.

مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم: ٢٦٦.

مسجد الطريف: ١١١.

مسجد ابن عباس: ٣٢٧.

مسجد قباء: ٢٣٩.

المسجد النبوي: ٣٣، ٧٩، ٢٨٨ - ٢٨٩،
٣٠١، ٣١٧، ٣٢٧، ٣٣٤.

مصر: ٣٣، ٥٦، ٢٢٦، ٢٢٨، ٣٤٥.

مطار الحوية: ١٧٨.

مطار الرياض: ١٧٢، ١٧٧ - ١٧٨.

مطار سنغافورة: ٣٠٧.

المعابدة: ١١٧، ٢١٢.

معهد الأنجال: ١٨٤ - ١٨٥، ٢٠١،
٢٢٣، ٢٢٥.

المعهد العلمي: ٣٨ - ٤٠، ٤٥ - ٤٨،
٥٠، ٥٥، ٧٠ - ٧١، ٢٥٧ - ٢٥٨، ٢٩٠،
٣١٧، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٣٠ - ٣٣١، ٣٣٤،
٣٣٦ - ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٤ - ٣٤٦، ٣٤٩،
٣٥١، ٣٥٦.

| | |
|--------------------------------------|-------------------|
| النفود الكبير: ٨٧ - ٨٨ ، ١١٤ ، ١١٩ - | وادي البهيتا: ٨١. |
| ١٢٠ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، | وادي حنيفة: ٩٥. |
| ١٦٠ ، ١٦٦ - ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، | الروشم: ٨٧ - ٨٨. |
| ١٩١ ، ١٩٦. | (ي) |
| (هـ) | اليمامة: ٧٦ |
| الهند: ١٤٠ ، ٣١٤. | اليمانية: ٨١. |
| (و) | |

إصدارات وزارة الملك عبد العزيز

- ١ - فهارس كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد، السيد أحمد مرسي عباس، ١٣٩٥هـ.
- ٢ - لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ١٣٩٥هـ.
- ٣ - سلسلة قادة الجزيرة - قال الجد لأحفاده، عبدالوهاب فتال. (د. ت).
- ٤ - سعود الكبير - الإمام سعود بن عبدالعزيز، عبدالوهاب فتال. (د. ت).
- ٥ - عثمان بن عبدالرحمن المضايقي - عهد سعود الكبير، عبدالوهاب فتال. (د. ت).
- ٦ - الإمام القائد عبدالعزيز بن محمد بن سعود، عبدالوهاب فتال. (د. ت).
- ٧ - هذا هو كتاب سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أمين سعيد، ١٣٩٥هـ.
- ٨ - المرأة: كيف عاملها الإسلام، الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ. (د. ت).
- ٩ - الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، د. عبدالفتاح أبو علي، ١٣٩٦هـ.
- ١٠ - العرب بين الإرهاص والمعجزة، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.
- ١١ - بنو هلال بين الأسطورة والحقيقة، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.
- ١٢ - رحلات الأوروبيين إلى نجد وشبه الجزيرة العربية، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.
- ١٣ - الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز ودعوة التضامن الإسلامي، مناع القطان، ١٣٩٦هـ.
- ١٤ - انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية، محمد كمال جمعة، ١٣٩٧هـ.
- ١٥ - أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه، محمد إبراهيم رحمو، ط٢، ١٣٩٨هـ.
- ١٦ - تاريخ الدولة السعودية، أمين سعيد، ١٤٠١هـ.
- ١٧ - مكة في عصر ما قبل الإسلام، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ١٣٩١هـ.
- ١٨ - الأطلس التاريخي للدولة السعودية، إبراهيم جمعة، ١٣٩٩هـ.

- ١٩ - أمجاد الرياض في حياة المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز، شعر محمد العيد الخطراوي، ١٣٩٤هـ (أسهمت الدارة في طباعته).
- ٢٠ - محمد بن عثيمين شاعر الملك عبدالعزيز، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ١٣٩٩هـ.
- ٢١ - مشير الوجد في أنساب ملوك نجد، تأليف راشد بن علي الحنبلي، تحقيق: عبدالواحد محمد راغب، ١٣٩٩هـ.
- ٢٢ - دليل الدوريات بالمكتبة، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.
- ٢٣ - دليل الوثائق العربية بدار الملك عبدالعزيز، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.
- ٢٤ - دليل الوثائق التركية الخاصة بالجزيرة العربية، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.
- ٢٥ - قائمة ببلوجرافية مختارة من مكتبة دار الملك عبدالعزيز عن الجزيرة العربية، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.
- ٢٦ - دليل دار الملك عبدالعزيز، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٠٩هـ.
- ٢٧ - أعمال الحلقة الخامسة للمراكز والهيئات العلمية المهمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.
- ٢٨ - دراسات في الجغرافية الاقتصادية «المملكة العربية السعودية والبحرين»، د. أحمد رمضان شقيلة، ١٤٠٢هـ.
- ٢٩ - الكتاب السنوي الأول للأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.
- ٣٠ - الأمثال العامية في نجد «٥ أجزاء»، محمد بن ناصر العبودي «أسهمت الدارة في طباعته»، ١٣٩٩هـ.
- ٣١ - حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، رابع لطفي جمعة، ١٤٠٢هـ.
- ٣٢ - الملك فيصل والقضية الفلسطينية، د. السيد عليوة، ١٤٠٢هـ.
- ٣٣ - علاقة ساحل عمان ببريطانيا «دراسة وثائقية»، د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، ١٤٠٢هـ.
- ٣٤ - سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، ١٤٠٢هـ.
- ٣٥ - عنوان المجد في تاريخ نجد (جزءان)، تأليف عثمان بن بشر، تحقيق: عبدالرحمن ابن عبداللطيف آل الشيخ، ١٤٠٢هـ.

- ٣٦ - المرافق الطبيعية على الساحل السعودي الغربي «دراسة مقارنة تطبيقية»، د. محمد أحمد الرويثي، ١٤٠٣هـ.
- ٣٧ - السكان وتنمية الموانئ السعودية على البحر الأحمر، د. محمد أحمد الرويثي، ١٤٠٢هـ.
- ٣٨ - كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، لمؤلف مجهول، تحقيق: أ.د. عبدالله العثيمين، ١٤٠٣هـ.
- ٣٩ - النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، نوال حمزة الصيرفي (سلسلة الرسائل الجامعية ١)، ١٤٠٣هـ.
- ٤٠ - بلاد الحجاز منذ عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، د. سليمان عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية ٢)، ١٤٠٣هـ.
- ٤١ - العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩ - ١٣٤١هـ، خالد محمود السعدون (سلسلة الرسائل الجامعية ٣)، ١٤٠٣هـ.
- ٤٢ - السمات الحضارية في شعر الأعشى: دراسة لغوية وحضارية، زينب عبدالعزيز العمري (سلسلة الرسائل الجامعية ٤)، ١٤٠٣هـ.
- ٤٣ - الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر، عبدالقدوس الأنصاري، ١٤٠٣هـ.
- ٤٤ - انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية، محمد كمال جمعة، ط٢، ١٤٠١هـ.
- ٤٥ - الصهيونية والقضية الفلسطينية في الكونجرس الأمريكي، د. عاصم الدسوقي، ١٤٠٣هـ.
- ٤٦ - مكة في عصر ما قبل الإسلام، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ط٢، ١٤٠١هـ.
- ٤٧ - أضواء حول الإستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه، محمد إبراهيم ربحو، ط٣، ١٤٠٢هـ.
- ٤٨ - نفع العود في سيرة دولة الشريف حمود، تأليف: عبدالرحمن بن أحمد البهكلي، تحقيق: محمد بن أحمد العقيلي، ١٤٠٢هـ.
- ٤٩ - فهرس مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة، دار الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤١٢هـ.
- ٥٠ - دار الملك عبدالعزيز: الكتيب الإعلامي الأول للدارة، ١٣٩٨هـ.

- ٥١ - مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة، د. سليمان عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية ٥)، ١٤٠٨هـ.
- ٥٢ - النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠-١٩٤٥م، د. محمد عبدالرحمن الشامخ (أسهمت الدارة في طباعته)، ١٣٩٥هـ.
- ٥٣ - مدينة الرياض: دراسة في جغرافية المدن، د. عبدالرحمن صادق الشريف، ١٣٩٩هـ (أسهمت الدارة في طباعته).
- ٥٤ - المنهج المثالي لكتابة تاريخنا، محمد حسين زيدان، ١٣٩٨هـ.
- ٥٥ - الدولة السعودية الثانية من ١٢٥٦-١٣٠٩هـ، د. عبدالفتاح أبو علي، ١٣٩٤هـ (أسهمت الدارة في طباعته).
- ٥٦ - لوحة نسب آل سعود، تصميم الدكتور إبراهيم جمعة. (د.ت).
- ٥٧ - جداول تحويل السنين الهجرية إلى ما يقابلها من التواريخ الميلادية، رتبها د. إبراهيم جمعة. (د.ت).
- ٥٨ - الكشاف التحليلي لمجلة الدارة ١٣٩٥-١٤١٥هـ، دائرة الملك عبدالعزيز، ١٤١٦هـ.
- ٥٩ - الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، تأليف إيجيرو ناكانو، ترجمة سارة تاكا هاشي، ط١، ١٤١٦هـ.
- ٦٠ - الرحلات الملكية: رحلات جلالة الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض، المنشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣-١٣٤٦هـ، يوسف ياسين، ١٤١٦هـ.
- ٦١ - الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى، د. مي بنت عبدالعزيز العيسى (سلسلة الرسائل الجامعية ٦)، ١٤١٧هـ.
- ٦٢ - مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة، د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤١٧هـ.
- ٦٣ - يوميات رحلة في الحجاز، تأليف: غلام رسول مهر، ترجمة: د. سمير عبدالحميد إبراهيم، ١٤١٧هـ.
- ٦٤ - معجم التراث (السلاح)، سعد بن عبدالله الجنيدل، ١٤١٧هـ.
- ٦٥ - جدة خلال الفترة ١٢٨٦-١٣٢٦هـ: دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة، صابرة مؤمن إسماعيل (سلسلة الرسائل الجامعية ٧)، ١٤١٨هـ.

- ٦٦ - بحوث ندوة الوثائق التاريخية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ١٣-١٥ رجب ١٤١٧هـ، دار الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ.
- ٦٧ - حوليات سوق حباشة الباحث في أدب الجزيرة العربية وتاريخها، أ.د. عبدالله بن محمد أبو داهش، ١٤١٨هـ.
- ٦٨ - مشروع مسح المصادر التاريخية الوطنية المرحلة الأولى ١٤١٦-١٤١٧هـ، دار الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.
- ٦٩ - الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى (جزءان)، إسماعيل حسين أبو زعنونة، ١٤١٩هـ.
- ٧٠ - رحلة الربيع، فؤاد شاكر، ١٤١٩هـ.
- ٧١ - فجر الرياض، عبدالواحد محمد راغب، ١٤١٩هـ.
- ٧٢ - معجم مدينة الرياض، خالد بن أحمد السليمان، ١٤١٩هـ.
- ٧٣ - الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية، تأليف إيجيرو ناكانو، ترجمة: سارة تاكاهاشي، ط٢، ١٤١٩هـ.
- ٧٤ - رحلة داخل الجزيرة العربية، يوليوس أويتنج، ١٤١٩هـ.
- ٧٥ - الملك عبدالعزيز في مجلة الفتح (قائمة ببلوغرافية)، د. فهد بن عبدالله السماري، ود. محمد بن عبدالرحمن الربيع، ١٤١٩هـ.
- ٧٦ - الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة، د. فان درمولين، ١٤١٩هـ.
- ٧٧ - الرحلات الملكية: رحلات جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض، المنشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣-١٣٤٦هـ، يوسف ياسين. ط٢، ١٤١٩هـ.
- ٧٨ - خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية (منطقة نجد)، د. محمد بن عبدالله النويصر، ١٤١٩هـ.
- ٧٩ - مختارات من الخطب الملكية (جزءان)، دار الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.
- ٨٠ - نساء شهيرات من نجد، د. دلال بنت مخلد الحربي، ١٤١٩هـ.
- ٨١ - مشير الوجد في أنساب ملوك نجد، تأليف راشد بن علي الحنبلي، تحقيق: عبدالواحد محمد راغب. ط٢، ١٤١٩هـ.
- ٨٢ - إمتاع السامر بتكلمة متعة الناظر، تأليف شعيب بن عبدالحميد الدوسري، تحقيق عبدالرحمن بن سليمان الرويشد، ومحمد بن عبدالله الحميد، ١٤١٩هـ.

- ٨٣ - صفحات من تاريخ مكة المكرمة (جزءان)، تأليف ك. سنوك مورخرونيه نقله إلى العربية د. علي عودة الشيوخ، ١٤١٩هـ.
- ٨٤ - لماذا أحبيت ابن سعود، محمد أمين التميمي، ١٤١٩هـ.
- ٨٥ - ديوان الملاحم العربية، محمد شوقي الأيوبي، تعليق د. محمد بن عبدالرحمن الربيع، ١٤١٩هـ.
- ٨٦ - أصدقاء وذكريات. انطباعات وذكريات أمريكية عن الحياة والعمل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م - ١٩٩٨م، تحرير د. فهد بن عبدالله السماري، جيل أ. روبيرج، ط١، ١٤١٩هـ.
- ٨٧ - الطريق إلى الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض ١٣١٩هـ / ١٩٠١ - ١٩٠٢م، دائرة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.
- ٨٨ - الرواد: الملك عبدالعزيز ورجاله الأوفياء الذين دخلوا الرياض في الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩هـ، دائرة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.
- ٨٩ - الزيارة الملكية: زيارة الملك عبدالعزيز التفقدية لشركة أرامكو، شركة أرامكو - لجنة المؤرخين، ترجمه وعلق عليه د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤١٩هـ.
- ٩٠ - يوميات الرياض: من مذكرات أحمد بن علي الكاظمي، أحمد بن علي الكاظمي، ١٤١٩هـ.
- ٩١ - الملك عبدالعزيز في الصحافة العربية، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ١٤١٩هـ.
- ٩٢ - رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية، فيليب لينز، ترجمة محمد محمد الحناش، ١٤١٩هـ.
- ٩٣ - جوانب من سياسة الملك عبدالعزيز تجاه القضايا العربية: دراسة تحليلية من خلال أوراق نبيه العظمة، د. خيرية قاسمية، ١٤١٩هـ.
- ٩٤ - معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، سعد بن جنيد، ١٤١٩هـ.
- ٩٥ - الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، دائرة الملك عبدالعزيز، ط١، ١٤١٩هـ.
- ٩٦ - المملكة العربية السعودية في مئة عام: معلومات موجزة، دائرة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.
- ٩٧ - عبدالعزيز (الكتاب المصور)، دائرة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

- ٩٨ - أصدقاء وذكريات، انطباعات وذكريات أمريكية عن الحياة والعمل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م - ١٩٩٨م، تحرير د. فهد بن عبدالله السماري، جيل أ. روبرج، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- ٩٩ - الكشف التحليلي لصحيفة أم القرى: القسم الأول ١٣٤٣هـ - ١٣٧٣هـ / ١٩٢٤م - ١٩٥٣م، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٢٠هـ.
- ١٠٠ - الجزيرة العربية في الخرائط الأوروبية القديمة، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ.
- ١٠١ - بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية (٢٩ بحثاً) ط١، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ.
- ١٠٢ - الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، دار الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤٢١هـ.
- ١٠٣ - سلسلة وثائق المملكة العربية السعودية التاريخية القضية الفلسطينية ١٣٤٨ - ١٣٧٣هـ، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ.
- ١٠٤ - الملك عبدالعزيز في الإنتاج الفكري العربي المنشور في عام ١٤١٩هـ، عبدالرحمن أحمد فراج، ١٤٢١هـ.
- ١٠٥ - مؤتمر فلسطين العربي البريطاني المنعقد في مدينة لندن في ١٨ ذي الحجة ١٣٥٧هـ الموافق ٧ فبراير ١٩٣٩م، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ.
- ١٠٦ - رحلة إلى بلاد العرب، تأليف أحمد مبروك، تعليق د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤٢١هـ.
- ١٠٧ - محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي، د. نادية بنت وليد الدوسري (سلسلة الرسائل الجامعية ٨). ١٤٢٢هـ.
- ١٠٨ - مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، الشيخ حمد الجاسر، ١٤٢٢هـ.
- ١٠٩ - الجيش السعودي في فلسطين، صالح جمال الحريري، ١٤٢٢هـ.
- ١١٠ - تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج، ج.ج. لوريمر، جمع وتعليق الدكتور محمد بن سليمان الخضيري، ١٤٢٢هـ.
- ١١١ - اللجان الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين في المملكة العربية السعودية، عبدالرحيم محمود جاموس، ١٤٢٢هـ.
- ١١٢ - الدولة العيونية في البحرين ٤٦٩ - ٦٣٦هـ / ١٠٧٦ - ١٢٣٨م، د. عبدالرحمن بن مديرس المديرس (سلسلة الرسائل الجامعية ٩)، ١٤٢٢هـ.

- ١١٣ - المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود / دليل موجز بأبرز الإنجازات والمواقف، ط١، د. فهد بن عبدالله السماري، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ١٤٢٢هـ.
- ١١٤ - Najd Before The Salafi Reform Movement، «نجد قبل الدعوة الإصلاحية السفلية» د. عويضة بن متيريك الجهني، ١٤٢٢هـ (باللغة الإنجليزية).
- ١١٥ - Al-Yamama in the Early Islamic Era، «اليمامة في صدر الإسلام» د. عبدالله بن إبراهيم المسكر، ١٤٢٢هـ (باللغة الإنجليزية).
- ١١٦ - التحليق إلى البيت العتيق، د. عبدالهادي التازي. (سلسلة كتاب الدارة - ١)، ١٤٢٢هـ.
- ١١٧ - الوثائق التاريخية لوزارة المعارف في عهد وزيرها الأول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ١٣٧٣ - ١٣٨٠هـ، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.
- ١١٨ - الإقناع لطالب الانتفاع (أربعة أجزاء)، أبو النجا الحجاوي المقدسي، ١٤٢٣هـ.
- ١١٩ - جامع العلوم والحكم (جزءان)، ابن رجب، ١٤٢٣هـ.
- ١٢٠ - خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود: خطب وكلمات، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.
- ١٢١ - معجم ما أُلِفَ عن الحج، د. عبدالعزيز بن راشد السندي، ١٤٢٣هـ.
- ١٢٢ - برنامج المحافظة على المواد التاريخية، دار الملك عبدالعزيز، مكتبة الكونغرس، ١٤٢٣هـ.
- ١٢٣ - مبادئ العناية بمواد المكتبة والتعامل معها، جمع وتحرير إدوارد. ب. أدوك، ترجمة د. عبدالعزيز بن محمد المسفر، د. فؤاد حمد فرسوني، ١٤٢٣هـ.
- ١٢٤ - العلاقات السعودية المصرية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود: بحوث ودراسات ألقيت في الندوة التي عقدتها دار الملك عبدالعزيز بالتعاون مع مؤسسة الأهرام، القاهرة (١٢/١/١٤٢٢هـ)، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.
- ١٢٥ - علم القراءات: نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، د. نبيل بن محمد آل إسماعيل، ط٢، ١٤٢٣هـ.

- ١٢٦ - المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود/ دليل موجز بأبرز الإنجازات والمواقف، د. فهد بن عبدالله السماري، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ط٢، ١٤٢٣هـ.
- ١٢٧ - مستخلصات بحوث مجلة الدارة، دار الملك عبدالعزيز (جزءان)، ١٤٢٣هـ.
- ١٢٨ - الزيارات الخارجية لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، نايف بن علي السنيدي الشراي، ١٤٢٣هـ.
- ١٢٩ - موقف المملكة العربية السعودية من القضية الفلسطينية (١٩٢٦ - ١٩٤٨م)، د. حسان حلاق (سلسلة كتاب الدارة - ٢) ١٤٢٣هـ.
- ١٣٠ - مواقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود تجاه قضية فلسطين، د. عبدالفتاح حسن أبو علي، ١٤٢٣هـ.
- ١٣١ - العلاقات السعودية اللبنانية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، دار الملك عبدالعزيز، الجامعة اللبنانية، ١٤٢٣هـ.
- ١٣٢ - كلمات قضت - معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت، محمد بن ناصر العبودي (جزءان)، ١٤٢٤هـ.
- ١٣٣ - الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية: بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المتعقدة في الرياض في المدة من ٢٤٢٧ رجب ١٤٢١هـ، دار الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- ١٣٤ - موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، إعداد: دار الملك عبدالعزيز وهيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ١٤٢٤هـ.
- ١٣٥ - التاريخ الشفوي، حديث عن الماضي، تأليف: د. روبرت بيركس، ترجمة د. عبدالله ابن إبراهيم العسكر، ١٤٢٤هـ.
- ١٣٦ - الأساليب التربوية المستمدة من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، د. عبدالرحمن بن علي العريني، (سلسلة كتاب الدارة ٣) ١٤٢٤هـ.
- ١٣٧ - طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبدالعزيز، عبدالرحمن بن عبدالله الشقير، ١٤٢٤هـ.
- ١٣٨ - مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود لترميم وتجليد مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ.
- ١٣٩ - المملكة العربية السعودية وحقوق الإنسان في السلم والحرب: إشارات موجزة، د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤٢٤هـ.

- ١٤٠ - الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة، د. معراج بن نواب مرزا، د. عبدالله بن صالح شاورش، ١٤٢٤هـ.
- ١٤١ - مختصر الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ.
- ١٤٢ - المملكة العربية السعودية في مئة عام (معلومات موجزة)، إصدار خاص للمكفوفين بخط برايل، طبع الكتاب بالتعاون مع وزارة المعارف، ١٤١٩هـ.
- ١٤٣ - تغير الأنماط السكنية في مدينة الدرعية، د. بدر بن عادل الفقير، ١٤٢٤هـ.
- ١٤٤ - رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام، تأليف: سعد بن أحمد الربيع. أعده للنشر: سعود بن عبدالعزيز الربيعة، (سلسلة كتاب الدارة - ٤) ١٤٢٤هـ.
- ١٤٥ - الصلات الحضارية بين تونس والحجاز: دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية (١٢٥٦ - ١٣٢٦هـ)، أ. نورة بنت معجب الحامد، (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٠)، ١٤٢٥هـ.
- ١٤٦ - تجارة السلاح في الخليج العربي (١٢٩٧ - ١٣٣٣هـ)، أ. فاطمة بنت محمد الفريحي، (سلسلة الرسائل الجامعية - ١١) ١٤٢٥هـ.
- ١٤٧ - تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، التاسع والعاشر للميلاد، د. سعيد بن عبدالله القحطاني، (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٢) ١٤٢٥هـ.
- ١٤٨ - الحياة العلمية في نجد في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها، د. أحمد بن عبدالعزيز البسام، (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٣) ١٤٢٥هـ.
- ١٤٩ - موقف القوى المناوئة من الدولة السعودية الثانية، د. خليفة بن عبدالرحمن السعود، (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٤) ١٤٢٥هـ.
- ١٥٠ - الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية (١٢٣٨ - ١٣٠٩هـ)، حصة بنت جمعان الزهراني، (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٥) ١٤٢٥هـ.
- ١٥١ - المجالات العلمية المحكمة في المملكة العربية السعودية (دراسة تقييمية للوضع الراهن)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ.
- ١٥٢ - منطقة سدير في عهد الدولة السعودية الأولى، د. عبدالله بن إبراهيم التركي، (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٦)، ١٤٢٥هـ.

- ١٥٣ - تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي باشا على الجزيرة العربية، تأليف فيليكس مانجان، ترجمة د. محمد خير البقاعي، ١٤٢٥ هـ.
- ١٥٤ - لمحات من الماضي (مذكرات الشيخ عبدالله خياط)، عبدالله عبدالغني خياط، ١٤٢٥ هـ.



ص. ب: ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية - هاتف ٤٠١١٩٩٩ / ٤٠٨١٦٣٦ فاكس: ٤٠١٣٥٩٧

P.O.Box: 2945 - Riyadh 11461 - K.S.A. - Tel: 4011999/4081636 Fax: 4013597

البريد الإلكتروني: info@darah.org.sa - موقع الإنترنت: www.darah.org.sa

